

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني

(1519-1830م)

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور:

صالح بوسليم

إعداد الطالبة الباحثة:

مسعودة رزاق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/عمر بن قايد	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
أ.د/صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
أ.د/محمد الزين	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضواً ممتحناً
أ.د/ليلي خيراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر.2.	عضواً ممتحناً
أ.د/عبد القادر ميلق	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي بأفلو	عضواً ممتحناً
د.ة/رحيمة بيشي	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة غرداية	عضواً ممتحناً

السنة الجامعية: 1444 - 1445 هـ / 2023 - 2024م

سید محمد صالح المنجد

Sidi

شكر وتقدير

الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة وأعانني على إنجازها، فله الحمد

كله كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ومن مُنطلق "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

أتقدّم بخالص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، سواء من قريب أو من

بعيد، وأخصّ في هذا المقام جميع الأصدقاء الذين لم ييخلوا عليّ بمساعدات علمية ومعنوية.

كما أتوجه بخالص شكري وامتناني إلى الأستاذ المشرف الدكتور صالح بوسليم الذي لم ييخل

عليّ بنصائحه وتوجيهاته، وتحمّله مشقة تصحيح هذه الرسالة، وتتبع خطواتها لإخراجها في

شكلها الأخير، رغم التزاماته الكثيرة،

والشكر الموصول إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبّدوا عناء قراءة هذه الرسالة

وتصويبها.

الطالبة الباحثة

مسعودة رزاق

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين برّاً وإحساناً
أسأل الله أن يحفظهما ويبارك في عمرهما؛
إلى إخوتي حفظهم الله ؛
إلى روح أخي رحمه الله؛
إلى جميع الأهل والأقارب والأصدقاء والزملاء...

الطالبة الباحثة مسعودة رزاق

• قائمة المختصرات الواردة في الدراسة

01- باللغة العربية:

الرمز	المعنى
أ.م.و	أرشيف المكتبة الوطنية
أ.و.ج	الأرشيف الوطني الجزائري
س.ب	سجلات البايلك
م.ش	المحاكم الشرعية
م	تاريخ ميلادي
هـ	تاريخ هجري
ج	جزء
ط	طبعة
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ نشر
ع	العدد
ط.خ	طبعة خاصة
د.ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعليق
غ.م	غير منشورة
د.و.م.ج	الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

<i>Code</i>	<i>La définition</i>
<i>P</i>	<i>Page</i>
<i>PP</i>	<i>Page continues</i>
<i>N°</i>	<i>Numéris</i>
<i>T</i>	<i>Tome</i>
<i>Vol</i>	<i>Volume</i>
<i>imp</i>	<i>Imprimerie</i>
<i>Trad</i>	<i>Traduit / Traduction</i>
<i>Ibid</i>	<i>Ibidem</i>
<i>Ed</i>	<i>Edition</i>
<i>S.D</i>	<i>Sans Date</i>
<i>R.H</i>	<i>Revue Histoire</i>
<i>R.H·M</i>	<i>Revue d'histoire Magrèbine</i>
<i>R.AF</i>	<i>Revue Africaine</i>
<i>O.P.U</i>	<i>Office des publications Universitaires (Alger)</i>
<i>S.N.E.D</i>	<i>Société National d'édition et de diffusion (Alger)</i>
<i>S.I.H.M</i>	<i>Sources Inédites de l'histoire du Maroc</i>
<i>B.S.G.A.O</i>	<i>Bulletin de la Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran</i>
<i>R.O.M.M</i>	<i>Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée</i>

مُقدِّمة

يُعدُّ موضوع المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م) من المواضيع الهامة والجديرة بالبحث والدراسة في تاريخ الجزائر الحديث. وخلافا لما كان يُشاع بأن المجتمع الجزائري هو مجتمع الرجل، فإن المرأة أدّت دورا أساسيا بمدينة الجزائر في الميدان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وحتى السياسي، ومن مختلف الأجناس والأعراق والأديان المختلفة، سواء كانوا حرائر أو إماء، وبهذا أضحت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني فسيفساء بشرية.

ولهذا جاء موضوع الدراسة على النحو الآتي: " المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)".

-أسباب ودواعي اختيار موضوع الدراسة :

هناك جملة من الأسباب الذاتية والموضوعية التي دفعتني لاختيار موضوع الدراسة، نذكر منها:

- محاولة إسقاط الضوء على موضوع المرأة وفعاليتها في المجتمع ومعرفة واقعها ومكانتها من خلال إبراز نشاطاتها المتنوعة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وخاصة وأن أغلب الدراسات التاريخية خلال هذه الفترة؛ اقتصرت على المواضيع السياسية والاقتصادية والثقافية وبعض المواضيع الاجتماعية وأسهب فيها، وأهملت المواضيع المتعلقة بالنساء وكان التطرق لها في الغالب بشكل نادر أو سطحي.

- اهتمامي الكبير بدراسة تاريخ الجزائر الحديث والتعمّق فيه بشكل عام، والتاريخ الاجتماعي بشكل خاص.

- توفر مادة علمية كثيرة ومتنوعة من مصادر ومراجع، خاصة ما تعلّق بالمجتمع الجزائري في العهد العثماني؛ وهو ما حفزني للبحث في هذا الموضوع. وفي المقابل قلتها فيما يتعلق بموضوع المرأة وخاصة دورها السياسي، ومع ذلك تمكّنا من العثور على ما يشفي غليل الباحث، من خلال العودة إلى بعض الوثائق والكتب والأبحاث والدراسات المتنوعة؛ كمحاولة لإظهار مكانتها في مختلف المجالات.

- محاولة إبراز دور المرأة (النساء) في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية وتأثيراتها المختلفة على الأوضاع الداخلية والخارجية للإيالة؛ دون إطناب ممل أو إيجاز مخل.

- الاطار الزمني والمكاني :

يبدأ الإطار الزمني لهذه الدراسة بالفترة الممتدة من 1519-1830م، وحددت هذين المعلمين التاريخيين المهمين بحكم أنّ سنة 1519م، تمثل بداية الحكم العثماني الرسمي لإيالة الجزائر إلى غاية 1830م التي تمثل نهاية الحكم العثماني بالجزائر، أما الإطار المكاني (مجال الدراسة)؛ فهو مدينة الجزائر.

- إشكالية الدراسة:

تقوم الدراسة على إشكالية محورية بارزة في عنوان الأطروحة، ويستدعي من الباحث وجوب الانتباه إلى البعدين هما المرأة والمجتمع ، وعليه فالإشكالية تكون كآتي:

فيما يكمن دور المرأة ومكانتها في المجتمع بمدينة الجزائر؟ وما أبرز أدوارها وأنشطتها بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟.

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، نذكر منها:

بم اتّسمت التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني؟ وما أبرز تجليات موقع المرأة ومكانتها في ذلك المجتمع؟ وإلى أي الفئات الاجتماعية كانت تنتمي؟ وفيما برزت عاداتها وتقاليدها الاجتماعية؟ وكيف كانت إسهاماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع؟.

- الدراسات السابقة لموضوع الدراسة :

هناك مجموعة من الدراسات السابقة التي تطرقت إلى موضوع الدراسة، أو تناولت بعضاً من عناصرها ولو بشكل جزئي، ولعل من أهمّها:

-أطروحة دكتوراه للباحث خليفة حمّاش، والموسومة ب: " الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، والتي تناولت موضوع الأسرة وتطرقت للمرأة بمختلف حالاتها من زوجة إلى أرملة ومطلقة وأدوارها المختلفة اجتماعيا واقتصاديا، وتعتبر هذه الدراسة من أهم الدراسات لأنها تناولت الموضوع من مادته الأصلية المتمثلة في الوثائق، والتي ساعدتني كدليل أرشيفي، وذلك بالاعتماد عليها ، ورغم عودتي إلى ذات الوثائق في الارشيف فوجدتها غير واضحة مما جعلني أعتمد على وثائقه واكتفيت بإحضار الوثائق

وفقط، ولكن تحليل الوثائق كان بالعودة إلى مضمون رسالته، فرسالة خليفة حماش كانت الدراسة الأولى التي اعتمدت عليها بشكل كبير والركيزة الأولى التي ساعدتني للانطلاق في هذه الدراسة .

- أطروحة دكتوراه للباحثة ليلى خيراني، والموسومة ب: " المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1830-1818م - دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية"، والتي يمكن اعتبارها أول دراسة علمية جادة، تناولت موضوع المرأة في مدينة الجزائر العثمانية من خلال وثائق أرشيفية ومصادر محلية وأجنبية، كما تناولت الموضوع من جوانب عدّة، انطلاقاً من مكانتها الأسرية إلى أزيائها ودورها الاقتصادي وغيره، ولهذا فقد استفدت منها بشكل خاص، ولاسيما الوثائق والمصادر التي اعتمدت عليها، فقد أفادتني كثيراً في الانطلاق في بحثي.

- مذكرة ماجستير للباحث أحمد بحري، والمعنونة ب: " الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)"، من الدراسات التي عنيت بالتاريخ الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني، وقد اعتمدت عليها كثيراً عند محاولتي التطرق للتركيبة الاجتماعية في مدينة الجزائر ونشاطاتها المتنوعة.

- رسالة الباحثة شريفة طيان، والموسومة ب: " ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني"، وهي رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية بجامعة الجزائر، وتعتبر من الدراسات المهمة التي تناولت أزياء نساء المدينة خلال العهد العثماني، ولهذا فقد اعتمدت عليها عند تناولي لملابس المرأة الجزائرية.

- المنهج المتّبع في الدراسة :

لقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي بكل فروع الوصفي التركيبي التحليلي، الذي يتلاءم وطبيعة الموضوع؛ باعتباره منهجاً صالحاً لوصف الوقائع والأحداث التاريخية، وتحليلها تحليلاً تاريخياً علمياً وموضوعياً، بعيداً عن الذاتية والأحكام الفردية، بهدف الوصول إلى النتائج المرجوة، والإجابة عن التساؤلات التي طرحت في فصول هذه الدراسة.

-الخطة المعتمدة في الدراسة:

اعتمدت في دراستي على خطة اشتملت على مقدمة، ومدخل، وأربعة فصول، وخاتمة، وهي

كالآتي:

ففي المدخل؛ تناولت لمحة عن التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر العثمانية، وجاء **الفصل الأول** بعنوان: **واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر، والذي** تضمن ثلاثة مباحث ، ففي المبحث الأول تحدثت عن وضعية المرأة الجزائرية المسلمة في مدينة الجزائر، أما المبحث الثاني فتطرق فيه ل: يوميات المرأة الجزائرية بين العمل والأناقة وطبخ وترفيهه، وخصّصت المبحث الثالث لطقوس الزواج والطلاق ووضعية الأرملة في مجتمع مدينة الجزائر.

وأما **الفصل الثاني** ، فتطرق فيه ل: **واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية** وتضمن مبحثين، ففي المبحث الأول تحدثت عن مكانة المرأة اليهودية والمسيحية في مدينة الجزائر الأسرية والاجتماعية، أما المبحث الثاني فتحدث فيه عن الواقع الاجتماعي والأسري للنساء المعتقات والإماء في مدينة الجزائر.

وأما **الفصل الثالث** فخصّصته ل: **دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر** فتحدثت في المبحث الأول عن دور المرأة في المجال الصحي ،أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن المرأة والثقافة بمدينة الجزائر العثمانية. وتطرق في المبحث الثالث إلى المرأة والوازع الديني في مدينة الجزائر العثمانية.

وأخيراً **الفصل الرابع** الذي تناولت فيه مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية، والذي اشتمل على مبحثين، فالمبحث الأول تحدثت فيه عن دور المرأة في النشاط الاقتصادي، وأما المبحث الثاني؛ فتحدثت عن المرأة والقضايا السياسية والعسكرية في مدينة الجزائر وعلاقتها بالسلطة القضائية.

وجاءت خاتمة البحث متضمّنة لمجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي توصلت إليها، كما ذيلته بعدد من الملاحق والفهارس.

- عرض نقدي لبعض المصادر والمراجع:

اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على مادة خبرية هامة، تمثلت في الوثائق الأرشيفية ومجموعة من المصادر العربية والأجنبية والمعربة ومراجع عربية وأجنبية ومعربة، وكذا الدوريات العربية والأجنبية المتخصصة، بالإضافة إلى عدد من الرسائل والأطاريح الجامعية، ومن أهمها نذكر:

أولاً: الوثائق الأرشيفية.

تمثلت في وثائق المحاكم الشرعية، وسجلات البايلك بمركز الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم، والتي تعتبر من أهم المصادر لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني، وهي تزخر بالكثير من الحقائق الهامة والجديدة بخصوص مختلف جوانب الحياة، وسوف نتعرض لأهميتها في فصول الرسالة.

(أ)- وثائق الأرشيف الوطني بئر الخادم:

يضم مركز الأرشيف الوطني مجموعة من الوثائق المتنوعة الخاصة بالفترة العثمانية، والتي تراوحت ما بين سجلات بيت المال ودفاتر البايليك، و وثائق المحاكم الشرعية، وهي كالاتي:

01- سجلات بيت المال:

وهي محفوظة على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري، حيث عملنا على انتقائها في إطار اطلاعنا واشتغالنا على هذا الرصيد، للتأكيد على أهمية هذا المصدر في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، لما تحويه من معطيات تاريخية، قد لا نجد لها ذكرا في المصادر التاريخية الأخرى المتعلقة بنفس الفترة.

ويشتمل هذا الرصيد على 46 سجل موزعة على 11 علبة، كما هو موضح في الفهرس المتعلق بالأرصدة الأرشيفية الموجودة على مستوى المركز الوطني للأرشيف الوطني، لاسيما (سجل بيت المال 10،1769) المتعلق بذكر الأملاك الموقوفة داخل مدينة الجزائر وخارجها.

وتكتسي هذه الوثائق أهمية بالغة في كتابة التاريخ الاجتماعي لمجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وكذا تتبع واقع مختلف فئات المجتمع، وعلى الرغم من صعوبة قراءة ما يرد في هذه السجلات وضرورة تخصيص وقت كبير لها في ظل عدم رقمتها، إلا أنها تبقى مصدرا رئيسيا لا يمكن الاستغناء عنه.

02- وثائق المحاكم الشرعية:

تعتبر وثائق المحاكم الشرعية من أهم المصادر لكتابة التاريخ الاجتماعي والإقتصادي والثقافي، وهي عبارة عن مجموعة من الوثائق المتنوعة التي تم إبرامها بين أشخاص في المحاكم تراوحت ما بين عقود اقتصادية، مثل عقود البيع والشراء وغيره، واجتماعية تمثلت في عقود الزواج والطلاق والميراث والتركة والوقف والهبة وغيره، موضوعة في علب تراوح عددها 153 علبة، نذكر منها على سبيل المثال: علبة 108-109. ولقد استفدت من الوثائق المتعلقة بالجانب الاجتماعي، وخاصة الذي تعلق بموضوع المرأة في مدينة الجزائر.

كما استفدت من عدّة وثائق أرشيفية، والتي لم أتمكن من الإطلاع عليها وأحيانا تعذّر على قراءتها، حيث قُمت بنقلها من الأطرايح الجامعية التي اشتغلت عليها، مع الإشارة إليها في هوامش البحث.

(ب) - مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة (الجزائر العاصمة) :

وهي عبارة عن مخطوطات عدّة، تتعلق بمجموعة من المواضيع ، مثل الضرائب ومهام المحلة وغيره، ومنها ما هو عبارة عن مراسلات تمت ما بين البايات وحكام دار السلطان في العقود الأخيرة من الحكم العثماني، وفيها وثائق مختلفة ومراسلات، كما توجد في نفس المكتبة وثائق قضائية تخصّ بعض النساء في مجتمع مدينة الجزائر، وتدخل ضمن مجال الأوقاف، حيث نجد فيها معلومات عن مدى انتشار الوقف وقيمته من الناحية الاجتماعية والإنسانية. كما توضّح لنا أيضا نمط السلطة الذي كان سائدا في الجزائر العثمانية، والمؤسّسات التي كانت تتحكم في القرارات الصادرة عن المجلس العلمي، كما تمدنا بمعلومات عن الوضع الاقتصادي الذي كان سائدا في الجزائر خلال ذلك العهد.

ثانيا: المصادر العربية.

ويأتي في مقدّمها كتاب: "المرآة" لحمدان خوجة بن عثمان، الذي يُعدُّ أهم مصدر لمطلع القرن التاسع عشر ميلادي، ومذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، والتي تعتبر سجلا واقعا للأحداث التي عرفت الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي حتى وقوعها تحت الاحتلال الفرنسي ، بالإضافة إلى بعض الرحلات التي تناولت بعض المواضيع الثقافية، مثل التعليم والمساجد وأشهر العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني وبعض المواضيع الطبية، ومن أهم هذه الرحلات التي اعتمدت عليها،

نذكر منها على سبيل المثال: رحلة ابن حمادوش الجزائري، والرحلة الورتيلانية الشهيرة بـ: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، للرحالة الجزائري الحسين الورتيلاني... الخ.

ثالثا: المصادر الأجنبية.

بالإضافة إلى المصادر العربية اعتمدنا في هذه الدراسة على مصادر ومراجع باللغة الفرنسية، ورغم أنها تحيطننا علما ببعض المعلومات عن الحياة العامة في الجزائر، إلا أننا نأخذ منها بحذر ونتحقق من صدقها قبل الأخذ منها، ومن أبرزها: كتابات بعض الأسرى الذين عاشوا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مثل الأسير الأسباني ديقو دو هايدو من خلال كتابه: طبوغرافيا وتاريخ الجزائر، الذي يعتبر من أهم المصادر الغربية التي تحدثت عن مجتمع مدينة الجزائر وعن أزياء سكانها والواقع الصحي والثقافي بها، وله مؤلف آخر بعنوان: تاريخ ملوك الجزائر، الذي تحدث فيه عن حكام الجزائر خلال العهد العثماني وأهم إنجازاتهم، بالإضافة إلى كتاب: مذكرات سيمون بفايفر، أو لمحة تاريخية عن الجزائر، الذي تحدث فيها عن يومياته في الأسر وعن بعض سكان المدينة وطبائعهم وعاداتهم، وكتاب: مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، والتي تحدث فيها عن مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وعن الأحوال الاقتصادية والثقافية للجزائر خلال تلك الفترة.

بالإضافة إلى ما كتبه بعض القناصلة الذين عاشوا بالمدينة، مثل: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، فقد تضمنت تلك المذكرات معلومات هامة عن الواقع الاقتصادي والثقافي بمدينة الجزائر، ومؤلف: "تاريخ بارباريا وقراصنتها" للراهب الفرنسيسكاني بيير دان، وهو الذي زار الجزائر من أجل افتداء الأسرى؛ رفقة المبعوث الفرنسي ساسون لوباج. وهذا الكتاب غني بالمعلومات حول مدينة الجزائر، رغم أننا نلمس في بعض كتاباته نوعا من التعصب الديني والحقد على المسلمين، ومع ذلك يعتبر مصدرا هاما لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة فيما تعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية لمدينة الجزائر.

يضاف إلى ذلك كتاب: "تاريخ مملكة الجزائر، حكومتها وقوتها البرية والبحرية ومداعيلها، الشرطة، القضاء، السياسة والتجارة"، لمؤلفه لوجي دوتاسي، وقد زار الجزائر وأقام فيها مدة قصيرة، وهذا المصدر عبارة عن دراسة دقيقة ومفصلة حول تاريخ الإيالة، نظامها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي خلال العهد العثماني.

رابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية.

هناك عدد من الدراسات التي تناولت جوانب من هذا الموضوع، نذكر منها على سبيل المثال لا

الحصر:

- أطروحة دكتوراه للباحث فاتح بلعمري، والموسومة بـ: "الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة"، وهي من الدراسات الهامة التي تطرقت لمختلف المواضيع الخاصة بمجتمع مدينة الجزائر من لباس ومسكن وتفاعلهم في المجتمع وغيره.

- أطروحة دكتوراه للأستاذة الباحثة فلة موساوي قشاعي، والموسومة بـ: "الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)"، وهي من أهم الدراسات الأكاديمية، التي تطرقت للوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني ومدى تطوره والأوبئة التي تعرض لها المجتمع وطرق الوقائية التي اتبعتها سكان خلال هذه الفترة والخسائر البشرية التي أصابت المجتمع .

خامساً: المقالات.

هناك عدد من المجلات التي كانت تصدر في الجزائر وتونس والمغرب وفرنسا، ولها اهتمام بالجانب الاجتماعي والثقافي للجزائر خلال العهد العثماني، ولقد اطلعت على عدد لا بأس به من تلك المقالات، واستفدت من بعضها، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض المجلات، مثل:

المجلة الافريقية (La Revue Africaine) بأعدادها المختلفة، والتي تضمنت الكثير من الدراسات حول تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة، والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، التي كانت تصدر ضمن منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس، والمجلة التاريخية الجزائرية التي أولت عناية كبيرة بتاريخ الجزائر في الفترة الحديثة، خاصة ما تعلق بالجانب الاجتماعي والثقافي، وهناك مجلات كثيرة سنحاول ذكرها في ثبث مصادر ومراجع الدراسة .

- الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة:

لا تخلو أي دراسة علمية أو بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل، وقد واجهتني صعوبات عدّة، مثل:

- صعوبة الوصول إلى الوثائق التي تكشف حبايا هذه الحقبة التاريخية الحساسة، ومن ثم المقدرة على التعامل مع هذه الوثائق وتحليلها واستخلاص النتائج منها، يضاف إلى ذلك كله قلة المراجع العربية والأجنبية التي تتحدث عن مثل هذا الموضوع.

- يعتبر موضوع المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر العثمانية من المواضيع المتشعبة، والتعمّق فيه يتطلب مدة زمنية طويلة للعمل على الوثائق الأرشيفية، مما جعلني أجد صعوبة في تلخيصها حتى أعطي الموضوع حقه.

- ورغم كثرة الأبحاث والدراسات التي أنجزت مؤخرا حول موضوع المرأة في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، إلا أنها اقتصرت على الجانب الاجتماعي فقط، وبنسبة قليلة على دورها الاقتصادي، بينما كانت نادرة حول دورها السياسي والعسكري، مما جعلني أبحث بين مختلف الوثائق والمصادر لعلي أجد مادة تفي بالغرض، وهو ما جعلني أستغرق وقتا طويلا في هذه الدراسة.

- صعوبة قراءة الوثائق العثمانية الأرشيفية الموجودة بالمركز الوطني في بئر خادم، وخاصة تلك الوثائق المتعلقة بعقود الزواج والطلاق والميراث، والتي تميزت بخطوط غير واضحة ومتداخلة فيما بينها، ولا يمكن قراءتها إلا بالاعتماد على بعض الأجهزة.

ولا يسعني قبل الختام، إلا أن أتقدّم بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى إدارة كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة غرداية بوجه عام، وإلى أساتذة قسم التاريخ بوجه خاص الذين قدّموا لي يد العون والمساعدة والتشجيع لمواصلة الدراسة والبحث التاريخي، وأخصّ بالشكر أستاذي الدكتور صالح بوسليم الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، وقد استفدت كثيرا من توجيهاته وملاحظاته وانتقاداته البناءة التي مكّنتني من إنجاز هذا البحث، فجزاه الله عني كل خير.

والشكر الموصول إلى كل من شجّعني وساعدني ولو بكلمة طيبة على إنجاز هذا البحث المتواضع، خاصة أولئك الذين قدّموا لي مجهودات جبارة من خلال مساعدتي بكل ما امتلكوه من كتب ووثائق، فلهم مني خالص الشكر والتقدير والامتنان.

آخراً، وليس أخيراً أمل أن أكون قد وفقت بالقدر الكافي للإلمام بجوانب البحث المختلفة ومعالجته بطريقة سليمة، ولاشك أن في هذا البحث بعض النقائص والنواقص، أرجو تداركها بعد استفادتي من ملحوظاتكم لاحقاً، وما توفيقني إلا بالله .

الباحثة رزاق مسعودة

مدخل:

لمحة عن التركيبة السكانية
في مدينة الجزائر العثمانية.

- تمهيد:

ليس من الممكن فهم أيّ مجتمعٍ دون الإلمام بتاريخه؛ فالتاريخ هو الذي يُبيّن لنا مدى نمّوه وتطوّره عبر المراحل التي مرّ بها، كما يوضح لنا مدى قدرته على التفاعل مع المؤثرات الخارجية من خلال احتكاكه بالمجتمعات الأخرى واطلاعه على نُظُمها وتقاليدها وثقافتها. ومن أجل الإحاطة بواقع مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رأينا من الضروري تقديم لمحة وجيزة عن بنيته وتركيبته السكانية، وأبرز فئاته الاجتماعية.

أولاً: الطبقة الحاكمة.

(أ) - جماعة الأتراك العثمانيين.

يطلق مصطلح العثمانيين على القوميات الآسيوية والأوروبية المسلمة التي خضعت لسلطة الدولة العثمانية وأعلنت تبعيتها للسلطان العثماني. ويلاحظ على هذه الجماعة أن النسبة الأكبر منها كانت مكوّنة من الأتراك المولودين لأبوين تركيين¹، تليهم العناصر الكريتلية ثم الألبانية. كما شمل هذا المصطلح قوميات أخرى من السكان الوافدين من ألبانيا والبوسنة وجزر بحر إيجه ومدلي وكريت وقبرص². ولقد بلغ عددهم، حسب هايدو (Haedo)، في القرن العاشر هجري / السادس عشر الميلادي حوالي 1600 تركي. أما فليار (Villard)، فيُحدّد عددهم ما بين ستة آلاف وعشرة آلاف تركي. وقد بلغ عددهم في النصف الأول من القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي حوالي ثلاثة آلاف عثماني، ليرتفع إلى نحو 3661 تركياً خلال الفترة الممتدة من 1225هـ / 1810 م إلى 1245هـ / 1830 م.

¹ - ج. أوهابسترايت: رحلة العالم الألماني ج. أوهابسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 29.

² - Tell Shuval: La Ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle : Population et cadre urbain, CNRS Éditions, Paris, 1998, p. 60. ET M. Colombe: Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence, Revue Africaine, T 87, 1943, pp. 172-173 Et Fray Diego de Haedo: Topographie et histoire générale d'Alger, traduit de l'espagnol par Monnerau et A. Berbrugger, Bouchène, Paris, 1998, p. 61.

وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م): مقارنة اجتماعية واقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 2007م، ص 22-25.

Tell Shuval: op. cit., p. 60 ; M. Colombe: op. cit., p. 172

أما الرحالة الألماني شونبيرغ (Schönberg) ، فيقدّر عددهم بنحو 17 ألف تركي سنة 1245هـ / 1830م. وتشير المصادر إلى أن هذه الجماعة قد شكّلت "ما يشبه طبقة النبلاء"، على غرار طبقة النبلاء في أوروبا، وقد تمركز أفرادها على وجه الخصوص في حيّ البحرية¹. كما يصفهم الأسير النرويجي نيلس نيلسن موس (Nils Nilsen Moss): «على العموم، كانوا لطفاء إلا في الحالات التي تستوجب القسوة والصرامة... ويتصفون بالانضباط والإخلاص، غير أنهم يكونون أكثر قسوة وحقداً على أعدائهم، ولا يتورعون عن الانتقام من كل من يعارضهم». ويضيف قائلاً: «كان هناك من الأتراك، ولا سيما الموظفون العاديون، من يرفضون أن يتولى الأعلاج قيادتهم، فكانوا يقولون إنهم لا يرغبون في تلقي الأوامر من مهتدٍ ولا يريدونه سيّداً لهم»²، وقد شكّلوا الطبقة العليا في المجتمع الجزائري³.

(ب) - فئة الأعلاج:

يصفهم الأسير الإسباني هايدو (Diego de Haedo): «الأعلاج مسيحيون بالدم والأبوة، ثم صاروا أتراكًا بالتطوع»، ثم يضيف قائلاً في حديثه عن انتسابهم للأتراك: «أتراك بالمهنة»⁴، وكان الأوروبيون يطلقون لفظ "العلاج" على كل من ارتدّ عن الديانة المسيحية⁵. ويصبح الأسير علجًا بعد إعلانه اعتناق الدين الإسلامي، حيث يُعلّم اللغتين العربية والتركية، ويُحفظ القرآن والسنة، ثم يُمنح مكافأة مالية ويسمح له بالانضمام إلى الجيش⁶.

¹- Nicolas de Nicolay: Dans l'Empire de Soliman le Magnifique, Presses du C.N.R.S., Paris, 1989, De Grammot Henri: Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVI^e siècle,, Alger . 1879, p. 9.

ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م - 1830م)، دار البصائر، الجزائر، د.ت، ص ص 39-40-41.

²- نيلز نيلسون موسى: أسير نرويجي في مدينة الجزائر (1769م - 1772م)، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2019، ص ص 101-112.

³ - Fray Diego de Haedo: Op. cit., p. 47 Et De Grammont: Op. cit., pp. 44-45

⁴- ينظر: منور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة - الأسعار - المداخيل)، دار القصب، الجزائر، 2009م، ج 2، ص 177. وينظر: Haedo: Topographie, op. cit., pp. 62-64.

⁵ - Moulay Belhamissi: Histoire de la Marine Algérienne (1516 - 1830), Alger, E.N.A., 1986, p. 115.

⁶ - يحيى محمد طاهر الغزاوي: دور الجماعات اليهودية في تجارة الرقيق في الجزائر في القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 40. وينظر

لقد شكّل الأعلّاج في مدينة الجزائر نسبةً لا بأس بها مقارنةً بالجماعات الوافدة على المدينة. فبحسب الإحصائيات الواردة في بعض المصادر، تبين أن نسبة هذه الفئة قد تجاوزت ستمائة عّلع خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. ومن خلال التقرير الإسباني الصادر في 4جانفي 1535م، والمتعلّق بحملة خير الدين بروس على تونس، جاء ما يلي: "في سنة 1535م، اتجه خير الدين بروس إلى تونس مع قواتٍ عسكرية كان من ضمنها ستمائة عّلع، معظمهم من أصولٍ إسبانية"¹.

وظل عددهم في تزايد مستمر؛ فبحسب دراسات أجرتها الفاتيكان سنة 975هـ / 1568م، تبين أن حوالي خمسة آلاف أسير من إيطاليا في الجزائر قد اعتنقوا الإسلام وأصبحوا أعلّاجًا. وفي وثيقة أرشيفية فاتيكانية أخرى، حُدّد عدد الأسرى بعشرة آلاف أسير، نصفهم من أصولٍ إيطالية، ومعظمهم اعتنقوا الإسلام. وفي رسالةٍ وجهها ضابط إسباني إلى الملك الإسباني فيليب الثاني، جاء فيها: "إن من الحزن رؤية جميع المسيحيين الذين يُجلبون يوميًا إلى هذا البلد من رجالٍ ونساءٍ وأطفال، إذ لا يمر يومان على وصولهم حتى يتحولوا إلى مسلمين"².

يُحدّد هايدو (Haëdo) عددهم بقوله: "إنّ هؤلاء الأعلّاج وأولادهم عددهم أكبر من عدد السُكّان، إذ يُمثّلون حوالي ستّة آلاف بيت، أي نصف عدد سُكّان مدينة الجزائر"³. ويلاحظ على رواية هايدو أنّه بالغ في تقديره، خاصّة بعد تأكّيده أنّ عدد الأعلّاج يفوق عدد سُكّان مدينة الجزائر، وهو أمرٌ مُستبعد، لأنّ الأعلّاج في الأصل مسيحيّون دخلوا في الإسلام. وإذا أخذنا بما ذكره، فهذا يعني أنّ نسبةً كبيرة جدًا من المسيحيين قد اعتنقوا الإسلام، وهو ما نراه غير دقيق. أمّا دان (Dan)، فيُقدّر

Henri Garrot: Histoire Générale de l'Algérie, Impr. Persunzo, Votes Bastion Nord, Alger, (s/d), p. 458.

¹ - De La Primaudie : Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, Revue Africaine, 1875, n°19, p. 348.

² - Sakina Missoum : Alger à l'époque ottomane. La médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003, p. 160

وينظر: منور مروش : دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة، الأساطير والواقع)، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج2، ص ص 102-157.

³ -Haedo Diego : Topographie, Op. cit., pp. 62-64.

عدد الأعلام بمدينة الجزائر سنة 1059هـ / 1649م بحوالي ثمانية آلاف من الذكور الأعلاج، وألف إلى ألف ومئتين من الإناث العلجيات¹.

وفي روايةٍ أُخرى يُذكر أنّ عدد الأعلام مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، أي في سنة 1028هـ / 1619م، قد قُدِّر بحوالي اثني عشر ألف علج²، بينما دييوا تانيفال (Dubois-Taineval) يُقلِّد من عددهم في مدينة الجزائر إلى عشرين نسمة فقط، ويُشير إلى أنّهم كانوا يتمركزون بكثرة في المدن³.

ومن العوامل التي جعلت بعض المسيحيين يعتنقون الإسلام ويُصبحون أعلاجًا؛ تلك الإغراءات والامتيازات التي رآها بعض جنود الحاميات المسيحية، خاصةً الإسبانية (Espagnoles) المتواجدة في الجزائر، والتي كان يُقدِّمها العثمانيون (Ottomans) للمسيحيين بعد اعتناقهم الإسلام. ولعلَّ أهمَّ هذه الامتيازات هو انتقاهم من حياة العبودية والفقر إلى حياة الثراء، وإدراجهم ضمن الطبقة الحاكمة، حيث يتقلد أحدهم منصبًا من مناصب الحكومة، ويُسمح له بممارسة الجهاد البحري⁴.

ومنهم من رأى أنّ إسلام هؤلاء كان لتجنّب المعاملة القاسية التي كان يتلقاها بعض الأسرى من أسيادهم. وفي هذا الصدد يقول أحد الأوروبيين: "إنّ إسلام البعض منهم لم يكن إسلامًا صحيحًا عن اقتناع، بل كان إسلامًا صوريًا هدفه الخروج من ذلّ العبودية، لذا كانوا على استعداد للعودة إلى المسيحية إذا سمحت ظروفهم بذلك"⁵.

¹ - Mgr Pavy : La Piraterie barbaresque, Revue Africaine, 1857, n°2, p. 343.

² - H. De Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque, Ernest Leroux, Paris, 1887, p. 240.

³ - فريد بنور : الجواسيس الفرنسيون في الجزائر (1782م-1830م)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، د.ت، ص 177.

⁴ - حنيفي هلايلي : مرجع سابق، ص 47. منور مروش: مرجع سابق ج 2، ص ص 283-284-285. وينظر: .

Laugier de Tassy : Histoire du Royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer, de ses revenus, police, justice, politique et commerce, Henri Du Suzet, Amsterdam, 1725, réédité par les Éditions Loysel, Paris, 1992, p. 78. Et Venteur de Paradis : Alger au XVIIIe siècle (1788-1790), présentation par Abderrahmane Rabahi, Alger, Grand Alger et Note-Livres, 2006, p. 65. et M. Belhamissi : Op. cit., pp. 242-263

⁵ - مريثيديس غاريتا أرنال : شتات أهل الأندلس [المهاجرون الأندلسيون]، ترجمة فكري عبد السميع، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمن، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ص 168-169، إبراهيم سعيود : وثيقة أرشيفية بابوية تتعلق بتعميد الأسرى المسلمين، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 15-16، ص ص 237-261، يحيى محمد طاهر الغزاوي : مرجع سابق، ص 324.

ولم تكن قسوة المعاملة في يومٍ من الأيام عاملاً يدفع الإنسان إلى التحلي عن دينه واعتناق ديانة أخرى، بل تُنفره أكثر فأكثر. ولهذا نجد أنّ بعض الباحثين فنّدوا هذا الرأي، واعتبروا أنّ المعاملة الإنسانية التي تلقاها أولئك الأسرى من أسيادهم هي التي دفعتهم إلى اعتناق الإسلام.

(ج) - فئة الكراغلة¹ أو المولدين.

تعدّ هذه الفئة من العناصر الجديدة في المجتمع الجزائري، وهي نتاج تزواج بين عناصر وافدة متمثلة في الأتراك (Turcs)، وعناصر محلية متمثلة في الجزائريات²، ورغم أنّ خير الدين بربوس (Khayr ad-Dîn Barbarossa) عند تولّيه حكم إيالة الجزائر، كان قد أصدر قراراً يمنع فيه جنوده الانكشاريين (Janissaires) من الزواج بالنساء الجزائريات، بالرغم من غزوبيتهم، إلاّ أنّه تراجع لاحقاً عن قراره، وسمح لهم بذلك، فظهرت جماعة الكراغلة (Kouloughlis)³.

ويُعدّ الكراغلة من الجماعات الهامة في مدينة الجزائر، نظرًا لارتفاع عددهم خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إذ بلغ عددهم نحو ستّة آلاف كرغلي، لينخفض إلى ألفٍ وستمئة كرغلي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي. وقد كان ذلك نتيجةً للسياسة الصارمة التي انتهجتها السلطنة العثمانية في تقليص عددهم، وذلك بتطبيق مجموعة من

¹ - الكراغلة : مفرد كرغلي (Kouloughli, Koleoylu)، وهي كلمة تركية تتكون من قسمين: "قول" بمعنى عبد، و"أوغلو" بمعنى ابن، فيكون معناها "ابن العبد". وسمّوا بأبناء العبيد نسبةً إلى آبائهم الجنود الذين كانوا في نظر العثمانيين عبيد السلطان العثماني. ينظر : عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مُفتري عليها، مطبعة جامعة القاهرة، 1980م، ج1، ص ص 126-128، ينظر : محمود عامر : مرجع سابق، ص 377، وينظر

Edouard D'Ault : Daumesnil, De l'expédition d'Afrique en 1830, Paris, Delaunay, Éditeur, 1832, p. 46 . Et Shaval T. : Op. cit., p. 102. Tomas Shaw : Op. cit., p. 167 et A. H. Ben Manssour : Alger XVI-XVII Siècle, Journal de Jean Baptiste Gramay "Évêque d'Afrique", CERF, Paris, 1998, pp. 89-90-100.

² - أحمد سليمان : تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1989م، ص 31. وينظر : صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)، دار هومه، الجزائر، 2014م، ص 357.

L. Chaillou L. : L'Algérie en 1781, Mémoires du consul C. Ph. Vallière, Toulon, 1974, n°4, p. 31

³ - سيمون بفايفر : مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 187. صالح فركوس : الحاج أحمد باي قسنطينة (1827م-1856م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 15.

مدخل: لمحة عن التركيبة السكانية في مدينة الجزائر العثمانية .

العقوبات على الانكشاريين الذين يتزوجون جزائريّات، ولعلّ أهمّها حرمانهم من الترقية في مناصبهم، وهو أمرٌ كان يطمح إليه كلُّ موظّفٍ في الجهاز العسكريّ والإداري¹.

ولهذا ظلّت نسبة الكراغلة خلال القرن السابع عشر الميلادي منخفضةً، إذ بلغت نسبة المتزوجين من الجزائريات سنة 1110هـ / 1699م حوالي 8٪، لترتفع إلى 18٪ سنة 1200هـ / 1786م، وهي نسبٌ تُعدّ ضئيلةً نسبيًا².

ولكن مع حلول النصف الثاني من القرن الثاني عشر هجري / الثامن عشر الميلادي، بلغ عدد الكراغلة عشرة آلاف نسمة، غير أنه في أواخر القرن نفسه، وتحديدًا سنة 1195هـ / 1781م، انخفض العدد إلى أربعة آلاف نسمة وهناك من يذكر أن عددهم بلغ حوالي ستة (06) آلاف كرغلي، قبل أن يرتفع مجددًا في أوائل القرن الثالث عشر هجري / التاسع عشر الميلادي إلى تسعة (09) آلاف كرغلي، ثم ينخفض إلى أربعة (04) آلاف كرغلي عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر³.

وحسب بوير (Boyer) ، فقد أُدرجت هذه الفئة ضمن الطبقة الثالثة، على الرغم من انتمائهم للعثمانيين من حيث الرابطة الأبوية، وهو عاملٌ أساسيٌّ كان من شأنه أن يُؤهلهم للانتماء إلى طبقة العثمانيين أو إلى الطبقة الثانية مباشرة. غير أنّ جماعة الأعلّاج قد استحوذت على تلك المكانة، فتمّ تصنيف الكراغلة ضمن الطبقة الثالثة خلف جماعة الأعلّاج⁴.

ثانيا: الرعية.

(أ) - جماعة الحضر (البلدية):

¹ - J. M. Venture de Paradis : Tunis et Alger au XVIIIe siècle, présentation de J. Cuoq, Sindbad, Paris, 1985, p. 188. Et J. Deny : Les Registres de soldes des Janissaires conservés à la B.N.A., Revue Africaine, 1920, n°61, p. 118.

² - Shouval Tell : Op. cit., pp. 105-108

³ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 94-95. مختار حساني : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج1، ص 20. وليام شالر : مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989، ص 56. حنيفي هلايلي : مرجع سابق، ص 83.

Le Baron Baude : L'Algérie, Arthus Bertrand Libraire, Paris, 1841, t.1, pp. 95-358. Venture de Paradis : Op. cit., p. 116.

⁴ - Pierre Boyer : Le Problème Kouloughli dans la Régence d'Alger, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée (R.O.M.M.), 1970, n°8, pp. 87-88.

أُطلق مصطلح الحضر أو سكان البلدية على الجماعات السكانية التي كانت تقيم بمدينة الجزائر. وحسب «هايدو»، فإن عددهم بلغ حوالي (2500) بيت، أي الذين وُلدوا بالمدينة. أما الباحث نور الدين عبد القادر، فيذكر أنّ هذا المصطلح يُطلق على كل من أقام بالمدينة قبل مجيء الأتراك، وهم العرب والأمازيغ والأشراف والأندلسيون. كما أنّ بعض المؤرخين الأوروبيين يطلقون عليهم اسم المور (Moures)، وهم الذين وفدوا على مدينة الجزائر منذ القدم وامتزجوا بسكانها الأصليين¹. وقد ذكرت الدكتورة غطاس في دراستها لفئة الحضر بمدينة الجزائر أنه يمكن تمييز ثلاث مجموعات رئيسية، وهي::

- مجموعة تتكون من العناصر الأصلية للمدينة؛
- مجموعة تتكون من الوافدين من المدن الجزائرية؛
- مجموعة تتكون من الأندلسيين وهم في حد ذاتهم وافدون على مدينة الجزائر من بلاد خارجية هي الأندلس.

1- الجالية الأندلسية²:

ولقد شكّلوا نسبةً كبيرةً في المدينة، ويعود تواجدهم فيها أساسًا إلى سياسة التنصير التي انتهجتها محاكم التفتيش ضد الأندلسيين المسلمين في الأندلس. ولأنهم رفضوا التحلّي عن ديانتهم، فقد تعرّضوا لمختلف أنواع التهيب والتعذيب، وكان آخرها صدور قرار الطرد والتهجير من ديارهم في عهد الملك (Philip II)، مما دفعهم إلى الهجرة نحو أقرب مجال جغرافي من بلادهم، والمتمثل في بلاد المغرب

¹ - نور الدين عبد القادر : مرجع سابق، ص 143. وينظر

: Farid Khaitai : Op. cit., p. 154. : T. Shuval : Op. cit., p. 123. Digo de Haedo : Topographie, Op. cit., p. 55. Et Laugier de Tassy : Op. cit., p. 68. Et Genty de Bussy : De l'établissement des Français de la Régence d'Alger, 2^e édition, t.1, Typographie de Firmin Didot Frères, 1839, p. 103.

² - ويطلق عليهم الأوروبيون اسم "المورسكيون(MORISCOS)"، وهي كلمة إسبانية تعني "صغار المسلمين المغلوبين على أمرهم"، كما يُعرفون بالثغريين والغرناطين نسبةً إلى موطنهم الأصلي. وقد لُقّبوا بعدة ألقاب احتقارية مثل "الفئة المشؤومة"، كما سُمّوا أيضًا "فقراء أهل العلم والقرآن". ينظر : جمال يحيوي : سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492م-1610م)، دار هوم، الجزائر، 2004م، ص ص 41-43.

الإسلامي، وخاصة الجزائر التي فتحت لهم أبوابها في عهد الإخوة.(Barberousse) وقد حظيت هذه الجماعة باهتمام الخلفاء العثمانيين الذين أصدروا فرامانات وُجِّهت إلى حكام الجزائر للتكفل بهم، من حيث توفير المأوى والسماح لهم بممارسة عاداتهم، وجاء في أحدها: "لا يُسمح لأيّ كان بسلب أجورهم ولباسهم وأشياءهم، ويجب إعفاء الفقراء منهم من كافة التكاليف... وعليك بإسكانهم".¹

لذا، فقد لجأ الأندلسيون إلى مدينة الجزائر بشكل كبير في عهد خير الدين بربروس، الذي رحّب بهم ودافع عنهم، وأمّنهم من الاضطهاد الإسباني. فوجدوا عنده، وفي أرض الجزائر، الأمان والاستقرار. ولم يكتفِ بذلك، بل منحهم مجموعة من الأراضي للإقامة فيها، مثل البليدة وغيرها. غير أن بعضهم فضّل الإقامة في مدينة الجزائر نفسها، تحقيقاً لجملة من الأهداف التي كانوا قد رسموها أثناء طريقهم إلى هذه الديار، وهم يجزّون أذيال الهزيمة. وكانت تلك الأهداف ذات طابع انتقامي من الإسبان الذين سلبوهم وطنهم وممتلكاتهم²، وذلك يجعل مدينة الجزائر قاعدةً عسكرية لهجماتهم على السفن الإسبانية.

وفدت أعدادٌ كبيرة من المهاجرين الأندلسيين إلى مدينة الجزائر، خاصة بعد ثورة غرناطة سنة 907هـ / 1501م، ليرتفع عددهم إلى خمسةٍ وعشرين ألف (25.000) أندلسي في سنة 924هـ / 1518م. وتزايدت هجرات الأندلسيين نحو المدينة سنة 976هـ / 1568م بعد انهزامهم في ثورة البشارت (Las Alpujarras)، ليصل عددهم إلى سبعين ألف (70.000) أندلسي سنة 988هـ / 1580م. وهناك من يحدّد عددهم في أواخر القرن العاشر الهجري / أواخر القرن السادس عشر بحوالي

¹ - عبد الله حمادي: المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492م-1616م)، ط1، دار الأمة للنشر والتوزيع الجزائر، ص30، وينظر: حول بول وولف: الجزائر وأوروبا، تعريب: أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 2005م، ص157، حنفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م، صص-12-126-127، وينظر:

Digo De Haedo: Topographie P101-60 Et De Grammont: Op. cit. P03.

² - محمد الأمين بلعيت: فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، منشورات أنتر ديني، الجزائر، 1428هـ / 2007، ص68. وينظر: حنفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، مرجع سابق، ص32، وينظر: مارمول كاربخال: إفريقيا، ترجمة: محمد وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1408هـ، 1409هـ / 1988-1989م، ج2، ص214 وينظر حنفي هلايلي: مرجع سابق، ص33، وينظر: عبد الله بن محمد الشويهد: مصدر سابق، ص141.

Jean Monlaü: Les Etats Barbaresque. Presses Universitaires De France, 1964. P72 Et : Jean Monlaü Kamel Filal: Saintet Maraboutique Et Mystique. Contribution A Letude De Mouvement Maraboutique En Algerie Sous La Domination Ottman XVI- XVII Siecle .Revue Algérienne D'anthropologie Et De Sciences Sociales. Algérie .1997. .P134.

ألف (1.000) مسكن¹ ، ومع بداية القرن السابع عشر، وخاصة في سنة 1018هـ / 1609م، وصل عددهم إلى ألفين وخمسمائة (2.500) أندلسي، وبحلول سنة 1050هـ / 1640م، ارتفع عددهم إلى مئة ألف (100.000)، وفي مصدر آخر إلى مئة وعشرين ألف (120.000) نسمة². وبلغ عدد المهاجرين الأندلسيين في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حوالي خمسة آلاف أندلسي، في حين يرى بعض الباحثين أن مدينة الجزائر ضمت نحو مائة وخمسين مسكنًا أندلسيًا خلال الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر، حيث اتخذ الأندلسيون من القصبه وباب الواد وباب عزون محالًا جغرافيًا لاستقرارهم³.

ومن الأحياء التي استقروا بها في مدينة الجزائر، نذكر: باب الواد، بولوغين، الحامة، القبة، بوزريعة تاقران، تليملي، الأبيار، ومنهم من استقر بالقرب من القصبه⁴.

وحاولت هذه الجماعة الاندماج في المجتمع، رغم الاعتقاد السائد بينهم بأن إقامتهم في الإيالة بصفة عامة، وفي مدينة الجزائر بصفة خاصة، كانت مؤقتة؛ لذلك حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، ولم ييخلوا على الجزائريين بما امتلكوه من خبرات، بل ساهموا في تطويرها في مختلف المجالات السياسية، والاقتصادية، والثقافية، وكذا العسكرية⁵.

2- فئة الأشراف:

¹- حنيفي هلايلي : أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، مرجع سابق ، ص 63 وينظر: جون بول وولف: مرجع سابق، ص 157 وينظر: مرثيديس غاريتا أرينال شتات اهل الاندلس [المهاجرون الاندلسيون] ترجمة: فكري عبد السميع، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ص 172.

²- محمد الأمين بلغيت : مرجع سابق، ص 68، وينظر : محمد رزوق : الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17م، ط3، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998م، ص 17، Et Digo de Haedo : Topographie, Op. cit., pp. 33-60.

³- Digo de Haedo : Histoire Des Rois d'Alger .Traduite Annoté H.De Grammont .Adolphe Jourdan Libraire Editeur.Alger.1881., pp. 495-560, Et M. Renaud : Alger, Tableau de Royaume de la Ville d'Alger et ses Environs, État de Commerce, de ses Forces de Terre et de Mer, ancien Officier de la Garde du Consul de France à Alger, Quatrième Éditions, Librairie Universelle, Paris, 1830, p. 96, Et J. A. Peyssonnel : Voyage dans les Régences de Tunisie et d'Alger, Présentation et note de Lucette Valensi, publié par le Centre National des Lettres, Édition La Découverte, Paris, s.d., p. 223, Et Ben Cheneb : Un Acte de Vente, pp. 287-290, Et Sakina Missoum : Alger à l'époque ottomane. La Médina et Maison traditionnelle, Édition INAS, Alger, 2003, p. 179.

⁴ M. Gaid : L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'Édition, Tunis, 1975, p. 191, Et Digo de Haedo : Topographie, Op. cit., p. 52,

⁵- Emerit : Description de l'Algérie en 1778 par le Russe Kokortsov, in R.H.M. Tunis, Juillet 1975, n°4, p. 213.

هي عائلات ذات أصول شريفة، تعود بنسبها إلى الحسن والحسين، حفيدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وبلغ عددهم بمدينة الجزائر، حسب ما ذكره المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، حوالي ثلاثمائة أسرة¹. وقد تم تصنيف الأشراف ضمن جماعة الحضرة، ولعل السبب يعود إلى قدسية نسبهم، مما أهلهم لاحتلال هذه المكانة الاجتماعية. كما حظيت هذه الجماعة بالدعوة للمشاركة في مختلف المناسبات الرسمية، مثل تنصيب الداي، والحضور إلى بعض الاجتماعات الهامة التي كان يعقدها الديوان، واجتماعات المجلس العلمي، كما خصّص لهم الداي نقابةً باسم "نقابة الأشراف"، التي ترأسها عند التأسيس أحد طلبة محمد الشريف الزهار، ليصبح المنصب وراثيًا لأولاده².

3- فئة العرب:

ويعود أصلهم إلى شبه الجزيرة العربية، التي جاءوا منها في إطار الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب³، وكان دخول واستقرار قبيلة الثعالبة إحدى هذه القبائل العربية، والتي ينتمي إليها عرب المدينة بعد تولي قبائل بني مزغنة الحكم عليها⁴.

¹ - ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي : مرجع سابق، ص ص 97-99، 133، وينظر : عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830م، مقارنة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 86، كمال دحوماني الحسني : الأشراف ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 40، وينظر : الونشريسي : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 230.

² - عبد الله بن محمد الشويهد : مصدر سابق، ص 209، وينظر : مذكرات الشريف الزهار : مصدر سابق، ص 18، وينظر : أحمد بن محمد بن علي الراشدي بن سحنون : النغر الجماني في ابتسام النغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1973م، ص 16.

³ - سيمون بفايفر : مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1998م، ص 148.

⁴ - الثعالبة : هم الذين ينتسبون إلى ثعلب بن سحير بن معقل، وهناك من يرى أنهم ينتسبون إلى ثعلب بن علي بن بكر بن صغير، وقد وصلت إلى المغرب الأوسط رفقة القبائل الهلالية، واستقرّوا أول مرة بمنطقة التيطري، ثم في سهول متيجة، ثم في مدينة الجزائر التي سيطرت عليها خلال حكم أسرة سباع بن ثعلب من أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى غاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. ولقد برز في تزعمها رجلان هما أحمد بن القاضي الزواوي وسالم التومي، وكانا قد استقرا عند باب الوادي، وازدهرت سيطرة القبيلة في عهد سالم التومي، وانتهت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. ينظر تواتي بومهلة : محطات في تاريخ الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2012م، ص ص 119-125، حسن بن رجب شاوش بن المفتي : تقديرات بن المفتي في تاريخ الباشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 79، عبد الرحمان بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت

(ب) - فئات البرانية:

أطلقت السلطة العثمانية هذه التسمية على الجماعات الجزائرية المحلية الوافدة إلى المدينة منذ العهد العثماني. وكانت المدن، ولاسيما العواصم، مركز جذب لليد العاملة من الريف القريب والبعيد، وحتى من الصحراء، وذلك للعمل وكسب الرزق. وتميزت هذه الجماعات بتمسكها ومحافظتها على انتمائها إلى المناطق التي جاءت منها، كما عُيّن لكل جماعة أمين يتولى رعاية شؤونها¹.

أما هايدو (Haedo)، فيطلق عليهم اسم العرب الوافدون من الدور لأغراض التسوّل، حيث يصفهم بقوله: "الجنس الثالث من الموريسكيين العرب الذين يأتون باستمرار إلى مدينة الجزائر من دواويرهم على مدار السنة، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يجوبون الشوارع ويشكلون أكبر نسبة من المتسولين"². وكان إذا تعرض أحد البرانية للظلم، فإنه يتجه مباشرة إلى الداوي (Dey) طالباً منه العدل والإنصاف، وهذا يفنّد ما ذكر سابقاً بأن الداوي كان يكره العرب. وعندما يعجز عن الوصول إليه، فإنه يمكث قرب القصر متشبّثاً بالسلسلة المعدنية الموجودة بأعلى باب قصر الداوي، صارخاً: "شرع الله...". وهذا ما حدث مع الحاج محمد الحبروني التدلسي، الذي طلب إنصاف الداوي له في قضية ابنة زوجة عمر بن الوئيس³.

01- بنو مزاب:

الأفكار الدولية، د.ب، د.ت، ج6، ص ص 73-76، وينظر: أحمد توفيق المدني: كتاب هذه هي الجزائر، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010م، ص ص 37-38، وينظر: علاوة عمارة: الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة، تأسيس وتطور مدينة وسيطة، مجلة معابر، مجلد 3، الجزائر، 2016م، العدد 1، ص 37.

¹- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ج1، ص 156، وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 358، وينظر: حمدان خوجة: مصدر سابق، ص 99، وينظر: عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحصار، الجزائر، د.ت، ص 143، وينظر: T. Shuval: Op. cit., pp. 226-227, 126-494.

²- Digo de Haedo: Topographie, Op. cit., pp. 54-57, 59-، ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص 43.

³- هامش 43: الوثيقة 16، مجموعة 3206، قسم مخطوطات عثمانية.

تميزت هذه الجماعة باختلافها عن بقية الجماعات المشكّلة لمجتمع مدينة الجزائر بمذهبها الخاص، الذي يتبعونه المتمثل في المذهب الإباضي¹، ولكن يمكن القول أن مصطلح مزابي لم يكن مقتصرًا على معتنقي المذهب الإباضي فقط، بل شمل كل ساكني منطقة واد مزاب بما في ذلك أتباع المذهب المالكي؛ فالمزابي لفظ يطلق على سكان وادي مزاب، وهو أحد أهم الأودية الموجودة بجنوب إيالة الجزائر².

أما بالنسبة لبني مزاب الذين وجدوا في المدينة، فلا ندري هل كانوا أتباع المذهب الإباضي فقط أو المالكي أيضا، ولكن يذهب بنا الاعتقاد أنهم أتباع المذهب الإباضي، فبعد عودتنا إلى أسماء أمناء الحرف وجدناها أسماء إباضية، بالإضافة إلى سياسة الانطواء التي تميز بها هؤلاء ورفضهم الاحتكاك مع بقية الجماعات في أغلب الأحيان³.

وأهم ما تميزت به هذه الجماعة هو التكافل فيما بينهم في الأفراح والأقراح وفي الشدة والرخاء والتزامهم بالانضباط والتحلي بالنظام في أداء أعمالهم⁴.

ن الوجود المزابي في مدينة الجزائر سابق للوجود العثماني، ولأن المزابيين كانوا أصحاب تجارة، وطبيعة هذا النشاط تتطلب التنقل والترحال من مكان إلى آخر من أجل التبادل التجاري، فقد كانت مدينة الجزائر من بين المدن التي كانت محطّ أنظارهم. ولهذا سارعوا للإقامة بها للاستفادة من النشاط الاقتصادي المزدهر الذي تمتعت به⁵. ورغم عددهم الكبير ووجودهم السابق للكثير من الجماعات

¹ - مصطفى أحمد بن حموش : فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956-1246هـ / 1549-1830م)، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1421هـ / 2000م، ص 28.

² - أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010م، ص 32، وينظر : هو محمد عيسى النوري : دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، د.د، د.ب، مطبعة البعث، د.ت، ج1، ص 27.

³ - محمد بوشناني : القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ج2، ص 442، ومحمد أمين : ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهتمشين بالجزائر العثمانية، في أعمال المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية (22-25 سبتمبر 2000م)، منشورات مؤسسة عبد الجليل التميمي، زغوان، تونس، 2002م، ص 35.

⁴ - محمد أمين: المرجع نفسه، ص36.

⁵ - Venteur de Paradis : Tunis et Alger au XVIII^e siècle, Mémoire et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, La Bibliothèque Arabe Sindbad, s.d., p. 278.

وينظر : أمين محرز : الجزائر في عهد الأغوات (1659م-1671م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 153-190.

الوافدة، إلا أنهم لم يتخذوا لأنفسهم أحياءً خاصة، بل أقاموا في مختلف أرجاء المدينة. وحسب كورين شوفاليه (Corinne Chevalier) ، فإن بعضهم أقاموا أمام حي باب عزون (Bab Azzoun) ¹ . أما عن صفاتهم وخصالهم، فقد تفنن الأوروبيون في ذكرها، فنجد وليام شالر (William Schaler) ، القنصل الأمريكي، يصفهم قائلاً: "قوم هادئون، نشطون في التجارة، ومشتهرون بالأمانة والنزاهة في الأعمال، وأنهم يشبهون في ملاحظهم ومنظرهم العرب، ويدينون بدينهم، غير أنهم لا يؤدون الصلاة في المساجد العمومية، ولهم مسجد خاص بهم يقع خارج المدينة" ² . ما فانثور دي بارادي (Ventur de Paradis) ، فيرى أن المزابيين كانوا ملتزمين بتعاليم الشريعة الإسلامية ومتشبعين بها، ولهذا فقد كانوا أكثر تدينًا. ³ .

02- الأوغواطيون:

وهم القادمون من مدينة الأوغواط الواقعة في جنوب الإيالة ⁴ ، ولم تكن نسبة هذه الجماعة في مدينة الجزائر كبيرة ، ففي أغلب المصادر أن نسبتهم كانت قليلة جداً ⁵ ، وحسب الاحصائيات التي ذكرتها الباحثة عائشة غطاس رحمها الله، نجد في الفترة الممتدة من سنة 1202هـ / 1787م إلى غاية 1207هـ / 1792م ، توفي أغواطيان ، وفي سنة 1222هـ / 1807م - 1233هـ / 1817م ، توفي ثلاثة من جماعة الأوغواطيين ، ومع حلول سنة 1817م وإلى غاية 1242هـ / 1826م ارتفع العدد إلى إحدى عشر أغواطي ⁶ .

03- جماعة البسكرة :

¹ - مصطفى بن أحمد حموش : مرجع سابق، ص 28، وينظر : كورين شوفاليه : الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510م-1541م)، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007م ، ص 87.

² - وليام شالر: مصدر سابق، ص 111.

³ - سيمون بفايفر : مصدر سابق، ص 04 ، Venture de Paradis : Op. cit., p. 119

⁴ - محمد الهادي لعروق : أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، د.ت، ص 32.

⁵ - أمين محرز : مرجع سابق ، ص 156 وينظر عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر : مرجع سابق ، ص 31.

⁶ - عائشة غطاس : نفسه ، ص 37 وينظر بلبروات بن عتو ، المدينة والريف ، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة الجزائر، 2016م ، ج 1 ، ص 293.

أطلق هذا المصطلح خلال العهد العثماني على اثني عشر قبيلة قادمة من منطقة الزيبان، ووادي ريغ ووادي سوف، وتوقرت¹.

04- جماعة القبالة :

سُميت هذه الجماعة بالجلابين والحلفاجية، وهم مجموعة من البدو والرحل الوافدون من الجنوب الجزائري، خاصة من منطقة الحلفة والأغواط وكان مجيئهم إليها من أجل بيع المواشي ، كما امتهنوا مهنة الجزارة وبيع الحلفاء².

05- جماعة القبائل³:

القبائل وهم الأمازيغ، ومن جماعات القبائل الوافدة على مدينة الجزائر نذكر قبائل جبال كوكو وبني عباس، وبلغ عددهم سبعمئة أسرة، وبهذا شكّلوا نسبة كبيرة مقارنة بجماعات البرانية الأخرى. ويمكن أن نفسر كثرة عددهم بقربهم الجغرافي من سكناتهم، فكانوا يتوافدون على المدينة للعمل ثم يعودون إلى بلادهم. وقد ذكر وليام شالر (William Schaler) هذا في قوله: "إن القناصل يجدون صعوبة في الاحتفاظ بواحد منهم أكثر من سنة أو شهر دون أن يراودهم الحنين لرؤية جبالهم، مخاطرهم بذلك يفقد مورد رزقهم... " ⁴.

1 - ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي : مرجع سابق، ص ص 100-200، وينظر : صالح عباد : مرجع سابق، ص ص 358-359، La Primaudaie : Le Commerce et la Navigation de l'Algérie avant la Conquête Française, Paris, 1861, pp. 99-100.

2 - عائشة غطاس : مرجع سابق، ص 27.

3 - القبائل : لغة جمع قبيلة، وهي مجموعة من الأشخاص تربطهم رابطة دم لانتسابهم لجد واحد، وأصبحت لهم كيانات سياسية. وقد عُرفت في المناطق الواقعة عبر سلسلة الأطلس الكبير وباقي السلاسل الجبلية الأخرى المنبثقة عنها، والمحاذية لمدينة البليدة والمدية وتلمسان وبجاية وغيرها. ومن هذه القبائل نذكر: بني مسوس، بني زروال، بني زواوة، وبني عباس. ينظر : وليام شالر : مصدر سابق، ص 113، وينظر : عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 30، وينظر : صالح عباد : مرجع سابق، ص 359، وصالح بلعيد : في المسألة الأمازيغية، ط2، دار هومة، الجزائر، 1419هـ / 1999م، ص 23.

4 - وليام شالر : مصدر سابق، ص ص 116-117، وينظر : صالح عباد : مرجع سابق، ص 360، وينظر Digo de Haedo : Haedo : Topographie, Op. cit., pp. 56-57.

وهناك من يرجع تاريخ تواجد هؤلاء في مدينة الجزائر واستقرارهم بها إلى سنة 916هـ / 1510م، وهو تاريخ الحملة الإسبانية بقيادة بيدرو نفارو (Pedro Navarro) على مدينة بجاية. وعجز هؤلاء في التصدي لها، مما جعل بعض سكانها يلجأون إلى المناطق المجاورة، مثل مدينة الجزائر.¹

أما عن صفاتهم، فيذكر لنا سيمون بفايفر (Simon Pfaff) بقوله:

"يتكلمون لغة خاصة تختلف عن كل اللغات الإفريقية الأخرى، كما أن لهم عادات واحدة وزبياً واحداً... ولهم مثل العرب شيوخهم، وهم يجلبونهم بصفتهم آباءً وقضاة، ولا يعترفون بغير سيادتهم... فإن شيوخهم يدعوهم يومياً إلى العفة والصلاح والاستقامة، ولا يهتمون الجريمة بينهم"² ويصفهم فيلهم شيمبر (Wilhelm Schimper) بقوله: "إنهم يتميزون بالجد والنشاط"³. وحسب لوسين قولفين (Lucien Golvin)، كان للقبائل مكانة هامة في المدينة قبل خضوعها للحكم العثماني، الذين سيطروا على مقاليد الحكم بها، مما أدى إلى تراجع مكانتهم.⁴

06- جماعة الجيجليون:

يعود تاريخ وجود هؤلاء بمدينة الجزائر إلى عملية التحرير التي قام بها الإخوة بروس (Barbarossa) بعد استنجد الأهالي بهم، فانضم إليهم الجيجليون وأعلنوا المساعدة بعد أن أعلنوا الولاء والخضوع لهم. اشتركوا معهم في الجهاد بعد تحرير أغلب المدن الجزائرية، وشكلت نسبتهم حوالي 13% من نسبة سكان البرانية. وأهم ما يميز هذه الجماعة عن بقية جماعات البرانية هو اتخاذهم حياً خاصاً بهم، مما يدل على أن إقامتهم كانت دائمة⁵.

¹- M. Gaid : Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'Antiquité jusqu'à 1954, 2^e édition, Mimouni, Alger, 1991, p. 117. .

²- سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 149-150.

³- عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 249-253.

⁴ Lucien Golvin : Alger à la période ottomane, Rythme de vie, Les Cahiers Tunisie, Actes du IV Congrès International d'Histoire et de Civilisation du Maghreb, Numéro spécial 137-138, Tunisie, 1986, p. 165.

⁵ - شارل فيرو : تاريخ جيجل، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 1431هـ / 2010م، ص ص 96-102، وينظر : سعيدوني والبوعبدلي : مرجع سابق، ص 101، وينظر : عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 30، 387-388، وينظر : مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر القلم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ت، ج3، ص ص 36-37، 44-46، وينظر : مختار حساني : موسوعة ثقافة المدن الجزائرية، مرجع سابق، ص 21، وينظر Shuval : Tala : Op. cit., p. 128.

ومن الصفات التي اتصف بها هؤلاء، كما ذكرها شارل فيرو: (Charles Ferrou) "سكان جيغل مستأنسون اجتماعيون، أصدقاء للتجار، مفعمون بالثقة وحسن النية في المعاملات التجارية، يتعاطون جميعهم تقريباً الفلاحة"¹.

إن سياسة التقارب التي انتهجها الجيغليون مع العثمانيين منذ تواجدهم على السواحل الجزائرية جعلتهم يحظون بمجموعة من الامتيازات على عكس بقية جماعات البرانية المهمشة، مثل حمل السلاح وغيرها، ولكن حُرِّموا من مختلف الرتب².

07- الزواج:

كّلت جماعة الزواج جزءاً لا بأس به من فئات مجتمع مدينة الجزائر، وقد تجاوز عددها ألف نسمة في القرن الثامن عشر الميلادي، بينما يقدرها بوتان (Buttán) بثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة. ويؤكد هذا سيمون بفايفر (Simon Pfaff) بقوله: "يوجد بالمدينة عدد كبير من السود يتراوح ما بين أربعة وخمسة آلاف"³.

ومن العوامل التي أدت إلى ارتفاع نسبة هؤلاء استقبال مدينة الجزائر سنوياً ما بين مائة وخمسين إلى خمسمائة زنجي، بالإضافة إلى الاتفاق الذي أبرمه صالح رايس بعد نجاح حملته على ورقلة وتوقرت مع زعمائهما، واشترط عليهما تزويد مدينة الجزائر بالعبيد سنوياً، ففرض على حاكم ورقلة تزويده بثلاثين عبداً، وعلى توقرت بستة عشر عبداً⁴. أما ويليام شالر (William Schaler)، القنصل الأمريكي بالجزائر، فيورد عكس هذا ويرى بأن نسبة الزواج قليلة مقارنة بمختلف المجموعات: "الزواج يشكلون جزءاً آخر من السكان، ولو أنه أصغر"⁵. وينقسم الزواج إلى قسمين، وهما:

¹ - شارل فيرو: مرجع سابق، ص ص 92-163-165.

² - Venteur de Paradis : Op. cit., p. 119, 14.

³ - فريد بنور : مرجع سابق، ص 408، سيمون بفايفر : مصدر سابق، ص 180، وينظر Gaid Mouloud : L'Algérie sous les Turcs, Alger, Édition Mimouni, 2^e éd., 1910, p. 201.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي : مرجع سابق، ص 100، عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 35، ناصر الدين سعيدوني : النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص 89، وينظر Ben Mansour : Alger XVI-XVII. Siècle Journal De Jean Baptiiste Gramaye "Evèque Dafrique". CERF.Paris.1998., p. 120.

⁵ - Devoulx Albert: Tachrifat . Recueil De - وليام شالر : مصدر سابق، ص 50، أمين محرز : مرجع سابق، ص 157،⁵ De Notice Historique Sur L'administration De L'ancienne Régence D'alger .Imprimerie Du Gouvernement.Alger .1852.pp45-46.

- جماعة الأحرار:

وشكّلت هذه الفئة ثلث فئة الزوج العبيد بمدينة الجزائر، وهؤلاء كانوا عبيدا وتحرروا بعد اعتناقهم الإسلام¹.

- جماعة العبيد (الوصفان):

الزوج العبيد، أو كما يفضّل البعض تسميتهم بالوصفان، وهم من أصول سودانية مختلفة، جُئى بهم من قبل رواد قوافل التجارة العابرة للصحراء إلى مدينة الجزائر، وكانوا يزودونها بما يقارب من 150 إلى 500 عبد في كل سنة. وكانوا يأتون بالعبيد إناثاً وذكوراً من بلاد السودان الغربي عن طريق تجارة المقايضة، ومنهم من جلب من بلدان السودان الغربي الأخرى في إطار التبادل التجاري بين تجار المنطقتين. فكانوا يجلبون معهم العبيد إلى جانب المنتوجات المحلية ويبيعونهم في الأسواق الجزائرية².

08- بنو عباس وأهل مزينة :

تعتبر هذه الجماعة من الجماعات، التي أغفلت العديد من المصادر الحديث عنها، ولعل هذا راجع إلى نسبتها القليلة في مدينة الجزائر³.

09- الوافدون من الإيالات المجاورة ومن المغرب الأقصى (المغاربة):

تعدّدت أسباب تواجد هؤلاء بمدينة الجزائر، فمنهم من كان ذو هدف اقتصادي كالتاجر وغيره، ومنهم من كان هدفه علمي كعالم أو طالب علم. ضمّت جماعة المغاربة جميع القادمين من المناطق المغربية، فنجد أن التونسيين بلغ عددهم بالمدينة حوالي 300 عائلة، وأغلبهم من جزيرة جربة (Djerba) التونسية، أي بنسبة 50٪. وتعتبر جماعة الجرابية من أكثر الجماعات القادمة من البلدان المغربية، حتى أنّها اتخذت لنفسها حياً خاصاً يُعرف بزَنْقة الجرابية وفندق.

ثم نجد الوافدون من المغرب الأقصى بنسبة قليلة، وربما راجع ذلك إلى العلاقات المتذبذبة بين الدولتين. ومع ذلك، عُثر على بعض المغاربة الذين فضّلوا الاستقرار بالجزائر من تطوانيين وسلاويين، ومن

¹- Pierre Boyer : La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française, Hachette, Paris, 1963, p. 167

وينظر : وليام شالر : مصدر سابق، ص 92.

²- ع17، م3، ق79، سنة 1238، عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 34، T. Shuval Op. cit., p. 129، و Pierre Boyer : La vie quotidienne, Op. cit., p. 167، وفوزي سعد الله : قصبة الجزائر

الذاكرة الحاضر والخواطر، وزارة الثقافة، 2013م، ص 104.

³- عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 31.

طنجة ومراكش وفاس. وبعضهم جاء بغرض العلم، مثل: أبو الحسن علي بن الواحد السجلماسي، الذي كانت إقامته بالمدينة طويلة، فعمل بها مدرّساً للعلوم الفقهية والحديث والتصوف والمنطق وغيرها. ومنهم من جاء لمواصلة طلب العلم عند علماء المدينة، مثل: أحمد بن عيسى آدم، الذي جاء لمواصلة دراسته عند الشيخ سعيد قدورة، وأيضاً الشيخ محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي، الذي جاء لمواصلة دراسته عند الشيخ سعيد قدورة وعند الشيخ محمد المقرّي. كما وفد على المدينة بعض القادة والشيوخ وبعض الحكام الذين لجأوا إلى مدينة الجزائر بعد سقوط الدولة الوطاسية¹.

ومنهم من كان مجيئه إلى المدينة لأسباب اقتصادية، تمثل ذلك في استغلال بعض موانئ مدينة الجزائر، مثل غيرهم من المغاربة والتونسيين والليبيين، للتجارة مع الدول الأوروبية، كاستثمار تجارة الأسرى أو تجارة المقايضة بالتوابل والصوف. ومنهم من اشتغل في السمسة، مثل الحاج محمد التطواني، السمسار. كما اتخذ بعض المغاربة من تأجير الحمير مصدر رزق، إذ كان للحمار خلال هذه الفترة دور هام، فهو وسيلة لنقل البضائع والترحال من مكان إلى آخر، ويمكن القول إن كراء الدواب كان تجارة مربحة. ومن هؤلاء نذكر الحاج محمد الحمار بن عمر التطواني².

وبعض المغاربة كانت إقامتهم مؤقتة، والبعض الآخر فضّل الاستقرار الدائم، فاتخذوا لأنفسهم أحياء بالمدينة عرفت بأسماء المدن التي جاءوا منها. فنجد شارع السلاويين، الذي كان خاصاً بالتجار السلاويين. كما نجد الوافدون من طرابلس الغرب، الذين جاءوا إلى الجزائر لممارسة تجارة التوابل والعقاقير وبعض الأعشاب الطبية النادرة، بالإضافة إلى تجارة الجلود³.

¹ جمال يجياوي : المرجع السابق، ص 35، وينظر : محمد شفيق : تاريخ الأمازيغيين، الرباط، 1409 هـ / 1988م، ص 53، وحسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407 هـ / 1987م، ص 183.

² - عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 251-252، 270، وينظر : أبو القاسم الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر، الجزائر، 1991م، ج2، ص 298، وينظر : أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق وتعليق : عبد الكريم فيلاي، ط2، دار النشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1991م، ص 151، وينظر : محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق : محمد حجي وأحمد التوفيق، ضمن : موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ج4، ص 1669، وينظر : محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق : محمد حجي وأحمد التوفيق، ضمن : موسوعة أعلام المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج5، ص 1895، وينظر : مولاي بالحيمسي : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 184-185، وينظر : ابن حمادوش الجزائري : لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق : أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص 263.

³ - Ernest Henry de Castries : Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc (1530-1845), Éditeur, Paris, 1905, T1, pp. 137-138.

مدخل: لمحة عن التركيبة السكانية في مدينة الجزائر العثمانية .

ولقد تمكّن بعض المغاربة من التقرب إلى السلطات الجزائرية، فسمح لهم بحضور بعض اجتماعات المجلس في القرن 11هـ / 17م. ومن بينهم نذكر قاسم بن زكريا الجربي وأحمد بن الفاسية. كما مارس بعض التونسيين والمغاربة مهنة البناء، وخاصة بناء المنشآت العمومية¹.

(ج)- جماعة الدخلاء :

تمثلت في بعض الجاليات الدخيلة على مجتمع مدينة الجزائر، والتي تختلف عنهم دينيا، وتشمل أهل الذمة² من اليهود والأوروبيين المسيحيين الأحرار والأسرى³.

01- الأوروبيون:

كان يعيش في مدينة الجزائر نسبة هامة منهم، وذلك بفضل عددهم الكبير الذي تجاوز الألف، وينقسمون إلى فئتين، وهما:

(أ)- المسيحيون الأحرار:

ويمكن القول بأن عدد المسيحيين الأحرار كان أقل نسبة من المسيحيين الأسرى⁴، وهذا راجع إلى قلة توافدهم على مدينة الجزائر، بسبب تخوفهم من الوقوع في الأسر وغيره، ولكن اقتضت الضرورة لدى المسيحيين في القدوم إلى الجزائر، إما بدافع اقتصادي، أو ديني، أو إنساني.

(ب)- الأسرى المسيحيون:

وتعود أصولهم إلى مختلف الدول الأوروبية، وكان عدد هؤلاء الأسرى غير مستقر؛ فهو يزيد وينقص بحجم عائدات الغزو البحري⁵. ويقسمهم "توماس شاو" إلى قسمين، وهما: أفراد أسرى وعائلات أسرى⁶.

02- طائفة اليهود:

¹ - سعد الله أبو القاسم : التاريخ الثقافي (1500م-1830م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص 448، وينظر : عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 44-146، وينظر : عبد الله بن محمد الشويهد : مصدر سابق، ص 93، وينظر : عبد المنعم القاسمي الحسني : الزاوية الرحمانية وأثرها في الوحدة المغاربية، مجلة الدراسات الإسلامية، الجزائر، العدد 9، جوان 2006م، ص 115.

² - صالح عباد: مرجع سابق، ص 360.

³ - أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (926-1246هـ / 1519-1830م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص 64.

⁴ - صالح عباد: مرجع سابق، ص 361.

⁵ - أرزقي شويتام : المرجع السابق، ص 65.

⁶ - Thomas Shaw:Op. cit.P293

مدخل: لمحة عن التركيبة السكانية في مدينة الجزائر العثمانية .

كانت هجرات اليهود إلى مدينة الجزائر سابقة للوجود العثماني فيها، فقد استمر توافدهم عبر القرون، وتكثفت بعد سقوط غرناطة في سنة 898هـ / 1492م بسبب التعصب الديني المسيحي.

وقد كانت بدايتهم متواضعة، فلقد سمح لهم خير الدين بالإقامة مقابل دفع الجزية، على ألا يحق لهم فتح سوى عدد محدود من المحلات الحرفية في الأسواق التي يسكنونها، ولم يكن لهم أي أثر في الحياة السياسية خلال القرن السادس عشر. ويقسمهم هايدو (Fray Diego de Haedo) إلى ثلاثة أقسام¹:

- القادمون من اسبانيا،
 - القادمون من جزر البليارد،
 - المقيمون في البلد منذ الجلاء؛ أي سقوط أورشليم في يد الرومان، وعددهم سنة 957هـ / 1550م حوالي 150 عائلة²، وقال إنهم يمارسون مختلف الحرف وخاصة صياغة وباعة متجولون، أما أغنياؤهم فكانوا يحترفون الوساطة في بيع الغنائم وإبرام الصفقات مع تونس والباب العالي، كما كان لهم معبدهم وقاضيهم الخاص، لكنهم كانوا عرضة لبعض المضايقات من قبل الأتراك الذين كانوا يسيئون معاملتهم ويغرمونهم لآتفه الأسباب وكما كانوا مجبرين على لبس لباس خاص عادة ما يكون بلون داكن³.
- لقد سمح العثمانيون لليهود بالعيش في أرض الجزائر، وممارسة نشاطهم التجاري، وكانت توجد في المدن الجزائرية أحياء خاصة باليهود، تعرف بحارة اليهود⁴. وكانت تلك الأحياء مجهزة بالمرافق الضرورية للحياة، وللحياة، مثل المعابد والمذابح. وكان اليهود يجتمعون في معابدهم في كل يوم سبت، للاحتفال بأعيادهم. وهناك من كان يتردد يوميا على المعبد لأداء شعائره الدينية⁵.

وكان اليهود مجبرين على أن يخضعوا، مثل بقية أهل البلاد، لأوامر الإدارة العثمانية، فهم كما يذكر شارلر (William Shaler) مجبرون على لبس ثياب بيضاء أو سوداء، ولا يُسمح لهم بركوب الخيل أو بحمل أي نوع من السلاح، بما في ذلك العصا. ويوم السبت ويوم الأربعاء هما اليومان الوحيدان المسموح فيهما لليهود بالخروج من أحد أبواب المدينة بدون ترخيص خاص⁶.

¹ - F. D. Haedo: Op. cit, P. 133.

² Ibid.p133.

³ - Ibid.

⁴ - A. Raymond : Op. cit., p. 33

⁵ - F. D. Haedo : Topographie, Op. cit., p. 91

⁶ - وليام شالر: المصدر السابق، ص 90.

وكان اليهود يدفعون ضرائب عديدة، إلى جانب العديد من الهدايا التي كانت تقدم إلى الداي والشخصيات الكبيرة في الأعياد¹ وتعتبر تلك الهدايا المقدمة ترضيات يلجأ إليها أغنياء اليهود غالباً سعياً منهم لكسب مزيد من الامتيازات التجارية ومحاولة للتقرب من الحكام، حتى لا يتعرضوا للتضييق والقمع والعنف، ويتمكنوا من التهرب من الضرائب². واليهود، كما يرى دوتاسي (Dutatcey)، وغيره من المؤرخين، ينقسمون إلى قسمين؛ وهما:

أ- اليهود الأهالي:

الذين عانوا من سوء معاملة الأتراك، والذين كانوا يمارسون مهناً وتجارةً بسيطة، ويعيشون في مخيمات في نواحي المدينة، ولا يُسمح لهم بالسكن خارجها، ولا لبس ما يخلو لهم من الثياب كما هو الحال مع يهود أوروبا. أما نساؤهم، فلا شرط على لباسهن سوى وجوب كشف الوجه للتمييز عن المسلمات، وكانوا يُعاقبون أشد العقاب أمام أي هفوة في احترام هذا القانون، وهؤلاء هم الأغلبية³.

ب- اليهود الفرنك:

وهم القادمون من إيطاليا، خاصة من ليفورنو (Livorno)، حيث سمحت لهم دوقيات توسكانيا (Ducati di Toscana) بإقامة علاقات تجارية، وقد وُقِّرت لهم الحماية التي يمنحها حكام هذه المقاطعات لمثل هذه التجارة، بما في ذلك جمع مبالغ لا بأس بها. وقد استمرت العلاقات بين يهود ليفورنو ويهود الجزائر، الذين كانوا يشترون لفائدة بني عمومتهم كل البضائع التي كان يصعب بيعها أو تُحرم في بلاد المسلمين. ولاحقاً، جاء هؤلاء اليهود الليفورنيون ليستقروا بأنفسهم في الجزائر، حيث جمعوا أموالاً طائلة، كما احتكروا تجارة الصوف والجلود والشمع. وقد حملت لهم أصولهم حق التحاكم أمام قناصلهم، والاستفادة من امتيازات دولهم باعتبارهم رعايا أجنبية⁴.

وخلاصة القول:

فقد انتظم سكان مدينة الجزائر في فئات اجتماعية على أساس الأهداف المادية والسياسية، وبالرغم من الصراعات التي كانت قائمة بين الأتراك العثمانيين والكراغلة، فإن المصالح المشتركة قد وحدتهم. وكانت طبقة الحضر تشكّل الفئة البارزة من سكان المدينة خلال العهد العثماني، وكانت علاقتها بالسلطة الحاكمة

¹ - Venture de Paradis : Op. cit., p. 148

² - محمد دادة: اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 18م حتى 1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق 1985، ص 76.

³ - Laugier De Tassy, Op. cit, PP 55 – 57.

⁴ - Ibid.

مدخل: لمحة عن التركيبة السكانية في مدينة الجزائر العثمانية .

طيبة، وما يثبت ذلك أن الحكام العثمانيين كانوا يحترمون ممثلي فئة الحضر من علماء وأعيان ومشايخ، ويعيّنوهم في بعض المناصب الإدارية.

الفصل الأول:

واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر

خلال العهد العثماني

المبحث الأول: وضعية المرأة الجزائرية المسلمة في مدينة الجزائر العثمانية.

المبحث الثاني: يوميات المرأة الجزائرية بين العمل والأناقة والطبخ والترفيه.

المبحث الثالث: مراسم الزواج والطلاق و وضعية الأرملة في مجتمع مدينة

الجزائر العثمانية.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول: وضعية المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر:

- تمهيد:

يُعدُّ الحديث عن المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني من المواضيع الصعبة، ولقد أجمع أغلب المؤرخين بأن أغلب الدراسات لم تتطرق لموضوع المرأة في بداية الفترة الحديثة من تاريخ الدولة العثمانية والدول العربية، وبدأ الحديث عنها مع بدايات القرن 13هـ / 19م والقرن الـ14هـ / 20م¹. ويعتبر بعض المؤرخين بأن مجتمع مدينة الجزائر كان مجتمعاً ذكورياً، لأن نسبة الذكور فيه أكبر من نسبة الإناث، ويرجعون هذا إلى مجموعة من الأسباب، لعل من أهمها: كثرة الجيوش العثمانية الذين جاءوا دون نساء، وتكاثر عدد الأسرى. وتوافد بعض الجماعات البرانية كانوا رجالاً دون نساء، لأن إقامتهم كانت مؤقتة من أجل كسب الرزق²، ومع ذلك فقد وجدت النساء اللواتي تنوعن بتنوع التركيبة الاجتماعية للمدينة، فوجدت نساء جزائريات مسلمات، مختلفات من الناحية العرقية والمذهبية، وإختلفت كل جماعة نسوية عن الأخرى من حيث مكانتها الأسرية، فيم تتجلى المكانة الأسرية والاجتماعية للمرأة الجزائرية؟.

¹ - جين هاتواي وكارل بريير : البلاد العربية في ظل الحكم العثماني (1516م-1800م)، ترجمة محمد شعبان صوان، ط1، بن النسيم، الجزائر، 2018م، ص 44.

² - حليمي عبد القادر : مرجع سابق، ص 266.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: وضعية المرأة الجزائرية المسلمة في مدينة الجزائر

تحكمت عوامل عديدة في تحديد وضعية المرأة الجزائرية في المدينة، ولعلّ من أهمّها: الجماعة السكانية التي تنتمي إليها، فكلّ جماعة كانت لها موقف خاص تجاه المرأة، ولكن اشتركت جميعها في احترام الحقوق الأساسية لها. كما أنّ الانتماء الطبقي الذي تنتمي إليه المرأة كان له دور هام في تحديد وضعيتها المعيشية، فالوضع المادي يُعتبر عاملاً رئيسياً في تحديد مكانتها داخل الأسرة والمجتمع، من حياة سعيدة إلى حياة تعيسة.

أولاً: لمحة عن نساء الجماعات السكانية بالمدينة وصفاتهم:

(أ) - نساء الجماعات السكانية بمدينة الجزائر: تنوعت نساء المدينة بتنوع الجماعات السكانية الموجودة بالمدينة، فنجد:

01- النساء التركيات:

إنّ عدد النساء التركيات قليل جداً مقارنة بعدد نساء المدينة، وذلك راجع إلى أنّ أغلب الأتراك لم يحضروا معهم نساءهم، إذ أنّ زوجاتهم كنّ يرفضن مرافقتهم إلى الجزائر، وهي طبيعة متأصلة في المرأة التركية تتمثل في رفضها مغادرة بلادها حتى ولو كان مع أزواجهن. ولهذا كانوا يتركون زوجاتهم ويأتون إلى البلاد منفردين، ومنهن من كانت ترافق زوجها حتى لا يبقى وحيداً، وربما خوفاً من الزواج عليها. كما أنّ بعض الأتراك جاءوا عازبين، وهذا ما يفسّر قلة عدد التركيات العازبات بمدينة الجزائر، مع وجود نساء تركيات متزوجات¹.

02- النساء العلجيات :

تُعدّ هذه النساء من الدخيلات على مجتمع مدينة الجزائر، اللواتي شكّكن جزءاً من تشكيلة نساء المسلمات بالمدينة. فالمرأة العلجية هي تلك المرأة المسيحية التي وُقعت في الأسر على يد البحارة

¹ - جون بول وولف : مرجع سابق، ص 171، وينظر : سيمون بفايفر : مصدر سابق، ص ص 23-166-244، وينظر : عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 36، وليام سنسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصة، الجزائر، 2006م ، ص 107،

Pananti Filippo:Relation Dun Sejour a Alger Tr.De Langlais .Paris Le Mormant.1820., p. 68 و Shuval : Op. cit., p. 59، و Laugier de Tassy : Op. cit., p. 68.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الجزائريين، مما أدخلها في دوامة من الأحزان والمخاوف والهلع، فاختارت اعتناق الإسلام لتحصيل حريتها والتحرر من عبودية سيدها. ومنهن من فسّر سبب إسلامها بأنه إعجابها وتأثرها بالحياة السعيدة التي تعيشها المرأة المسلمة بفضل ما منحها الإسلام من حقوق، وهو ما دفعهن إلى اعتناق الدين الإسلامي والاستقرار في الديار الإسلامية، رافضات العودة إلى ديارهن المسيحية، فضلاً عن الامتيازات الاجتماعية التي نالتها بإدراجهن ضمن الطبقة الحاكمة. ومن بين العلجيات، نذكر الأسيرة (Anna) ، زوجة أحد الفلاحين الإسكلنديين، التي وقعت في الأسر بمدينة الجزائر، فاشترها أحد الجزائريين اسمه (Ahmed) ، فأعجبت به وربما بأخلاقه، مما دفعها إلى اعتناق الإسلام والزواج به، ورغم عرض أموال فديتها، رفضت ذلك وقررت البقاء في مدينة الجزائر لتصبح علجية¹.

إن اعتناق هذه النساء للإسلام منحهن مختلف الحقوق التي نالتها المرأة المسلمة بمدينة الجزائر²، مثل الزواج من رجال ينتمون إلى الطبقة الحاكمة، إذ سمحت السلطة العثمانية للأتراك العثمانيين بالزواج من العلجيات، ويتم إدراج الأطفال الناتجون عن هذه الزيجات ضمن جماعة الأتراك، لدرجة أنهم اعتُبروا أتراكًا حقيقيين³.

ولكن ما يُلاحظ على بعض العلجيات هو أنّ بعضهن ظلّ مرتبطين روحياً بديانتهم المسيحية، ويمكن القول إنّ ظاهرهن مسلمات وقلوبهن مسيحيات. ودليل ذلك أنّهن كنّ يتجهن إلى زيارة القديسين، ويجمعن التبرعات والصدقات لتقدمهما إلى الكنائس الموجودة بمدينة الجزائر⁴.

¹ - جون بول وولف : مرجع سابق، ص ص 211-228-231، وينظر : توفيق المدني : كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (د.ت). ص 274، وينظر : ليلي خيراني : المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1818-1830م)، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م، ص ص 48-49.

² - ليلي خيراني : المرجع نفسه، ص ص 48-49، Borsteinn Helgason : The Corsairs' Longest Voyage: The Turkish Raid in Iceland, 1627, Brill, 1918, p. 7.

³ - ليلي خيراني : المرجع السابق، ص 49، Pierre Boyer : Op. cit., p. 79.

⁴ - Johanna To'th : The Muslims of Algiers in Antonio De Sosa's Topographia et Historia General de Argel (1612), Thesis in Comparative History, Central European University, Budapest, May 2013, p. 37.

03- الأندلسيات:

بعد العودة إلى بعض الدراسات التي توفرت لدينا، لم نجد إحصائيات دقيقة تُبيّن نسبة الأندلسيات في مدينة الجزائر، بل جاءت معظمها شاملةً لجماعة الأندلسيين جميعًا. ولهذا السبب، لم تتمكن من تقدير نسبة الإناث ضمن هذه الجماعة بدقة.

04- البرانيات :

شهدت مدينة الجزائر وجود بعض النساء البرانيات من مختلف أنحاء الإيالة، اللاتي جئن رفقة أزواجهن، سواء لممارسة حرفة معينة أو العمل في نشاط محدد كالزراعة أو البناء وغيرها. وكما رأينا سابقًا عند حديثنا عن التركيبة الاجتماعية في مدينة الجزائر، فقد وُجدت بعض النساء البرانيات من القبائل والمستغامية والجيحلية والناليلية والعنابية والقسنطينية والعباسية والبسكورية. ولم يُعثر على نساء من الجماعة المزابية، فالجماعة المزابية، خضوعًا لعرفهم، لم تُحضر نساءها معهم إلى مدينة الجزائر¹، ذلك لأن نظام العزابة² الذي يقوم بتسيير شؤون هذه الجماعة في منطقة وادي مزاب، ينص على منع الأزواج من نقل زوجاتهم معهم إلى خارج مدينة غرداية، حتى ولو أُجبرتهم الظروف على ذلك. وكانت الهجرة أمرًا حتميًا لبعض الأفراد، مثل البحث عن العمل أو طلب العلم، فأغلب الجماعات البرانية أحضرت معها نساءها للقيام بشؤونها في المدينة، ما عدا جماعة بني مزاب، فلم تُحضر نساءها معها، لأن قانون العزابة يمنع المزابي من أخذ زوجته معه وبمنعها من مرافقته، للحيلولة دون بقائه في المدينة، ويُلزمه بالعودة إلى موطن ولادته. وإذا اضطر للمغادرة، فيسمح له بذلك شريطة العودة بعد عام

¹ - ليلي خيرياني : نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جوان 2014م، العدد 41، ص ص 13-14، وينظر : عبد القادر حليمي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1، دار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972م، ص 256-266، وينظر : ليلي خيرياني : مرجع سابق، ص ص 66-104-105-141، وينظر : بيت المال، دفتر 5 و51، وبيت المال، دفتر 5 و104، وبيت المال، دفتر 5 و20، وينظر : بيت المال، دفتر 5 و132، وينظر : بيت المال، ع3 س8 و148، وينظر. Digo de Haedo : Topographie, Op. cit., p. 494.

² - العزابة : هي تنظيم خاص بالاباضية، يضم مجموعة من العلماء الاباضيين، يعود الفضل في تأسيسه إلى الإمام محمد بن أبي بكر بن يوسف الفرستطاني، وكان هدف هذا التنظيم التسير الأمثل للمجتمع الاباضي، حيث يُجبر كل فرد في هذا المجتمع على الالتزام بقوانين العزابة، ومن ترمد عليها يُعاقب بالتبرؤ منه، وينظر : معجم أعلام الاباضية، المطبعة العربية، غارداية، 1420هـ / 1999م، ص ص 771-777.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أو عامين¹، وإن لم يفعل، تُطلق زوجته، ويُسجل ذلك في عقد الزواج. وقد ألزم نظام العزابة كل مزايي يرغب في تزويج ابنته بأن يُسجّل هذا الشرط في عقد الزواج، وجعله شرطاً أساسياً لإتمام العقد. ومن محتويات هذا الشرط، نذكر:

- إذا غاب عليها زوجها لأكثر من سنة.

- إذا ثبت وجود ضرة بإعادة زوجه عليها بإمرأة ثانية.

- إذا ارتكب زوجها الزنا.

فإذا ثبت قيام الزوج بأحد هذه الشروط، التي كانت قد اشترطتها المرأة، فإن طلاقها يكون واقعاً حتى ولو لم يتلفظ بذلك، "فإذا ارتكب إحدى هذه المخالفات صار أمر طلاقها بيدها"².

ولكن في سجلات بيت المال عُثر على تركة لإمرأة مزابية، وهي ابنة قركوسة، زوجة أمين بني مزاب، التي كانت قد توفيت بالمدينة. وتجدد الإشارة إلى أن تركة هذه المرأة قد سُجّلت ممتلكاتها في سجلات تركة موتى المالكية والأحناف، ودُفنت بمدينة الجزائر، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأنها لم تكن مزابية أصيلة، أو ربما كانت تتبع المذهب المالكي³.

05-النساء المغربيات:

شهدت مدينة الجزائر وجود بعض النساء المغربيات اللواتي وُفدن مع أسرهن، وهذا ما نستنتجه من الوقف الذي قدّمه عمر بن بلقاسم بن زكري الجري، حيث قام بوقف دار يمتلكها عند مسجد خضر باشا عند باب عزون، ودار أخرى تقع بزقة الجرابية، وحنوت بسوق القبائل، على نفسه ثم على أولاده: محمد، عائشة، وقامير، وما ولد إلى انقضاء نسله، ثم تحول الوقف إلى الحرمين الشريفين. كما توجد تركة

¹ - علي يحي معمر : الاباضية في موكب التاريخ، الاباضية في الجزائر، صححه أحمد عمر أويكه، د.ت، ج2، ص ص 540-541، وينظر : قشار الحاج بن عبدون : عوائد بني مزاب، سنن وآثار وتقاليد، تهذيب وتخريج أحمد حمو كروم، ط2، د.ب، د.ت، ص 104.

² - علي يحي معمر : مرجع سابق، ص ص 386-390.

³ - سجل بيت المال رقم 2؛ نقلا عن ياسين بودريعة : الثروة والفقير بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800 م) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2017م ،ص64.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

قدرت بـ85 ريالاً، خلفتها امرأة مغربية توفيت بمدينة الجزائر¹، ويظهر كذلك التمازج الذي حصل بين الجزائريين والمغربيين، ومن بين هؤلاء المغربيين نذكر على سبيل المثال: التطاونية، وشاشة المغربية، وغيرهن².

06- النساء الإسلاميات:

ظهر في مدينة الجزائر مصطلح الإسلامية مرادفاً لاسم بعض النساء، ونعتقد أنه يطلق على النساء اليهوديات اللواتي اعتنقن الإسلام، لأن المسيحية يطلق عليها اسم العلجية كما رأينا سابقاً. ومن النساء الإسلاميات نذكر: قمورة بنت عبد الله الإسلامية، التي تزوجت بأحمد الحرار، وزهرة الإسلامية، التي كانت متزوجة بالحنفي أهج أحمد، ونجد أيضاً زهرا الإسلامية ومريم الإسلامية وغيرهن³.

(ب)- بعض صفات نساء المدينة:

01- صفات النساء الأندلسيات:

يصفهن لنا ابن الخطيب بقوله: «حريم جميل موصوف بالسحر، وتنعم بالجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور، وخفة الحركة ونبيل الكلام وحسن المجاورة، إلا أن الطول يندر فيهن»⁴.

02- صفات النساء الجزائريات:

انبهر وليام شالر (William Shaler) القنصل الأمريكي بجمال بنات الجزائر إلى درجة أنه عمم جمالهن على كل بنات المدينة، فقال: «بنات مدينة الجزائر أغلبهن جميلات». ويرر الجمال الذي تميزن به بالتمازج الذي حدث قديماً بين أجدادهن ومختلف الأجناس الوافدة على الجزائر، سواء عبر العصور

¹ - س م ش ع 10، م 5 و 20، وينظر: بيت المال، دفتر 5 و 86، نقلاً عن ياسين بودريعة: الثروة والفقير بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786-1800م)، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2017م، ص 64، وينظر: ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 101.

² - للمزيد ينظر: التمازج بين الجزائريين والمغاربة.

³ نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، وينظر: Laugier De Tassy: Op. cit., p. 68.

⁴ - لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة لدى الوزارتين، حقق نصه محمد عبد الله عنان، ط2، الشركة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ج1، ص 139، وينظر: سامية مصطفى مسعد: صور المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1998م، ص 117.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

القديمة أو الأجناس التي وفدت حديثاً، مثل العثمانيون والأندلسيون، كما ساهم في ذلك ظهور بشرة شبيهة ببشرة سكان جنوب إسبانيا¹.

سنحاول ذكر صفات النساء وفق ما ذكره بعض الأوربيين الذين زاروا الجزائر. يصف سيمون بفايفر (Simon Pfeiffer) النساء الحضريات بقوله: «وللجزائريات جمال متوسط، وأغلبهن يتسمن بالسمنة وإصفرار الوجه، ويظهر أن ذلك يعود إلى كثرة جلوسهن الإلزامي في بيوتهن. لهن عيون سود، وشعر أسود، كما يستعملن الكحل في حواجبهن وأهدابهن من أجل التحمل، ويستخدمن الحناء لصبغ أصابعهن باللون الأحمر. يتميزن بالدهاء والفكاهة، ولكنهن طبيبات القلب». ويضيف قائلاً: «نقاء ملامحهن وغضارتها وألقها فزاد جمالها سموً ورفعة، وسنا فزواج الجمال الشرقي بالعفة الألمانية»².

ويصفهم جول بول وولف (Jules Paul Wolf) بقوله: «إن النساء البربريات الحضريات تبدو جميلات رغم أن معظم الملاحظين لم يروا سوى عيونهن... بدينات»³. يسانده في الفكرة شاو (Shaw) بقوله: «فتيات الجزائريات الحضريات جميلات جداً»⁴ يضيف شاو (Shaw) بأن جمال النساء يبقى مستمراً حتى ما بعد سن الثلاثين، وذلك بفضل مكوثهن في البيت وارتدائهن الحجاب عند خروجهن⁵، وهو ما يبعد أشعة الشمس عن أجسامهن فتحافظ على نضارتها. كما أن مكوثهن في البيت يؤدي إلى راحتهن وعدم إرهاق أنفسهن بالتنقل خارج البيت، مما يحافظ على قوة أجسامهن.

ويصفهم وليام شالر في قوله: "إن المرأة الجزائرية تميزت بالجمال، سواء عينيها اللذان تبرزهما بالاعتماد على كحل العينين، فتبرزهما ويصبحان أكثر جمالا والحواجب الكبيرة والأسنان الجميلة الذين يمضغون السواك فإنه يؤدي إلى ظهور اللون البرتقالي الذي يعم اللثة ويحي بالاسنان فتبرز بياضها الناصع.... بجمال القامة وإعتدالها"، ويضيف قائلاً: "إعتبار جمال الجزائريات أعتقد أنهن يستطعن منافسة نساء

¹ - وليام شالر: مصدر سابق، ص 79.

² - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 177-170-91.

³ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص 169.

⁴ - Thomas Shaw :Op. cit.P108.

⁵ - Ibid.P108.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أي بلد آخر في العالم... " وأيضاً "الجزائريات المتحجبات في منظرهن الخارجي كجمع من الالهات الاغريقيات" ¹.

ويضيف سبنسر (Spencer) وصفه لنساء المدينة قائلاً: «لقد كان الشعر ظاهرة الجمال الأساسية، بقدر جماله أكثر لما يطول حتى القدمين... وعيون الغزال (أي الاتساع والصفاء واللون الأعطر)» ².

وأما النساء القبائليات فيصفهن مارمول كاربخال (Marmol Carvajal) بقوله: "ونساء القبائل حسنات يغار عليهن الرجال"، بينما يورد مؤرخ آخر وصفاً مغايراً، قائلاً: "شخص عبوس تتمتع بمقاطع غير مفهومة" ³.

أما بنّاتي (Benanti) فيصف نساء الجزائريات بأنهن يكبرن بسرعة، فبمجرد بلوغهن سن العشرين، الذي يُعد سن الشباب، تبدو المرأة الجزائرية وكأنها شاخت سريعاً بعد أن بدأت تظهر عليها ملامح الكبر ⁴.

03-الكرغليات: وُصِفن بالآتي: "امرأة تتميز بالأنانية والتكبر إلى درجة أنها ترفض أن تُسمّى بنات غيرها بأسماء مثل أسماء بناتها، كاسم كباية أو تركية" ⁵.

04-النساء اليهوديات: عدت الكتابات التي وصفت النساء اليهوديات، ومن بينها الوصف الذي قدمه ووليام شالر " (William Shaler) يهود الجزائر من جنس متين البنية حسن التكوين والبشرة... ذي ملامح نبيلة وهذا يصدق على الذكر والأنثى...". ويصفهم آخر بقوله: "جمال المرأة اليهودية... وكانت تشد شعرها الكثيف إلى الرأس" ⁶.

¹ - وليام شالر : مصدر سابق، ص 79، وينظر : وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 109، و P. Boyer : Op. cit., p. 159.

² - وليام شالر : مصدر سابق، ص 107-108.

³ - مزيان وشن : مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005م، ص 75، وينظر : مارمول كاربخال، مصدر سابق، ص 43، وينظر : عبد الحميد زردوم : تاريخ بسكرة الفرنسية، ترجمة أمال هدار، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، 2004م، ص 10-11.

⁴ - Pananti opcit., p. 348

⁵ - عبد الحميد زردوم : مرجع سابق، ص 10-11.

⁶ - هاينريش فون مالتسان : ثلاثة سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ط1، دار الامة، الجزائر، 2008م، ص 87، وينظر : وليام شالر، مصدر سابق، ص 91، وينظر : رحيمة بيشي، مرجع سابق، ص 82، و Huguet : Les Juifs Du M'zab Extrait Du Bulletins Et Mémoires De La Société d'Anthropologie De Paris.Ecole De Médecine .Paris .1902.., pp. 6-7-8.

05- النساء السودانيات (الزنجيات) :

ويقصد بهن الإماء بمدينة الجزائر، أما عن صفاتهم فيصف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري بقوله: "أحسن صورة وأتم ما يكون من الحسن والجمال وأطيب رائحة، ولهم شعور سبط وأنوف حلوة وشفاف رفاق، وفي نسائهم خاصية ليست في نساء الأدميين، وذلك أنهن أشد النساء لحماً"¹.

(ج)- أشهر أسماء النسائية بالمدينة :

تراوحت أسماء النساء في المدينة بين الأسماء العربية والعجمية، إلا أن الغالبية كانت أسماء عربية إسلامية، تمثلت في أسماء بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته رضي الله عنهم، وهو دليل على طبيعة المجتمع المحافظ وتشعبه بالدين الإسلامي حتى في مجال الأسماء. والآن سنحاول ذكر بعض أسماء النساء المنتشرة في مدينة الجزائر:

1- الأسماء العربية الإسلامية : من أبرز الأسماء النسائية المنتشرة في مدينة الجزائر: فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ، وَزَهْرَاءِ، وَعَائِشَةُ، وَقَاطِمَةُ بِنْتُ الْقَاسِمِ²، وَخَدِيجَةُ³ وغيرهن الكثير من الأسماء العربية التي تعكس الطبيعة المحافظة للمجتمع وتشعبه بالدين الإسلامي .

2- الأسماء الأعجمية في مدينة الجزائر:

شهدت مدينة الجزائر ظهور بعض الأسماء النسائية الأعجمية في المدينة، مثل : جلدادش : مثل جولدادش بنت الحاج علي وغيرهن⁴، خيالة : امرأة في مدينة الجزائر إسمها خيالة وكان كالي صداقها مقدر ب43 ريال⁵ دومة : بنت تاوشيشت ودومة بنت الحاج محمد ودومة بنت الحاج محمد⁶، رزاية:

¹ - أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري : كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهر، مركز الإسلامي للطباعة، شارع الأهرام، الجيزة، د.ت، ص 122.

² - ع 1، ق 48، سنة 1206، وينظر ع 32:2:7:1185، ع 32:1:2، سنة 1074، نقلاً عن خليفة حماش : الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، جامعة منتوري قسنطينة، رسالة دكتوراه، 1427هـ / 2006م، ص 266.

³ - خليفة حماش: مرجع سابق، ص 229 .

⁴ - ع 4، س 11، و 240، وينظر خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

⁵ - خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266. وينظر ع 1/16، م 1، ق 2، سنة 1236.

⁶ - نفسه، ص 266. وينظر م ش ع 28 و 28، وم ش ع 17 و 102، والوثيقة رقم 145، و و.م. ش ع 17 و 160؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

مثل رزاية بنت المرابط السيد عيسى¹، و روزة: نجد روزة بنت خلاف وروزة بنت خوجة الجلود و روزة بنت محمد الخزناجي بوسنة وروزة بنت سيدي علي².

ومن الأسماء التي عُرفت في مدينة الجزائر، وتسمت بها بعض الكرغليات، مثل: والدة زوجة والدة إسماعيل بن مصطفى³ سترة، فنجد سترة بنت الحاج حسن الثيب⁴ سونة، مثل سونة بنت أحمد أوداباشي⁵، شاحي: نذكر شاحي بنت حسن أغا بن حمزة التركي وشاحي بنت يوسف أغا⁶، طومة: فنجد طومة العنابية⁷ طيطومة: مثل طيطومة بنت إبراهيم⁸، قادين: ومن اللواتي سمين بهذا الاسم نجد قادان بنت محمد القزاز، وقادان بنت أحمد بلكباشي بن مصطفى التركي، وقادان بنت مصطفى بن حميدو بن عثمان بلكباشي، قادان بنت أحمد زوجة يوسف بلكباشي⁹، قامير: فنجد قامير بنت علي و قمورة: فنجد مثلاً قمورة بنت محمد الحككي و قلشاه: نذكر قلشاه بنت جلابي بن عبد الرزاق أوداباشي¹⁰، كوسم مثل: كوسم بنت عمر حفيذة مصطفى الناجح بن محمد الفكون¹¹.

ومن الأسماء الأكثر انتشاراً نذكر: لالاهم، ومن اللواتي حملن هذا الاسم: لالاهم بنت الحاج حميدة بيت المالجى، ولالاهم بنت حسن، ولالاهم بنت سي بيرم بن سي علال، ولالاهم بنت محمد أغا بن

¹ - ع1/37، م2 ق21؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 270.

² - خليفة حماش: مرجع سابق، ص 269-182؛ وينظر ع124-125 و2/12، م ش ع 46 و233؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 269.

³ - إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص 249.

⁴ - ش ع 44 و123؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

⁵ - وينظر ع1/16 م1 ق2 سنة 1236؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

⁶ - ع1/16 م1 ق1 سنة 1036، وينظر ع33 م2 ق34 سنة 1080، وع38 م4 ق28 سنة 1068؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

⁷ - خليفة حماش: مرجع سابق، ص 259.

⁸ - ع2/1/7 سنة 1152م؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 259.

⁹ - ع2/14 م7 ق28 سنة 1115، وع2/14 م7 ق28 سنة 1184؛ وينظر و.م.ش. ع 41 و39، وع1:1/26 سنة 1095م؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 259.

¹⁰ - ع1:1/26 سنة 1095م، م ش ع (90-91) و2، وع32.1م.ق.1.1161؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 259.

¹¹ - ع5م.2.ق.48 سنة 1235م؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 259.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أحمد التركي. أما اسم لالة فهو لقب تشريفي وتقديسي للمرأة التي تتميز بالصلاح والشرف في المجتمع، ويُرجع أصله إلى البربر، وقد انتشر لدى سكان الإيالات المغربية بصفة عامة والجزائريات بصفة خاصة. عند جماعة بني مزاب، كان يُقصد به السيدة. وقد اتخذت بعض النساء لقب لالة مضافاً إلى أسمائهن، مثل: لالة بدرة زوجة باي حسن آخر بايات وهران، والتي تميزت عن نساء عصرها بإتقانها استخدام السلاح وأصبحت إحدى فرسان القبيلة، وقد سمح لها بالخروج للصيد دون اعتراض من قبيلتها. كذلك نجد لالة خديجة، ولالة تسعديت، ولالة عائشة ابنة يحيى خليفة أحمد باشا. أما اسم للونه، فهو أيضاً لقب مميز، ومن أبرز من حملته: للونه بنت القائد حسين بن عبد الله عتيق يوسف باي، وللونه بنت شعبان بن ترجمان، وغيرهن¹.

- **مهربان**: كلمة فارسية يقصد بها العَطُوف والمحب، وهي مشتقة من كلمة مهر، والتي تعني المحبة، والتي تُطلق على الشهر السابع من الأشهر الفارسية. ومن هؤلاء نذكر: مهربان بنت محمد أغا... إلى آخره، وإسم موني: فنجد موني بنت ميمي بن الشطاب وموني بنت السيد محمد، وإسم نفسة: بنت يوسف ونفسة بنت أيوب².

3- أسماء النساء اليهوديات: ومن أسماء النساء اليهوديات، نذكر: مسعودة، وعزيزة، قمره، مالحة، عائشة، ياقوتة، الخامسة، مريم، ولالة سلطان³.

¹ - ينظر م ش ع 3 و 93، م ش ع 101-102 ق 5 و 96؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 264.

² - شاكر كسرائي: قاموس فارسي-عربي - فرهنك فارسي عربي، ط1، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2014م/1453هـ، صص 462-463، وينظر: ع.م. 4.2. ق. 38 سنة 1100هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 266.

³ - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر، د.ت.، ص 164. وينظر: فوزي سعد الله: يهود الجزائر موعده الرحيل، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص 17.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ثانيا : مكانة المرأة الجزائرية المسلمة في الأسرة والمجتمع مدينة الجزائر:

(أ)-وضعيتها داخل الأسرة:

1-المكوث بالبيت :

اختلفت المكانة التي تمتعت بها المرأة في مدينة الجزائر باختلاف انتمائها الديني، فالمكانة التي حظيت بها المرأة المسلمة تختلف عن المكانة التي حظيت بها المرأة المسيحية، وعن المرأة اليهودية. فالدين الاسلامي في الكثير من الآيات القرآنية كفل للمرأة المسلمة حقوقها المعنوية والمادية، مثل كرامتها، وحققها في الميراث، إلى آخره .

كما حظيت المرأة المسلمة في مدينة الجزائر بالتبجيل والوقار، وحرصاً من الرجل على شرفها وعفتها فقد عانت من قليل من سياسة التشدد، الذي مارسه الأسر الجزائرية خلال هذه الفترة سواء الفقيرة أو الغنية في منع لمراة في الخروج المتكرر من البيت ، ولعل السبب في ذلك هو الحفاظ على عفتهم ومضايقات الشارع ولينعمن بالراحة، وينشغلن بتربية أطفالهن تربية دينية خلقية، فإنه ألزمها البقاء في البيت ومنعها من الخروج إلا أحيانا كأن تخرج لتصل رحمها الأحياء للحضور إلى الحفلات العائلية كالزواج أو ختان وغيرها أو زيارة أقاربها الموتى أو زيارة أضرحة الأولياء الصالحين أو الذهاب إلى الحمام أو لقضاء حاجتها، وأحيانا كان يرافقها بنفسه ويتولى نقلها إلى المكان، الذي ترغب في زيارته فيجبرها على السير خلفه ومبررات هذا التصرف أنه دفاعي، يتمثل في سير الرجل في الأمام حتى يؤمن الطريق لها ويواجه للاعتداءات التي قد يتعرض لها من جهة الأمام، وهناك من الرجال من يسير إلى جانب زوجته وإذا شعر بخطر حتى يتقدمها، أما النساء الثريات وخاصة نساء الطبقة الحاكمة، فيكاد يجزم شارل أنهن لا يخرجن إلا نادرا ، فمنع المرأة من الخروج من البيت مرده تحوف الرجل من التحرشات الخارجية، التي قد تتعرض إليها ، فالرجل الجزائري كان أكثر غيرة على نسائه، ولايسمح لأي شخص باهانتهم، وإن تجرأ أحدهم على ذلك فأنهم ينتقمون لكرامتهم بصراع دموي بين الطرفين يؤدي أحيانا إلى مقتل المتحرش¹.

¹ - خليفة حماش:مرجع سابق ، ص756، مذكرات شريف زهار :مصدر سابق ،ص 169 وينظر: نور الدين عبد القادر:مرجع سابق، ص 266، وينظر :وليام شارل :مصدر سابق ،ص96. عبد القادر حليمي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م ،مرجع سابق،ص256. وينظر عمر شعباني: الانفاس الاخيرة للانذلس الصغيرة دلس دار الوعي الجزائر 1434هـ/2013م ص133 وينظر:

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إن الغيرة الشديدة، التي يتميز بها بعض الرجال الأتراك على زوجاتهم، وهو ما جعلهم يمنعون النساء من الخروج من البيت، ولهذا قام حاكم الجزائر قد عين لنساءه قائد دار، وهو يشبه أغا الحرم في القصر السلطان العثماني، بتولي الإشراف على شؤون النساء داخل البيت وخارجه، فنجد مثلاً: فاطمة بنت حسن خزناسي زوجة حسن باشا كان لها قائد دار خاص بها يشرف على تسير جميع شؤونها داخل البيت وخارجه، وهو الذي ذكر عائلتها بوصيتها بعد موتها بأن سيدته كانت قد أعتقت جميع عبيدها، الذين يحملون إسم المراحي، ونجد أيضاً عائشة بنت حسن باشا، كان لها قائد دار خاص بها، وهو الذي ذكر عائلتها بأنها قد قامت بعق كل إمائها اللواتي يحملن إسم زيد المال، أما نساء بقية الطبقات، فقد خصص لهن عبداً زنجياً يلقب بالأغا، ويلقب أيضاً بقائد الدار يتولى تلبية حاجاتها خارج البيت، يقوم بدور الوسيط بين الزوجة وزوجها وذلك بأن يتولى نقل متطلبات الزوجة لزوجها عندما يكون خارج البيت¹.

وهناك نساء خوفاً من غضب زوجها، الذي منعها من الخروج من الباب، فتخرج عن طريق الأسطح مستعينة بالسلام لاستعارة شيء تحتاجه في البيت من عند جيرانها سواء أواني أو مواد غذائية وغيره أو من أجل زيارة جارها، فلا يشعرون بخروجها لأنها تخرج متسللة مختصرة الوقت ثم تعود باكراً قبل عودة زوجها حتى لا يتفطن بذلك².

ولكن هذا لا ينفي وجود نساء تمردن على قرار إلزامية مكوثهن في البيت، وعدم خروجهن منه، حتى ولو كان الزوج قد أقسم عليهن بعدم الخروج، إلا أن بعضهن كان يعصين الأوامر ويخرجن لأداء بعض الواجبات الاجتماعية التي حُرمن منها، وهو ما كان يُعرضهن بعد عودتهن إلى البيت للتعذيب والتوبيخات الكلامية، فيتحمّلنها ثم يطلبن من أزواجهن تكفير اليمين³. كانت بساطة العقوبة هي التي شجعتهن على تكرار الفعل عدّة مرّات. أمّا سروفال (Crevalle) فيُسرّ خروج المرأة المتكرّر وعدم

Haedo: Topographie:Op. cit. P135 Et Darvieux Chevalier :Op. cit. P285 Rozet Et Carette:Algérie Etat Tripolitain 2éme Edition Bouslama Tunis, 1980.P316

¹ - خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 756 وينظر: شريف زهار: مصدر سابق، ص 169 وينظر: نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 266، وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 96. وينظر عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، ص 256. وينظر عمر شعباني: مرجع سابق، ص 133

Rozet:Op. cit. Pp232-241et Marcelmerit, Un Mémoire Sur Alger.Op. cit. P19, Digo De Haedo: Topographie:Op. cit. P135 Et Darvieux Chevalier :Op. cit. P285 Rozet Et Carette:Algérie Etat Tripolitain 2éme Edition Bouslama Tunis, 1980.P316.

² - Show.Op. cit. P89.

³ - سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 172-176؛ وينظر: نجوى طوبال، الزواج والمصاهرات، مرجع سابق، ص 303.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

اكتراثها بقرارات زوجها بأنها كانت تُهددُهُ بالطلاق في حالة منعها من الخروج من البيت، ولهذا كان الزوج يكتفي بالتوبيخات الكلامية، وذلك بقوله: "إنَّ المرأةَ بمدينة الجزائر حُظِيَتْ بكاملِ حقوقها، وتمتعت بالحرية التي سمحت لها بالخروج والدخول إلى البيت دون تدخل أو منع من الزوج، ولو تجرأ على فعل ذلك فإنها كانت تطلب الطلاق"¹.

ن كانت تُعبر عن غضبها من تصرفات زوجها بالنشوز أو الذهاب إلى بيت والديها، ولا ترجع إليه إلا بعد موافقته على شروطها، كما فعلت بعض نساء بايليكات الشرق.²

ويُبرر وليام شالر (William Shaler) هذا الصراع بين المرأة والرجل حول مسألة الخروج من البيت بالعادات والتقاليد التي ورثوها عن أجدادهم، فيرى بأن "المرأة العريضة لا تترخ في قيود العبودية لزوجها بقدر ما تترخ تحت ثقل العادات والتقاليد الموروثة"، بمعنى أن طبيعة معاملة الزوج لزوجته مردها إلى ما ورثته من العادات والتقاليد التي يجب عليه الالتزام بها، ولا يمكنه التمرد عليها.³

ولكن هناك من الأوروبيين من شكك في صدق نوايا الرجل الجزائري المتمثلة في غيرته على نساؤه، واتهمه بحبه للتسلط ورغبته في جعل المرأة تترخ تحت وطأة العبودية له، لتشثته بفكرة قوامته وأفضليته عليها. واعتبروا إقامة المرأة بمسكنها وعدم السماح لها بالخروج كالمراة المسجونة خلف قضبان النوافذ القليلة والمغلقة والجدران العالية، وبالتالي إجحافاً في حقها، كما يرى الأسير الأمريكي فوس (Foss) الذي قال: "إنَّ المرأةَ في نظر الجزائريين وسيلة للإكثار من النسل البشري فقط، ولا مكانة لها في المجتمع سوى لأداء هذه الوظيفة البيولوجية، ولهذا حرمت من كثير من الأشياء، أهمها الذهاب إلى المساجد"⁴.

ي حين يرى شاو (Shaw) عكس ذلك، ويؤكد أن بقاءها في البيت وارتدائها الحجاب منذ الصغر زاد من جاهلن إلى ما بعد الثلاثين.⁵

وتمتعت المرأة في مدينة الجزائر نوعاً ما بحقوقها، وإن حاول الرجل تحديد فترات خروجها، فلم يكن مرده ذلك التسلط أو الاستبداد بحقها كما اتهمه الأوروبيون، وإنما حرصاً منه على راحتها وتنظيم

¹ - شريفة طيبان ساجد، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دار المعرفة، الجزائر، د.ت، ص 13.

² - محمد بن عبد الكريم الفنون، كتاب النوازل القسنطينية، تحقيق وتقديم: هواري تواتي وعائشة بلعابد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص ص 72-79.

³ - وليام شالر، مصدر سابق، ص 86؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص ص 140-141.

⁴ - أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 13؛ وينظر: حكيم بن الشيخ، مدينة الجزائر الأوضاع الاجتماعية والأثروبولوجية (1945م-1954م)، دار هومه، الجزائر، 2013م، ص 198.

⁵ - Shaw, Op. cit., p. 108.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وقتها. وكان هو من يتولى نقلها لزيارة أقاربها، حتى ولو كانوا خارج المدينة، وإذا كانت المسافات بعيدة فقد خصّصت لها وسائل نقل خاصة تليق بها وتصون كرامتها.

2- وسائل النقل خاصة بالمرأة الجزائرية:

ولأن مجتمع مدينة الجزائر تميز بالمحافظة على حُرمة المرأة، ومنع الأجانب من النظر إليها، ولأن وسيلة النقل كانت تتم عن طريق الحصان أو البغل أو الحمار، فقد كانت تحتوي على هودج يتسع لامرأتين تجلسان عليه متربعتين، مصنوع من القصب ومغطى بستائر من القماش الرقيق جدًا، يسمح للمرأة بالنظر إلى الخارج دون أن يتمكن غيرها من رؤيتها، مثبت على السرج ومزين بأشرطة، أما الخاص بالأسر الغنية فقد كان مزينًا بخيوط ذهبية وتطريزات متنوعة، ويتولى عبد السوق بهما بعيدًا عن طريق الرجال¹.

3- وضعية زوجة الأسير الجزائري الاسرية والاجتماعية :

يتعرّض بعض الجزائريين، خاصة أولئك الذين ينشطون في البحر، للأسر أو القتل عن طريق القراصنة الذين انتشروا في مياه البحر الأبيض المتوسط. ونتيجة لطول فترة الأسر أو المصير المجهول لهؤلاء،² لجأت بعض النساء اللواتي وقع أزواجهن في الأسر إلى القاضي وطلبن الطلاق بسبب تردّي أوضاعهن المعيشية وصعوبة تأقلمهن معها، وعجزهن عن الاستمرار في الحياة الزوجية في ظل غياب الزوج، مثلما فعلت زوجة أحمد بن محمد بولكباشي بن الحاج المليّ الذي وقع في الأسر، وربما طول مدة الأسر وانعدام أخباره أو استحالة تحريره جعل الزوجة تطلب الطلاق لتواصل حياتها بزواج جديد³.

(ب)- واجباتها داخل منزلها:

مثلت واجبات المرأة الجزائرية، كغيرها، في الإنجاب وتربية الأطفال ورعايتهم، وكان الأب أشد حرصًا على سلامة أطفاله، ولهذا فإن الكثير من الأزواج أثناء رغبتهم في السفر يشددون على نساءهم بضرورة الحرص على أطفالهم ورعايتهم، فوجد مثلاً علال الإنكشاري لما أراد السفر كلّف زوجته ميمي بضرورة المحافظة على ولديه محمد وفاطمة الزهراء أثناء غيابه، بالإضافة إلى الطبخ فتطهو ما لذّ وطاب

¹ - ج.أوهابنسترايت: مصدر سابق، ص 47.

² - إبراهيم سعيود: من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 01، ديسمبر 2006، ص 7، مولاي بالحميسي: إرشاد الحيران في أمر الداوي شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 1، 1986م، ص 44-46.

³ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 315.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

من الأطعمة، والتنظيف فكانت حريصة على بقاء بيتها أكثر نظافة، فتقوم بغسله عدّة مرات وغسل الزرابيّ والأفرشة وترينّه بمختلف الأثاث والتحف، والأهم من ذلك أن المرأة الجزائرية هي المسؤولة عن تسيير شؤون بيتها والحفاظ عليه، كما تحرص على تزيين نفسها بأجمل الملابس حتى تبعث الراحة والسكينة في نفس زوجها عند دخوله إلى بيته، ويُخصّص روزات (Rozet) صفات المرأة الجزائرية بقوله إن المرأة الجزائرية امرأة قوية، فرغم آلام الحمل والوَحْم، إلا أنّها تؤدي واجباتها المنزلية بكل إتقان¹.

وكانت البنّت الكبرى تساعد أمّها في تسيير شؤون البيت، فتنبو عنها في حالة غيابها، فالبنّت الكبرى اشتركت مع أمّها في مسؤولية البيت وتسيير شؤونه الداخلية، وفي حالة وقوع مشكل أو ظهور مستجدات فإن القرار النهائي يكون للأب، المسؤول الأول والأخير عن الأسرة²، ولكن من الواجبات الأخرى للمرأة الجزائرية نذكر ما يلي:

1- تربية الأطفال:

إن الرجل الجزائري كان حريصا على تربية إطفاله تربية سليمة خلقية متشعبة بتعاليم الدين الإسلامي، ولهذا كان يمنع زوجته من الخروج المتكرر من البيت حتى تراقب أطفالها وتحرص على تنشأهم تنشأة دينية سليمة³.

كما حرصت المرأة الجزائرية على نظافة وجمال أطفالها، ومن شدة اعتنائها بهم، كانت بعض النساء يقمن بصبغ شعور أطفالهن باللون الأحمر، ولكن رغم اهتمامها بهم، إلا أن منهن من كانت تسمح لأطفالها باللعب تحت أشعة الشمس المضرة بصحة الأطفال. ويؤكد على ذلك الرحالة البريطاني توماس شو (Thomas Shaw)، الذي كان يشاهد الأطفال وهم يلعبون في الشوارع تحت أشعة

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 163؛ وينظر: كورين شوفالبيه، مرجع سابق، ص 66؛ وينظر: عبد القادر، مرجع سابق، ص 241؛ أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2001-2002م، ص 81.

² - خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص ص 20-21.

³ - نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص ص 234، 241-242، 281.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الشمس، ويذكر أنه رغم حرارتها إلا أنها لم تفتح وجوههم¹. وفي الليل، قبل نومهم، تقوم بعض الأمهات بسرد بعض القصص والأساطير التي يحفظنها لأطفالهن حتى تساعدهم على النوم، مثل قصة الحذاء وأسطورة الباخرة الإسبانية وأسطورة الثعلبة².

وهناك بعض النساء اللواتي ذكرنا سابقاً أنهن كنّ حريصات على راحتهن وجمالهن، وغالبًا ما كنّ من نساء الطبقة الحاكمة والثرية والنساء الأندلسيات وزوجات التجار، قد تنصّلن من بعض واجباتهن الأساسية المتمثلة في تربية الأطفال والحضانة وملئهم بالعطف والحنان، وخصّصن لهم حاضنة أو كما تُسمّى بـ المربية. ولما كبر الأطفال فإنهم لا يُنكرون ما قامت به مربيتهم معهم من معاملة طيبة وما منحتهم لهم من حنانٍ وعطفٍ طيلة تربيتها لهم، وهذا ما جعلهم يكتنون لها الرحمة والمودة، واستمروا في التواصل معها حتى بعد كبرهم، بل أكرموها بـ وقفٍ من ممتلكاتهم لها، مثلما فعل الإنكشاريّ الحياط وبمونة بنت إبراهيم مع مربيتهم، وما قام به مصطفى أوداباشي بن محمد التركي، الذي منح مربيته وقفًا تمثل في نصف جنة ببوزريعة³.

2- معاملة المرأة المسلمة لعبيدها :

عاملت المرأة عبدها معاملةً إنسانيةً ملؤها الثقة والمحبة، إلى درجة أنّ هناك من قرّبت عبدها منها واتّخذت بعضهم أصدقاء لها، حتى ولو كانت متزوّجة، مثلما فعلت زوجة أحد الأتراك، التي جعلت أحد أسراها صديقًا مقرّبًا لها رغم الاختلاف الدينيّ بينهما، إلا أنّ علاقتهما توطّدت وأضحيا صديقين مقرّبين. ونتيجةً لتوطّد العلاقة بينهما، فقد حظي الأسير ببعض الامتيازات مثل السماح له بممارسة شعائره الدينيّة، وذلك بالتوجّه إلى السجون عند أصدقائه لأداء الشعائر الدينيّة الخاصة بهم من صلاةٍ وغيرها. بينما هناك أسيرٌ آخر يُدعى كاليون (Calion) يذكر أنّه عانى كثيرًا من المعاملة القاسية من سيّدته العجوز التركيّة، ويُعتقَد أنّ مردّ هذه المعاملة القاسية وتدمّره يعودُ إلى كِبَر سنّ العجوز، فمعظم

¹ - Shaw, Op. cit., p. 108

² - ن نيلسون موسى، مصدر سابق، ص ص 102-103؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 170؛ رحيمة بن صغير، مرجع سابق، ص 200؛ Shaw, Op. cit., p. 108.

³ - م.ش. ع 2/37، رقم 15؛ وينظر: ع 2/37، رقم 15، نقلًا عن بوزيد صليحة، مرجع سابق، ص ص 190-205.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

المسنّات بعد تقدّم العمر بهنّ يتعرّضن لتغيّراتٍ جسميّةٍ ونفسيةٍ تجعلهنّ ينزعجن لأنفهن الأسباب، ويكثرن الشجار، لدرجة أنّهنّ يُرهقن من يتولّى رعايتهنّ في بعض الأحيان، وربما كانت أسرُهُ هذه العجوز من بين هؤلاء¹.

ج- واجباتها مع ضيوفها وجيرانها :

1- موقف المرأة الجزائرية من الضيوف:

كانت المرأة الجزائرية في مدينة الجزائر العثمانية كريمةً لا تعرف للبخل في قلبها مكاناً، فكانت تُكرّم من زارها من الضيوف بتقديم ما لذّ وطاب من الأطعمة التي تتفنّن في طهيها لضيوفها، ولا تكتفي بإطعامهم فقط، بل كانت تستغلّ فترات إقامتهم عندها فتأخذهم إلى الاستحمام والحمام، سواءً من أجل الاستحمام أو العلاج².

2- مواساتها لجارتها في الضراء:

رغم منع المرأة من الخروج من البيت إلا للضرورة أو إلى الحمام أو زيارة القبور، إلا أنه سُمح لها بالذهاب عند صديقاتها أو جارتها عندما تتعرض للمصيبة، فإن النساء الجزائريات يُسارعن إلى مواساتها والتعاطف والتضامن معها، مثلما حدث لزوجة أحد رؤساء البحر التي تعرّض زوجها للأسر، فالتجّعت حوالي مائة امرأة إلى بيتها من أجل مواساتها في مصيبتها. ومن المصائب الأخرى التي ذكرها بعض المؤرّخين، ولا ندري مدى صحتها، تلك التي كانت تتعرض لها المرأة الجزائرية، وهي ظاهرة اختطاف الأطفال من قبل بعض الإنكشارية (Janissaries)، الذين كانوا يُقدّمون على اختطاف الأطفال الذين يتميزون بصفات تُشبع غرائزهم، وذلك عن طريق استدراجهم بأشياء تُعجبهم مثل الحلويات أو غيرها، ثم يُختطف الطفل بالقوة عن طريق سحبه إلى الثكنة لممارسة اللواط. ولم تكن السلطة العثمانية تقتحم

¹ - جيمس ولسن ستيفن، الأسرى الامريكاني في الجزائر (1785م-1797م)، ترجمة: علي تابلت، نالة، الجزائر 2007م، ص 323؛ وينظر: سعد الدين هلايلي، قضية المسنين الكبار المعاصرة وأحكامهم الخاصة في الفقه الإسلامي: دراسة فقهية مقارنة، ط 1، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1423هـ/2002م، ص ص 28-74.

² - جمال غلاب، سيرفانتس في الحامة، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م، ص ص 91-92.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الثكنات لإنقاذ الأطفال، لأن دخولها كان محرّمًا عليهم، فيترك الطفل يتخبط في مصيره معهم، ثم يُطلق سراحه بعد ذلك¹.

وسنحاول فيما يأتي معرفة مكانة المرأة في كل طبقة من طبقات مجتمع مدينة الجزائر، إذ تختلف مكانة المرأة من أسرةٍ إلى أخرى باختلاف الوضع المادي لكل أسرة..

(د)- مكانة المرأة الاسرية حسب الانتماء الطبقي :

1-مكانتها في الأسرة الفقيرة:

عانت الأسرُ الفقيرةُ من سيطرة الرجلِ على المرأة، وخاصةً أولئك الذين لم يجدوا عملاً، فلهجوا إلى الغليظة وأدمنوا عليها حتى تُنسيهم واقعهم المرّ، ويستسلموا بسرعةٍ إلى النوم والكسل. وقد انعكس ذلك سلبيًا على نفسيّتهم وعلاقتهم بأسرهم، فتخلّوا عن واجباتهم الأسرية، ولا سيما تجاه زوجاتهم، بل أثقلوا كاهلهم بمختلف الأعمال، حتى الشاقة منها، دون اهتمامٍ بما تُعانيه المرأة من تعبٍ ومشقةٍ نتيجة تلك الأعمال الموكلة إليها من طرف أزواجهنّ. كما أن لغة الحوار بينهما كانت تكادُ تنعدم، حتى في الأمور الأسرية كمسؤولية الأطفال والبيت، بل كان الرجلُ يصبُّ جَمَّ غضبه على زوجته ويُهينها إن تهاونت في أداء واجباتها المنزلية. ولهذا كانت المرأة في الأسر الفقيرة حريصةً على بذل جهدٍ مضاعفٍ فوق طاقتها لإرضاء زوجها واتّقاء غطرسه وإهانته لها، وهو ما انعكس على صحّتها فأدّى إلى هرمها ووهنها بسرعة وقد فسّر بعض المفكرين هذه الوضعية بأنَّ الرجلَ جعل من زوجته خادمةً لبيته، وكذلك الحال بالنسبة إلى المرأة الريفية التي ظلّت تَرزُح تحت وطأة استعباد الرجل، "ويجلس أمام خيمته، وينظر برضى إلى نساءه وهنّ يتعدّبن قسرًا من أجله، تحاول النساء نيل رضا سيدهنّ، ويتحمّلن في صبرٍ كبير إهانات رجلهنّ عديمي الإحساس وضرباتهم الموجعة"²، ولهذا رأى بعض الأوروبيين أن المرأة الجزائرية بعد العشرين تُصبح كالعجوز.

¹ - P. Dan, Op. cit., p. 254; Digo de Haedo, Topographie, Op. cit., pp. 312-516; et V. Deparadi, Op. cit., p. 225.

² - جرمين بيلوين، الحرم وأبناء العم: تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط، ترجمة عز الدين الخطّابي وإدريس كثير، منشورات دار الساقى، بيروت، 2000م، ص ص 15-29؛ وينظر: وليام شارلر، مصدر سابق، ص 86؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص ص 140-141؛ Pananti, Op. cit., p. 348.

2- مكانتها في الأسرة البسيطة :

نتيجةً للوضع الماديّ الميسور، فقد كانت المرأة الجزائرية تعيش حياةً هادئةً وسعيدة، في جوٍّ حرصت على صنّعه لنفسها ولأسرتها عن طريق التودّد لزوجها حتى تنال رضاه واحترامه لها. فكانت تستقبله بعد عودته من العملِ تعباً، إذ ما إن يطرق الرجلُ بابَ الدارِ حتى تُسارعَ لفتحه، ثم تُجلسه على الأريكة، وتتبادل معه أطرافَ الحديث، وتُقرّب منه أطفاله الذين يُسارعون برفقتها لاستقباله، وكلّهم لهفةً وفرحاً وسروراً بعودة أبيهم إلى الدار. فيستقبلهم ويضمّهم إلى صدره، ثم يأخذ في اللعب واللّهو معهم وكلّهم سعادة¹. أمّا الأطفال الذين حرصت المرأة على نظافتهم وجمالهم، فكانت تصبغ شعورهم باللون الأحمر².

ولأن الرجل هو المسؤول الوحيد عن عائلته، فإنه يوفّر لها كلّ ما تحتاجه من لوازم، ويسد حاجاتها ولا يُشعرها بالجوع أو الحاجة أو الفاقة. وقد استغلت بعض النساء ذلك بجعل أزواجهن يُكثرون من الإنفاق عليهن لا شعورياً، فتمتعت أنفسهن وأطفالهن ب حياة الرفاهية عن طريق التدلّل وعدم الاكتراث بالوضع الماديّ الميسور، فيجبرن أزواجهن على النفقة المستمرة، ولا يسمحن لهم بتكوين ثروة عن طريق الادّخار. ومنهن من كانت تأخذ مالَ زوجها خفيةً، مثلما كانت تفعل زوجة العالم عمّار المستغامي، التي كانت تأخذ كلّ ما يضعه من مالٍ حتى لا يجد درهماً واحداً يُنفقه، مما كان يُجبره على الاستدانة من الغير بطلبٍ منها، لأنّها لا تستطيع العيش بدون مال. وقد أدّى ذلك إلى حدوث شجاراتٍ كبيرةٍ بينهما بسبب سرقة ماله واستفزازاتها المتكررة، ومع ذلك لم يتجرأ على معاقبتها أو تظليقها، بل كان يلجأ إلى ابن المفتي ليشتكى أمرها. ولعلّ رفضه تظليقها كان إمّا حباً لها أو عجزاً عن الزواج ثانيةً لعدم امتلاكه المال الكافي³.

¹ - أبو العيد دودو، مرجع سابق، ص 12.

² - نيلسون موسى، مصدر سابق، ص 102-103؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 170.

³ - سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 172-173.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما بعض نساء الثَّجَّار، فكنَّ يرفضنَّ القيامَ بواجباتهنَّ المنزليَّة من الطَّهي والتنظيف والحياطة، ويكتفينَ بـ تزيينِ أنفسهنَّ. وفورَ خروجِ الزوجِ إلى محلِّه، تُسارعُ الزوجةُ إلى ارتداءِ أجملِ فساتينها، والتعطرِ بأطيبِ العطور، ثم تخرجُ مُسرعةً لزيارةِ أهلها¹.

3-وضعية المرأة عند الأسر الغنية:

تمتعت نساءُ الطبقة الثرية بحياة الرفاهية وتناول ما لذ وطاب، كإدماهنَّ على تناول حلوى الحلقوم (Lukum)، وحفاظًا على راحتهنَّ فقد سُخرَ لخدمتهنَّ عددٌ من الإماء والعبيد، حتى إنَّ لكلِّ امرأةٍ أمةً خاصَّةً بها تخدمها وتُشرفُ على شؤونها²، ولهذا نجد الأسيرَ الألمانيَّ سيمون بفايفر (Simon Pfeyffer) يقول عنهنَّ: "إنَّ نساءَ البلدِ لا يستطعنَّ أن يفعلنَّ ما تفعله نساءُ الريفِ لأزواجهنَّ، فهنَّ يمتنعنَّ عن العمل".³

4- مكانة المرأة الأندلسية في مدينة الجزائر :

تميّزت بعضُ النساءِ الأندلسياتِ بالإهمالِ في تسييرِ شؤونِ بيوتهنَّ، ورفضهنَّ تحمُّلِ المسؤولية، وعدمِ الاكتراثِ بأزواجهنَّ وأوامرهم، واكتفينَ بالاهتمامِ بأنفسهنَّ والحرصِ على راحتهنَّ وجمالهنَّ، من خلالِ كثرةِ النومِ والترفيهِ والاستمتاعِ بالموسيقى كلَّ ليلةٍ على السطوح، والاستحمامِ بالخروجِ في نزهةٍ أو بزيارةِ صديقاتهنَّ، وكان أهمُّ ما يحرصنَّ عليه هو الحفاظُ على جمالهنَّ⁴.

ورغمِ عدمِ مبالأتها في كثيرٍ من الأحيانِ بأوامرِ زوجها، إلا أنَّها كانت تلتزمُ بقراره المتعلِّقِ بمنعها من الخروجِ من البيتِ من أجلِ الشراءِ أو البيعِ، فالرجلُ الأندلسيُّ كان صارمًا في هذا الشأنِ ولم يتراجعَ عنه، وذلك لتجنُّبِ احتكاكها بالرجالِ في المعاملاتِ التجاريَّة. ومنهم من خصَّصَ لزوجتهِ رجلًا وصيًا يقومُ بشؤونها الخارجيّة، خاصَّةً ما يتعلَّقُ بالشراءِ أو البيعِ.

¹ - حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م، ج 1، ص 591.

² - ينظر: كورين شوفالبييه، مرجع سابق، ص 58؛ وينظر: عائشة غطَّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 363-364.

³ - سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص ص 172-173.

⁴ - مهديّة طيبي، مرجع سابق، ص 184؛ وينظر: وليام شارل، مصدر سابق، ص 87.

Grammont, Op. cit., p. 369; et Guiauchain, Alger Edition De L'imprimerie Algérienne 1905. p. 69; et Haedo de Digo, Topographie, Op. cit., pp. 129-130.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

فمثلاً، كان محمد القنداقجي بن الحاج حمودة الأندلسي قد وُكِّل ابنه الشاب عبد الرحمن للإشراف على شؤون أخته، بصفته وكيلًا مفوضًا في حياته ووصيًا بعد وفاته¹.

ولكن بعض الأسر الأندلسية لم تشأ تقييد النساء، وخاصةً أنهنّ اعتدنّ على حياة التحرر في الأندلس. غير أنه، بعد إقامتهنّ في الجزائر، لم يستطعنّ التأقلم بسهولة، لأنهنّ تعرّضنّ للتقييد من طرف أسرهنّ اقتداءً بالأسر الجزائرية. ونتيجة للتدمر الذي بدر من نسائهنّ، سمحت بعض الأسر لهنّ بالتصرف كما كنّ يفعلنّ في موطنهنّ الأصلي، فصار يُسمح لهنّ بالخروج متى شئنّ وبدون قيود. في حين ظلّت بعض النساء ترزح تحت وطأة التقييد والمنع من الخروج من البيت².

عانت بعض النساء الأندلسيات من سياسة الانطواء التي فُرِضت عليهنّ في مدينة الجزائر من طرف أسرهنّ، وذلك من خلال منعهنّ من الخروج من البيت. ومع ذلك، فقد كنّ يتطلعنّ إلى ما يحدث في الخارج من خلال نوافذ البيت الصغيرة، التي تُمكنهنّ من النظر إلى المارة في الشارع دون أن يتمكنوا من رؤيتهنّ³، ويمكن تفسير هذه الصرامة برغبتهم في عدم الاختلاط بالمجتمع الجزائريّ وعاداته وتقاليده، التي كانوا يعتبرونها رمزًا لرقبهم وتحضّرهم⁴.

ويلاحظ أن معاملة المرأة اختلفت من طبقة إلى أخرى، كما اختلفت مكانة المرأة الريفية عن المرأة في المدينة، كما ذكر أحد الأوروبيين الذين زاروا الشرق الجزائريّ، واصفًا الفرق بين المرأة الريفية والمرأة المدنية، إذ يرى أن المرأة المقيمة بالمدينة تختلف كثيرًا عن نظيرتها في الريف، فيقول: "نساء المدن لا يُشبهنّ إطلاقًا نساء الأرياف". ويمكن إسقاط هذا الوصف على نساء المدينة في الجزائر⁵، اللواتي يختلفنّ عن نساء فحوصها وضواحيها في العادات والاهتمامات وأسلوب العيش.

5- مكانة المرأة في أسرة الداى :

¹ - م.ش. ع 125/124.

² - كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص 79-80؛ وينظر: مرثيديس غاريتا أرنال، مرجع سابق، ص 173.

³ - Jeao Mascarenhas, Esclave A Alger. Récit De Captivité De Joao Mascrenhas A Alger (1621-1626) Trd Portugais Annotè Et Present Par Plus Tessier. 2eme Editions. Editions Chandeigne Libraire Portugais. Paris. Janvier 1999, p. 68.

⁴ - عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية: الجزائر نموذجًا، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، العدد 20، 2003م، ص 175.

⁵ - ودان بوغفالة، الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب للعلوم والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، ص 216.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

يُعدّ الزواج فطرةً في الإنسان من أجل الحفاظ على النسل، ولهذا كان من بين الدايات من تزوجوا وشكّلوا أُسرًا. فمثلاً، كان الداى عمر باشا (1230هـ/1815م - 1230هـ/1816م) متزوجًا وله ثلاثة أولاد، وكذلك عبدي باشا (1136هـ/1724م - 1158هـ/1732م) كان متزوجًا وله ثلاث بنات، وهنّ آمنة وزهيرة وسلطانة. كما أن الداى إبراهيم (1145هـ/1732م - 1158هـ/1745م) كان متزوجًا وله ولدان هما إبراهيم وحسين. وهناك من الدايات من كان متزوجًا بامراتين، مثل الداى حسين (1233هـ - 1818م / 1246هـ / 1830م)، الذي كانت له زوجتان: الأولى نفيسة، التي أنجبت له ابنته آمنة، والثانية ميمي. وكذلك الداى شعبان (1101هـ/1689م - 1107هـ/1695م)، الذي كان متزوجًا من امرأتين هما فاطمة بنت عمر ونفيسة بنت العالم العلامه سيدي محمد بن عبد الممن.

أما الداى علي باشا النقسيس، فقد كان له زوجتان أيضًا: فاطمة بنت عبد الله، التي أنجبت له محمدًا، وعلجية التي تزوجها في إسطنبول، وأنجبت له بنتًا. كما أن الداى محمد باشا التركي تزوج مرتين، وقد طلق إحدهما، كما ورد في وثيقة جاء فيها: "أبو عبد الله الحاج محمد الدولاتي، حبس دارًا ابتداءً على نفسه، ثم بعد وفاته على ولديه حسين والحرة الزكية نفيسة وأمها الحرة خديجة بنت عبد الله ومن سيولد منها، ثم على ولديه من غير الزوجة المذكورة، وهما معظم محمد والحرة فاطمة إن كانوا أحياء¹.

من خلال الوثيقة نستنتج أنه كان لـ الداى زوجتان، إحدهما مطلقة أو متوفاة، ولها أطفال يُجهل مصيرهم، وربما أخذهم أهل الزوجة لحضانتهم. وعليه فقد اكتفى الداى في الوثيقة بذكر أطفاله بقوله: «أحياء». كما أن الداى بابا حسين كان متزوجًا من ابنة الداى محمد باشا التركي، وهناك من

¹ - وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 106؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 63؛ وينظر: م.ش.ع 15/124؛ وينظر: ع 124-13/125؛ وينظر: م.ش.ع 12/1-13؛ وينظر: م.ش.ع 14/59؛ وينظر: م.ش.ع 01/1/28؛ وينظر: م.ش.ع 33/2/37؛ وينظر: م.ش.ع 12/2/48؛ وينظر: م.ش.ع 5/1/37؛ وينظر: عزيز سامح الت، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1409هـ / 1989م، ص ص 407-408؛ وينظر: يوسف أمير، أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية (1171-1211هـ / 1781-1791م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010م، ص ص 168-169.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

يقول إنّه كان له زوجتان، إذ ورد في إحدى الوثائق أنّ له اثنتي عشرة بنتًا. أمّا الداوي حسين باشا فكان متزوجًا من السيّدة فاطمة بنت السيّد حسين، وأنجبت له ابنته عائشة¹.

ولكن قانون الإيالة لم يكن يسمح للدايات بالإقامة مع أسرهم أو الذهاب إليهم يوميًا كأيّ أب يزور أسرته، وإنّما خُصّص لهم يومٌ واحدٌ فقط، وهو يوم الخميس، لزيارة أسرهم والمكوث معهم يومًا كاملًا، يعيشون فيه أوقاتًا سعيدةً بين أطفالهم وزوجاتهم، يُبادلونهم العطفَ والحنانَ، ويتفقدون أحوالهم ويطمئنون عليهم، ثم يُفارقونهم أسبوعًا كاملًا، إذ يُمنع عليهم إحصار أسرهم إلى مكان إقامتهم المتواجد في مقرّ حكمهم. وكان من يتجرأ ويُخالف هذا القانونَ بالخروج من القصر في غير اليوم المحدد لزيارة عائلته، يُعدّم بطلقة رصاص عند باب القصر. إنّ هذا القانونَ الجائر في حقّ الدايات جعل بعضهم يرفضون الزواج ويفضّلون حياة العزوبية، مثلما فعل الداوي محمد باشا بن حسن، الذي رغم سلامته الجسدية والنفسية، فضّل البقاء أعزبًا. غير أنّ بعض الدايات تملدن على هذا القانون، مثل الداوي عمر، الذي كان يذهب يوميًا لزيارة أسرته بعد انتهائه من عمله، وكان يمنع حرسه من مرافقته، مكتفيًا بمرافقة خادمه الذي كان يحمل مصباحًا ليُنير له الطريق. كما أنّ الداوي أحمد باشا أسكن زوجته معه في قصر الجنيّة، وهناك دائي آخر قام ببناء مسكنٍ لأسرته بجوار قصره الذي يعمل به، ولم يُبال بمعارضة أعضاء الديوان الذين ثاروا عليه وحاولوا منعه، ولم يكتف بذلك، بل جعل باب بيته في اتجاه باب القصر الحكومي ليختصر الطريق للوصول إلى بيته بسهولة، لكنه أغلقه بعد إصرار رجاله على ضرورة غلق الباب بحجة أنّه لا يجوز أن يكون في دار الحكومة بابان².

¹ - نفسه.

² - وينظر: م.ش.ع 15/124؛ وينظر: ع 13/125-124؛ وينظر: م.ش.ع 13-12/1؛ وينظر: م.ش.ع 14/59؛ وينظر: م.ش.ع 01/1/28؛ وينظر: م.ش.ع 33/2/37؛ وينظر: م.ش.ع 12/2/48؛ وينظر: م.ش.ع 5/1/37؛ وينظر: عزيز سامح التمر، مرجع سابق، ص ص 407-408؛ وينظر: يوسف أمير، مرجع سابق، ص ص 92، 97-98؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق؛ وينظر: ليسبور وويلد: رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد جيحلي، دار الأمة، الجزائر، 2002م، ص 32؛ وينظر: محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، دار الشرق العربي، بيروت، 1969م، ص 73؛ وينظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 79؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص ص 88-89؛ وينظر: توفيق المدني، محمد بن عثمان، مرجع سابق، ص ص 42-191؛ وينظر: قصص من التراث: خداج العمياء، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 10؛ وينظر: شريف زهّار، مصدر سابق، ص 23؛ وينظر: وليام شالر،

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وكانت السلطات العثمانية في الجزائر تُفضّل بقاء الداى أعزب من أجل خدمة الدولة، وربما كان ذلك راجعاً إلى تخوّفهم من تدخّل الحريم في القرارات السياسية، مثلما حدث في قصر الخلافة الذي شهد كثيراً من مؤامرات الحريم. فقد وقع مثل ذلك في قصر الخليفة العثماني سليمان القانوني (Süleyman Kanunî)، وما قامت به زوجته خورم (Hürrem Sultan)، التي تسببت في ظهور مؤامرات داخل قصره من أجل الحصول على الحكم لابنها بدلاً من ابنه مصطفى من زوجته الأولى، «لولا دسيسه هذه المرأة الأجنبية...»¹.

أما وليام سبنسر (William Spencer) فقد فسّر هذا الإجراء من طرف السلطات العثمانية بقوله: "فإنّ الأخوية الذكورية في الأوجاق كانت إبعاداً لتأثير المرأة في مسائل الجمهورية، وأيضاً لكون الحكم إنتاجاً لنظام انتخابي غير قادر، كثيراً ما تتعرض ترقية فيهم إلى التحدّي. وكانوا غير قادرين على تطوير نظام حريمي حامٍ، يُمثّل ذلك الذي عزل السلاطين العثمانيين دون الثورات ضدّهم، ولكنّه في الوقت نفسه عرضهم لتأمر الحريم، وبصورة غير مباشرة إلى سيطرة النساء"².

ورغم بقاء الداى فترات قليلة مع زوجته، إلا أنّه يكنّ لها الحب ويفتخر بالحديث عنها حتى أمام خدمه أو أطبائه، مثلما فعل الداى حسين الذي ذكر الأسير سيمون بفايفر (Simon Pfeyffer) أنّه حدّثه كثيراً عن زوجته وحبّه لها، وهو ما أثار استغرابه، خاصّة وأنّ الأتراك بصفة عامة، ورجال السلطة بصفة خاصة، نادراً ما يتحدثون عن حريمهم³.

رغم شروط الراحة التي حظيت بها نساء السلطة، إلا أنّ هناك بعض نساء الدايات من كنّ يفضّلن الطبخ بأنفسهن في بعض الأحيان، مثلما فعلت زوجة الداى علي خوجة، التي أعدت بنفسها

مصدر سابق، ص 160-161؛ وينظر: الغالي الغربي، السلطة ومراكز القوة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات (1671م-1830م)، ضمن كتاب دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، د.ب، 2000م، ص 397-398؛ وينظر: شريف زهار، مصدر سابق، ص 23؛ وينظر: Pananti, Op. cit., p. 17; Lauger de Tassy, Op. cit., pp. 221-224; De Gramment, Histoire D'alger Sous La Dominationturque (1515-1830).Ernest Leroux. Editeur.Paris.1887 p. 194; Venteur de Paradis, Op. cit., p. 172; et Boyer, P.P. 160; Boyer, La Vie Quotidienne, p. 94

¹ -محمد فريد بك الحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 246؛ وينظر: محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 73؛ وينظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 79؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 88-89؛ وينظر: توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766م-1791م) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م. ، ص ص 42-191.

² -وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 106.

³ -سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 63.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

طعام وليمة الغداء التي أقامها زوجها لبعض الموظفين والقناصل والأعيان، فأعجبوا كثيراً بطبخها، وهذا يدل على تعلّمها للطبخ وإتقانها له، وهو ما جعلها تُشرف بنفسها على إعداد وليمة الغداء، بالرغم من أنّ عزيز سامح التر (Aziz Samih Ilter) ذكر أنّ طعام الداوي كانت تتولّى الحكومة العثمانية تحضيره. أمّا بعض بنات الدايات، فقد كنّ يشغلن أوقاتهنّ تفادياً للبقاء دون نشاط، فحاولن كغيرهنّ من بنات عصرهنّ تعلّم بعض الحرف المنتشرة في ذلك الوقت، مثل حرفة الخياطة والتطريز. فهذه خداج العمياء تعلّمت حرفة التطريز والخياطة. أمّا عن التنزّه والاستحمام، فحفاظاً على حرمة أسرة الداوي، فقد بُنيت لهنّ حمّامات خاصّة بهنّ في القصبّة، تحيط بها حدائق صغيرة محاطة بأسوار، مثل حمّام سيدنا وغيره، للاستحمام فيها والاستحمام بالحدائق المنتشرة حولها¹.

وأحياناً يستغلّ الداوي اليوم المخصّص لزيارته أسرته في أخذهم إلى التنزّه في إحدى حدائق المدينة، وجاء في الوصف: "وكثيراً ما كان الداوي يأتي لنسيم الهواء العليل في المساء مع عائلته... يوجد قفص مملوء بالطيور النادرة، وتحتوي زهريات الحديقة وأحواضها على أزهار وأشجار"².

(هـ) - ثريّات مدينة الجزائر:

عرفت مدينة الجزائر نساءً ثريّات امتلكن المال، سواء من الجماعة الحضريّة أو حتى البرائيّة، فمنهنّ من اغتنمت بفضل أسرهنّ التي ينتمين إليها. وحسب تال شوفال (Tal Shuval)، فإنّ أغلب ثريّات

¹ - وينظر: م.ش.ع 15/124؛ وينظر: ع 13/125-124؛ وينظر: م.ش.ع 13-12/1؛ وينظر: م.ش.ع 14/59؛ وينظر: م.ش.ع 01/1/28؛ وينظر: م.ش.ع 33/2/37؛ وينظر: م.ش.ع 12/2/48؛ وينظر: م.ش.ع 5/1/37؛ وينظر: يوسف أمير، مرجع سابق، ص 168-169؛ وينظر: لطيفة حمصي، مرجع سابق، ص 93؛ وينظر: عبد الرحمان نواصر، تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، السنة الجامعية 1438-1439هـ/2017م-2018. ص 301؛ وينظر: عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 407-408؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق؛ وينظر: ليسبور وويلد، مرجع سابق، ص 32؛ وينظر: محمد خير فارس، مرجع سابق، ص 73؛ وينظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 79؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص 88-89؛ وينظر: توفيق المدني، محمد بن عثمان، مرجع سابق، ص 42-191؛ وينظر: قصص من التراث: خداج العمياء، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 10؛ وينظر: شريف زهّار، مصدر سابق، ص 23؛ وينظر: وليام شالر، مصدر سابق، ص 160-161؛ وينظر: Pananti, Op. cit., p. 17; Lauger de Tassy, Op. cit., pp. 221-224; De Gramment, Op. cit., p. 194; Venteur de Paradis, Op. cit., p. 172; et Boyer, P.P. 160.

² - م.ش.ع 27/125-124؛ وينظر: ليسبور وويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة: محمد جيحلي، دار الأمة، الجزائر، 2002م، ص 32؛ Mostefa Khiati, Histoire De Médecien En Algérie De l'Antiquité Nos Jours . A.N.E.P.2000., pp. 99-100; Digo de Haedo, Op. cit., p. 216

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

مدينة الجزائر كنّ نساء الجيش، اللواتي كنّ أغنى من أزواجهنّ، ويمكن تفسير ذلك بأنّ بعض الإنكشاريّة تزوّجوا من هؤلاء الثريّات. فنجد زوجة علي بتشين، التي كانت من ثريّات مدينة الجزائر، وقد أوجد لها ثراؤها الفاحش مكانةً لدى السلطة الحاكمة. كما نجد عائشة بنت الحاج قاسم التي خلّفت ثروةً قدّرت بـ 11309 ريال، وعزيزة زوجة والي راييس التي بلغت ثروتها 3025 ريال، وزوجة محمد الحوكي وكيل الحرج التي خلّفت تركةً قدرها 1194 ريال، وفاطمة بنت الهاشمي زوجة حسن حاكم مليانة التي خلّفت تركةً قدرها 23632 ريال، وخدّوجة التي بلغت ثروتها 11300 ريال، وفاطمة التي خلّفت ثروةً قدرها 7575 ريال، وأقلّ منهنّ حنيفيّة زوجة مصطفى خوجة التي خلّفت ثروةً قدرها 14401 ريال، ولاله بنت زرناجي زوجة محمد بلكباشي التي خلّفت ثروةً قدرها 2384 ريال، وغيرهنّ كثيرات ممّن عُرفنّ بالغنى والجاه في مدينة الجزائر¹.

ولكن هناك تفسيراً آخر لامتلاك هؤلاء النساء لهذه الثروة، وهو تحايل بعض أعضاء السلطة على الدولة خوفاً من مصادرة ممتلكاتهم في حال تعرّضهم لعقوبة، فكان الرجل يمنح زوجته كلّ ما يملك من مال، أو يشتري لها الجواهرات والمصاغ ويمنحها إياها، فيؤهمّ السلطة بأنّ جميع الممتلكات خاصّة بزوجته، فلا تتعرّض للمصادرة². وقد حدث مثل ذلك سنة 1116هـ / 1704م، عندما قام الجيش الإنكشاريّ

¹ - ينظر: سجل بيت المال رقم 2؛ وينظر: بيت المال، ع 8، س 8، و158؛ وينظر: ع 3، س 8، و48، نقلاً عن ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 220؛ وينظر: منور مروش، مرجع سابق، ج 2، ص 264؛ وينظر: عائشة غطّاس، ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، بيت المال، سجل رقم 23؛ وينظر: بيت المال، ع 4، س 11، و205؛ وينظر: بيت المال، ع 5، س 12، و31، نقلاً عن ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 218، ونقلاً عن ليلي خيراني، مرجع سابق، ص 87؛ Histoire de Femme au Maghreb: Culture Matérielle et Vie Quotidienne, textes réunis et introduits par Dalenda Largue, Centre de Publication Universitaire, Tunis, 2000, p. 154; Shuval Tell, Op. cit., p. 106.

² - ينظر: سجل بيت المال رقم 2؛ وينظر: بيت المال، ع 8، س 8، و158؛ وينظر: ع 3، س 8، و48؛ ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 218؛ ونقلاً عن ليلي خيراني، مرجع سابق، ص 87؛ وينظر: منور مروش، مرجع سابق، ج 2، ص 264؛ وينظر: عائشة غطّاس، ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 154؛ بيت المال، سجل رقم 23؛ وينظر: بيت المال، ع 4، س 11، و205؛ وينظر: بيت المال، ع 5، س 12، و31، نقلاً عن ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 218؛ Shuval Tell, Op. cit., p. 106.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

بمصادرة ممتلكات يوسف بن محمد آغا الإنكشاري وبيعها للحصول على رواتبهم¹، كما يمكن تفسير إبعاد نفيسة بنت عبد المؤمن زوجة الداوي شعبان لزوجها من الوقف الذي أوقفته على نفسها وأولادها وأحفادها ونسلهم، بأنه كان خوفاً من مصادرة ممتلكاتها التي كانت تشترك فيها مع زوجها في حال معاقبته².

ومن أشهر ثريّات المدينة نذكر: موني بنت الحاج محمود، التي قيل حسب المصادر إنّها استحوذت على نسبة 8٪ من مال المدينة، وفاطمة بنت الهاشمي بن صابر التي خلّفت ثروة قدرها 23263 ريالاً جعلتها تحتلّ المرتبة السابعة في قائمة أثرياء المدينة من النساء، وابنة ابن سماية التي خلّفت تركة قدرها 19332 ريالاً، والعلجة زوجة التركي التي خلّفت تركة قدرها 2349 ريالاً، وراضية التي خلّفت ثروة قدرها 18595 ريالاً من الدراهم الصغار، وبنات الدارم باي التي خلّفت تركة قدرها 20478 ريالاً، وخدمجة بنت مصطفى خوجة التي خلّفت ثروة قدرها 6989 ريالاً³، ورغم ثرائها، فإنّها تزوّجت بطباخ يعمل في إحدى ثكنات المدينة، واللافت للانتباه والذي يدفعنا لطرح التساؤل: ما الأسباب التي جعلت هذه المرأة الثرية، ابنة أحد موظفي الدولة، تتزوّج بطباخ في ثكنة؟ ولعلنا نفسّر ذلك برغبة والدها في التقرب من أحد عمّال الثكنة ليصله أخبار الجند ويضمن وقوفهم إلى صفّه.

وحتى نساء الأسرة الفقيهة قد امتلكن الثروة، فنجد زهرة بنت الفهري، ابنة أحد فقهاء مدينة الجزائر، التي تُعدّ من ثريّات المدينة، وذلك لامتلاكها العديد من العقارات في مجالات مختلفة. ففي المجال التجاري كانت تمتلك حانوتين في سوق باب الوادي، وفي القطاع الزراعي كان لها جنة في فحص بوزريعة، وحوش في وطن بني خليل، الذي يُعتقد أنّه كان عبارة عن مخزنٍ تُخزّن فيه منتجاتها الزراعية، لأنّه بعد

¹ - الوثيقة رقم 51، المجموعة 3205؛ وينظر: T. Shuval, Op. cit., p. 106.

² - صالح عباد، مرجع سابق، ص 278؛ وينظر: G. A. Peyssonnel, Op. cit., pp. 252-253.

³ - بيت المال، دفتر رقم 5 و51؛ وينظر: بيت المال، دفتر رقم 5 و34؛ وينظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 276-277، نقلاً عن ليلي خيراني، مرجع سابق، ص 87، ونقلاً عن ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 218.

وينظر: سجل بيت المال رقم 2؛ وينظر: بيت المال، سجل رقم 21؛ وينظر: بيت المال، دفتر رقم 5 و110؛ وينظر: عائشة غطّاس، ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 154. سجل بيت المال رقم 2. وينظر سجل بيت المال رقم 21 ورقة 19. وينظر بيت المال دفتر رقم 95 و110 بيت المال دفتر رقم 5 و20.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وفاتها عُثر فيه على 20 ثلثية من القمح وغيره و 58 بقرة . كما امتلكت الكثير من العبيد والأسرى، وبعد وفاتها خلّفت مبلغاً قُدّر بـ 15179 سنة 1025هـ / 1619م، وفي مصدرٍ آخر ورد أنّها خلّفت ما قيمته 58081 دجخ. ونجد أيضاً فاطمة بنت الحاج محمد بن الحاج قاسم التي خلّفت مبلغاً قدره 28626 دجخ بعد موتها، وخديجة بنت موسى أغا التي خلّفت ما قيمته 7778 دجخ، وفاطمة بنت سليمان رئيس التي خلّفت ما قيمته 19652 دجخ، ونفيسة بنت مصطفى التي خلّفت ثروةً قدرها 3396 دجخ، وغيرهنّ كثير من نساء الأسر الفقيهة اللواتي جمعن بين العلم والثروة في مدينة الجزائر¹.

وكذلك النساء البراتيّات تمكّن من الشراء في المدينة، فبعد العودة إلى الإحصاءات المتعلقة بالنساء الثريّات، عُثر على عددٍ من النساء البراتيّات اللواتي امتلكن الثروة، وهنّ كالاتي : بنت دارم باي التي خلّفت ثروةً قُدّرت بـ 20478 ريالاً، وفاطمة بنت الهاشمي، والعباسية التي خلّفت بعد وفاتها ثروةً قُدّرت بـ 2966 ريالاً، وبلديّة وهي المرابطة فاطمة التي خلّفت ثروةً قُدّرت بـ 1598 ريالاً، وامرأة قبائليّة تُعدّ من أغنى نساء جماعة القبائل في مدينة الجزائر، إذ امتلكت ثروةً بلغت 1770 ريالاً. كما تُعتبر العباسية من ثريّات مدينة الجزائر لامتلاكها ثروةً قُدّرت بـ 2966 ريالاً، وفاطمة الهاشمي زوجة حسن حاكم مليانة التي خلّفت ثروةً قُدّرت بـ 23263 ريالاً، وزوجة الجيجليّ التي خلّفت ثروةً قدرها 5095 ريالاً² وهذا ما يجعلنا نجزم بأنّ هؤلاء النسوة إمّا مارسن نشاطاً معيّنًا جعلهنّ يمتلكن هذه الأموال، أو أنّهنّ تزوّجن برجالٍ أثرياء

نختم كلامنا عن مكانة المرأة بما ذكره الباحث نور الدين عبد القادر:
"إنّ حياة المرأة بمدينة الجزائر كانت في بيتها، تقوم بشؤون أسرتها وتربية أولادها، ولكنها لا تخرج إلى

¹ - ينظر: م.ش.ع 5، م 1، ق 26، سنة 1074هـ؛ وينظر: م.ش.ع 146-147، م 8، سنة 1096هـ؛ وينظر: م.ش.ع 2/14، م 5، ق 1، سنة 1111هـ؛ وينظر: م.ش.ع 141، م 1، ق 14، سنة 1028هـ؛ وينظر: م.ش.ع 119-120، م 2، ق 19، سنة 1088هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 130-427؛ وينظر: منور مروش، مرجع سابق، ص 272.
² - سجل بيت المال رقم 21، ص 4-5؛ وينظر: بيت المال والبايليك، سجل رقم 19-21؛ وينظر: بيت المال، دفتر رقم 4، ص 24-25، نقلاً عن ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 221؛ وينظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 292.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الشارع ولا تشارك الرجال في الحياة العامة¹، وهو ما يؤدي إلى افتخار الزوج بزوجته. وأحياناً، نتيجة حبه لها ولأسرته، يقوم الزوج بإحضار رسّام إلى بيته ليرسم له أسرته ليحتفظ بصورهم، مثلما فعل طنجي، وهو أحد رؤساء البحر بمدينة الجزائر²، ومن الرجال من كان يفتخر بمناداته باسم أمّه، فلقد نُودي بعض أصحاب السلطة بأسماء أمهاتهم، فنجد على سبيل المثال لا الحصر في المجال القضائي: القاضي محمد بن فاطمة، ومن الشخصيات نجد: المسعود بن سلطانة، ومحمد بن تركية، وأحمد بن الفاسية، وسيدي إبراهيم بن الهجّالة، وأحمد شاوش بن مومنة، ومحمد بن أم الخير... إلى آخره. وكذلك نجد بعض اليهود ممن تسمّوا بأسماء أمهاتهم، مثل شموئيل بن سعديّة³.

ومن النساء من ظلّت تحافظ على مكانتها حتى بعد موتها، وذلك بتنفيذ وصيتها كما سنرى لاحقاً عند حديثنا عن الوقف، إذ يتمّ تسديد ديونها ولا يتصلّون منها، مثلما حدث مع فاطمة بنت محمد الطيب التي تركت بعد موتها ديناً، فقرّرت عائلتها تسديده ببيع ما خلفته من مالٍ تمثّل في ثلث دارٍ تقع في البليدة. وهناك من الأزواج من ظلّ وقياً لزوجته حتى بعد وفاتها، فتصدّق عليها، مثلما حدث مع حسن خوجة بن مصطفى الذي أعتق عبداً وجعل ثوابه على زوجته المتوفاة خداج بنت حسين الخزناجي. كما أعتقت فاطمة بنت حسن خزناجي، زوجة حسن باشا، عبدها الجنوبي مراحى صدقةً جاريةً على ابنتها المتوفاة عائشة. وقام الحاج مصطفى الأندلسي بن عمر بالتصدّق ببغلته على فقراء الأندلس، وجعل ثواب صدقته على زوجته الحاجة فاطمة بنت محمد هيبيل الأندلسية⁴.

ثالثاً: ملكية المرأة للمسكن ومميّزات تجهيزاته

¹ - نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 281.

² - نفسه، ص ص 241-242.

³ - ينظر: ع 2/19، و 47؛ وينظر: ع 2/41، م 4، ق 17؛ وينظر: ع 11، م 2، ق 12، سنة 1235هـ؛ وينظر: ع 123، م 1، ق 2، سنة 1107هـ؛ وينظر: ع 1/27، م 3، ق 53، سنة 1176هـ؛ وينظر: ع 2/14، م 7، ق 28، سنة 1063هـ؛ وينظر: ع 13، م 2، ق 28، سنة 1082هـ؛ وينظر: ع 146-147، م 14، سنة 1072هـ؛ م.ش. ع 56 و 36؛ نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 152؛ ونقلاً عن ودان بوغفالة، أوقاف مليانة والمدية في العهد العثماني، ص 174؛ وينظر: عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، دار الأمل، الجزائر، 2017م، ص ص 74-75.

⁴ - م.ش. ع 104-105 و 111؛ وم.ش. ع 96-97 (33)؛ وم.ش. ع 58 و 116؛ وينظر: م.ش. ع 3 و 66؛ نقلاً عن بوشناني، مرجع سابق، ص 563؛ وينظر: Eudel, Op. cit., p. 173.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أ- ملكية نساء المدينة للمسكن وموقف الأسرة والمجتمع:

يُعتبر المسكن من الأمور الهامة لأية أسرة، فامتلاكها لمسكن دائم يُساعدُها على العيش حياةً مستقرةً وسعيدة، أمّا فقدانه فيؤدّي إلى اضطرابها وعدم استقرارها. وسنحاول في هذا الجزء معرفة العلاقة بين المرأة والمسكن، وهل ساعدت الرجل على توفيره؟ وهل أقامت مع أسرة زوجها أم انفصلت عن العائلة الكبيرة لتعيش في بيتٍ مستقلّ؟.

1- قصور نساء الطبقة الحاكمة:

حظيت بعض بنات وزوجات الطبقة الحاكمة بـ قصورٍ خاصّةٍ بهنّ، بناها آباؤهنّ أو أزواجهنّ من أجلهنّ. فنجد:

1-1- بيوت بنات الدايات:

إنّ ثراء رجال السلطة انعكس إيجاباً على أسرهم، فأغلبهم قام بتوفير قصرٍ لزوجته أو لابنته. ومن هذه القصور نذكر:

1-1-2- قصر خداج العمياء :

قصر خداج أو دار خداج من القصور التي كانت ملكاً لامرأة جزائرية من نساء السلطة، وهي خداج¹ بنت الداوي بابا حسن باشا (1206هـ / 1791م - 1213هـ / 1798م). بناه لها أبوها حين كان خزانجياً في حكومة الدي محمد بن عثمان باشا، ويقع القصر في سوق الجمعة بـ حيّ القصبه السفلى، فوق زاوية الويّ الصالح سيدي أحمد بن عبد الله المدفون بسوق الجمعة. وفي رواية أخرى، قيل إنّ القصر كان ملكاً لـ بكري التاجر اليهودي، بينما تذكر رواية أخرى أنّه كان ملكاً لـ يحي رابيس، اشتراه أبوه ليهديه له.

ولأنّها لم تكن تملك أطفالاً، فقد قامت بوهبه لابني أختها فاطمة زوجة الداوي حسين (1233هـ

¹ خداج: هو تصغير لاسمها الحقيقي خديجة، وكان والدها يدللها باسم خداج أو خدوجة لأنها ابنته الصغرى، إذ لم يكن له سوى ابنتين هما فاطمة وخداج، التي أصيبت بالعمى. وحسب بعض الروايات المتداولة لدى سكان مدينة الجزائر، كانت خداج شديدة الإعجاب بجمالها، لذلك كانت ملازمة لمرآتها التي أهداها لها والدها في صغرها بعد عودته من السفر، وهي مرآة وُصفت بأنّها "من زجاجٍ لماعٍ يشبه بريق الألماس، تحيط بجواشيهما زخرفة منقوشة"، ولم تكن تفارقها أبداً، الأمر الذي أدّى - كما يُروى - إلى إصابتها بالعمى. ينظر: فوزي سعد الله، قصبة الجزائر: الذاكرة، الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص 118-119؛ وينظر: قصص من التراث: خداج العمياء، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 4-12.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

1818م - 1246هـ / 1830م)، وهما عمر ونفيسة¹ أمّا عن تاريخ بنائه فيعود إلى أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وفق الطابع الهندسي المتعارف عليه خلال تلك الفترة، فكان يحتوي على ساحةٍ محاطةٍ بمجموعةٍ من الغرف ذات أسقفٍ خشبيةٍ ملوّنةٍ، وأروقةٍ محاذيةٍ لتلك الغرف تتخللها أقواسٌ، وزُيّن القصر بزخارفٍ خزفيةٍ جميلة.²، وقد وصفه كلين (H. Klein) بقوله: "تعتبر هذه الدار نموذجًا معماريًا متميزًا، خصوصًا الدهاليز والأروقة والأدراج، فقاعةُ الاستقبال مكسوةٌ غالبًا بالخزف، والفناء مزدانٌ بالأعمدة الرخامية والفوانيس التركية، إضافةً إلى الجصّ المحفور والمنحرف بالأزهار..."³.

1-1-3- قصر عزيزة :

قصر عزيزة هو قصر خاصّ بزوجة رجب باي قسنطينة، وقد تمّ بناؤه لها في حيّ القصبة بالقرب من دار حسين باشا وجامع كتشاوة. ولم يُذكر تاريخ بنائه بدقة، غير أنّ بعض الدارسين يرون أنّه شُيّد قبل زلزال سنة 1129هـ / 1716م، بينما حدّد حمدان خوجة تاريخ بنائه في سنة 967هـ / 1560م. ومن شدة جماله وإتقان المهندس المعماريّ في تصميمه، جعله ذلك محطّ إعجاب بعض الأوروبيين الذين زاروا المدينة، ومنهم قولفان (Golvin) الذي وصفه بقوله: "أجمل الفنادق..."، كما وصفه كلين (Klein) بقوله: "تبدو هذه البناية داخليًا جوهرًا خفيفةً في أناقتها المعمارية واثرائها الزخرفي، من خشبٍ منحرفٍ، وجصّ منحومٍ، ورخامٍ منحوتٍ..."⁴.

يحتوي قصر عزيزة على ثلاثة طوابق، وهي: الطابق الأرضي، الذي ينقسم إلى قسمين؛ القسم الأول يضمّ غرفًا وغيرها من مكونات القصور، أمّا القسم الثاني فهو ملحق القصر ويُسمّى بـ الدويرة، وهو خاصّ بالخدم والمخازن. أمّا الطابق العلوي فيحتوي على غرفٍ أخرى مزينةٍ بزخارفٍ متنوّعة، كما زُيّن باب القصر بزخارف نباتية جميلة، مثل رسومات الفواكه كالبطيخ والكرز والعنب وأوراقه. وأهمّ ما يميّز قصر عزيزة هو احتواء بابه على مطرقتين تُستخدمان للتعرفّ على طارق الباب؛ فخُصّصت المطرقة الكبرى، الواقعة في أعلى الباب، للفرسان، بينما خُصّصت المطرقة الثانية، الواقعة في أسفل الباب،

¹ - فوزي سعد الله، قصبة الجزائر: الذاكرة، الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص 118-119؛ وينظر: محمد الطيب عقّاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009م، ص 41، 45-49، 57، 87.

² - نجاة عروة، من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر، د.ط، دار النشر دخلب، الجزائر، د.ت، ص 53؛ وينظر:

Henri Klein, Feuilles d'El-Djezair, Fontana, Alger, 1937, p. 134; et L. Golvin, Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane, INAS, Alger, 2003, p. 59.

³ - H. Klein, Op. cit., p. 134.

⁴ - وينظر: حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 72؛ وينظر: H. Klein, Op. cit., p. 149.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

للراجلين. ومما يُجدر الإشارة إليه أنّ القصر تعرّض إلى زلزالٍ أدّى إلى تحطّم جزءٍ منه، فلم يبقَ منه سوى طابقٍ واحدٍ فقط¹.

وما تجدر الإشارة إليه هو وجود أحياءٍ أو زنقاتٍ كانت تحمل أسماء بنات دايات الجزائر، مثل نّحج أو زنقة نفيسة بنت الداوي حسين باشا، وربما يعود ذلك إلى وجود مساكن لبنات السلطنة في تلك الأحياء، فاشتهرت المناطق بأسمائهنّ وبقيت تُعرف بهنّ عبر الزمن².

2- نساء العامة والمساكن:

إنّ بعض النساء العامّة رفضن الإقامة مع أسرة الزوج، وأجبرن أزواجهنّ على الإقامة معهنّ، سواء في مسكنهنّ الخاصّ، أو بشراء مسكنٍ خاصّ بهما، أو بالإقامة مع أسرة الزوجة كما سنرى لاحقاً.

2-1- إمتلاكها للمسكن خاص وإشتراط إقامة الزوج معها:

اشتطت بعض نساء المدينة على أزواجهنّ الإقامة معهنّ في مساكنهنّ، وكان ردّ الأزواج الموافقة على هذا الشرط، مثل جنّات بنت الحاج محمد بن سالم الأندلسي، التي كان لديها منزلٌ في حومة الجامع المعلق، وعائشة بنت مصطفى الأندلسي التي كان لديها منزلٌ في حومة الجامع الأعظم. أمّا بعض الإنكشاريّة، المتشبّتين بفكرة متابعة الزوجة لزوجها، فكانوا يرفضون الإقامة في مساكن زوجاتهم، ويُلزمونهنّ بمرافقتهم إلى أماكن إقامتهم، سواء في بيوتهم التي يمتلكونها أو تلك التي قاموا باستئجارها³.

2-2- مساعدة المرأة للرجل في الحصول على منزل :

شهدت مدينة الجزائر غلاءً في بعض الأحيان في أسعار البيوت، وقلةً في المساكن المعروضة للبيع، ممّا جعل بعض النساء تسعين إلى مساعدة أزواجهنّ ماليّاً في الحصول على مسكنٍ خاصّ بهما، بعد رفضهنّ الإقامة معهم في بيوت أهلهم. ومن الأمثلة على ذلك: نفّسة بنت يوسف التي ساعدت زوجها جعفر

¹ - L. Golvin, Palais et Demeures d'Alger à la Période Ottomane, INAS, Alger, 2003, p. 31; et Cotereau (M. J.), « La Maison Mauresque », in Les Chantiers Nord-Africains, Alger, juin 1930, pp. 579-580; et Venture de Paradis, Op. cit., p. 44.

² - نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 169.

³ - يحيى محمد طاهر الغزاوي، مرجع سابق، ص 96.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

بن أحمد في شراء مسكنٍ خاصٍّ بهما يقع في أعلى عين شاه حسين، وكذلك الزهراء بنت حمو التي اشتركت مع زوجها الفقيه عبد العزيز بن إبراهيم في شراء ثلاثة أرباع دارٍ تقع أسفل الجامع المعلق¹. قامت طيطومة بنت إبراهيم بمساعدة زوجها مصطفى يولداش بن عبيدي في شراء منزلٍ خاصٍّ بهما، يتمثل في العلويّ الواقع أسفل كوشة سيدي يوسف . كما اشتركت فطومة بنت قاسم مع زوجها عبد الرحمن الإصبايجي بن مخلوف في شراء مسكنٍ خاصٍّ بهما يقع في أعلى حوانيت عبد الله. وقامت نفّسة بنت بكير بمساعدة زوجها مصطفى خوجة بن والي في شراء مسكنٍ لهما في حومة دار الحمراء. وقد تعجز المرأة أحياناً مع زوجها عن توفير المبلغ اللازم لشراء المسكن، أو قد ترغب في تغيير المسكن لاقتناء منزلٍ يتّسع لأفراد أسرتها، فتلجأ إلى الاستعانة بأحد أقاربها، سواء بالاقتراض أو بالاشتراك في الملكية. ومن الأمثلة على ذلك، ما قامت به سلطنة بنت بلقاسم التي اشتركت مع زوجها رمضان يولداش بن حسن التركي وأختها فطومة في شراء بيتٍ يقع في حومة مدفع جربة، كما اشتركت قامير بنت علي مع زوجها جليل بلكباشي بن أحمد التركي وابنها في شراء مسكنٍ يقع في حارة كوشة البازي. وكذلك حنيّات بنت شعبان، التي اشتركت مع زوجها عبد الله يولداش بن محمد، وزوج ابنتها حسين أوضاباشي بن حسن، في شراء بيتٍ لهم يوجد عند سيدي محمد الشريف².

وكذلك فطومة بنت محمد الشريف، التي اشتركت مع زوج ابنتها خضر بلعباس بن يوسف التركي في شراء بيتٍ بحومة القادوس . كما اشتركت أسيا بنت الحاج محمد مع زوج ابنتها يوسف الحفّاف بن الحاج محمد في شراء نصف بيتٍ يقع في حوانيت زوّان قرب القصبة. وقد تعجز المرأة أحياناً عن إيجاد من يُقرضها أو يُعينها على شراء مسكنٍ، فتلجأ إلى عملية التقسيط . وهنا يظهر لنا مستوى الثقة الممنوحة للنساء في القضايا المالية، إذ يُمنحن ما يُردن شراءه عن طريق التقسيط بشرط تسديد المبلغ المتفق عليه. ومن الأمثلة على ذلك، عزيزة بنت خليل التي اشترت منزلاً

¹ - ع38م 5ق1 سنة 1071م وينظر ع102-103: 4: 82 سنة 1065هـ. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص596.

² - ع 1/26، م 1، ق 1، سنة 1095هـ؛ ع 7، م 1، ق 2، سنة 1152هـ؛ ع 32، م 1، ق 1-2، سنة 1074هـ؛ ع 119-120، م 1، ق 1، سنة 1185هـ؛ ع 1/28، م 2، ق 32، سنة 1102هـ؛ ع 1/26، م 1، ق 1، سنة 1095هـ؛ ع 6، م 3، ق 3، سنة 1105هـ؛ نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 596.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

يقع في أعلى بئر الجبّاح من ورشة سليمان الحرّار بن سعيد. ولغلاء ثمنه، اتفقت مع صاحب البيت على دفع المال بالتجزئة، فكان أوّل مبلغ قدّمته له هو عشرة دنانير ذهباً، على أن تُكْمَل تسديد المبلغ في عيد الأضحى¹.

2-3- توفير المسكن عن طريق الوقف :

وقّرت بعض نساء المدينة السكن لأزواجهنّ وأطفالهنّ عن طريق الوقف، مثل فاطمة بنت السيّد محمد بن الحاج عبد الله، التي قامت بوقف دارها الواقعة في حومة الكبابطية على نفسها وأولادها، وخصّصت رُبعها لزوجها، على أن يُحوّل نصيبه بعد موته إلى أولادها. ومثلاً آخر على ذلك، رقية بنت عواض التي أوقفت الجزء من بيتها الواقع قرب سيدي أبي قدور على نفسها وعلى زوجها حمزة الشريف بن حسن، كما قامت فاطمة بنت محمد بوقف دارها في حومة باب السوق على نفسها وزوجها الحاج والي القنداقجي بن أحمد².

2-4- قضية مسكن الزوجة و موقف الأصهارمنه:

إنّ عدم توقّر مسكنٍ خاصٍ للزوج، أو رفض الزوجة الإقامة معه عند أسرته، أو السفر معه إلى بلاده، كان نتيجةً لغلاء أسعار المساكن في المدينة، أو قلّة المساكن المخصّصة للبيع، وأحياناً لعدم توقّر المال اللازم لشراء مسكنٍ مستقلّ. وقد دفعت هذه الظروف بعض الزوجات إلى إجبار أزواجهنّ على الإقامة معهنّ في بيوت أهلهنّ، وأحياناً يُدرجن هذا الشرط صراحةً في عقد الزواج، كما سنرى لاحقاً. ومن الأمثلة على ذلك، ما حدث مع حسين الإنكشاريّ الحرّار بن محمد، الذي أقام مع زوجته راضية بنت محمد في بيت والدتها نفّسة، حيث سمحت له بالإقامة في بيتها، كما منحته منصب عملٍ كمزارعٍ في جنينتها. وهذا يدلّ على أنّ زوج ابنتها كان بحاجة إلى المساعدة، ممّا جعله يوافق على الإقامة مع زوجته عند والدتها، والقبول بالعمل كمزارعٍ لديها³.

¹ - ع 2/14، م 5، ق 4، سنة 1167هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 596.

² - ع 6، م 2، ق 32، سنة 1200هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 609.

³ - ع 1/14، م 1، ق 11، سنة 1181هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 216.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وهناك من الأصهار، سواء من الأم أو الأب أو أحد الإخوة، مَن حرصوا على سعادة وراحة واستقرار ابنتهم مع زوجها، وحفاظاً على كرامة الزوج، فقد منحوا لها مسكناً منعزلاً عنهم. ومن الأمثلة على ذلك ما فعلت فاطمة بنت الحاج محمد، التي منحت ابنتها آمنة عقد ملكية غرفة تقع في دارٍ تملكها ب حومة كوشة بولعية، للإقامة فيها مع زوجها بريم الإنكشاري، وينتهي عقد ملكية الغرفة بانتهاء العلاقة الزوجية بينهما بطلاق. وكذلك ما قامت به رقية بنت المعلم أعراب، التي أوقفت بيتاً تملكه في حومة كوشة علي العسال على ابنتها فاطمة وزوجها العربي بن الحاج سليمان. كما منح مصطفى آغا ابنته نصف بيته لتقيم فيه رفقة زوجها خليل، وبعد وفاته جدّد عقد البيت لها ولزوجها. وكذلك فعل محمد الأوطراق بن صفر، الذي منح ابنته مريم بعد زواجها من الحاج عثمان بن علي التركي جميع العلويّ الواقع في حومة الجبيلية للإقامة فيه مع زوجها¹.

وهناك من الآباء من منحوا المسكن لبناتهم، سواء عن طريق الهبة أو الوقف. فمن ذلك ما فعله مصطفى بلكباشي بن عبد الله، الذي منح ابنته خديجة هبة تمثّلت في ثلث دارٍ تقع في أعلى جامع المعلق، لتقيم فيها مع زوجها الحاج محمد يولداش بن مصطفى²، كما قام قاسم بن بايزيد بتخصيص جزءٍ من بيته الواقع في أعلى جامع علي بجنين لابنته عيشوشة، لتسكن فيه مع زوجها علي أوداباشي. وحصلت راضية بنت محمد بلكباشي بن الحاج رمضان من أبيها على حبسٍ تمثّل في دارٍ تقع قرب بئر الجبّاح، لتسكن فيها رفقة زوجها خليل الإنكشاري بن حسن وأبنائها³. ولم يقتصر تعاطف الوالدين مع بناتهم المتزوجات على قضية المسكن فحسب، بل وُجد أيضاً إخوة ساندوا أخواتهم في هذا الشأن، مثلما فعل محمد آغا بن محمد، الذي قام بوقف منزلٍ يقع قرب سوق الشباريلية على أخته آمنة وزوجها وولدهما حسين⁴.

¹ - ع 7، م 4، ق 6، سنة 1140هـ؛ ع 2/24، م 3، ق 8، سنة 1073هـ؛ ع 13، م 5، ق 29، سنة 1178هـ؛ ع 2/41، م 4، ق 2، سنة 1045هـ، نقلاً عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص ص 595-607-609.

² - ع 9، م 1، ق 8، سنة 1199هـ، نقلاً عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص 609.

³ - ع 32، م 2، ق 12، سنة 1163هـ؛ ع 13، م 5، ق 29، سنة 1178هـ، نقلاً عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص 607.

⁴ - ع 136-137، م 7، ق 20، سنة 1071هـ، نقلاً عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص 607.

2-5- مساعدة الزوج في ترميم وبناء المنزل:

قد يتعرّض مسكن الزوجة إلى تحطّم بعض أجزائه، فيسارع الزوج إلى مساعدتها على ترميمه، مثلما حدث مع فاطمة بنت مصطفى، التي عندما تحطّم جزءٌ من بيتها بسبب انفجار بارود القصبنة سنة 1043هـ/1633م، ساعدها زوجها في ترميمه بمنحها 600 ريال كبيرة مناصفةً بينهما، ووعدته كمكافأةٍ على وقوفه إلى جانبها في إعادة بناء بيتها بأن تمنحه نصف البيت. وكذلك الأمر بالنسبة إلى فطومة بنت الحاج محمد الشريف، التي طلبت من زوج ابنتها الخضر بلكباشي بن يوسف التركي أن يساعدها على إعادة بناء دارها الواقعة في حومة القادوس أعلى ضريح سيدي الجريّ بعد أن تحطّمت، وتعهّدت له بمنحه نصفها. كما قامت قامير، التي ساعدها زوجها يوسف بلكباشي في إعادة بناء بيتها الواقع في حومة جامع البلاط، بتكلفةٍ بلغت 300 رداً¹.

2-6- اللجوء إلى الكراء المسكن :

قد يعجز الزوج أحياناً عن الحصول على مسكنٍ خاصٍ به نتيجة الظروف الصعبة التي يعيشها، وغلاء أسعار المساكن في المدينة، فيلجأ إلى كراء مسكنٍ. ومثال ذلك ما فعله عليّ، زوج فاطمة بنت عليّ الخياط، الذي استأجر منزلاً يقع في حومة حوانيت رجة من عند فاطمة وأختها مريم بنت عليّ الخياط، بمبلغ سبعة دنانير في كل عام².

2-7- امتلاكها للمسكن عن طريق هبة من زوجها:

رأينا أنّ بعض الأزواج وافقوا على الإقامة مع زوجاتهم، وظلّت الزوجة محافظةً على ملكيّة البيت عندها، في حين أنّ هناك بعض الأزواج الذين قاموا بتملك زوجاتهم مساكنهم الخاصّة. ويُعزى ذلك إلى أنّ الرجل كثيراً ما كان يتعرّض للمخاطر الخارجيّة التي قد تُؤدّي إلى موته أو إلى مصيرٍ مجهول، خاصّةً وأنّ مدينة الجزائر خلال تلك الفترة كانت تتعرّض إلى حملاتٍ أوروبية متكرّرة، وكانت

¹ - م.ش. ع 2/41، م 4، ق 2، سنة 1045هـ/1635م؛ ع 123، م 3، ق 53، سنة 1105هـ/1693م؛ ع 38، م 3، ق 59، سنة 1041هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 607.

² - ع 35، م 3، ق 46، سنة 1170هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 607.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ظاهرة القرصنة والأسر منتشرة. ولذلك، فبعض الأزواج، خوفاً على أسرهم وحفاظاً عليها من التشتت والتشرد، قاموا بمنح أم أطفالهم ملكية البيت الذي يعيشون فيه. ومن الأمثلة على ذلك: محمد القواف بن محمد الذي منح زوجته الولية الحرّة حسنى بنت السيّد حمودة البستاني ملكية نصف بيتٍ يقع قرب العين الجديدة¹، كما قام مامي آغا بمنح ملكية ثلثي دارٍ يملكها في حومة الجامع الأعظم إلى زوجته فاطمة بنت محمد²، وقام الحاج حسين آغا بن عبد الله بمنح نصف داره الواقعة أسفل عين شاه حسين إلى زوجته عويشة بنت يوسف البراح. وكذلك علي آغا بن أحمد التركي الذي قام بتملك نصف داره الواقعة قرب دار شعبان قالفة لزوجته حليلة³.

وسنحاول إعطاء وصفٍ بسيطٍ لغرفة المرأة في مدينة الجزائر، التي اختلفت ملامحها باختلاف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فنجد:

ب- دور المرأة في تجهيز الغرف ومميّزاتها:

اختلفت مكوّنات غرف النساء في المدينة باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها المرأة. فغرفة المرأة الفقيرة كانت تحتوي على بعض المستلزمات البسيطة، مثل: المضربية أو المطرح، والمخدّة، والمسند، والزربية، وصندوقٍ وبعض المفروشات، وهذا ما لاحظناه من خلال تركة عجوزٍ فقيرةٍ في مدينة الجزائر. أمّا غرفة المرأة الغنيّة فقد احتوت على سريرٍ يُطلق عليه اسم النموسية، وسجادٍ وبساطٍ وحنابلٍ وزرابيٍ بعضها مصنوعٌ في تركيا، ومطارجٍ ومخدّاتٍ وإزاراتٍ خاصّةٍ بالأبواب، بالإضافة إلى مكوّناتٍ أخرى سنذكرها لاحقاً عند الحديث عن جهاز العروس⁴.

¹ - ع 102-103، م 3، ق 39، سنة 1129هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 595.

² - ع 124، م 3، ق 69، سنة 1135هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 184.

³ - ع 112-113، م 4، ق 91، سنة 1027هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 184.

⁴ - بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: بيت المال، دفتر رقم 4 و35؛ ليلي خيراني، مرجع سابق، ص 99؛ وينظر: شريف زقّار، مصدر سابق، ص 39؛ وينظر: سيمون بفايفر، مصدر سابق، ص 143؛ وينظر: خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص 598؛ وينظر: ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص 151.

المبحث الثاني: يوميات المرأة الجزائرية بين العمل والأنافة والطبخ و الترفيه

اختلفت يوميات المرأة الجزائرية باختلاف الانتماء الاجتماعي والطبقي لها، فتراوحت بين امرأة عاملة تسعى إلى كسب قوتها والإنفاق على أسرتها، وامرأة تنتمي إلى طبقة ثرية اکتفت بالاهتمام بأنافتها وجمالها وبالترفيه عن نفسها. وقد اشتركت جميع نساء المدينة في ممارسة الطبخ، حيث تفنن في طهي الأطعمة، وسعت كل امرأة إلى الاهتمام بمطبخها وإتقان ما تجيده من أطباق تعلمتها أو ورثتها عن أجدادها.

أولاً: المرأة العاملة بمدينة الجزائر:

لاحظنا سابقاً في حديثنا عن مكانة المرأة أنّ أغلب الأسر الجزائرية كانت محافظةً، وتمنع خروج المرأة من البيت إلا للضرورة، مثل العلاج أو زيارة القبور أو الحمام أو الترفيه، ويُشترط في خروجها أن يكون بمحرم. والإشكال المطروح أمام هذا التشدد هو: هل كانت هناك نساءً عاملات؟

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

يُجيب هايدو (Haëdo) بأنّ عدد النساء اللواتي خرجن للعمل كان قليلاً، إذ يقول: «النساء لا تعمل إلا نادراً خارج المنزل»¹، لأن الرجال تكفلوا بالعمل على النساء، ولكن بعد العودة إلى وثيقة خاصة بتركة امرأة توفيت بمدينة الجزائر، وهي خديجة بنت الحاج علي قاسم الكرموح التي جاء في وثيقة تركتها: «ثياب مهنتها»². أنّ الرجال تكفلوا بالعمل والإنفاق على النساء. غير أنّه بعد العودة إلى وثيقة خاصة بتركة امرأة توفيت بمدينة الجزائر، وهي خديجة بنت الحاج علي قاسم الكرموح، ورد فيها ذكر عبارة: «ثياب مهنتها»، وهو ما يدلّ على أنّ بعض الأسر كانت تُخفي طبيعة عمل المرأة، وتكتفي بذكر لفظ المهنة بشكلٍ مبهم. ومع ذلك، عُثر على نساءٍ عاملاتٍ، تراوح عملهنّ بين المجال الحرفي والديني والثقافي، فنجد مثلاً:

1. القارية :

لُقِّبت بعض النساء بلقبٍ يُطلق على المرأة المتفوّقة علمياً، ممّا أهلها لأن تصبح معلّمة تُدرّس مختلف العلوم. ومن هؤلاء نذكر: القارئة عائشة بنت حسن بن غليونجي، والقارئة حفيدة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف.³

2. القابلة⁴ والممرضة :

من المهّن التي مارستها بعض نساء المدينة مهنة الطبّ، وخصوصاً عملية التوليد، التي كانت تُمارس غالباً عن طريق الوراثة؛ إذ كانت الأمّ القابلة تورث ابنتها أو حماتها (زوجة ابنها) هذه المهنة لتخلفها بعد كبرها أو وفاتها. ولم تُعارض العائلات الجزائرية خروج النساء لممارسة هذه المهنة، وذلك لحفظ حرمة وكرامة المرأة، فهذه المهنة كانت تقتضي أن تمارسها امرأة، لأنّها تكشف على النساء أثناء عملية التوليد. وقبل عملية الولادة، كانت القابلة تشرف على متابعة المرأة الحامل وإسعافها منذ بداية حملها إلى غاية

¹ - منور مروش، مرجع سابق، ج 2، ص 205؛ ع 11، م 1، ق 6، سنة 1144هـ.

² - نفسه.

³ - نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 174.

⁴ - القابلة: هي المرأة التي ترافق الحامل وتساعد على إخراج المولود من رحمها بتهيئة الأسباب المساعدة على ذلك، وسمّيت قابلة لأنّها - كما ورد عند ابن خلدون - "أنّ النفساء تعطيها الجنين وكأنّها تقبله." ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، 1427-1428هـ / 2007م، ص 417.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ولادتها وشفائها. وقد تكفلت القابلات العربيات بتوليد النساء التركيات والبرانيات، أما القابلات اليهوديات فكُنَّ يشرفن على توليد اليهوديات والمسيحيات من نساء المدينة. ولم يقتصر عملهنَّ على التوليد فقط، بل كان القاضي يستعين بهنَّ في الكشف عن النساء اللواتي يتعرَّضن للعنف الجسدي، حيث يتقدَّمن بشكاواهنَّ إلى القاضي الذي يستعين بالقابلة لإثبات صحة الادعاء عن طريق الكشف عنهنَّ والاطلاع على الآثار الجسدية، كما كانت القابلات يُستعنَّ بهنَّ في الكشف عن النساء المتَّهَمات في شرفهنَّ والتأكّد من عقّتهنَّ¹.

كما مارست القابلات هذه المهنة بدافع إنسانيّ يتمثّل في مساعدة النساء أثناء فترة المخاض، وليس بغرض جمع المال. ولهذا نجد أنّ أغلب القابلات لم يُخلفن ثروةً كبيرة؛ فنجد مثلاً عويشة التي خلّفت مبلغاً قدره 11ريالاً، وعزيزة التي خلّفت حوالي 322ريالاً، وهي مبالغ بسيطة. غير أنّ بعض القابلات كانت لهنَّ أجورٌ مرتفعة مقارنةً بغيرهنَّ، مثل الحاجة نجمة التي خلّفت ثروةً قدّرت بـ 4955ريالاً².

ومن قابلات مدينة الجزائر نذكر: عويشة، وعائشة بنت دحمان، وفاطمة بنت الحاج حميدة السراج، وقابلة دار السيّد حسين باشا، وعائشة بنت دحمان القابلة، وزهيرة بنت الرايس محمد الحّيّاط الصغير، وعزيزة زوجة الحاج عليّ، وغيرهنَّ³.

3- الطباخة :

تُعَدّ الطباخة من أهمّ الأعمال التي كانت تمارسها نساء الجزائر بصفةٍ عامّة، وكذلك نساء مدينة الجزائر على وجه الخصوص. ولعلّ نساء بايليك الشرق كُنَّ أكثرهنَّ اشتهاً بإتقان فنّ الطبخ، حتى

¹ - نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 302.

² - بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: بيت المال، ع 3، س 8، و148؛ وبيت المال، ع 3، س 8، و52؛ وينظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254؛ وينظر: نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 182؛ وينظر: بيت المال، ع 3، س 8، و52.

³ - ع 53، م 6، ق 48، سنة 1241هـ؛ وينظر: م.ش.ع، ع 53، م 6، ق 14، سنة 1234هـ؛ وينظر: ع 59، م 1، ق 13، سنة 1241هـ؛ وينظر: بيت المال، سجل رقم 2، ص 53 و199؛ وينظر: نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 182-302.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ذاعت شهرتهنّ ووصلت إلى مدينة الجزائر، ممّا جعل داي الجزائر يُرسل رسالةً إلى باي بايليك الشرق أحمد باي، يطلب منه تزويده بطبّاخةٍ ماهرة¹.

4- معلمة حمام :

تتمثّل وظيفة بعض النساء في الإشراف على تسيير الحمامات خلال فترة استحمام النساء، حيث يتمّ تعيينهنّ من قبل أرباب الحمامات حفاظاً على حرمة النساء وصوناً لخصوصيتهنّ. ومن بين هؤلاء نذكر : مبروكة، معلّمة حمّام سركاجي، وهي معتّقة فاطمة بنت باي².

5- الطيّانة أو الطيّابة::

يُطلق عليها في بعض المصادر اسم أمة معلّمة الحمّام أو عاملة الحمّام، وهي مهنةٌ تمارسها المرأة داخل الحمّام مقابل مبلغٍ ماليّ تتقاضاه. وفي الغالب، وحسب لوجي دوتاسي (L. Dautassi)، كنّ من فئة الإماء أو المعتّقات، وخاصة الزنجيات، اللواتي حرص المزابيون، وهم مسيّرو حمّامات المدينة، على استخدامهنّ في حمّاماتهم. وحسب الباحثة عائشة غطّاس رحمها الله، فإنّ معلّمات الحمّام فضّلن استخدام هؤلاء النسوة لما يتمتّعن به من قوّة جسديّة وسرعة حركةٍ ونشاطٍ يؤهّلهنّ للقيام بهذا العمل. كما أنّ بعض نساء المدينة الفقيرات لجأن إلى ممارسة هذه المهنة طلباً للرزق. ومن المهام التي كانت تقوم بها الطيّانة: فمنهنّ من كانت تُكلّف بالكّيّاسة أو التدليك للنساء المستحمّات، أو بمساعدة النساء العاجزات عن الاغتسال، فتتولّى غسلهنّ من الرأس إلى القدمين ثمّ تعطيرهنّ بماء الورد أو ماء زهر البرتقال أو المسك. ومنهنّ من كانت تُكلّف بتنظيف الحمّام، أو تُعيّن مساعدةً لمعلّمة الحمّام لتتولّى مراقبة تحركات النساء داخله تفادياً لوقوع المشاكل أو الشجارات. كما كانت بعضهنّ تهتمّ بالنساء اللواتي أنھين استحمامهنّ، فتقدّم لهنّ المشروبات مثل الشاي أو القهوة أو الشربات حسب طلبهنّ. ومن

¹ - المجموعة 1642 الوثيقة رقم 29.

² - نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 144؛ وينظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص ص 254-255. ع 59، م 1، ق 25، سنة 1246هـ؛ وينظر: بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 255؛ وينظر: نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 182؛ وينظر: جون بول وولف، مرجع سابق، ص 152؛

et Jao Mascarenhas, Op. cit., p. 77; et Digo de Haedo, Topographie, Op. cit., p. 203

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

نساء المدينة اللواتي مارسن هذه المهنة نذكر : سعادة الطيّابة و فطيمة الطيّابة، معتّقة حسن رايس جولاق¹.

6- المرأة الخادمة :

تُعَدّ هذه من المهّن التي مارسها بعض النساء البرّانيات، وخاصة المرأة القبائلية، في بيوت الأسر الأندلسية أو في منازل الأعلّاج، وذلك بغرض الحصول على المال ومساعدة أزواجهنّ ذوي الراتب الضعيف. كما مارسها أيضًا بعض الأسيرات اللواتي أُجبرن على العمل فيها، لأنّ شراء الأسر لهنّ كان يهدف إلى مساعدة سيدهنّ والقيام بالواجبات المنزلية المختلفة².

7- الناظرة³:

تُعتبر هذه من المهّن الخاصّة بالرجال، لأنّها تتطلّب جهدًا رجاليًا في أداء بعض المهامّ، مثل : كسوة الأضرحة وطلائها وترميمها. غير أنّه قد ظهرت بعض النساء، بنسبةٍ قليلة، مارسن هذه المهنة، مثل : آسيا، وكيلة لآلة زروق، وخيرة، وغيرهنّ⁴.

8- الوكيلة :

تتمثّل مهنة الوكيلة في الإشراف على الأضرحة، إذ كانت بعض النساء يتّجهنّ إلى الأضرحة لأداء المهامّ الموكّلة إليهنّ، والمتمثّلة في استقبال والترحيب بالنساء الزائرات، اللواتي يقصدنّ زيارة الوليّ أو الضريح، فيتكفلنّ بتقديم الإرشادات لهنّ حتى يُؤدّين الزيارة على الوجه الصحيح.

¹ - نجوى طوبال، مرجع سابق، ص 255؛ وينظر: ع 3، س 8، و 105؛ 108. Lauger de Tassy, Op. cit., p. 108

² - صالح عباد، مرجع سابق، ص 319؛ وينظر: خليفة حمّاش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص

135؛ وينظر: جون بول وولف، مرجع سابق، ص 228؛ Haedo, Topographie, Op. cit., p. 1; et Philip Gross,

Op. cit., p. 58

³ - الناصر: من الأعمال الخاصّة بالرجال، لأنّها تحتاج إلى جهدٍ عضلي، ويتمثّل عمل الناظر في الإشراف على بناء المساجد وترميمها، وتسديد رواتب الموظفين، فهو بمثابة المسير المالي للمسجد وغيره. ينظر: الونشريسي، المعيار المعرّب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية - الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج 7، ص ص 44-171؛ وينظر: الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ/1915م، ج 5، ص 465..

⁴ - ع 5، س 12، و 29؛ وينظر: ليلي خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830م): دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق، ص 141.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

كما تتولّى الوكيلات جمع التبرّعات التي تُقدّمها الزائرات للضريح. ويمكن القول إنّ أصحاب الزوايا هم الذين كلّفوا النساء بهذه المهام، لتجنّب الاختلاط بين الرجال والنساء أثناء الزيارة. ومن هؤلاء نذكر: عائشة، وكييلة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، ورحمة، وكييلة مزار رجال الحفرة¹.

9- المرأة والسقاية:

افتقرت بعض بيوت المدينة إلى المياه، ولهذا سخّرت السلطة مسؤولاً يُدعى قائد العيون أو خوجة العيون لتزويد السكان بالماء، وربما خُصّص له وقتٌ معيّن للمرور على البيوت وتزويدها به. غير أنّ انتهاء الماء قبل عودة الساقى مرّةً أخرى كان يُجبر بعض الأسر على التوجّه إلى مصادر المياه جلبها بأنفسهم، وهو ما كان يُسبّب تدمراً وإرهاقاً شديداً، خصوصاً للنساء، إذ يتطلّب ذلك جهداً عضلياً كبيراً عادةً ما يقوم به الرجال. ومع ذلك، ظهرت بعض النساء اللواتي استغلن هذا الوضع فتولين تزويد بعض البيوت بالماء مقابل أجرٍ ماليٍّ يتقاضينه. وحسب نور الدين عبد القادر، فإنّ أغلبهنّ كنّ من المستنات اللواتي سخّرن أنفسهنّ لجلب الماء لمن يحتاج إليه مقابل مبلغٍ ماليٍّ. كما يذكر دوفلكس (Duvleux) أنّ هناك من الأشخاص من كانوا يدفعون مبالغ مالية لمن يتولّى تزويد منازل المدينة بالمياه، أي أنّهم تصدّقوا بمالهم لخدمة بعض الأسر وتحمل تكاليف السقاية عنها. ولهذا السبب، استغلت بعض النساء، حتى كبيرات السنّ منهنّ، هذه الفرصة لممارسة مهنة السقاية من أجل الحصول على المال، ويُعتقد أنّهنّ كنّ في الغالب من الأسر الفقيرة².

10- المرأة الاسكافية :

¹ - ينظر: بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: بيت المال، دفتر رقم 5 و71؛ وينظر: سجل رقم 356؛ وينظر: ياسين بودريعة، زاوية الشرفة (1709م-1848م): نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1434هـ/2013م، العدد 15-16، ص ص 178-193؛ وينظر: ليلي خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830م): دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق، ص 145؛ A. Devoulx, Les édifices religieux de l'Ancien Alger, in Revue Africaine, N° 14, 1870, p. 27.

² - وينظر: بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: ليلي خيراني، مرجع سابق، ص 147؛ وينظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 136؛ وينظر: بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش، مرجع سابق، ص 233.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تُعتبر مهنة الإسكافيّ من المهّن الرجاليّة، إذ تتطلّب جهدًا بدنيًا ومهارةً في العمل بالجلد وصناعة الأحذية، إلاّ أنّه عُثر على نساءٍ مارسن هذه المهنة. ومن هؤلاء نذكر: مريومة الإسكافيّة¹.

11- المغنيّة:

مارست بعض نساء المدينة مهنة الغناء من أجل الحصول على المال، غير أنّ هذه المهنة لم تُدرّ عليهنّ أرباحًا كبيرة كما كنّ يتوقّعن، رغم مشاركتهنّ في بعض الاحتفالات الرسميّة. ومع ذلك، عُثر على ثلاث نساء تمكّن من تكوين ثروة فاقت ألف ريال، منهنّ مدّاحة بلغت ثروتها 1084 ريالاً، وأخرى 1295 ريالاً، في حين نجد مغنيتين لم تحصلا من مهنتهما سوى 763 ريالاً و 40 ريالاً فقط².

12- المفرحة :

تُعتبر هذه من المهّن التي يُعتقَد أنّها اقتصرَت على النساء دون الرجال، لأنّها كانت تُعدّ في نظر المجتمع مهنةً بسيطةً أو سخيّفةً. ومع ذلك، مارسنها بعض نساء المدينة، وتمثّل نشاطهنّ في إضفاء البهجة والسرور خلال حفلات الأعراس. ولهذا كانت أغلب الأسر الجزائرية تستدعي المفرحات للحضور إلى أعراسهم والمساهمة في إحياء الاحتفالات وبثّ الفرح والمرح فيها³.

13- غسالة النساء الموتى :

كلّف بيت المال بعض نساء المدينة بمهمة تغسيل النساء بعد وفاتهنّ، وذلك حفاظًا على حرمتهنّ وصورًا لخصوصيتهنّ. وكانت تُمنح لهنّ أجرّة أسبوعيّة قدرها بوجوان اثنان (2 بوجو) مقابل هذا العمل⁴.

14- المرأة والنشاط البحري :

بعد العودة إلى الدراسة التي قامت بها الباحثة ليلي خيرياني، وجدنا ذكرًا لنساءٍ يُلقَّبْنَ بـ المبحرات، وهذا يؤكّد وجود نساءٍ مارسن نشاطًا بحريًا في مدينة الجزائر. غير أنّ السؤال المطروح هو: هل مارسن هذا

¹ - سجلات بيت المال، سجل رقم 5؛ ليلي خيرياني، مرجع سابق، ص ص 112-120.

² - عائشة غطّاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254؛ وينظر: ليلي خيرياني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830م): دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق، ص 143.

³ - نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-1830م)، مرجع سابق، ص 182.

⁴ - نجوى طوبال، مرجع سابق، ص 182؛ وينظر: ليلي خيرياني، مرجع سابق، ص 141.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

النشاط بأنفسهنّ، أم كلفن أشخاصاً يتولّون خدمتهنّ بدلاً عنهنّ؟ ويُرجّح الاحتمال الثاني، إذ لو كانت النساء يُحرن بأنفسهنّ لما أغفلت الكتابات التاريخية ذكرهنّ بالتفصيل. ومن المبحرات نذكر: الدلسيّة، وقد تمكّنت هؤلاء النساء من جمع ثروة تراوحت قيمتها بين 3970 ريالاً تقريباً. ولهذا كنّ ينفقن مبالغ كبيرة على أناقتهنّ، ف نجد مثلاً مبحرة أنفقت ما قيمته 2100 ريال، والدلسيّة أنفقت ما قيمته 1139 ريالاً، وبنت بوريدة المبحرة أنفقت ما قيمته 699 ريالاً¹.

15- تأجير المجوهرات:

أدى غلاء سعر المجوهرات وحاجة النساء إليها، خاصّة في المناسبات، إلى صعوبة اقتنائها بسبب الوضعية الماديّة المتواضعة لكثير منهنّ. ولهذا سخّرت بعض ثريّات المدينة ذهبهنّ لخدمة النساء الفقيرات، وذلك بوضعه عند عجوز معروفة بالثقة والاحترام بين سكّان المدينة، فيسلمنّها ذهبهنّ على أن تتولّى إعارته لمن ترغب في حضور مناسبة اجتماعيّة وتكون بحاجة إليه للزينة. فتتزيّن به المرأة المستعيرة، وتحرص على الحفاظ عليه من الضياع أو السرقة، وأحياناً تلجأ المستعيرة إلى صاحبة الخلي نفسها لتستعيره منها مباشرة².

16- الدرويشة :

امرأة اتخذت من الأضرحة مصدر رزق لها عن طريق التسول، بحيث تستغل توافد الزائرين، فتسارع إليهم طالبة منهم صدقة. ومن هؤلاء نذكر مسعودة الدرويشة وغيرها³.

ثانياً- أزياء و حلي نساء المدينة:

حرصت المرأة الجزائرية على نظافتها وجمالها وأناقته داخل بيتها وخارجه بمختلف الطرق واستعمال شتى الوسائل. وللحفاظ على نضارة وجهها وجسمها، استعملت صابون الطفل الذي كانت الجزائر تستورده من المغرب، إلى جانب بعض العطور والمساحيق والروائح المختلفة، وخاصة البخور المغربي الذي كانت تقنتيه بكثرة. كما كانت مولعة باستعمال الكحل، إذ يقول توماس شاو " تؤمن النساء بأن اللون

¹ - بيت المال، سجل رقم 5 و115، نقلاً عن ليلى خيراني، مرجع سابق، ص ص 40-114.

² - حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 64؛ وينظر: مالتسان فون هابنريس، مصدر سابق، ص 63.

³ - بيت المال، سجل رقم 2؛ وينظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص 189.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الداكن الذي تحققه هذه العملية يعطي للعينين زيادة على حلاوتهما الطبيعية".
واهتمت كذلك بحاجبيها، فكانت تقوم بتنميصهما حتى يأخذا الشكل الهلالي، ثم تصبغهما بالأسود¹.
والمرأة الحريصة على تزيين جفونها وحاجبيها وجمال شعرها وصحته فتغديه ليبقى محافظا على نظارته بزيت العطرشة، وكانت تفضل على إبقائه ذو لون أسود، فتقوم بصبغه بالأسود إذا تغير لونه يقول وليام شالر: " المرأة الجزائرية لاقتنع بالجمال الذي وهبتها الطبيعة لشعرها وحواجبها فهي تعمل على صبغهما بالأسود"².

كما إهتمت المرأة باللباس والذي تنوع بتنوع الغرض الذي تستعمله فلباسها خارج البيت يختلف عن داخله وهو ماسنراه .

أ- لباسها خارج البيت :

التزمت المرأة في مدينة الجزائر عند خروجها من البيت باللباس الشرعي وامثالها لأوامر الله تعالى الحاتة على ضرورة التزام المرأة المسلمة على ارتداء الحجاب وبسبب غيرة الرجل الذي ألزمها على إرتدائه .
ويبدو أن أغلب النساء الجزائريات من جماعة الحضر أو البرانية؛ من كرجليات وتركيات وأندلسيات التزموا بإرتداء اللباس الشرعي الخاص بالمرأة المسلمة، والمتمثل في الحايك، وهو لباس دخيل عن المجتمع الجزائري، يعود وجوده بالمدينة إلى الأندلسيين الذين إستقروا بالمدينة وجلبوا معهم لباس الحايك فأعجبت به الجزائريات فإتخذناه لباسا ساترا يخرجن به إلى الشارع³.

¹ ينظر: عادل النفاقي، المجتمع والجغرافيا الثقافية لبلاد المغرب: حفريات من أدب الرحلة - القرن السادس عشر - في الهوية والتدين والثقافة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015م، ص ص 106-107؛ وينظر: نيلز نيلسون موسى، أسير نرويجي في مدينة الجزائر (1769-1772م)، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2019م، ص 102؛ وينظر: المتحف الوطني للآثار القديمة من إيكوسوم إلى الجزائر، الجزائر، 2007م، ص 86؛ وينظر: Digo de Haedo, Topographie, Op. cit., p. 54; et Thomas Shaw, Op. cit., p. 118.

² - عبد الحميد عمران، قراءة في بعض عادات قبائل الشرق الجزائري: قراءة في بعض العادات والذهنيات حسب الدكتور توماس شو (Thomas Shaw) من خلال كتابه "رحلة في أبالة الجزائر"، مجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017م، العدد 5، ص 69؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص ص 107-108؛ وينظر: وليام شالر، مصدر سابق، ص 85؛ وينظر: مارمول، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج 3، ص 147؛ وينظر: Et Morgane, Histoire Des Etats Barbaresques Qui Exercent La Piraterie Centenant L'origine, Les Révolutions, Et l'Etat Présent Des Royaumes d'Alger, De Tunis, De Tripoli Et De Maroc Avec Leurs Forces, Leurs Revenus, Leurs Politique Et Leurs Commerce, Chez Chaubert Hérissant, Paris.T1 , p. 113.

³ - ينظر: فوزي سعد الله، قصبة الجزائر: الذاكرة، الحاضر، والخاطر، مرجع سابق؛ وينظر: جون بول وولف، مرجع سابق، ص 169؛ وينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب محمد العربي الزيزيري، الجزائر، 1975م، ص 61.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

التزمت المرأة في مدينة الجزائر عند خروجها من البيت باللباس الشرعي، امتثالاً لأوامر الله تعالى الحاتّة على ضرورة التزام المرأة المسلمة بارتداء الحجاب، وبسبب غيرة الرجل التي ألزمتها على فرض ارتدائه عليه.

ويبدو أن أغلب النساء الجزائريات من جماعة الحضر أو البرّانيات، من كرجليات وتركيات وأندلسيات، التزمن بارتداء اللباس الشرعي الخاص بالمرأة المسلمة، والمتمثّل في الحايك، وهو لباس دخيل على المجتمع الجزائري. ويُرحّح أن وجوده بالمدينة يعود إلى الأندلسيين الذين استقروا بها وجلبوا معهم لباس الحايك، فأعجبت به الجزائريات واتخذنه لباساً سائرًا يخرجن به إلى الشارع¹.

وكان طول الحايك حوالي أربعة أمتار (4م)، وعرضه متر وثمانون سنتيمترًا (1.80م). وهناك نوع من الحايك بلون أبيض مصنوع من الحرير، مزين بخيوط ذهبية أو فضية، يغطي كامل جسم المرأة، ومفتوح قليلاً عند العينين حتى يمكنها من النظر من خلاله، ويُعرف باسم العوينة²، ومن النساء من ارتدين الحايك مع عِجارٍ مطرّز، ومنهن من ارتدين النقاب مع الحايك وسروال يصل إلى الحذاء³، وبدلاً من العِجار أو النقاب، استعملت بعض النساء الشنبار الأحمر لستر الوجه، يُوضع على الرأس ويسدل إلى غاية الصدر مع بقاء العينين مكشوفتين. وفضلت أخريات ارتداء الحايك المغربي المصنوع من الصوف⁴، ولقد شهدت المدينة أنواعاً متعددة من الحايك تختلف باختلاف الانتماء الطبقي أو العرقي أو الجماعات السكانية التي تنتمي إليها المرأة⁵.

أما عن طريقة ارتدائه، فنجد ثلاثة أنواع رئيسية: النوع الأول يتمثّل في ارتداء الحايك مع سترة تغطّي بها المرأة وجهها، وهي عبارة عن برقعين خفيفين؛ الجزء الأول منه يغطي الجبهة، والثاني يغطي أسفل

¹ - Ibid.; et Léon Roches, Trente-deux ans à travers l'islam, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Imprimeurs de l'Institut, Paris, 1884, t. 1, p. 90.

² - تاني سلاف درسي، اللباس التقليدي: الحايك أنموذجاً، مجلة الأنتروبولوجيا، منشورات مركز فاعلون، العدد 8، ص ص 201-202.

³ - João Mascarenhas, Op. cit., pp. 75-76; et D. Pérégau, Description de l'Afrique, Op. cit., p. 175; et Nicolas de Nicolay, Op. cit., p. 15; et Chevalier d'Arvieux, Op. cit., p. 285 ;

وينظر: نيلزنبلسون موسى، مصدر سابق، ص 102؛ وينظر: بيت المال والبايليك، سجل رقم 19.

⁴ - Carette, Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les États barbaresques, Paris, 1844, p. 23; et M. Prasc, Commerce de l'Algérie avec La Mecque et le Soudan, Paris, 1849, p. 4; et E. de La Primaudaie, Op. cit., p. 99.

⁵ - شريفة طيّان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1990م-1991م، ص ص 169-170؛ وشريفة طيّان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 167.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

العينين ويثبت عند الأنف، ثم يُسدل إلى الأسفل حتى الرقبة. النوع الثاني يتمثل في ارتداء الحايك مع لفّ الجبهة بعصابة تصل إلى غاية الحاجبين، ثم يُسدل غطاء آخر يغطي كامل الوجه ما عدا العينين. أمّا النوع الثالث، فيتمثل في الحايك المصنوع من القماش الرقيق، ترتديه المرأة مع حزام تلفه لفتين أو ثلاثاً على رأسها، فيأخذ بذلك شكل العمامة¹.

هذه بعض أنواع الحايك حسب طريقة الارتداء والان سنحاول ذكر كل امرأة من نساء الجماعات المشكلة لمدينة الجزائر مع نوع الحايك الذي ترتديه، فنجد:

1- حايك التركيات والكرغليات:

كان مصنوعاً من قماش الموسلين الأبيض، وكانت النساء يغطين وجوههنّ بقطعة قماش شفافة بيضاء اللون من أجل التنسيق بين غطاء الوجه والجسد، كما كنّ يلفن رؤوسهنّ ثلاث لفات بشاش قطني².

2- حايك الأندلسيات:

يصف توماس شو حايك الأندلسيات، بقوله: "وينبغي أن أوضح لحد ما ملابس النساء المورسكيات فقط عندما تظهرن في العامة فهن يتغطين بالتأكيد بحايكهن حتى ولو كن لا يرتدين الخمار فيصعب رؤية وجوههن"³.

3- حايك البرانيات:

تنوّع الحايك بتنوّع المناطق التي جاءت منها النساء، فنجد أنّ نساء السهول كنّ يرتدين حايكاً مصنوعاً من القطن أو الصوف في فصل الصيف، ومن الوبور في فصل الشتاء. أمّا النساء القبائليات فقد كنّ يرتدين حايكاً يتحكّم فيه بواسطة دبايس، ويربط بقطعة قماش حمراء وزرقاء عرضها أربعة أصابع. في حين كانت النساء الغنيّات، إلى جانب ذلك، يغطين رؤوسهنّ بقطعة من الكتّان أو بمنديل قطني⁴.

¹ - M. A. Racinet, Le costume historique: Cinq cents planches, Librairie de Firmin-Didot et Cie, Imprimeurs de l'Institut, Paris, 1888, p. 164.

² - M. A. Racinet, Op. cit., p. 164؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص ص 106-107.

³ - Thomas Show:Op. cit. P118.

⁴ - حمدان خوجة: مصدر سابق، ص ص 23-32.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وبعض نساء المدينة ارتدين الملحفة، وهي عبارة عن إزارٍ عريضٍ وطويلٍ يبلغ حوالي ثلاثة أذرع، تُوضع على الظهر، ويُثبت طرفاها العلويان الموضوعان على الكتفين بإبزيمين من الفضة في أعلاها، حتى يُشدّ طرفاها العلويان بإحكام¹.

ولا شك أنّ الحايك حفظ للمرأة الجزائرية عفتها وحصان شرفها، فلم يكن بإمكان أيّ شخصٍ النظر إليها أو التعرّف عليها، حتى أفراد عائلتها، إلا من خلال من يرافقها. ولأنّ الحايك كان يُعتبر اللباس الأساسي للمرأة، الذي لا يمكنها الخروج بدونه، فقد حرصت النساء الغنيّات على امتلاك عددٍ كبيرٍ من الحياك، يصل أحياناً إلى ثلاثة حياك².

ب- لباس المرأة المسلمة وأناقته داخل بيتها:

تحكمت مجموعة من العوامل في نوعية لباس المرأة داخل بيتها، ولعلّ أهمّها هو إلزام الفتاة منذ طفولتها بتغطية شعرها بما يُعرف بـ البنيقة، التي كانت تُصنع بأقمشة ذات ألوان زاهية وردية أو زرقاء، ومزينة بخيوط حريرية أو ذهبية، وتحتوي على مجموعة من الزخارف النباتية حتى تروق للفتيات فيرتدينها ويتعودن عليها ويستمررن في ارتدائها وتغطية شعورهنّ حتى البلوغ. ولهذا نجد أنّ الفتيات البالغات استمررن في تغطية شعورهنّ داخل البيت، لكن بقطعة قماشية ذات ألوان متعددة، مطرّزة ومزخرفة بالدانتيل. أمّا النساء فكنّ يغطين شعورهنّ بقطعتين من القماش؛ الأولى ذات شكل مثلث مزركش الألوان، وتُغطّى بقطعة أخرى مطرّزة بخيوط ذهبية أو فضية، وأحياناً كنّ يرتدين محرمة حمراء أو سوداء. ولأنّ هذه الأغطية كانت ضرورية في البيت، فقد امتلكت النساء الغنيّات سبع محارم، في حين اكتفت الفقيرات بثلاث فقط، وذلك أيضاً حفاظاً على نظافة شعورهنّ، خاصة عند قيامهنّ بأشغال البيت³.

¹ - Georges Marçais, Le costume musulman d'Alger, Op. cit., p. 107.

² - D. Pérégau, Description de l'Afrique, Op. cit., p. 175; et João Mascarenhas, Op. cit., pp. 75-76; et Nicolas de Nicolay, Op. cit., p. 15; et Chevalier d'Arvieux, Op. cit., p. 285; et G. Marçais, Le costume musulman d'Alger, Collection du Centenaire 1830-1930, Plon, Paris, 1930, p. 96; et A. Dama, Le costume dans quelques tribus de l'antiquité, 1952, p. 470 ;

وينظر: نيلز نيلسون موسى، مصدر سابق، ص 102؛ وينظر: بيت المال والبايليك، سجل رقم 19.

³ - شريفة طيّان، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 333؛ وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص ص 86-107؛ وينظر: وليام شالر، مصدر سابق، ص 88؛ وينظر: أحمد بحري، الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أمّا بالنسبة لفستان البيت، فقد اختلف باختلاف جماعات المدينة. فنجد أنّ فستان التركيات والكرغليات كان يتكوّن من سراويل قطنية أو كتّانية عريضة مع قفطان، وأهمّ ما يميّز لباسهنّ هو احتواؤه على حواشٍ ذهبية أو فضية أو حريرية. كما ارتدين فارملة، وهي معطف ذو أكمام قصيرة، يُربط بحزام ومفتوح عند الصدر، يعلوه معطف آخر يُعرف بـ الكبوط ذي الأكمام القصيرة، بالإضافة إلى سروال طويل. ويُذكر أيضًا نوع آخر يُعرف بـ الفريملة، وهي تشبه الفارملة مع بعض الاختلافات، إذ كانت عبارة عن سترة قصيرة وضيقة تحتوي على أزرار عند الصدر لتسهيل فتحها وغلقها، خاصة بالنسبة للمرأة المرضعة، ولا تحتوي على أكمام، أمّا ظهرها فكان مغطّى بأزرار ذهبية أو فضية أو أحجار كريمة. ومن النساء من ارتدين قندورات قطنية، كما كانت الأندلسيات يرتدين ملابس مطرّزة ومزركشة. أمّا الجزائرية فكان لباسها داخل البيت بسيطاً يساعدها على ممارسة أشغالها اليومية بسهولة، فكان يتكوّن من قميص يصل إلى منتصف البطن، بأكمام قصيرة وواسعة تحتوي على تجويف عند الصدر لتسهيل الرضاعة، وسروال ضيق ملتصق بالجسم ومشدود عند الركبتين، بينما تغطّي رجليها بفوطيّة مخطّطة تربطها في الأمام¹.

بالإضافة إلى الجبّة، وهي لباسٌ مشترك بين مختلف نساء المدينة، ارتدته المرأة الأندلسية فتأثرت بها الجزائرية وقلدتها في ارتدائه، وحتى اليهوديات لبسنه بعد أن أضفن عليه تعديلاتٍ خفيفة تمثّلت في جعل الأكمام قصيرة. واشتركت نساء المدينة من تركياتٍ وأندلسياتٍ وجزائرياتٍ، وحتى مسيحياتٍ ويهودياتٍ أيضًا، في ارتداء الغليلة، وهو عبارة عن فستانٍ اختلفت مادّة صنعه؛ فمنها ما صنّع من القماش الخفيف أو الساتان أو القضيصة أو الديباج الدمشقي، غير أنّ أغلب النساء كنّ يفضلن الغليلة المصنوعة من

(1671م-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001م-2002م / 1422هـ-1423هـ، ص 81؛ وينظر: شريفة طيّان، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 126.
1 - شريفة طيّان: الفنون التطبيقية، مرجع سابق، ص 333. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 86-106-107 وينظر: وليام شارل: مصدر سابق، ص 88 وينظر: أحمد مجري: مرجع سابق، ص 81، وينظر شريفة طيّان: ملابس المرأة...، مرجع سابق، ص 126، وينظر بيت المال سجل رقم 2.

Boyer P: La Vie Quotedain A Alger. Op. cit. 1963. P115. Digo De Haedo: Topographie. Op. cit .Pp 129-130. Et Mehamed Ben Cheneb. Op. cit .Pp62-63. M. Beaussier: Dictionnaire Pratique, Arabe, Français, Marcellin Français Imprimerie La Maison Des Livres – Alger, 1958. Marçais: Le Costume. Op. cit. P115

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

القماش الخفيف ذي اللون الأرجواني. ويتكوّن هذا الفستان من جزأين؛ الجزء الأعلى يصل إلى منتصف الساقين، ويتميّز بتجويفٍ عند الرقبة، ربّما لتسهيل إرضاع الطفل، ويُحاط بأزرارٍ ذهبيةٍ أو فضيةٍ، ويُربط بحزامٍ مذهبٍ أو حريري، أمّا الأكمام فتصل إلى المرفقين، ومن النساء من فضّلن جعل الأكمام طويلة لتغطية الساعدين.¹ أمّا نساء الطبقة البسيطة، فكانت ملابسهنّ تُصنع من الصوف².

ومن الملابس المنزلية أيضا بالكامسيول (Camissole): وهو عبارة عن لباس مزين بأزرار ذهبية أو حريرية³ كما إرتدين الاسانة: وهو عبارة عن لباس يحتوي على جزئين داخلي وهو عبارة عن قميص طويل يصل إلى أسفل القدمين مصنوع من القماش الرقيق ذو اللون الأبيض والجزء العلوي مصنوع من القماش أو الحرير أو القطن أو الكتان حسب إمكانيات المرأة وتتميز رقبة القميص كونها عريضة بها زخارف مطرزة بخيط حريري، بالإضافة إلى سروال له فتحة عند نهاية الصدر به أكمام عريضة يتم فتحها من الجانبين عند الكتف إلى أسفل اليدين المزينة بأشرطة حريرية ملونة ومزينة بالدنتيل⁴، والانتاري: وهو لباس خاص بالتركيات عبارة عن ثوب طويل ملئ بأزرار في الجهة الامامية لتسهيل عملية فتحه وغلقه ومزين بالدنتيل وبه أكمام هذا بالنسبة للجزء الأعلى. أما أسفله فكان قميص من القماش الخفيف والشفاف بالإضافة إلى سروال من الحرير يصل إلى القدمين ويشد عند الوركين⁵.

أما شعرها فكانت حريصة على تغذيته ونضارته بإستعمال زيت العطرشة حتى يبقى طويلا رمز التباهي عندهن، حتى أن منهن من كان يصل طول شعرها إلى قدميها، ثم تمشطه وتضع له تسريحة الضفيرة مسدولة في الخلف مربوطة بقطعة بقوالب فضية أو ذهبية ومنهن من تشبكه بشريط، مثل النساء الأندلسيات⁶.

¹- M.Peaussier:Dictionnaire Pratique Arabe -Francais.Alger.1958.P323. Haedo Digo: Topographie: Op. cit .P107et Gerges Marcais: Op. cit.P 97.

² - Morgan: Histoire.Op. cit. P113.

³ - Chevalier D'arvieux:Op. cit.P286.

⁴ - Digo De Haedo: Topographie .Op. cit Et Venture De Paradais:Op. cit. 35 Et Gerge Marcais :Op. cit. Pp 91-94-95.

وينظر وليام شالر:مصدر سابق، ص85.

⁵ - شريفة طيان: ملابس المرأة، مرجع سابق، ص24.

⁶ - عبد الحميد عمران: قراءة في بعض العادات مجلة التاريخية الجزائرية العدد5، ص69، وينظر وليام سنسير: مرجع سابق، ص ص 107-108. وينظر وليام شالر مصدر سابق ص85. وينظر :

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ج)-لباس المرأة الجزائرية في المناسبات :

1-لباسها عند زيارة أقاربها وجيرانها:

يختلف لباس المرأة الجزائرية باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها، فكما كان هناك إختلاف في نوع الحايك كان أيضا إختلاف في نوع اللباس، الذي يرتدينه أسفله فنجد المرأة التركية والكرغلية ترتدي ثوب مزركش يحتوي على ثلاثة تدرجات تصل إلى غاية الركبة يتوسطه شاش عريض ومزركش مع سروال فضفاض، أما المرأة الأندلسية فكانت ترتدي سروال كتاني مستورا بغلالة صوفية أو حريرية وحذاءها عبارة عن قبقاب أو خفا جليدية ذات ألوان فاقعة مزينة بخيوط ذهبية أو فضية، أما المرأة الجزائرية فترتدي قميص صغير وسروال بالاضافة إلى ثوب حريري يصف مورقان لباس نساء المدينة بقوله: "...ملايس نساء مدينة قمصان مع الشاش كما أنهن يرتدين سروايل مثل الرجال أما حجابهم فهو عبارة عن فستان دو أكمام واسعة..."¹.

2-لباسها في الأعراس:

ترتدي المرأة في الأعراس المصنوع من القضيصة يعرف بالموبر أو المحمل، وكانت تفضل المرأة الغنية إرتداء القفطان ذو اللون الأحمر أو الأزرق القفطان مذهبا ومزركشا يصل إلى غاية العرقوب كما جاء عند مورقان "نساء المدينة في المناسبات يرتدين عباءة طويلة إما حمراء أو زرقاء"². أما الشعر فمنهن من تغطيه بأبروك (Abrouk) أوالبابوشا الجلدية وأحيانا ترتدي محملا مطرزا بالذهب مع سروال يصل إلى أسفل القدمين³.

ومنهن من إرتدت الصارمة أوالبنيقة وإرتدت النساء الغنيات القبعة ذات الشكل الدائري أو المخروطي المصنوعة من القضيصة أوالديياج أو الستان أوالدمشقي مطرزة بخيوط ذهبية أو فضية ومزينة بالأحجار

Morgane: Histoire: Op. cit. P114.Et Thomas Show.Op. cit .P118 , Chevalier D'Arvieux, Op. cit .P286-288.

¹ - عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972م د.ت. ص31-32. وينظر وليام سينسر: مرجع سابق، ص ص 106-107

R Arie :Léspagne Muslmane Au Tenps De Narides.Paris.1973.Pp383-386 Et Morgane :Op. cit .P113.

² - Venture De Paradis:Op. cit.P141 .Et Morgan :Histoire .Op. cit.P113.

³ - Ibid.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الكريمة والمجوهرات ،ومن القبعات الأخرى التي إرتدتها المرأة الجزائرية قبعة مصنوعة من القضيصة مزينة بقطع نقدية ذهبية أو فضية تحيط بأطراف القبعة ،ومنهن من إرتدت الطاقية وهي عبارة عن شاشة صوفية مزينة بجواشي ذهبية أو فضية ، ولكن توقفت النساء عن إرتدائها مع حلول القرن 12هـ/18م وأصبحت لباسا خاص بالفتيات اللواتي أضفن له وشاحا كما إرتدين القويط والكرامكو¹.

كما تسعى النساء في الأعراس على إضهار مايمتلكونه من مجوهرات للافتخار بها وتظهر ثراءها أمام غيرها من النساء ، فترين كل أعضائها بهذه المجوهرات والمصاغات، فتزين يديها وأذنيها بالأقراط الذهبية أو فضية ، وحزام من الأحجار الكريمة، وتزين رجليها بحلقات يمكن القول يقصد بها الخللحال ويديها بجلي و أساور كبيرة من الذهب أوالفضة تزين بها معصمها وتزين أضافرها بالطلاء الأحمر ويمتنعن عن إستعمال اللون الأبيض لأنه في نظرهم يعتبر عيبا من العيوب يجب على نساء المدينة الابتعاد عن إستعماله في يديهم ، أما نساء الأسر البسيطة وخاصة الأسر الفقيرة فإنها في المناسبات تلجأ لإستعارة المجوهرات من عند قاربياتها أو جاريتها حتى تظهر أمام غيرها ،وهي مزينة بمختلف المجوهرات والحلي حتى لا يفتقرن أو تثير شفقتهم عليها فتباهى مثلهم بحليها رغم كونه مستعارا ، وأهم وسيلة تزين عند النساء الجزائريات هي وضع الحنة في اليدين والرجلين ، أما الأحذية فقد كانت عبارة عن بلغة حمراء جلدية مزينة بالدانتيل و بزخارف خضراء وحمراء ومنهن من كانت تفضل إرتداء البابوش أو الصباط الذي يحتوي على كعب ومزين بزخارف ذهبية وفضية ومنهن من إرتدت الشبرلة ،وهي عبارة عن حذاء مطرز بالخيوط الذهبية². أما نوع الحايك المخصّص للحفلات، فقد كان مصنوعا من الحرير³.

¹ - Ougouag Kezzal C:Le Costume Et La Parure De La Marieé De Tlemcen.In Libya.T18 Op. cit . P13 Et A. Berbrugger 1843 .P260. Et Millot S:Le Costume Du Vieil Alger . Alger . 1921.P4

² - مارمول كرنحال: إفريقيا: مصدر سابق، ج3 ص147 وينظر : عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص232 . وينظر وهيبه يعلي: مرجع سابق ، ص ص 25-28-27-36-43، وينظر شريفة طيان: ملابس المرأة وأزياءها بمدينة الجزائر في العهد العثماني مجلة الدراسات التاريخية، العدد15-16، 2013م، ص210 ، نجوى طوبال: مرجع سابق، ص120 وينظر أبار ميشيل: الجزائر في القرن السابع عشر لرحالة إسكتلندي، ترجمة: حنفي بن عيسى ،مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، العدد3، السنة الأولى ، 1971 ، ص49.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ، مرجع سابق، ص ص 278-279-230. نجوى طوبال: الزواج و المصاهرات ، مرجع سابق ، ص ص2019-220. وينظر : مجموعة 2316 قسم المخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية وثيقة28.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

فالمرأة الجزائرية كانت مهتمة كثيرا بأناقته و خاصة نساء الطبقة الحاكمة والغنية من عثمانيات وعلجيات وغيرهن ، ولهذا كانت تحرص على شراء أجمل الملابس حتى ولو كانت بأسعار باهضة خاصة الملابس المزينة بجواشي ذهبية أو فضية أما الأندلسيات فقد حرصن على أن يكون لباسهن مصنوع من الجوخ أو القضيصة في فصل الشتاء ومن الحرير في فصل الصيف ، يصفهم بن الخطيب بقوله: "المظاهرة بين الصبغات والتنفس بالذهبيات والديباجات والتماجن في أشكال الحلي"¹ ، وشراء المعاطف المستوردة من تركية أو الاسكندرية أو طرابلس، فنجد مومنة زوجة خليل كانت قد أنفقت 2028 ريال في شراء الملابس ، وزوجة القايد إبراهيم أنفقت ما قيمته 1567 ريال وكذلك يمونة بنت العليج أنفقت ما قيمته 1139 ريال ولم يقتصر إهتمام باللباس على الفتيات و النساء بل حتى كبيرات السن إهتمين بمظهرهن وكن يشتري أعلى الملابس فنجد والدة خوجة سليمان أنفقت 1042 ريال في شراء الملابس ، ولقد إنبهر كثيرا الأسير بناتي بنساء المدينة ومدى حرصهن على شراء الملابس الغالية الثمن حتى أنه وصفهن بالمترفات جدا².

وكذلك زوجات الحرفين، ولكنهن أقل إنفاقا منهن على الملابس وأقل إقبالا على شراء الملابس الفاخرة ، فنجد زوجة الدباغ أنفقت ما قيمته 627 ريال على شراء الملابس ، وزوجة الحرار أنفقت ما قيمته 538 ريال ، و الحاجة المسمعة أنفقت ما قيمته 501 ريال ، ويمكن تفسير قلة نفقة هؤلاء على الملابس الفاخرة ربما راجع لقلة المدخول في هذه الحرف أو رغبتهم و أزواجهن في جمع الثروة ، أما النساء الفقيرات فحاولن شراء بعض الملابس الجميلة ونتيجة لفقرهن وكذلك البرانيات كن أقل إنفاقا على الملابس و اكتفين بشراء بعض الملابس المزينة ببعض الزخارف ، فنجد العليجة أنفقت ما قيمته 500 ريال و العباسية أنفقت 500 ريال³.

¹ - شريفة طيان: ملابس المرأة ، مرجع سابق ، ص 145 وبنظر لسان الدين بن الخطيب: مصدر سابق ، ص 139 وبنظر:

Digo De Haedo:Topographie.Pp103-104.Et Pananti: Op. Cit .P298 Et J.T.Morgan :Op. Cit .P113

² - .IBID

³ - -وليام شارل: مصدر سابق، ص ص 83-85 وبنظر ليلي خيراني : واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر 1800-1817م: دراسة أرشيفية ، جامعة الجزائر ، 2006م-2007م ، ص ص 141-142.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ونختتم كلامنا حول ملابس نساء المدينة بما ذكره جوان Jounin أنه في القرن الثالث عشر ميلادي أصبح لباس الجزائريات يشبه بلباس التركيات¹ ويمكن القول راجع إلى الاحتكاك الثقافي بين الجماعتين ، الذي دام قرنين من الزمن ، وما تجدر الإشارة إليه أنه لا يمكن تعميمه على كل الجزائريات ، فهناك جزائريات من أسر بسيطة أو فقيرة لم يسمح لهن بارتداء ملابس مثل التركيات ، الذين تميزت ملابسهن بغلاء أسعارها.

د- الحلي والمجوهرات :

حرصت نساء المدينة على إمتلاك المجوهرات لبيعها وقت حاجتها للمال فهي من الدخائر التي تحافظ على قيمتها مهما مر الزمن ولا تبلى عكس للمال، الذي يصعب الاحتفاظ به وكذلك للتباهي بها في المناسبات كما رأينا سابقا فهي تحدد مكانة المرأة في مجتمع المدينة، ولهذا حرصت أغلب النساء على الظهور متزينات بالمجوهرات يقول بنانتي: "كانت نساءهم مغطاة بالذهب والماس"²، وهذا دليل على كثرة الحلي ، التي يرتدونها بفضل الرخاء والرفاهية التي يتنعمن بها³.
ومن مجوهرات نساء المدينة، نذكر:

الصارمة : تعتبر من الحلي الأساسية التي إرتدتها المرأة في مدينة الجزائر، يطلق عليها وليام سبنسر الصارمة إسم السرمة ، ولقد أعجب بها كثيرا حتى أنه شببها بلباس جنيات إنجليتري يقول : "تشبه جنية عصر إليزابيت في إنكليترا وتستدعي الإعجاب بجمالها على غرار ما كان لدى سيدات قصر الانكليزيات"⁴.

ويعود تاريخ وجود الصارمة في الجزائر إلى الأندلسين، الذين أبدعوا في صناعتها ذات شكل مخروطي مجوف منها ما صنعت من الصفائح الذهبية وأخرى من الصفائح الفضية الرقيقة وبعضها تم تطريزه بالذهب وأخرى بالفضة ، ومنها العادية وهي ذات اللون الأحمر ، وفي القرن 12هـ / 18م أضيف لها

¹ -J.Jouin:Econographie De La Marièe Citation Dans Eslam Nord Africane Extrait De La- Revue Des Etudes Islamique.Libraire Oriental.Paris.1932. P485.

² - وليام شالر:مصدر سابق ،ص 85 وينظر : نجوى طوبال:الزواج والمصاهرات ،مرجع سابق، ص ص 220-219. وينظر Pananti:Op. Cit . P298

³ -نفسه.

⁴ -وليام سبنسر :مرجع سابق ،ص107.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

زخارف التوريق العربي حتى تصبح أكثر جمالا تستعملها المرأة كزينة للرأس فتثبت عليه بواسطة عصابة تختارها المرأة حسب إمكانياتها ويرى شاو بأن الصارمة لم تكن ملكا لكل نساء المدينة بل اقتصرت على بعض النساء ربما لغلاء سعرها مما إقتصر لبسها على ثريات المدينة ، فحين فتور دي برادي يفند ذلك ويذكر بأن كل نساء المدينة وعلى إختلاف إنتماءهم وطبقاتهم إرتدين الصارمة، ولكن الإختلاف بينهن كان في نوع العصابة ، التي تثبت عليها و تغطي جبينهن ، فالمرأة الغنية عصابتها مرصعة بالجواهر والماس والزمرد أما الاندلسيات فكن يرتديهن فوق عقيصة وفتائل صغيرة مع ستار شفاف مطرز بالذهب يربط وراء الرأس ثم يسدل إلى غاية الساقين في حين الإكتفت المرأة البسيطة بإرتداء عصابة من الكريب ، أما اليهوديات ، فأغلبهن إرتدين الصارمة الفضية مع وشاح شفاف مطروز وماعدا يهودية واحدة هي زوجة جوزيف باكري¹.

وماتجدد الإشارة إليه أن إرتداء الصارمة الذهبية كان نادرا وحكرا على نساء الطبقة الغنية فقط² ومن الجواهرات الخاصة بالرقبة نذكر الشركة :وهي عبارة عن عقد مصنوع من صفائح ذهبية رقيقة يتم ربطها بخيط يمر من الوسط ، ولقد استغلتها بعض نساء المدينة في اخفاء طلاسم³ التي منحها لها أحد المشعوذين وطلب منها إرتداءها للعلاج ، والسلسلة وهي عبارة عن عقد مصنوع من الذهب أو الفضي تزين به المرأة رقبته⁴.

أما المعصم فيزين بالمقاييس أو المساييس:وهي عبارة عن سوار مصنوع من الذهب أو العاج ،منها ماكان شكلها مفتوحا و آخر مغلقا أو مصفحة ومنها ماتم تزينه بالجواهر والبعض أكتفي بنقشها بالزخارف ،وبعضها بسيطة ومنها ماكنت ثقيلة الحجم مملوءة وبعضها خفيفة مجوفة أدى هذا التنوع

¹ - ينظر وليام شالر : مصدر سابق، ص85 والمتحف الوطني للآثار من ايكوسوم إلى الجزائر، مرجع سابق ، ص78 وينظر بيت المال سجل رقم 2، وينظر :نورالدين عبد القادر:مرجع سابق ، ص140، وينظر: عمار بن خروف : العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري /السادس عشر ميلادي ، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج.2. ، ص27 وينظر قصص من التراث خداج العمياء ، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع الجزائر د.ت، ص4.

Show :Op. cit. P380 Et Venteure De Paradi: Op. cit.P140..P82. W.Shaler: Esquise L'etat D'alger. Paris .1830 .Pp82-83. Et S.Estry:Op. cit. P29..

² - قصص من التراث خداج العمياء :مرجع سابق ، ص4.

³ -Eudel Paol:Op. cit .Pp.37-38.

⁴ - Ebid. P201

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إلى التنوع أسعارها حتى تستطيع نساء المدينة شرائها على حسب إمكانياتها المادية ، تضعه المرأة في ونتيجة لاقبال النساء على هذه الحلي فقد خصص لها سوقا عرف بسوق المقاييسية¹ وقد تحتوي المقاييس على سبع قطع ففي هذه الحالة يطلق عليها إسم فرد².

أما الحلي الخاصة بالأذن، فنجد: المقفول وهي عبارة عن قرط مصنوع من الذهب أو الفضة ذو شكل دائري أو مصفح تزين به المرأة أذنيها³، ونجد الونائيس وهي عبارة عن أقراط تختلف عن المقفول في كونها عبارة عن خيوط ذهبية مربعة الشكل⁴، ونجد المناجش وهي: عبارة عن قرط مصنوع من الذهب أو الفضة أو من الجواهر⁵. أما النساء الفقيرات فقد كانت ترتدي الركابية : تتمثل في قطعة مضفورة بها نقوش توضع في المنقوش مثل القرط الذي يوضع في الأذن⁶.

- **المصاغ**: يعتبر من الجواهر الأساسية الواجب على المرأة الجزائرية إمتلاكها ولهذا نجد أغلب الأسر حرصت على وجوده ضمن مكونات الصداق ، ويتميز المصاغ في كونه ملئ بالزخارف العربية والتركية و كذلك الحزام الذهبي يعتبر من أساسيات الحلي الخاصة بالمرأة الجزائرية⁷، البزائم : تسعملها تسعملها المرأة في التزين تقوم بتثبيتها عند الصدر ذات شكل مثلث تحتوي على تجويف يمر عبره مسمار مصنوع من الذهب أو الفضة⁸.

يلاحظ بأن أكثر نساء المدينة اللواتي إمتلكن الحلي والمجوهرات هن النساء الطبقة الحاكمة خاصة التركيات و أيضا النساء الثريات ، ولقد تميزت مجوهراتهم باحتوائها على الاحجار الثمينة كالألماس والزمرد

¹ - ينظر: أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا: مرجع سابق ، مرجع سابق ، ص173 نجاة عروة: مرجع سابق ، ص96

Venteure De Paradis: Op. cit. P140. Op. cit. P78 Et : G. Marçais: Les Bijoux Musulman

² - Paul Eudel: Op. cit. P1505.

³ - Ibid.. P173.

⁴ - Ibid.. P173.

⁵ - Ibid. P 140.

⁶ - Ibid. P191.

⁷ - G.T.Morgan: Op. cit. Pp90-91 Etp. Eduel : Aperçu Historique De L'orfèvrerie Algérienne . Revue Africaine. No 45. 1901. Pp42-64 Et Thomas Showo: Voyage . Op. cit. P380 Venteure De Paradi : Op. cit. P Et W. Shaler: Op. cit. P82 Et Digo De Haedo: Topographie. Op. cit. P56 Et G. Marçais: Les Bijoux Musulman De l'Afrique Du Nord. Alger 1958, P9. Et Paul Eudel: Dictionnaire Des Bijoux De l'Afrique Nord, Maroc, Algérie, Tunisie, Tripolitaine Ernest Le Roux, Paris, 1906. . Pp196-197

أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا: مرجع سابق، مرجع سابق، ص173 وينظر: سجل بيت المال سجل 2

⁸ - المتحف الوطني من ايكوسوم إلى الجزائر، مرجع سابق ، ص77. ينظر : Ibid. p10

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وحتى سبحاتهم كانت مصنوعة من المرجان ، ومن هؤلاء نذكر :فاطمة بنت الحاج سعيد إشترت صارمة ذهبية وزن 70 مثقال مع ستته فردات مقفول وزويجة ونائس كبار ومقايستين مزينة بالجواهر والعقاش وزويجة حسك [هكذا] وإمتلكك عزيزة بنت محمد أغا عرباجي زوجة يوسف وكيل الخرج كان لديها صارمة وزن 34 مثقال وإمتلكك موني بنت السيد أبوزيد الشريف بعض الحلبي تمثل في موضوع من الذهب وقلادة وجعبي [هكذا] سلسلة وأربعة فردات مسايس وزويجة مناجش والجواهر وأربعة خواتم ووقية واحدة ، وإمتلكك علجة صارمة سعرها 834 ريال ومناقش ب265 ريال ونجد زوجة الحاج أحمد بن محمد كان لديها: خلخال مصوغ من الذهب وجوهر وحجر وزروف وصارمة بالحجر والجواهر وإمتلكك امرأة أخرى صارمة ب573ريال¹.

ثالثا - مطبخ وأطباق المرأة الجزائرية:

أ- مواصفات مطبخ نساء المدينة :

إهتمت المرأة الجزائرية بالطبخ، ولهذا فقد كانت حريصة على تجهيز مطبخها بمختلف الأواني والمواد وسنحاول إلى تقديم دراسة وصفية للمطابخ النساء الجزائريات، سواء نساء الطبقة الحاكمة أو عامة الناس.

1-مطبخ نساء الطبقة الحاكمة :

يشرف على تسير مطبخ الطبقة الحاكمة عشي باشا، الذي هو بمثابة رئيس الطباخين، يرتدي طاقية قطنية ذات لون أبيض و يتوسط القبعة أنبوب نحاسي صغير يحتوي على ملعقة عاجية مرصعة بالمرجان². بالمرجان².

ولقد حرصت الأسرة الغنية على تجهيز مطبخها بأفخر الاواني، فعلى سبيل المثال، نجد هناك ملاعق أكل مصنوعة من العاج ومزينة باحبات المرجان والصدف وأخرى مصنوعة من الخشب، ولقد خصص

¹ - خليفة حماش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،مرجع سابق ،ص393 وينظر: عقد 1385 وينظر وينظر بيت المال دفتر 4 و23. وبيت المال دفتر 4 و79. وينظر م.ش ع 46/31. وينظر م.ش.ع 32/31. وينظر م.ش.ع 31 نقلا ليلي خيراني: مرجع سابق ، ص178. وينظر حورية شريد: تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني دراسة تاريخية أثرية ،رسالة دكتوراه، معهد الاثار ،جامعة الجزائر ،2010م-2011م،ص86.

² - Alphonse .Janissaires: Royer Paris. 1844.P44

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

لكل طبق ملاعق خاصة به، فمثلا هناك ملاعق خاصة بطبق الارز؛ وملاعق خاصة بطبق الكسكس¹.

2- مميزات مطبخ نساء الطبقة العامة:

إهتمت المرأة بمطبخها وكانت حريصة على تجهيزه بمختلف المكونات والأواني الخاصة بالطبخ فنجد: الموقد: خصص للموقد مكان خاص في المطبخ زين في جهته الأمامية بقوس ومدخنة وهي عبارة عن فتحة في سقف المطبخ ملتصقة بالموقد يخرج منها الدخان نار الحطب المشتعلة به الذي يستعمل للطهي، و التي يتم إشعالها بواسطة النافخ أو الغناي، وحتى مطابخ قصر الداوي كانت تستعمل الاخشاب في الطهي، وكان الداوي أوكل لشيخ البلد بتزويده بذلك².

أما بالنسبة للأواني فأغلبه مصنوع من النحاس أو الفخار يقول نورالدين عبد القادر "أواني النحاس والحزف الأنيق البراق، وأواني البُلُور"³، وأما عن الوسائل التي استعملتها في تحضير الأطعمة، فنذكر: إتمدت المرأة الجزائرية في عملية الطحن المواد الغذائية على مجموعة من الوسائل أهمها: "المطحنة المنزلية، أو كما يُسمِّيها البعض بِالرَّحَى": تتكون من قطعتين حجريتان موضوعتان فوق بعضهما البعض، وتتميز الأولى عن الثانية بإحتوائها على مقبض خشبي تستعمله المرأة في تحريكها لطحن، والقطعة الثانية تضع فيها ماترغب في طحنه⁴ الإبزار عبارة عن آلة تستعمل لفرم اللحوم وأحيانا تستعمل المرأة والمهراس في دق اللحم ويستعمل لطحن أشياء أخرى⁵.

¹ - سجل بيت المال رقم 21 وينظر:

S.Destry: Histoire d'Alger Depuis Les Temps Les Plus Reculés Jusqu'à Nos Jours Tours, 1845-1846, P206 Et Eudel P : Dictionnaire Des Bijoux De L'Afrique Du Nord, Op. cit. P135

² - E.G. Gobert : Les Poteries Modelées Du Paysan Tunisien . In Revue Tunisienne - Tunis. N°43-44.Pp122-131, Et Paol Eudel: Dictionnaire Des Bijoux De l'Afrique Nord, Maroc. Op. cit P24. A.Devoulax:Tachrifate .Op. cit.P52

³ - بيت المال سجل رقم 2 نقلا عن ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص164-166. وينظر: عبد القادر نور الدين: مرجع سابق، ص234.

⁴ - M.Rozet : Voyage Dans La Règence d'Alger Ou Description Du Pays Occupé Par L'armee Francais En Afrique. Arthur .Bertrand Libraire .Editeur.1833.T3 P240

⁵ Ibid-

وينظر حورية شريد: مرجع سابق،، ص ص 490-529-511.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما الخبز فيتم عجنه قسعة مصنوعة من النحاس الأحمر ويتم طبعه بطابع مصنوع من الفخار أو الخشب ذو أشكال متنوعة كالمستطيل أو المعين أو المثلث أو النجوم السداسية بها زخارف نباتية كالأزهار وغيره، ولهذا تفننت المرأة في تنوع أشكال الخبز بتنوع الطوايع التي تمتلكها¹، ونجد الغريال الذي في الغالب مصنوع من الحلفاء تستعمله المرأة في غربلة بعض المواد كالدقيق على سبيل المثال².

أما الأطعمة السائلة مثل المرق وغيره، فقد خصّصت لهم أواني مثل "طَبَقُ الكُسْكُسِ"، ولتَحْضِيرِ الطَّعَامِ المعروفِ بالكُسْكُسِيِّ، فقد خُصِّصَ لَهُ القِدْرُ والكَسَّاسُ"، فالكُسْكُسُ عبارة عن إناء يحتوي على ثقوب كبيرة في الغالب مصنوع من الحلفاء لطهي الكُسْكُسِ وبداخله يعلو القِدْرُ الذي يكون مصنوع من الفخار أو النحاس الأحمر، والذي يوضع فيه المرقُّ مع اللَّحْمِ، والقَرَّانُ: هو عبارة عن قدر ذو حجم كبير³.

- الطَّاوَةُ: وهي بمثابة الملعقة الكبيرة تستعملها المرأة في استخراج الطعام من القَرَّانِ، ووضعه في الصحون وتستعملها في سكب مختلف الأطعمة في الصحون، أو كما تُسمَّى بالطبسي أو التبسي وهو إناء تستعمله المرأة في تقديم الطعام، فنجد تَبَاسِي العِشَاوَاتِ مُصَنَّعَةً من النُّحَاسِيِّ تحتوي على غطاءً مُزَيَّنٍ بأزرارٍ تشبه الأحجار الكريمة، وهناك طَبَسِيٍّ يحتوي على غطاءٍ ذو شكل قُبَّةٍ، تستعمله المرأة لتقديم الكُسْكُسِ أو الأرزِّ، ونجد العُرْفِيَّةَ والطَّاجِينَ والسُّفْرَةَ⁴.

ونجد المِرْكُ، الذي يُعتبر من الأواني التي تستعملها النساء في حمل الطعام الناضج إلى مكان آخر كالعمل أو نزهة، يتكون من أربعة طاساتٍ موضوعةٍ فوق بعضها البعض، مغطاةٍ بغطاءٍ ذو شكل قُبَّةٍ، وأصغرُ منها القَبْطَاسِيَّةُ التي تحتوي على طاسيةٍ واحدةٍ وغطاؤها مُصَنَّعٌ من النُّحَاسِ الأَحْمَرِ⁵.

¹ - حورية شريد: مرجع سابق، ص ص 511-529 وينظر : شريفة طيان : الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 316-302-301-317.

Marye,G. : Musée National Des Antiquités , Catalogue Période Musulmane, Alger.

² - حورية شريد: مرجع سابق، ص 539.

³ - شريفة طيان : الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 294-293.

⁴ - شريفة طيان : الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 276-277. وينظر حورية شريد: مرجع سابق ، ص 507 .

⁵ - حورية شريد: مرجع سابق، ص ص 512-515.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما الأواني الخاصة بالقهوة، فنجد: إبريقُ الفَهْوَة أو البُقْرَاجُ أو كافي إبريقي (kahve ibrigi) مُصنَّع من الفِضَّة أو النُّحاسِ الأصْفَرِ، يحتوي على زخارف وبعضها بسيط، أما شكله فيتميز بالانتفاخ في الوسط مع قاعدةٍ مسطحةٍ وصنْبُورٍ معقوفٍ مثل رَقَبَةِ الأَوْزَةِ، وبه مقبض، أما غِطاؤه فيعلوه زر، والجُفَّانُ مُصنَّعةٌ من الحَشَبِ والفَخَّارِ، لها أحواضُها، وهناك من تستعمل حاملَ فِنجانِ المِصنَّع من الفِضَّة الصَّفراءِ يحتوي على زخارف نباتية أو رُؤُوزِ، وأيضًا الشُّكْرِيَّةُ وهي صحنٌ أو صَفْحَةٌ كانت تُصنَّع من الفَخَّارِ، ثم أصبحت تُصنَّع من النُّحاسِ، يُوضَع فيها الشُّكْرُ، وأحيانًا تستعملها المرأة في تقديم المِخْلَلاتِ¹.

أما المشروبات، فقد خُصِّصت لها بعض الأواني مثل: المِرْجَلُ المِصنَّع من النُّحاسِ وتستعمله المرأة أحيانًا في تحضير المشروبات وطهي المري، كما امتلكت الأسر الجزائرية برَّادَةً طينيةً: تستعمل في تبريد ماء الشرب وأحيانًا تستعملها في حفظ ماء الزهر أو الخل وغيره من السوائل²، ثم طاسةٌ أو دسْتُ ذات شكلٍ مستديرٍ تتكون من قاعدةٍ مسطحةٍ مُزخرفةٍ بنجمةٍ سداسية، وفي الوسط زهرةٌ منقوشة، مُصنَّعة من النُّحاسِ الأحمرِ، طُليت بمادةٍ ذات زخارف نباتية³.

ثم نجد السَّنِّيَّ الكبيرة الحجم والمِصنَّعة من النُّحاسِ في الغالب، ذات لونٍ أَحْمَرِ، منقوشة بزخارف هندسية أو نباتية، تستعملها المرأة في نقل الطعام وتقديمه لأفراد العائلة، كما تستعمل في حد ذاتها كمائدةٍ للإفطار، كما سنرى لاحقًا⁴.

3- خطوات تقديم الأطباق:

تقوم المرأة بتجهيز طاولة الإفطار المتمثلة في سَنِّيَّةٍ مُصنَّعةٍ من النُّحاسِ الأحمرِ أو الأصْفَرِ أو الفِضَّةِ أو الحَشَبِ فوق أرجلٍ خشبيةٍ تُعرف بالحاملِ الحَشَبِيِّ أو مَقْعَدِ حَشَبِيِّ، ذات زخارف نباتية أو كتابية، وتُغطَّى بسُنْفَرَةٍ أو صَفْرَةٍ، وهي عبارة عن غطاءٍ جلديٍّ أو حصيرةٍ، وتحرس الأسر الغنية على استعمالها

¹ - شريفة طيان: الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 474-282. وينظر حورية شريد: مرجع سابق، ص 515-516-500-505.

² بيت المال سجل رقم 2، وينظر سجل بيت المال 1، ع، 2، حورية شريد: مرجع سابق، ص 257-260. وينظر: ورقة 9 ملف ثاني في مجموعة 3190. R.Dozy: Supplémentet Aux Dictionnaires Arabes. Librairie Du Liban, Beyrouth, 1968. P436

³ - ينظر شريفة طيان: الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 284-285-286.

⁴ - نفسه، ص 271-272-273 وينظر نجوى طوبال: الزواج والمصاهرات، ص 219-220.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

عكس بقية الأسر. يقول بروديول: "كان الأغنياء يتناولون طعامهم فوق قطعٍ مُصنَّعةٍ من جلدِ الثور التي يجلبونها من تركيا وتكون أحياناً موسومةً ومزينةً بالمطرزاتِ المشكلة من عدة ألوان"¹، وقبل تقديم الطعام، فالمرأة الجزائرية حريصة على نظافة وسلامة أسرتها من الأمراض، تحضر لهم الإبريق والليان: وهما إنيتان تستعملان لغسل اليدين قبل وبعد الانتهاء من تناول الطعام، والشبكير، ويُطلق عليه أيضاً اسمُ المنشفة الطويلة، يُوضع فوق الركبة، تُمسح فيها اليدين بعد غسلهم عند الانتهاء من تناول الطعام².

ب - أطباق المرأة الجزائرية : تفننت نساء المدينة في طهي بعض الأطباق، التي سنحاول ذكر بعضها:

1- الأطباق التي صنعتها من العجائن :

يعتبر الكُسْكُس من أهم الأطباق الخاصة بالبلدان المغاربية وخاصة الجزائرية، ويرى تيمور باشا بأن أصل تسمية الكُسْكُس هو أمازيغي من سكسو وعُرب إلى كُسْكُس، وهو من الأطباق الرئيسية في مدينة الجزائر، أما عن طريقة تحضيره فتقوم النساء بقتل السميد في قُصعة خشبية حتى يصبح في شكل حبيبات صغيرة، ثم يُطهى فوق قدرٍ يحتوي على خُصِرٍ ولحمٍ فوق الموقد، ويتم تقديمه مع بَيْض الدجاج أو النعام أو بالزبد أو التمر أو بعض الأعشاب. أما الأسر الفقيرة فتكتفي بدهنه بزيت الزيتون أو الزبدة ويُقدّم بدون لحم لغلاء سعره. ويصف عبد الرزاق بن حمادوش طبق الكُسْكُس بقوله: "الكُسْكُس هو الكُسْكُس حار ورطب في الثالثة جيد الخلط كثير الغداء، إذا أُكِلَ بالعسل أو السكر يسمن الأبدان الضعيفة ويولد الدم الجيد"³.

¹ - De Rocueville :Relation Des Mœurs Et Dugouvernement Des Turcs d'Alger.Paris 1675 .P 76 Et O. Dapper:Description De l'Afrique Contenant Les Noms Et Situns Avec Des Cartes Des Etats Des Provinces Et Des Villes .Traduite De Flmand .Wolfagang . .Amsterdam.1685.P123, M.Ben Cheneb Mots Turks Et Persans Conservè Dans Le Parler Algerin Profeseurs A LA Médersa D'alger Chargé De Confrences A La Faculté Des Lettres Alger. Thala Editions. Alger.P21et Paol Eudel: Dictionnaire Des Bijoux De l'Afrique Nord . Op. cit .P24

² - Ibid.

³ - Chevalier Darvieux :Op. cit.281Marin Manuela :Sobre Alimentacion Sociedad.El Tescto Arab De La Guerra .In Quantara13.1992.Pp83-118 Et Etm.Renaudot: Alger tableau Du Royaume De La Ville d'Alger Et De Ses Environs. État De Son Commerce, De Ses Forces De Terre Et De Mer. Tableau. Edité Par Librairie Universelle De P. Mongie, Paris, 1830. Pp84-49

سيمون بفايفر :مصدر سابق ،ص ص 145-146، وينظر: بلبروات بن عتو: نظرات إشراقية لعادات وتقاليد مجتمع مدينة الجزائر العثمانية ،مجلة الحوار المتوسطي ،العدد22 ،ص82.وينظر إيميلي قشوان :مرجع سابق ،ص285.وينظر عبد الرزاق محمد بن حمادوش: كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1416هـ /1996م ،ص355 ،وينظر وليام شارل:مصدر سابق ، ص87 ، بلبروات بن عتو :المدينة والريف بالجزائر خلال العهد العثماني ، كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر ، 2016م ، ج 1 ،ص315-316

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ومن الأطباق التي تفننت المرأة الجزائرية في طبخها، نذكر: المَحْمَصَةُ، وهي عبارة عن طبق مُصنَّع من القمح في شكل حباتٍ أكبر من حبات الكُسْكُسِ. والشورية حسب الأتراك تتكون من لفظتين: شور وتعني لذيذ، وبا تعني طبخ، وهي عبارة عن حساءٍ يتم طهيها باستعمال الحشيشة، التي هي عبارة عن عجينةٍ مقطَّعة في شكل شعيرات، يتم طهيها مع اللحم. والرَّشْتَةُ مُصنَّعة من العجين ذات شكل معينات ومستطيلات، يتم طهيها بنفس طريقة الكُسْكُسِ، تُقَوَّر على الماء، ويتم طهي المرق على حدة، وعندما ينضجان تُزَع الرَّشْتَةُ وتوضع في صحنٍ ثم تُسقى بالمرق مثل طبق الكُسْكُسِ. وطبق الرَزْدَةِ، وهو عبارة عن حساءٍ يتم طبخه بمزج الأرز مع الزعفران ويترك على نارٍ هادئة حتى ينضج، ثم يُنزع ليترك في مكانٍ في المطبخ ليبرد، ثم يُقدَّم كوجبةٍ جاهزةٍ للأكل. ثم نجد البِيلاف (بيلو أو بيلاو): وهو طبق أنضولي، يتم تحضيره بوضع الأرز أو البرغل في مرق اللحم حتى ينضج، ويتم تقديمه مع السمن، وبفضل مذاقه اللذيذ أعجب به سكان المدينة، فطبخوه وأصبح من الأطباق التي تزين موائدهم. ومن الأطباق أيضًا الفِرْحُولَةُ: وتعني الخبز باللغة العثمانية، وهي خبزٌ طويلٌ مُصنَّع من الدقيق والحليب¹، ثم نجد طبق البُرْغَلِ: الذي هو عبارة عن قمعٍ يُغلى في الماء، ثم يتم تجفيفه وطحنه، ثم يُطهى مع اللحم والسمن والزبدة، ثم يُسكَّب فيه الحليب حتى ينضج².

2- الأطباق التي صنعتها باللحم:

يعتبر اللحم من أساسيات المائدة الجزائرية، ولهذا فإن بعض النساء من أجبرت زوجها على ذبح ثور ثم تقوم بتجفيف لحمه في فصل الربيع ليقى صالحا للاستعمال لمدة طويلة³. ومن أهم الأطباق التي طبختها المرأة الجزائرية بإستعمال اللحم، فنذكر:

¹ - M.Ben Cheneb Mots Turks Et Persans Conservè Dans Le Parler Algerin:Op. cit .P54-45-47-31-62

وينظر: عامر شعباني : الأنفاس الأخيرة للأندلس دلس ،دار الوعي ، الجزائر ، ص182وينظر: أحمد توفيق المدني :مذكرات أحمد شريف الزهار ،مصدر سابق ،ص163،وينظر مصطفى بركات :الألقاب والوظائف العثمانية (1517م-1924م)،دار غريب القاهرة ،2000م، ص190 .

² - Dozy:op. cit.p73.

³ - وليام شالر، مصدر سابق، ص 88. وينظر: أحمد سليمان، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص ص 74-75.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

- "الدولما (المَحْشُوءُ): أبدعت نساء المدينة في صنعها وتنقسم إلى نوعين، وهما: سوبان دُولْمَاسِي: عبارة عن بصلي تم حشوه بلحم الخروف المرحي والبصل، وبابراك الدولما لِمِيّ أو بَيْرَاق تُولْمَة سِي: وهو طبقٌ يتم تحضيره بوضع اللحم الممزوج مع الأرز في أوراق العنب أو القرع، ثم لَقَّه. ونجد البوراك: وهو من الأطباقِ التركية التي ظهرت بمدينة الجزائر، وهو عبارة عن عجينةٍ يتم فتحها حتى تصبح رقيقة، ثم يتم حشوها باللحم المفروم¹، البوراق يتم حشوه بلحم و يحلى بالعسل، الكباب ويسمى بالكبابوس: ويتم طهيه باستعمال لحم العجل أو الخروف²، ونجد طبق الكفتة kefta: من الأطباق الخاصة بالأتراك ربما لغلاء سعر اللحم وهو طبق يحتوي على اللحم يتم تكويره ثم قليه في الزيت³. ومن الأطباق أيضا الهرقمجية، وهي مرق يحتوي على أحشاء وبعض الأطراف وبقايا اللحم القورمة وهي طبق يتم تحضيره بوضع اللحم المفروم مع السمن، وتحتفظ به المرأة الجزائرية في بيتها كمادة غذائية نعتقد أن تتركه كمدخر تستعمله عندما يزورها ضيف⁴.

- طبق الخليع: وهو عبارة عن قطعٍ من اللحم يتم طهيها، ثم تُوضع تحت الشمس حتى تجف، ثم تُنقل لتوضع في جرةٍ مملوءةٍ بالزيت، ويتم الاحتفاظ بها لمدة طويلة من الزمن تصل إلى سنة، وأحياناً تستعملها المرأة في طبق الكُسْكُس. ونجد باش طَرْمَة: ويتم صنعه بفرم لحم الضأن في بزارٍ مع بعض التوابل، ثم يتم حشوه في المِصْرَانِ⁵.

- الكباب: ويسمى بالملكرون (Makaroun): يصفه ويليام سبنسر (William Spencer) نقلاً عن ويليام ديفيتش (William Dewitch) بأنه عبارة عن معجون يتم صنعه بإذابة السكر في الماء حتى يصبح مادةً لزجة، فتزرعها وتشكلها مثل حبة الفصولياء، ثم توضع في سلكٍ تُلَوَّبُ فيه بيدها حتى تصبح ذات شكلٍ مستقيم، ثم توضع في إناءٍ آخر به ثلاثة أو أربعة حبات بصل، ويتم غليها في

¹ - وليام شارل: مصدر سابق، ص 87-88. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 113. وينظر:

M. Ben Cheneb: Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien, op. cit., p. 29

² - بلبروات بن عتو: مرجع سابق، ص 83.

³ - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 113. وينظر:

M. Ben Cheneb: Mots Turks et persans conservè dans le parler algerin: op. cit. p73

⁴ - M. Ben Cheneb: Mots Turks et persans conservè dans le parler algerin: op. cit. p73.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص 98، غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، ص 363.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الماء، وعندما تنضج يُضاف إليها بعض حبات الجبن مقطعة مع قليل من الزبدة¹، ونجد طبق التَّريية: وهو من الأطباق العثمانية، يتم تحضيره بطهي اللحم مع اللفت في مرقة بيضاء، ثم يُضاف إليها الليمون والبيض. ثم نجد الطورشي: وهو عبارة عن خُضِرٍ أو فواكه توضع في الخل والملح حتى تصبح مُصَبَّرَةً².

واشتهرت النساء الأندلسيات بطبخ مجموعة من الأطباق، من أهمها: العجة: تعتبر من الأطباق التي تقوم بطبخها النساء الأندلسيات، وطبق المَجَبَّة: يتم صنعه من الجبن الطري ثم يُدعك حتى يصبح رطبًا مثل العجينة، ثم يُعجن السميد في إناءٍ آخر، وبعد الانتهاء من عجنه يتم بسطه حتى يصبح رقيقًا مثل الورقة، ثم تُحشى بالجبن ويتم طهيها على طاجينٍ مدهون، وبعد نضجها تُرش مباشرة بالسكر الناعم والقليل من الكمون³. وأهم ما يميّز أطباق الأندلسيات أنهن أضفن عليها بعض النكهات تمثلت في استعمال ماء الورد في مختلف الأطعمَة⁴.

3- أطباق النساء البرنيات:

من أطباق النساء البرنيات، نذكر أطباق المرأة البسكريّة، التي سعت منذ القدم في الحفاظ على أطباقها التقليدية، فتوارثوها وورثوها لمن خلفهم من البنات اللواتي بدورهن استمرّوا في طهيها في مختلف الأزمان والأماكن أينما حلّوا، ومن أشهر أطباقها الكُسكُس، الذي ينقسم عندها إلى نوعين هما: كُسكُس ذو المرقة الحمراء، الذي يتم طهيه مع الخُضِر الموسمية المتوفرة في كل فصل بالإضافة إلى اللحم، وكُسكُس ذو المرقة البيضاء، وهذا النوع من الكُسكُس يتم طهيه بدون مرق، ويتم تصميغه بسمن الغنم بالإضافة إلى العنب المجفف والسكر أو العسل، ويتم تقديم هذا الطبق مع الحليب أو البصل أو

¹ - وليام شارل: مصدر سابق، ص 87-88 وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 113.

² - J.A. Peyssonel: Desfontaines, Voyage dans la Régence de Tunis et Alger, Édition de la Découverte, Paris, 1987, p. 81. M. Ben Cheneb: Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien, op. cit., p. 21

³ - عبد الجليل التميمي: تأثيرات الموريسكين الأندلسيين في المجتمع المغاربي إيالة تونس نموذجًا، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 120، جوان 2005م، ص 312-333.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص 97.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

البهارات. ونجد الشَّخْشُوخَةُ، وهي عبارة عن قطعٍ صغيرةٍ من خبزٍ لِفَطِيرٍ، يتم طهيها في مرقٍ يتكوّن من خُضْرٍ ولحمٍ غنمٍ أو دجاجٍ¹.

أما أطباقُ نساء الأسرة الفقيرة، فأطباقُهُن كانت بسيطة، تمثلت في خُبْزِ الشَّعِيرِ وزَيْتِ الزيتون والحليب الرائب والجن الطازج والحليّ والكسكس خاليةً من اللحم².

4- الحلويات :

أتقنت بعض نساء المدينة صناعة الحَلَوِيَّات، ومن أشهرها نذكر: البَلْوَزَةُ، وهي كريمة تركية يتم صنعها بخلط النشاء مع السكر والحليب³، والمِسْتَلُوشُ: وهي عبارة عن قطعٍ صغيرةٍ مُصنَّعةٍ من الطحين ممزوجة بالعسل، ويتم طهيها في الزيت، وبعد نضجها يتم نزعها ورشها بالسكر، ثم يوضع عليها البيض المسلوق، وحلوى القَطَايِفُ، وهي عبارة عن حلويات ذات شكل خيوط من عجينةٍ مقطَّعةٍ وتُحلى بالعسل والسكر، ومن الحَلَوِيَّات التركية نذكر: الجاراكُ أو الجوركُ، وهي من الحَلَوِيَّات التركية، يتم صنعها بمزج الدقيق مع الزبدة واللوز والسكر والزلاية⁴.

والبَقْلَاوَةُ: حلوة تركية، وهي عبارة عن عجينة تُبسط في شكل أوراقٍ مسطحة، ثم توضع العجينة فوق العجينة، وبينهما حشو عبارة عن لوزٍ أو زيب حسب الإمكانيات، ثم تُسقى بالعسل حتى تصبح دسمة. ومن الحَلَوِيَّات الأخرى أيضاً حلوى الحَقَّافِ، التي يتم صنعها من العجينة والخميرة ثم تُغلى في الزيت⁵، ونجد صَبْعَ العَرُوسَةِ، الذي يعتبر من الحَلَوِيَّات التي أحبها الأتراك كثيراً⁶.

¹ - محمد العربي حرز الله: أولاد جلال: أصالة وحضارة وتاريخ. شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص. 329.

² - أحمد سليمان: مرجع سابق، ص. 75، وينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791م-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م. ص ص 252-253، وينظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص. 298.

³ - Ben Cheneb: Mots turcs et persans conservés dans le parler algérien, op. cit., p. 23

⁴ - وينظر: سجلات ب.م. رقم 57 ع 11، بلبروات بن عتو، مرجع سابق، ص. 83، وينظر: Ben Cheneb, Mots turcs et persans conservés dans le parler algérien, op. cit., p. 37

⁵ - أحمد توفيق المدني: مذكرات الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 163، هاينريش فون مالتسان: مصدر سابق، ص 59.

⁶ - كورين شوفاليه: مرجع سابق، ص 58.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

نجد الرُّبَّ: معجون عند بن شنب أو عصير عند الأتراك، يتم صنعه من بعض الفواكه مثل: العنب أو التين البربري، اللذين يتم طهيهما في العسل، وحسب بن شنب فهو عبارة عن معجون. ونجد الشَّرْبَاتُ، وهي عبارة عن ماء وسكر وبعض الفواكه، تسعى المرأة الجزائرية في تحضيره خلال شهر الصيام لأن الصائمين يسارعون لشربه بعد الإفطار مباشرة¹.

ونختم حديثنا عن أطباق مدينة الجزائر بما ذكره دان بأن أغلب أطباقهم مُصنَّعة من الأرز أو لحم الضأن وبقر ودجاج، ولا يتناولون لحوم الحيوانات المصطادة. ومن أشهر الأطباق التي يتناولونها الكُسْكُسُ. أما بالنسبة للسوائل فهي عبارة عن شَرَابَاتٍ مُصنَّعة من ماء وعنب وعصير ليمون. أما شاو (Shaw) فيذكر بأن من المكونات الأساسية لطبخ في مدينة الجزائر: اللوز والتمر والعجائن والأجبان والعسل، ولقد حرصت الأسر الأندلسية والتركية على أن تكون أطباقها مسلوقة أو مطبوخة أو محشوة باللوز أو التمر والمربيات وبعض الأطعمة المشتقة من الألبان².
أما بالنسبة للأطباق الأندلسية فقد مدحها أحد الشعراء بقوله :

وَاللَّحْمُ وَالشَّحْمُ وَمَعَ طَوَابِقِ الْكَبْشِ الثَّنِيِّ
وَالْبَيْضُ فِي الْمِقْلَاةِ بِالِ زَيْتِ لَدِيدِ الدَّهْنِ
وَجِلْدُهُ الْفَرْجُ مَشْوِيًّا كَثِيرُ السَّمَنِ
وَلِلْأَسْفَنْجِ مَشْوَقٍ دَائِمٍ يُطْرَبِي وَالْأَرْزُ أَفْضَلُ إِذَا تَطْبَخَهُ بِاللَّبَنِ
وَلِلشَّوَاءِ وَالرَّقَاقِ مِنْ هِيَامٍ أَنْثِي

وَطَبَقُ الْمَثُومِ الَّذِي يُوضَعُ لَهُ الْجُبْنُ، فَبَدَأَ مِنَ الْمَثُومَاتِ بِالْجُبْنِ الْمُمْكِنِ³.

رابعا- المرأة الجزائرية والترفيه:

رغم إصرار بعض الأسر الجزائرية على منع المرأة من الخروج المتكرر من البيت، إلا أنها لم تحرمها من حقها في الترفيه عن نفسها بالتسلية والذهاب إلى الحفلات التي تستدعي إليها من ختان أو عُراس، وقد تبقى في السمر مع صديقاتها إلى غاية منتصف الليل دون أن تلقى معارضة. أما اللواتي كن يمنعن من الخروج من البيت للحضور إلى حفلة موسيقية ليلية عند إحدى الجارات مثل الأندلسيات، فانهن يصعدن إلى سطح البيت للاستمتاع بالموسيقى عن بعد. ويذكر الأسير الإنجليزي (Adam Elliott) أنه أثناء جلوسه في أوقات فراغه مع سيده للسمر وتبادل القصص، أو للعزف له بعض الأغاني اللندنية، أن

¹ - Ben Cheneb Mots Turks Et Persans Conservè Dans Le Parler Algerin:Op. cit: P45

² -Père Dan : Histoire De Barbarie Et De Ses Corsaires.Paris .1637.P385et Show:Op. cit. P385.

³ - أحمد المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص301.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إحدى النساء العربيات كانت تتجه نحوهما مسرعة لسماع تلك الأغاني، وربما جذبها جمال صوته. ويُرجَّح أنها كانت زوجة سيده أو إحدى قريباته، إلا أنه تحفظ عن تحديد هويتها، وقد أشار إلى أن سيده لم يكن يمانع من إنصاتها واستمتاعها بالموسيقى¹.

أ- القيام بولائم ومأدبات طعام:

كثيراً ما سعت المرأة الجزائرية في الترفيه عن نفسها، وذلك بقيامها بمأدبة طعام واستدعاء جاراتها وصديقاتها إلى بيتها، بالإضافة إلى فرقة موسيقية نسوية حتى تزيد حفلتها بهجة، ولم يرفض الرجل هذا أو يعارضها على ذلك، بل كان يقدم لها المال اللازم لذلك حتى تكون حفلتها أحسن حفلة يتحدث عنها الحاضرون. ثم يخرج من البيت تاركاً زوجته تمرح رفقة صديقاتها وجيرانها، ليتجه للجلوس في المقهى إلى غاية انتهاء زوجته من حفلتها، وحسب سيمون بفايفر (Simone de Beauvoir) فهي عادة مذمومة عند بعض الرجال، لأنها تؤدي إلى إفلاسه، ومع ذلك يلبي لها رغبتها ويكتفي بشكوى حاله إلى أصدقائه².

ب- التسامر بين الصديقات في بيتها:

بدو أنه لم تكن كل نساء مدينة الجزائر تعيش كالمحجور عليها داخل بيتها، بل كان يسمح لها في الكثير من الأحيان باستدعاء صديقاتها إلى بيتها من أجل تناول الحلوّيات وشرب القهوة أو الشاي، فيتبادلن بعض المواضيع والقضايا الاجتماعية أو بالاستمتاع بالإنصات لبعض القصص أو النكت المضحكة، فتتعالى أصواتهن بالضحك، وإذا كان تجمعهن ليلاً، فبعد الانتهاء من السماع للقصص، يتجهن للقيام ببعض الطقوس السحرية لمعرفة ما يجبئ لهن القدر: "...ليلاً بالضرورة... أن القوى الكونية ليلاً ولقاؤها يكون أسهل، فمن يريد الاتصال بالقوى الخفية يقوم ليلاً بذلك..." وأحياناً يلعبن لعبة البوقالة، فيحضرن إناءً مُصنَّعاً من طين به ماء صافي، ويضعنه فوق الطاولة، وتجلس بالقرب منه امرأة يتم تعيينها كقائد للعبة، ثم تحيط بها النساء، وخاصة الفتيات اللواتي في سن الزواج، اللواتي يقمن بوضع

¹ - Nabil Matar: Turks, Moors and English Men in the Age of Discovery, Columbia University Press, 1999, p. 78, et Haedo, op. cit., p. 204

وينظر: مهدية طيبي، مرجع سابق، ص. 31.

² - سيمون بفايفر: مرجع سابق، ص. 177.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

خواتهن فيه، ثم يُغطى بمنديل، ثم ترددن بعض العبارات، مثل: "بِسْمِ اللَّهِ بَدَيْتُ... وَعَلَى النَّبِيِّ صَلَّى... فِي قَلْبِهِ حَاجَةٌ اللَّهُ يُبَلِّغُ الْمُقْصُودَ"¹.

ج-التوجه للحمام:

قسمت السلطة الحاكمة في مدينة الجزائر العثمانية الحمامات النسائية إلى قسمين: حمامات خاصة بعمامة النساء، وحمامات خاصة بالمومسات والفتيات المشتبه بهن، ويُعتقد أنه تم عزلهن عن بعضهن. بفترات الاستحمام، وذلك بتحديد وقت لكل جماعة نسوية، أما الاستحمام فيكون في نفس الحمامات. إن الفصل بين نساء المدينة المنحرفات والمتخلقات أثار إعجاب بن شويهد (Ben Chouahed) فمدحهم بقوله: "أحمد الله حدد أوقات دخول الحمامات بقرار من العسكر وبابا محمد خوجة (Baba Mohamed Khoja) بحيث خصصت الفترة من الظهر إلى العصر للسكان المتدينين، ومن العصر إلى المغرب خاص بالمومسات"².

1-الحمامات الخاصة بعمامة النساء:

سمح لنساء مختلف الجماعات الاجتماعية المكونة لمدينة الجزائر بالتوجه إلى الحمامات للعلاج والترفيه، وذلك بعد الالتقاء مع بعض نساء المدينة اللواتي وجدن بها، فيتعرفن على بعضهن ويتبادلن أطراف الحديث بتبادل بعض القصص الاجتماعية. فالحمام، مثل القهوة عند الرجال، يجلسن فيه ويتبادلن أخبارًا خاصة بسكان المدينة، وأهمها المسائل الاجتماعية المتعلقة بالنساء كزواج أو طلاق. ومنهن من تستغل وجودها في الحمام في البحث عن عروسة، فيكون حظ إحدى البنات اللواتي قدمن للحمام بالضفر بعريس والتخلص من العزوبية، فيتم إخبارها داخل الحمام ويتم الاتفاق على الشروط بينهما بدخله دون أن يكون للرجل دخل. وبعد الانتهاء من الاستحمام، يتوجهن إلى قاعة أخرى لارتداء ملابسهن،

¹ - البوقالة: ويقصد بها القلة في اللهجة العامية الجزائرية، حكيم بن الشيخ: مرجع سابق، ص. 193، وينظر: ليلي خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص. 285.

² - عبد الله محمد الشويهد: مصدر سابق، ص 128-129-130.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وقبل الخروج من الحمام يتناولن بعض المشروبات والحلويات ويستمتعن بعزف الموسيقى ورقص البنات اللواتي سخن لتسليية النساء المستحقات¹.

وكانت الفترة المحددة لعامة النساء من منتصف النهار إلى الليل، في حين يذكر جاو (Jaou) أحد الأوروبيين بأنه حُدّدت الفترة المخصصة لهن من منتصف النهار إلى غاية السادسة مساءً. والملفت للانتباه ما ذكره لوجي دو تاسي (Loge de Tassi) عكس بقية المؤرخين، بأنه وجد بالمدينة حمامات خاصة بمختلف نساء المدينة، تم عزلها عن حمامات النساء المنحرفات².

2-حمامات المموسات : سعت السلطة الحاكمة في الحفاظ على أخلاق مجتمعتها، وذلك بالفصل بين الفتيات والنساء المنحرفات عن بقية نساء المدينة حتى لا يحتكّن بهن ويؤثرن فيهن أو يغزّهن بالانحراف. ولهذا فقد حُدّدت لهن وقت خاص بهن يكون من العصر إلى المغرب³.

د-الخروج في النزهة : سمحت بعض الأسر للنساء بالخروج للتنزه، خاصة في الأعياد الدينية، فيسمح لهن بالتوجه رفقة عائلتهن إلى المتنزهات الموجودة بالمدينة أو إلى إحدى المزارع المحيطة بالمدينة، فتذهب إليها صباحًا وتعود مساءً بعد تناول وجبة الغداء المتمثلة في طبق الكسكس واللحم المشوي والإسفننج، أو كما يسميه البعض بالخفاف. وفي المساء يرجعن إلى بيوتهن، ومنهن من كانت تفضل الذهاب إليها مساءً للاستمتاع بجمال الأشجار والموسيقى الأندلسية والرقص عليها، وأسر أخرى كانت تفضل الذهاب إلى المزارع في فصل نضوج الثمر. وفي فصل الصيف تتجه الأسر الجزائرية إلى ريف المدينة لقضاء العطلة هناك، للابتعاد عن ضوضاء المدينة وارتفاع درجة حرارتها⁴.

¹ - محمد سي يوسف: المرأة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد33، زغوان، تونس، 2006م، ص. 179-180، وينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص. 115، وينظر: فضيلة كرم، موجز تاريخ الحمامات، ترجمة: يوسف حصرية، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص. 41-64.

² - Haedo: op. cit., p. 216, et Jao Mascarenhas, op. cit., p. 77, et Lucien Chaillou, Mémoire Du Consul G.Ph Vallière, Pub. Par L. Chaillou Sous Le Titre Alger 178, Imp. IPC, France, 1979. p. 44, Laugier de Tassy: op. cit., p. 108, et Chevalier d'Arvieux, op. cit., p. 285, et D'Alfred D'Apper, op. cit., p. 175.

³ - عبد الله بن محمد الشويهد: مصدر سابق، صص 128-129-130.

⁴ - ينظر: وليام سبنسر، مرجع سابق، ص. 120، وينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص. 161، وينظر: منور مروش، مرجع سابق، ج2، ص. 256، وينظر:

J. Mascarenhas, op. cit., pp. 81-89, et D'Alfred D'Apper, op. cit., p. 175.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الثالث: مراسم الزواج والطلاق ووضعية الأرملة في مجتمع مدينة الجزائر:

لكل مجتمع من المجتمعات مراسم زواج وطلاق خاصة به ولهذا حاولنا التطرق لهذا في مجتمع مدينة الجزائر بالإضافة إلى التطرق للوضعية المرأة الضعيفة التي تعرضت لطلاق أو وفاة زوجها وموقف المجتمع منهما.

أولا - عشق في مدينة الجزائر قبل الزواج:

رغم طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ، إلا أنه شهد أواخر العهد العثماني بالجزائر بعض قصص عشق، فأصبح الجزائري أو العثماني، وخاصة الشعراء، يعترف بحبه لمحبوته بكتابة قصائد عنها دون مراعاة القيم الأخلاقية السائدة آنذاك. فنجد بن شاهد يعبر لمحبوته عن مشاعره دون أن يذكر اسمها في قصائد عديدة، نذكر منها:

يا وَيْحُ قَلْبِي لِضَى الْأَشْوَاقِ تَتَلْفُهُ وَالْحَيْنَ يَهْوَى وَمَبْدَأُ الْهَمِّ رُؤْيَاهُ
سَلُّوا مِنَامِي عَنِ الْأَجْفَانِ كَمْ أَرْقَتْ وَعَنْ سَلُومِضَى عَنِ الْأَجْفَانِ كَمْ أَرْقَتْ
هَاتُوا حَكِيمًا يُعَانِي مَا أَكَابِدُهُ أَوْ أَتْرَكُوا أَلْوَمَكُمُ فَالَسَّمْعُ يَا بَاهُ¹.

ولعل أشهر قصة عشق في مدينة الجزائر لم يكتب لها النجاح، قصة ابن علي² المفتي المالكي الذي لم يستطع إخفاء وكبح مشاعر عشقه لإمرأة خطبها فرفضت الزواج منه. ولكن الإشكال المطروح: ما هي الأسباب التي جعلت هذه المرأة ترفض رغم مكانته الاجتماعية، فهو مفتي ومدرس بأشهر مساجد المدينة آنذاك؟ وهل كان رفضها بضغط من أسرهما، ولماذا هذه الأخيرة ترفض خاطبًا له مكانة اجتماعية مثل ابن علي؟ وكيف وقع بن علي في غرامها رغم أننا نعلم أنه كان يصعب التعرف على نساء المدينة لأنهن يرتدين حجابًا ساترًا يصعب على المرء التعرف عليهن؟ وهل وقع الطرفان في علاقة حب اكتشفت الأسرة أمرها، ونحن نعلم بأن التقاليد

¹ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830م-1954م) ط1، در الغرب الاسلامي، بيروت، ج 8، ص293.

² -بن علي هو محمد بن محمد بن المهدي بن رمضان بن يوسف العليج المدعو بن علي أحد رجال الافتاء المالكي بمدينة الجزائر و خطيب ومدرس بالجامع الجديد بالمدينة للمزيد ينظر أبو القاسم سعد الله: أشعار جزائرية ، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، صص 21-23.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

السائدة في مجتمع مدينة الجزائر آنذاك، والتي سنهاها لاحقاً، تعارض الزواج بين المتحابين لأن هذا يعتبر من المحرمات، فبمجرد اكتشافها لعلاقة قديمة بين الخطيبين، فإنها تبطل هذه الخطوبة.

وقع بن علي في عشق امرأة جزائرية فخطبها، لكن أسرتها رفضت تزويجها له. ومع ذلك ظل هائماً بحبها، يذكرها في كل لحظة، ولأجلها نظم الكثير من القصائد الغزلية معبراً فيها عن ما يختلجه من مشاعر وعشق جنوني لها، ولم يكتف حبه بل ذكره لصديقيه بن ميمون وبن عمار، ولكن القدر حال دون زواجهما فمات أعزباً¹.

ويمكن القول، إن قصته كانت شبيهة بقصص كثير من شعراء العرب مثل قيس وليلى وجميل بثينة وعتر وعبلة وغيرهم ممن لم يكتب لهم الزواج، ولكن المؤرخ أبو القاسم سعد الله ذكر بأن بن علي لم يبق أعزباً وتزوج بإمرأة لا ندري هل كانت محبوبته أو امرأة غيرها، ولقد حزن كثيراً على وفاتها فرثاها بقوله عنها:

وقال لمن كانت حياتي وراحتي وريحاني وقومي إلى منزل الدفن

فحالت يد الأقدار بيني وبينها فأصبحت مسلوب الحجاد أهل الذهن².

أما عن صفات محبوبته التي هام بحبها، فيصفها بقوله: كانت طويلة ذات بشرة بيضاء، وهذا يجعلنا نجزم بأنه نظر لها واطلع على ملامحها، مما جعله يهيم بحبها. ولقد ذكر هذا في قوله:

يميناً لقد عزت علي المطالب ولي أبداً من سحر عينيك طالب

فيا طلعة كالغصن والشمس والضحي بياض وجهها واعتدال يُصاحب

فصباحان من سواك في الحسن صورة لها اعترفت بالحسن حور كواعب³.

¹ - زليخة صاري: محمد بن شاهد آخر شعراء الجزائر في العهد العثماني، دراسة توثيقية وفنية لشعره "قصيدة رثاء مدينة الجزائر نموذجاً"، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م، ص24، وينظر أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فوننتاة، الجزائر، 1330هـ / 1903م. ص67.

² - أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: مصدر سابق، ص67.

³ - نفسه، ص65.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما عن التعرف عليها والاطلاع على ملامحها، فهي ابنة جيرانه، وربما تمكن من النظر إليها صدفة سواء على سطح البيت أو قرب منزلهم، يقول:

شَقَائِي بَعِينَهُ أَلْدُ مَدَامَةً فَيَا طَيِّبَهَا
لَوْ لَمْ تَوَدِّ إِلَى الْحَتْفِ
فَيَا رَاحَتِي مَا أَنْتَ فِي طَيِّ رَاحَتِي
وَيَا مَهْجَتِي عَمَّا تَرِيدُنِي كَفِي
وَيَا أَيُّهَا الْإِلْفُ الَّذِي بِصُدُودِهِ
وَإِقْبَالُهُ يَشْفِي الْمَيِّمَ وَيَشْفِي
عَهْدُكَ جَارًا وَالْجَوَارُ وَسِيلَةٌ
يَتَمُّ بِهَا الْمَشْتَاقُ رِيحَانَةَ الْعَطْفِ¹.

وكما ذكرنا سابقًا أن محبوبته رفضته، ولكن مع ذلك ظل مصرًا على استعطافها من أجل الموافقة، فنظم الكثير من قصائد الصَّالِ والإستعطاف لعلها تصل إليها فتشفق عليه وتوافق على الزواج به:

لَوْلَا وَحَقُّكَ خَطَّةٌ قَلَدْتَهَا
زَهَرَتْ بِهَا فِي الْخَافِقِينَ شَمُوعِي
وَمَنَابِرُ فِيهَا رَقِيْتُ إِلَى الْعَلَى
وَقَدْ اسْتَدَارَ بِهَا كَثِيفُ جَمُوعِ
لِنَحْوَتِ مَنْحَى الْعَامِرِي صَبَابَةً
وَلِكَانَ مِنْ حَرِّ الْجَوَى مَشْفُوعِي

ويضيف قائلا:

فَيَا عَجَبًا هَلْ عَاشَ بِالْوَصْلِ وَاللِقَا
صَرِيحَ الْغَوَانِي أَمْ بَكَتَهُ النُّوَادِبُ
فَقَلْبِي يَزِيدُ مَا تَ عَشَقَ وَلَمْ يَكُنْ
لِيَنْقُدَهُ مِنْ كَانَ عَنْهُ مَحَارِبُ
فَلَا تَعْدَلُوا صَبَا لِلْهَوَى
فَذَلِ الْهَوَى يَا قَوْمَ الْعَزِّ سَالِبُ

واستمر مستعطفًا إياها للقبول به بأبيات أخرى لعلها تتراجع عن رفضها بعد الاستماع إليها، فيقول:

يَا نَاعَسَ الطَّرْفِ الَّذِي مَنَعَ الْكُرَى
فَجَدَ بِالْكَرَى لِيَلًا عَلَى سَاهِرِ الطَّرْفِ
وَزَرْنِي وَلَوْ فِي النُّومِ فِي الشَّهْرِ مَرَّةً
فِيَانِي لَفَرَطِ الْوَجْدِ أَقْنَعُ بِالطَّيْفِ².

رغم محاولاته المتكررة في استعطافها للموافقة، ولكن لم تجد نفعًا، ومع ذلك أصرَّ بن علي على مطلبه وفضل البقاء أعزبًا في انتظار الوقت الذي سترضى به، إلا أنه مات على تلك الحالة. ولقد حاول

¹ - زليخة صاري: مرجع سابق، ص31.

² - أبي العباس سيدي أحمد بن عمار بن عمار: مصدر سابق، ص 77 أبو القاسم سعد الله: أشعار جزائرية، مرجع سابق، ص77 وينظر: زليخة صاري: مرجع سابق، ص25. وينظر ابوالقاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص303.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أصدقاؤه كابن ميمون صاحب كتاب التحفة المرضية في تاريخ الدولة البكداشية وبن عمار صاحب كتاب نحلة اللبيب، اللذان حزنا كثيراً على عدم تقبله رفضها له، فنظم بن ميمون في هذا بعض الأبيات، محاولاً من خلالها مساندته في حزنه على فراق حبيبته:

أَمِنْ فَتْكَ ذَاتِ الْقَلْبِ لِلْقَلْبِ حِجَابٌ وَأَسْهَمُهَا الْأَحَاظُ وَالْقَوْسُ حِجَابٌ
رَمِيكَةً بَاتِ الْهَلَالُ يَنَاجِيهَا حَسُودًا وَغَارَتْ مِنْ حَلَالِهَا الْكَوَاكِبُ¹.

رغم الأشعار والحب الجنوني والاستعطاف من هذا المفتي، إلا انه لم يحظ بموافقة عائلتها ووافقته وبقية أعزبا، ولكن كما ذكرنا بأن أبو القاسم سعد الله قد أورد في كتابه بأنه تزوج.

وكذلك بن عمار المفتي المالكي، الذي وقع في حب امرأة بمدينة الجزائر، ورغم منصبه الحساس إلا أنه لم يتمالك عواطفه وسمح لنفسه بنظم مجموعة من القصائد الغزلية نذكر بعض الأبيات منها:

يَشْبِخُ تَغْزَلُهُ جَمِيلٌ بِشِينَةٍ وَيَشِيرُ الْوَجْدُ مِنْ غِيْلَانِهِ².

رَمْتَنِي بِسَهْمِ اللَّحْظِ مِنْ قَوْسِ حَاجِبٍ فَوَاكِبِدِي مِنْ ذَلِكَ السَّهْمِ وَالْقَوْسِ

ويضيف قائلاً:

يَمْسِي بِبَدْرِ الْوَجْهِ غَصْنُ قَوَامِهَا فَيَخْجَلُتِ الْأَغْصَانُ مِنْ ذَلِكَ الْمَسِّ

ويقول: فلو سُئِلَ الْمَسَاكُ عَنْ ذَلِكَ الْمَمِيِّ لِأَخْبَرَ أَنَّ الرِّيقَ فَاقَ عَلَى الْكَأْسِ

ويقول: فَيَا طَلْعَةَ الشَّمْسِ ارْفُقِي وَتَصَدَّقِي عَلَى مَقْلَتِي مِنْ نَوْرِ وَجْهِكَ بِالْقَبْسِ

يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ إِسْمَحِي بَزِيَارَةٍ فَ لَا زَلْتُ أَهْلًا لِلتَّفْصِيلِ وَالرَّفْسِ³.

ونجد في تلمسان أيضاً قصة عشق بين جزائريين، فهذا أبو عبد الله محمد بن مسايب التلمساني، الذي وقع في حب عائشة ابنة معلمه في الحياكة، والتي كانت تزور أبيها مراراً وتكراراً من أجل أن تقدم له ما تطلبه والدتها من أغراض من السوق. وكان بن مسايب يراها يومياً بعدما أعجب بها من النظرة الأولى، فحاول التقرب منها فنظم قصائد غزلية من أجلها: "...وقد حاول بن مسايب التقرب منها

¹ - أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: مصدر سابق، ص 64.

² - زليخة صاري: مرجع سابق، ص 31.

³ - أبي العباس سيدي أحمد بن عمار: مرجع سابق، ص 68.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

والبوح لها بجه... الأمر الذي أذكى قريحته وتفتقت ذهنيته عن نفس شاعرية نَتَجَّ شعراً غزلياً جميلاً خَلَّدَ ذكر الفتاة التي أصبحت مثار حديث الناس... "تداولها الناس إلا أنه لم يتمكن من الزواج منها"¹.
وسنحاول فيما يأتي التعرف على طقوس الزواج في مدينة الجزائر:

ثانياً - مراسم الزواج في مدينة الجزائر :

يمر الزواج في مدينة الجزائر بمجموعة من المراحل وفق لما أقرته الشريعة الإسلامية، وهي كالاتي:

أ - مرحلة اختيار العروس:

تتدخل الأسرة عندما تدرك الأسرة أن ابنها أصبح في سن الزواج، حتى تنطلق في البحث له عن عروس، لأن شباب في مجتمع مدينة الجزائر خلال هذه الفترة كان يغلب عليه الحياء ولا يجروء على ذكر ذلك لأسرته، التي بدورها تتفطن لإدراكها أن ابنهم أصبح في سن الزواج قادراً على تحمّل المسؤولية².
إن السن المحدد لزواج البنت حسب المصادر هو ما بين 12 إلى 13 سنة³ بينما شاو (Shaw) وفالير (Valier) فقد ذكرا بأن سن الزواج للبنات الجزائريات كان أقل، فحسب شاو بأن سن زواج البنت محدد بـ 11 سنة، أما فالير فقد ذكر بأنه حدده ما بين تسع سنوات أو عشر سنوات⁴.

فالمجتمع الجزائري يسعى إلى تزويج البنات بمجرد بلوغهن سنّ الزواج، خوفاً من انحرافهن، وكذلك الشأن بالنسبة للذكور الذين يُزَوَّجون في سن الخامسة عشرة. ومنهم من فسّر سبب تزويج الذكور في هذا السن بالتحاقهم المبكر بالعمل، فأصبحوا قادرين على تحمّل المسؤولية وتوفير رزقهم⁵، أو 25 سنة حسب (William Charles) فإنهن يصبحن جدّات ولديهن أحفاد⁶، ينما يرى بعض الرحالة الألمان

¹ - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي الجغرافي للغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص405.

² - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص178.

³ - وليام شارل: مصدر سابق، ص ص 79-80. وينظر: Pierre Boyer:Op. cit.P216.

⁴ - G.Ph.Valliére:Op. cit.Pp26-27 Et Shaw Thomas:Op. cit. P108

⁵ - حسن عبد الحميد أحمد رشوان: الأسرة والمجتمع دراسة في علم إجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الاسكندرية، 2012م، ص225.

⁶ - Thomas Shaw:Op. Cit. P108 .

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

(Germans) أن سن الزواج في مدينة الجزائر لم يكن محددًا عند الطبقتين المتوسطة والفقيرة، بل كان مرتبطاً بالإمكانات المادية التي بتوفرها يتم الزواج، أما الأسر الغنية فقد حددته بسن 18¹.
فحينها كانت بعض الأسر تُزوّج ابنها أو ابنتها قبل سنّ البلوغ في بعض الأحيان، وذلك في سنّ سبع سنوات، كما حدث مع زوجة محمد الصادق جوهر وخديجة بنت الحاج بوشامة مع محمد بن السيد عيسى واضح، إذ كانا صغيرين غير بالغين، غير أن أولياءهما قاموا بتزويجهما باتخاذ قرار الموافقة عنهما².
والآن سنحاول الحديث عن طرق العثور على العروس، وهي:

1- تكثر أسرة العريس الراغبة في إختيار العروس لإبنتها في التوجه إلى الحمامات و الأعراس والمناسبات العائلية بدون إضهار ذلك للحاضرين، ويكتفين بمراقبة الفتيات اللواتي في سن الزواج فيتبعن حركات البنات في سرية تامة، وكأنهن في عملية تجسسية³.

2- تتجه والدة أو إحدى أخوات الخطيب عند بعض أقاربها من النساء المتزوجات أو أخواتها أو أخوات زوجها حتى تساعدنها في البحث عن عروس لإبنتها فتخبرها على الفتاة أو تساعدنها على العثور على عروس مناسبة⁴، وأحيانا يتم تزويج البنت من الريب كريب الأخ مثلما حدث مع أمينة التي تزوجت بمصطفى الانجشاري ريب أخيها محمد أغا بن محمد⁵.

3- التوجه عند الخطبات، وهن مجموعة من انساء كبيرات السن وفي رواية كانت معهم بعض اليهوديات، واللواتي حظين بثقة وإحترام سكان المدينة، تمثلت وظيفتهن في دور الوسيط بين الأسر الجزائرية، وذلك بسعيهن في تزويج شباب وشابات مدينة الجزائر اللذين هم في سن الزواج، فيتوجهن للشباب فيبذكرون له حسب ونسب البنت، التي يرغبون في تزويجها له. ويذكرونه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)، ولكن الائمة الأربعة إختلفوا في شروط

¹ - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 121.

² - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 85-178-87.

³ - Joseph Desparmentp: Coutumes Institution Cryances Des Indigènes De L'algerie .L'enfance .Le Mariage Et La Famille .Ed.Centre De Documenatation Allure Et Recherches Historique Sur L'algerie .Aix En Provence (S.L).1913.T1.P148

⁴ - وليام شالر: مصدر سابق، ص 87.

⁵ - ع 4، م 2، ق 23، سنة 1113.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

التناسب بين الزوجين ، وخاصة الحنفية والمالكية المذهب السائدان في مدينة الجزائر ، فحسب بعض الفقهاء أتباع المذهب الحنفي مذهب العثمانيين بأن النسب يعتبر من أهم شروط التوافق بين الزوجين وإنسجامهما وإستمرار العشرة الزوجية بينهما ، ولهذا وجب أثناء الخطبة الالتزام بهذا في حين يرى المالكية مذهب الجزائريين بأنه النسب لايعتبر من الشروط الأساسية للتوافق بين الزوجين¹.

ولقد تميزت مدينة الجزائر خلال هذه الفترة بالتفرقة الطبقية و التفاخر بين أصحاب الحرف "الزواج بينت العم يبقى نادرا... حيث حرصت الأسرة المتنفذة على توطيد وربط علاقات طبقية بهدف الحفاظ على المصالح المشتركة"²، ولهذا سنرى في الكثير من العقود الزواج بأنها إحتوت على ذكر مهنة الشاب ومكانة الأسرة التي تنتمي إليها العروس.

وبعد ذكر نسب البنت يتوجهن لذكر صفاتها الجسدية والخلقية له، فيحاولن إبراز جمالها، الذي يعتبر السبب الرئيس للموافقة على الزواج بها ،ومن الصفات التي يفضل الشاب توفرها في عروسه "يفضلن الفتاة طويلة الشعر الذي يصل إلى القدمين وعيون الغزالة؛ أي تتميزان بالاتساع والصفاء واللون الاعطر " ويفضلن الممتلئة وينفرون من ضعيفة البنية النحيفة لأنها في نظرهم كانت تسببت في العقم ولايمكن لها الحمل والأنجاب... وأن تتقن الطبخ وبعض لحرف خاصة التي تحتاجها في بيتها كالخياطة والطرز، ولهذا كانت أغلب نساء المدينة يتقنون بعض الحرف لأنها تعد من النشاطات الأساسية داخل بيوتهن³.

وبعد التطرق لنسبها وصفاتها الجسدية والخلقية، يتم الحديث عن وضعها المالي والثروة التي تمتلكها فالثروة تعتبر من أهم العناصر الإغرائية والتي تحفز الرجل أكثر بالارتباط بإمرأة ذات مال، فيرضى بالفتاة التي إختاروها له إذا كانت ثرية ، ولهذا فإن أغلب الأسر الجزائرية تتجه إلى هؤلاء لإدراكهن أنهن

¹ - عبد الوهاب خلاف: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1990م، ص 69، وينظر: باسمه كيال: تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م، ص 121-122، وينظر الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط، المملكة المغربية ، دار الغرب الاسلامي،بيروت،1401هـ/1981م ، ج 3، ص 121.

² - عبد العظيم شرف الدين: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية - الزواج، منشورات الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2003، ص 326، وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 362.

³ -وليام سينسر :مرجع سابق، ص 109.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

على معرفة كبيرة بكل فتيات المدينة، اللواتي في سن الزواج فيطلبن وساطتهن في إيجاد عروسة مناسبة لابنهن¹.

إن إختيار العروس في بعض الأحيان يؤدي إلى شجار بين والدي بين والدي العروس المقترحة لابنهنم فالاب يرغب في أن يصاهر أسرة ذات مكانة إجتماعية وإقتصادية للعروس، بينما الأم فتريد أن تكون زوجة إبنها ذات جمال وصفات جسدية ممتازة وتتنقن الطبخ من عجن وفتل للكسكس وبعض الحرف وماتتميز به من لياقة واحتشام التي مع والدتها².

وكذلك الحال بالنسبة لأسرة العروس؛ فقد وضعت بدورها شروطاً يجب توفّرها في العريس، تمثّلت في المكانة الاجتماعية والاقتصادية، والحرفة التي يتقنها أو مصدر رزقه، وأخلاقه وسمعته. ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل شمل أيضاً أخلاق والده، لأنه هو الذي يتولى تزويجه والإشراف على حياته الزوجية إذا كان صغيراً³.

ير أنّ اللافت للانتباه أن بعض الأسر أو الخاطبات لم يُخَيَّرن أسرة الخطيبة بعيوب الخطيب، خاصة الإعاقاة الجسدية التي تُعدّ من أخطر العيوب الواجب إخبار أسرة الفتاة بها. ولهذا وُجد في المدينة بعض العرائس اللواتي اصطدمن بعريسٍ مُعاق، وربما كان ذلك بسبب العرف الذي تمسّكت به بعض الأسر بدعوى عدم جواز رؤية الخطيبة لخطيبها قبل الزواج، حتى يُخفى العيب. وقد يكون ذلك تمّ باتفاق بين الأسرتين، وأُخفي عن الخطيبة، خصوصاً إن كانت يتيمة، وهو الاحتمال الأرجح. وقد حدث بالفعل أن فتاةً، ما إن اكتشفت الأمر، حتى توجّهت بنفسها إلى المحكمة طالبةً الطلاق، مثلما حصل مع زيدي، التي تفاجأت يوم عرسها بأن زوجها "ضير من رجليه"، مما دفعها للتوجّه بمفردها إلى القاضي تطلب الطلاق⁴.

¹ - وليام سبنسر: المرجع نفسه، ص 107، وينظر: هيثم قبلان: أداب الزواج في الإسلام، منشورات البحر الأبيض المتوسط، عويدات، بيروت-لبنان، باريس-فرنسا، 1983م، ص 108، وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 79.

² - هيثم قبلان: مرجع سابق، ص 99، وينظر: Joseph Desparmet: Op. cit., p. 149.

³ - هيثم قبلان: المرجع نفسه، ص 99، وينظر: حسن عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص 26.

Kaddour M'hamsadji: EL Qasba Z'eman, Le Mariage, 2ème Édition, OPU, Alger, 2007, T2, pp. 118-119, Joseph Desparmet: Op. cit., p. 148.

⁴ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر في الفترة العثمانية، مرجع سابق، ص 314.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وهناك رجال، رغم معرفتهم بإعاقة الخطيبة، إلا أنهم وافقوا على الزواج منها. فنجد أمينة الطرشة بنت محمد، التي كانت صماء، وتزوجت من الحبيب يولداش بن مصطفى التركي. ويمكن تفسير ذلك ربما بأنها أصيبت بهذا الداء بعد زواجها، لأننا نلاحظ أن زوجها سارع إلى بيع نصيبه من البيت الذي جمعهما تمهيداً للانفصال عنها، فاشترته عنه، ثم تزوجت مرة ثانية بعلي بن محمد¹.

ونجد خديجة الضريرة، التي تزوجت بمحمد يولداش التركي بن مصطفى، الذي تم اخباره بعاهاتها ومع ذلك وافق على الزواج "إن الزوجة المذكورة ضريرة من كلا العينين فقبلهما بذلك ورضي بها قبولاً ورضاً تامين"².

ويمكن إدراج هذا النوع من الزواج ضمن زواج المصلحة، حيث يتمثل في طمع الزوج في مال وثروة الزوجة. فكيف لرجل أن يتزوج بامرأة لا تبصر أو لا تسمع؟ إصابتها بالعمى في حد ذاته يُعدّ مشكلاً قاسياً للمرأة يجعلها عاجزة عن تسيير شؤونها، فكيف لها أن تدير شؤون زوجها؟ ومع ذلك، يصّر الرجل على خطبتها. ولقد وُجِدَت بعض النساء ذوي العاهات، ربما لوفاء الأزواج لهن، فقبل موتهن قمن بوقف بعض ممتلكاتهن على أزواجهن، مثلما فعلت أمينة الطرشة، التي قامت بوقف دارها، التي تملكها بالقصبة القديمة، على زوجها علي بن محمد، وبعد موته على مؤسسة فقراء الحرمين الشريفين³.

وما تجدر الإشارة إليه أن مهر هؤلاء النساء كان أقل من مهر النساء سليمانات الجسد، فهو مجرد بعض الدنانير ولوازم رمزية، ويمكن تبرير هذا بامرئ أولهما الامكانيات المادية لهذا الزوج ضعيفة وهو ما جعله يلجأ للزواج من امرأة بها عاهة وماجمعه من مال قدمه مهراً لها وهو المرجح، فنجد مثلاً مهر خدوجة الضريرة كان 400 دينار خمسينية وقفطانين كمنحة⁴.

وقد يتقرب الشاب، وفي الغالب يكون من الانكشارية أو رياس البحر من اللذين يرغبون في الزواج بجزائرية من هؤلاء الخطبات، خاصة إذا عثر على الفتاة المناسبة، و المرجح أنه قد سمع عليها

¹ - ع 122، م 2، ق 21، سنة 1146هـ، وينظر: ع 122، م 2، ق 21، سنة 1155هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 136-137.

² - ع 1/16، م 3، ق 53، سنة 1207هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 136.

³ - ع 122، م 2، ق 21، سنة 1155هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 137.

⁴ - ع 1/16، م 3، ق 53، سنة 1207هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 137.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

لأنه خلال هذه الفترة يمنع منعاً باتاً الحديث الشاب مع الفتاة التي يرغب في خطبتها أو يعلن إختياره للمرأة التي يرغب في الزواج بها فهو محرم حسب عرف مدينة الجزائر ولهذا يلجأ إليهن طالبا مساعدته في الزواج بها عندها، وفي الغالب يلجأ إلى من هي أقرب من عائلة الخطيبة، و تحظى باحترام عند هذه عائلة العروس¹.

4- والطريقة الثانية التي يقوم بها الشاب هي توجهه إلى المقهى ويعلن رغبته عند الحاضرين ويسألهم من كانت لديه بنت جميلة في سن الزواج فيزوجونه إياها أو يدلونه على فتاة أخرى²، وفي بايليك الشرق أن الشاب يتجه بنفسه عند والد الخطيبة فيخطبها بنفسه جاء في نازلة من نوازل ابن الفكون "رجل خطب من رجل إبنته فأجاب خطبته وأنكحه إياها"³.

وبعض الرجال من يرغب في إعادة الزواج فيلجأ لزواج بالثيب، وهذا راجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها الخبرة الزوجية، التي تمتلكها هذه الثيب على عكس البكر⁴.

وما يمكن ملاحظته أنه خلال هذه الفترة يُمنع منعاً باتاً، بل يُحرم، وجود علاقة بين الجنسين قبل الزواج، لدرجة أنه بعد الزواج تتجه أسرة العروس للتأكد من عدم وجود علاقة بين الخطيبين، وإذا ثبت ذلك فإنه يتم فسخ الخطوبة على الفور، لاعتقادهم أن العلاقة بين الطرفين قبل الزواج محرمة، ولا تستمر الحياة الأسرية بينهما طويلاً، فقد تؤدي إلى خرابها وتشتتها بمرور الوقت. وكما ذكرنا سابقاً، لا يمكن للخطيبة رؤية خطيبها، والعكس صحيح، حتى ولو تمت الخطبة بينهما إلا بعد الزواج. وتؤكد هذا (Mary Richard) زوجة القنصل الإنجليزي (Blancke)، التي كانت تتحول في مدينة الجزائر، وبمجرد رؤية عرس، توجهت إلى منزل العرس حتى لا تضيع فرصة حضور عرس جزائري. وعندما انتهت من تهنئة أهل العروس، اتجهت إلى العريس الذي كان يجلس في البيت المجاور لبيت العروس لتهنئته، فسارع في طرح

1 - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات...، مرجع سابق، ص 178، وينظر: أبو العيد دودو: مصدر سابق، ص 73-74.

2 - أمحمد عميراي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أمودجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، هامش رقم 3، ص 61.

3 - عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص 61.

4 - Leila Belili Temime : Histoire des Familles, Mariage, Répudiation et Vie Quotidienne à Tunis (1875-1930), Éd. Script, Tunis, 1999, pp. 25-27.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

سؤاله عليها عن رأيه في عروسه، فكان ردها أنه محظوظ بها، ففرح فرحًا شديدًا، وهذا يدل على عدم رؤيته لها سابقًا¹.

ولكن قد يتمكن الخطيب من معرفة بعض صفات خطيبته بالتجسس على حديث والديه أو بعض أقربائه عندما يتحدثون عليها، أو قد يتمكن من معرفة بعض صفاتها من إحدى قريباته، التي تذكر لها صفاتها بطريقة غير مباشرة².

ولكن هذا يتنافى والشريعة الإسلامية التي تسمح للخطيب رؤية خطيبته فتحت على ضرورة النظر جاء في حديثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم «انظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا»، ولقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ»³.

ورغم أن فقهاء المدينة سمحوا للخطيب من رؤية خطيبته في حضور العائلة وعدم الاختلاء بها، ولكن الأسر الجزائرية ظلت متشبته بعرفها المتمثل في عدم النظر للخطيب لخطيبته إلى غاية يوم زفافه بها⁴. وبعد العثور على العروس المناسبة، والتي تكون في الأغلب البنت الكبرى في العائلة: لأن الأسر الجزائرية خلال هذه الفترة وللقضاء على العنوسة فإنها تسارع على تقديم البنت الكبرى على أخواتها فاذا جاء الخطاب فإنهم يسارعون إلى ذكر صفات وخصال إبتهم الكبرى لترغيبهم في خطبتها، وإذا نجحت الخطبة فإن أخواتها الصغيرات يفرحن كثيرا لأنهم يرون فيها عائقا أمام زواجهن حسب العرف الجزائري⁵.

ويمكن أن نخلص إلى القول بأن أغلب الأسر إتفقت على بعض الشروط، التي تعتبرها من الأساسيات الواجب توفرها في العروس، وهي ضرورة التحلي بالدين والحياء "...من المستحسن للرجل القادر على الزواج أن يسعى للزواج بالعدراء العفيفة ذات دين وخلق أفضل من المرأة الجميلة التي نشأت

¹ - Elizabeth Broughton : Six Ans de Résidence à Alger 1806–1812, traduit de l'anglais par Alain Blondy, Éd. Bouchène, Paris, 2011, p. 48

²- D'alonso Cano: La Régence d'Alger Au Xviii Siècle, Manuscrit Présenté Et Traduit De L'espagnol Par Dr.Ismetterkihassaine, Edition Dar EL Quads, Oran, Alger, 2010 Chanony:Mémoire D'un Voyage En Algérie Et Retour Par L'Espagne . Paris.1853 .P15.Et Edward Westermarck: Les Cérémonies Du Mariage Au Maroc, Traduit De l'Anglais Par, J, Arin, Ed. Du Jasmin, Paris, 2003. .P23

وينظر:نجوى طوبال:الزواج والمصاهرات...،مرجع سابق ص195.

³ - عبد العال الطهطاوي : شرح كتاب النكاح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م/1466هـ، ص 35-36.

⁴ - أبو العيد دودو:مرجع سابق ، ص73.

⁵ - Joseph Desparmet :Op. cit .P148.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

في وسط فاسد أي ذات شخصية السيئة والضعيفة ديناً وحياء... " وهذا اتباعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"، وبعد العثور على العروس المناسبة تبدأ الأسرة في تطبيق مراسيم الزواج وأولها الخطبة.

ب- الخطبة :

بعد العثور على العروس المناسبة تتجه بعض النساء إلى أسرة العروس، فيلتقون بوالدتها لخطبة الفتاة بشكل رسمي، لتجيبهم بأن الزواج قضاء الله وقدره، وأنها لا تستطيع إعطاءهم رأيها لأن قرار زواجها بيد أبيها فهو المسؤول عليها، فيكون ردهم بطلب منها أخذ رأيها ثم إجابته¹.

وبعد إستشارة الأم لزوجها، الذي بدوره يسأل عن المكانة الإجتماعية والاقتصادية، التي تنتمي إليها أسرة الخطيب كما ذكرنا سابقاً، وفي حالة عدم توافق الطبقتين، وخاصة من الناحية المادية فأغلب الأسر كانت تحرص على توفر الجانب المادي المناسب لإبنتهم حتى لاتعاني في حياتها الزوجية، فإنه يرفض الخطبة بطريقة غير مباشرة، وذلك بأن يوجد لنفسه مبرراً للرفض، مثل لاتزال إبنته صغيرة غير قادرة على تحمل مسؤولية الزواج².

وإذا أعجبتة المكانة الأسرية للخطيب، فإنه يسارع إلى قبول المصاهرة، وهذا بالنسبة للفتاة البكر فقط. وحسب إملي قشوان، لا يحق للمرأة البكر رفض اختيار والدها، بينما الثيب يُسمح لها بإبداء رأيها ويلزم به إذا كان صائباً وأقنع به. وعندما يوافق الأب، يقوم بإخبار زوجته، التي تتولى الرد على أسرة الخطيب بالموافقة، والذين بدورهم يبلغون والد الخطيب بالرد. بعد ذلك، يدعو الأخير مجموعة من وجهاء المدينة أو من لهم مكانة اجتماعية للالتقاء بوالد العروس في المقهى، طالبين يد البنت مرة ثانية. ويحرص الجميع على بقاء الخطبة سرية تماماً، حتى لا يسمع بها من يسعون لإفساد العلاقات الزوجية عبر إفساد عملية الخطبة³.

¹ Joseph Desparmet :Op. cit P149.

² -حسن أمين البعيني: عادات الزواج وتقاليد في لبنان في الأفراح والأعياد والأحزان، منشورات بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص41.

³ - ينظر سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص163، وينظر إميلي قشوان : مرجع سابق، ص29

Joseph Desparmet :Op. cit.P151 .

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تتم عملية الخطبة بالخطوات التالية: بحيث يطلب والد العريس يد ابنته من والد العروس، فيرد عليه والدها بالموافقة والترحيب، فيتعهد له والد العروس أمام الحاضرين بأنه وضع ابنته في مكان آمن، وأنه سيسعى للحفاظ عليها، فيصون شرفها وعرضها ويعاملها كإحدى بناته. وبموافقة الوالد تتم الخطبة بشكل رسمي، ولا يجرؤ شخص آخر على خطبتها، لأنها أصبحت عصمتها بيد الخاطب. فالدين الإسلامي قد فصل في الموضوع، ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه»، وفي رواية: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»، وفي حديث ابن عمر: حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب؛ أي: حتى يأذن الأول للثاني، إلى أن تتم الخطبة الرسمية في الموعد الذي يتم تحديده¹.

وبعد موافقة الوالد على الخطوبة، تتجه الأم لإخبار ابنتها بقرار أبيها، فتظهر البنت رضاها على ما قام به والدها، لإدراكها حرصهما على سعادتها. وهنا نستنتج أن بعض الأسر الجزائرية لم تكن تأخذ رأي البنت في الخطيب المتقدم، الذي تتولى الأسرة أخذ القرار فيه، رغم أن هذا يتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، حيث جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُزوّجوا البكر حتى تستأذن، ولا تُزوّجوا الأيم حتى تستأمر». قالوا: يا رسول الله! في البكر إنها تستحي، قال: إذنها سكوها». ومع ذلك، رأينا أن بعض الأسر لا تستشير ابنتها ولا تأخذ رأيها إلا إذا كانت ثيبًا كما ذكرنا سابقًا. وبعد الخطبة، يتم تحديد موعد العرس، وبعد اتفاق العائلتين على الشروط، يرسل أهل العريس مجموعة من الأطعمة إلى عائلة العروس².

وطيلة فترة الخطبة وإلى غاية إنطلاق العرس، فإن الفتاة المخطوبة تتغير حالتها داخل بيتهم يمتلكها الخجل أمام والديها خاصة أمام والدها الذي تتجنب مقابله طيلة فترة الخطوبة حياءاً منه، وطيلة هذه الفترة تستفيد من بعض الهدايا تعرف بالهبة من أسرة العريس في مختلف المناسبات الدينية

¹ - ينظر: أحمد سي محمد: البحث عن الشخصية من خلال الأمثال الشعبية، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر،

سبتمبر/أكتوبر 1981م، العدد 65، ص 55، Joseph Desparmet. Op. cit., pp. 151-152,

² - Joseph Desparmet: Op. cit., p. 124، et Kaddour M'hamsadji: D'Alonso Cano, Op. cit., p. 175.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

كعيد الفطر والأضحى تمثلت في بعض الحلبي كالا سورة أو خواتم أو قرط أو عقد أو أموال وغيره، بالإضافة إلى هدايا أخرى بسيطة يتم إستهلاكها مثل العطور أو ملابس وغيره¹.

ج-الصدّاق:

يُعتبر هذا الحق من حقوق المرأة، ويُطلق عليه الأترّك اسم (الدفوع التركي)²، وهو ركن من الأركان الأساسية في عقد الزواج، ولا يصح إلا به. ولكن بعض الأوروبيين، مثل (Schlosser)، اعتبروا الصدّاق بمثابة مبلغ مالي يُقدّم للمرأة من أجل شراء مستلزمات البيت الزوجية من أثاث وأفرشة. أما (Emily Mary Qashwan) فتري أن الصدّاق عند المزابيين أتباع المذهب الإباضي هو: "...المهر الذي يمنحه القانون للمرأة هو مكافأة عبء الحمل والرضاعة والتعليم الذي يتنقل كاهلهم"³.

فالصدّاق في مدينة الجزائر عبارة عن مبلغ مالي، نصفه مقدم ونصفه مؤخر، حسب إمكانيات العريس وعائلته. وهناك من يرى وجوب تقديم جزء منه ليكون الزواج صحيحًا. وعند المزابيين، تُحدد قيمة الصدّاق حسب المكانة الاجتماعية للعريس وأسرته، ولهذا يسعى أغلب العرسان إلى تقديم مهر مناسب: "...يفرض الرجل شخصيته بالثمن الذي يدفعه."⁴ وقد حرص الولي على أن يكون صدّاق ابنته مشابهاً لصدّاق قريباتها، ويضاف إلى الصدّاق بعض المستلزمات الخاصة بالنساء، مثل القفطان والحزام والجواهر، وكذلك الإماء اللواتي في الغالب من السودانيات، اللواتي يشرفن على خدمة العروس ("أمتين صالحتين للخدمة")⁴.

وقد تحكّمت مجموعة من العوامل في تحديد قيمة الصدّاق، فأولها اختلاف صفة المرأة، سواء كانت أرملة أو مطلقة. فمثلاً، كان أدنى صدّاق للمرأة الأرملة 200 دينار وأقصاه 600 دينار. فنجد مثلاً أن

¹ - محمد رأفت عثمان: فقه النساء في الخطبة والزواج، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص 43-44، وينظر: م.أ.و.م.ش.ع 18، وينظر: عزي بوخافة: من قاموس العادات والتقاليد الجزائرية، دار إسحاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009م، ج 2، ص 574-575.

² - Kaddour M'hamsadji : Op. cit., p. 154

³ - وينظر: فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832م-1837م)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 87، وينظر: إملي ماري قشوان: الحياة النسوية في مزاب، ترجمة: سامية نور الدين شلاط، دراسة وتحقيق صالح محمد الشيخ صالح، دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع، غرداية، الجزائر، 2019م، ص 28-155.

⁴ - بن حمادوش: مصدر سابق، ص 239، وينظر: بن الفكون: مصدر سابق، ص 73-74، وينظر: فندلين شلوصر: مرجع سابق، ص 87، وينظر: إملي ماري قشوان: مرجع سابق، ص 28-155.

G. Morgan: Op. cit., pp. 90-91, et Kaddour M'hamsadji: Op. cit., p. 154

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الأرملة سكيمة بنت محمد كان صداقها يبلغ 300 دينار مع قفطان، في حين كان صداق المرأة المطلقة منخفضاً، ربما راجعاً لنظرة المجتمع الاحتقارية لها، فصداقها لا يتجاوز 100 دينار. وثانيها، هو الانتماء الطبقي للزوج أو نسبه. فمثلاً، في بايليك الشرق، وخاصة الأسر العريقة به، كانت قيمة صداق بناتها مرتفعة. جاء في النازلة: "سئل مفتي أبو زكرياء المحجوب عن رجل عقد النكاح على ابنته من دوات الأقدار بصداق مسمّى زائد على صداق أمثالها. قيل لأبيها: لماذا رفعت في صداقها؟ قال: أنه ليس لجمالها ولحضريتها أو ليسارها، بل لمكانة أبيها"¹.

إن أغلى صداق في مدينة الجزائر كان من نصيب بنات رياس البحر والعلماء و الشرفاء ، فنجد عثمان يلدش الناجي قدم لخطيبته فاطمة بنت علي ريس صداقا مرتفعا وماقدمه الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد الشريف لرقية بنت الشيخ أبي عبد الله محمد المقري والمقدر ب 1200 دينار خمسيني بالإضافة "... كان مؤخر الصداق قدره ألف دينار واحد ومائتا دينار وثمان كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة التاريخ وقفطانان إثنان أحدهما موبر والاخر أطلس وأربع أواق جوهر وأربعة أفراد ستيني وأمتان إثنان من رقيق السودان وأربعة قناطير صوف"².

وقدم أبي عبد الله محمد الفقيه بن عثمان لفاطمة بنت الفقيه أبي عبد الله صداقا قدر ب 2000 دينار، وقدم الفقيه أبي الحسن السيد علي بن الشيخ لخطيبته فاطمة بنت الفقيه صداقا يتكون من ألف دينار وثلاثة قفاطين مذهب وموبر وكمحة وثلاثة أفراد مع أوقيتين جوهر وصارمة مصوغة من الذهب وثلاثة قناطير صوف مع أمتين، ومن أسرة الشريف الزهار كان أغلى صداق من نصيب فاطمة بنت الحاج محمد وزهرة بنت السيد المهدي وأغلى صداق كان من نصيب ثرية المدينة السيدة زهراء بنت عبد الله الفهري، الذي منحه لها زوجها مصطفى بلكباشي ب ثمانية آلاف دينار خمسيني³.

يمكن أن نفسر ارتفاع قيمة الصداق الى رغبة الخطيب في إضهار المكانة التي ينتمي إليها و لإرضاء أسرة الزوجة المتقدم لها.

¹ - م ش ع 44 و150 وينظر: عبد الكريم الفكون: مصدر سابق، 73-74.

² - عبد الرزاق بن حمادوش: مصدر سابق، ص239.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 365-367، وينظر: بن حمادوش: مصدر سابق، ص 238-241، وينظر: ع 124، م 1، ق 6، سنة 1019م، وينظر: ع 141، م 1، ق 14، سنة 1208هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 359-360.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما بنات الأسر الفقيرة فإنها صدقها كان منخفضا لا يتجاوز 300 دجخ، ولم يقتصر على خفض مبلغ الصداق بل حذفت منه بعض اللوازم كالاماء والمجوهرات ويكتفي بتقديم قفطان مثل صداق فاطمة بنت محمد البكر، التي قدم لها خطيبها محمد الغرابلي بن مسعود صداقا يتكون من مبلغ مالي قدره 300 دجخ وقفطان كمخة قيمته أربعة دنانير ذهباً وصداق خدوجة بنت علي خوجة الذي بقي لها من صدقها من زوجها الحاج محمد خوجة الملح بن عبيد الله 621 ريال¹.

وقدم المهدي بن أحمد الزروق لفاطمة بنت محمد بن أحمد صداقا قدره 600 دينار جزائرية خمسينية العدد بالإضافة إلى لوازم أخرى قفطان وثلاثة أفراد و قناطير صوف وقيتان إثنان جوهر وأمة سودانية، ومقدمه السيد محمد بن عمر القزاز الذي منح زوجته الولية عويشة بنت محمد البكر صداقا يتكون من أربعمئة دينار كلها جزائرية خمسينية العدد وقفطان واحد كمخة، وأقل صداق كان من نصيب فاطمة معتقة إبراهيم خزناجي من زوجها سالم معتق حسين باشا².

وما تجدر الإشارة إليه، أن بعض الأسر جعلت صداق اليتيمة منخفضا، ويمكن تفسير هذا برغبتهم في حماية اليتيمة بالزواج من رجل صالح يحافظ عليها ويصونها³.

ولم يكن الصداق مقتصرًا على المبلغ المالي فقط بل شمله بعض اللوازم، التي تعتبر بمثابة هدايا للمرأة تتمثل في: صوف، فراد وقفطان بأنواعه، فمنهم من يقدم لخطيبته كل أنواعه الثلاثة المتمثلة في النوع الأول المزين بالذهب والثاني قفطان موبر أي مصنوع من القضيصة الخملية والثالث قفطان كمخة،

¹ - ع 130-131م 10ق 30 سنة 1233هـ

² الكمخة: عبارة عن قماش من الحرير يُصنع في إسطنبول وبورصا، وينظر:

Pakalin Osmali – Mehmet Zeki Pakalin: Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü, İstanbul, MEB, 1983, 3 Cilt, p. 241, Ben Chenb: Op. cit., pp. 116-117

و.م.ش.ع 27 و 2، م.ش.ع 108-109 و 94، وينظر: م.ش.ع (108-109) و 36، سنة 1246، وينظر: ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1818م-1830م)، دراسة منتقاة من مصادر أرشيفية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2012م-2013م، ص 157-218.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 96.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ومنهم من يكتفي بتقديم النوع الأخير وحده، بالإضافة إلى الغليظة، فنجد زهراء بنت المهدي نجل الشيخ سيدي محمد الشريف منح لها إلى جانب القفطان المذهب والكمحة غليلتان¹ والحايك² و الحزام³.

ومن هؤلاء زهراء بنت المهدي بن الشيخ سيدي محمد الشريف، التي قدّم لها خطيبها محمد بن الحاج أحمد شيخ البلد، إلى جانب مكونات الصداق المتعارف عليها، حزامين وبعض المجوهرات التي تراوحت ما بين ذهبية وفضية. فنجد في مكونات مهر إحدى النساء أربعة فردات مساييس. وفي مكونات صداق أسية بنت إبراهيم، مجوهرات قدرت بنصف أوقية منحها لها خطيبها مصطفى الانجشاري، ورقية بنت العالم محمد القري، التي قدّر ثمن مجوهراتها بأربع أواق صارمة. وفي صداق زهراء بنت المهدي بن الشيخ سيدي محمد الشريف، كانت صارمة، بالإضافة إلى قناطير صوفية مع بعض الأفرشة المتمثلة في أعطية ووسدات، وفي صداق امرأة أخرى، منح لها إلى جانب المبلغ المالي "ثلاثة فردات إزار وأربعة فردات مخدات"³، بالإضافة إلى منحهن إماء وعبيد. فنجد ضمن مكونات صداق فاطمة، التي منحها خطيبها محمد الفقيه محمد بن عثمان، "ثلاثة إماء جناويات"⁴.

في حين أن فاطمة بنت قبطان سليمان رئيس، منح لها خطيبها أمة مسيحية وأمتين سودانيتين. ونجد أن عبد الرزاق بن حمادوش قدّم لزوجته فاطمة بنت عمه الحاج أحمد الدباغ صداقًا يتكون من: "ستمائة دينار كلها خمسينية، وقفطان واحد موبر، وفردان إثنان، وثلاثة قناطير صوف، وأوقيتين جوهر، وأمة واحدة مع كالي مؤخر"⁵.

1 - ع 84-86، م 2، ق 38، سنة 1186م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 393.

2 - الحزام: يتم صنعه من حرير أحمر أو أزرق، ويكون مرصعًا بالجواهر أو الذهب، وينظر: خليفة حماش: مرجع سابق، ص 393.

3 - ع 59، م 5، ق 103، سنة 1171م، ع 84-86، م 2، ق 38، سنة 1186م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 384-393، وينظر: عبد الرزاق بن حمادوش: مصدر سابق، ص 239-240.

4 - جناويات: نسبة إلى بلدان جنوة إحدى بلدان السودان وتسمى أيضًا بكناوة (Djanawa = Ganawa)، ويقصد بجن الإماء السودانيات، ويصفهن لنا اللواتي كن يتميزن. للمزيد، ينظر: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: مرجع سابق، ص 154.

5 - ع 124، م 1، ق 6، سنة 1019هـ، وينظر: عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 362-363، وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 173.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ونتيجة لارتفاع قيمة الصداق ومستلزماته، وبسبب الوضعية المادية الصعبة التي كانت تعاني منها أغلب الأسر الجزائرية، كان ذلك يؤثر سلباً على أبنائها، خاصة ما يتعلق بتكاليف الصداق. ولهذا نجد أن بعض الأسر كانت تتمكن من تقديم مهر ابنتها كاملاً، ومنها من كانت تستطيع توفير جزء منه فقط فتقدمه أثناء الخطبة، بينما تؤخر الباقي إلى ما بعد العرس، وذلك بعد الاتفاق مع أهل العروس. ويُعرف هذا النوع من المهر المؤجّل باسم الكالي، وقد كان منتشرًا بكثرة في المدينة، نظرًا لتفهم أغلب الأسر الجزائرية للظروف المعيشية الصعبة التي كانت تمر بها بعض العائلات في مدينة الجزائر، خاصة وأن معظمها كان أسراً ريفية تعتمد في رزقها على ما تنتجه الأراضي الزراعية، وهي أراضٍ كانت تتعرض لفترات قحط بسبب الفيضانات أو الجراد وغيرها كما سبقت الإشارة إليه. ولكي تُسهّم هذه الأسر في تشجيع الشباب على الزواج، فقد كانت تسمح بتأخير دفع جزء من المهر¹.

وقد أدّت الثقة القائمة بين الأسر في مسألة الصداق وتأجيل جزء منه إلى ظهور حالات كان يُسدّد فيها الكالي حتى بعد وفاة الزوج؛ إذ يتولى الورثة دفعه باعتباره ديناً ثابتاً في ذمته. ومن ذلك مثال زوجة الحاج حسين الانجشاري، حيث قام ورثته بعد وفاته بسداد الكالي المستحق لها، وفاءً بما بقي في ذمة المتوفى².

ويلاحظ أنّ وليّ العروس كان هو الجهة التي تتولى استلام المهر والاحتفاظ به نيابة عنها، فلا يسلمها لها إلا بعد الاطمئنان إلى استقرار حياتها الزوجية وطول مدّتها، وتحققه من انتفاء احتمال الطلاق. أمّا إذا حدث الطلاق أو تبين له أن استمرار الزواج أصبح مستحيلاً، فإنّه يقوم حينها بتسليمها المهر، أو يكون من حقّها المطالبة به مباشرة³.

وبعد استلام أسرة العروس للصداق، يتولى وليّها شراء الشّورة، وهي الجهاز الخاص بالعروس، والذي يضمّ في العادة ألبسة مطرّزة بالخياطة الفضيّة، إضافةً إلى كل ما تحتاجه في مراسم زفافها⁴.

¹ - صالح عباد: مرجع سابق، ص 335.

² - ع 6، م 3، ق 5، سنة 1206م، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 424.

³ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 173-174.

⁴ - Joseph Desparmet: Op. cit., pp. 158-159.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ونختم حديثنا عن الصداق بنموذج من مهور الدايات التي كانوا يقدمونها لزوجاتهم. ونظراً لكون الدايات أعلى مرتبة في هرم السلطة، فقد كان بعضهم - كما رأينا سابقاً - يرفض الزواج ويفضّل العزوبة، في حين اختار آخرون الزواج، وهو ما يقتضي بطبيعة الحال تقديم الصداق باعتباره ركناً أساسياً من أركان العقد ومن بين المعلومات التي عُثر عليها بشأن صداق الدايات، ما ورد حول المهر الذي قدّمه الدايات الحاج الدولاتي التريكي لخطيبته العليجية السيدة خديجة بنت عبد الله، وقد بلغت قيمته سبعمائة ريال وثلاثة وأربعين ريالاً من الدراهم الصغار¹.

وبعد الاتفاق على المهر تأتي المرحلة الموالية والمتمثلة في تأكيد الزواج وتوثيقه عن طريق العقد.

د-العقد: بعد الاتفاق بين أسرتي العروسين يتجه الطرفين إلى المحكمة، التي تحتوي على قاعة² خاصة بإبرام عقود الزواج³، العقد هو: وثيقة تؤكد على الموافقة بين الزوجين ويتم توثيقه بهذا العقد، وهو المرحلة الأخيرة قبل البدء في التحضير لمراسيم الزواج، ويكون بحضور مجموعة من الأشخاص الواجب حضورهم في العقد حتى يكون صحيحاً تمثل في الولي والشاهدين⁴ وما تجدر الإشارة إليه أن ولي العروس يختلف باختلاف طبيعة المرأة من حرة إلى أمة وغيره، ولهذا فقد حدد القضاء ولي كل امرأة فنجد:

1-الولي: يختلف ولي العروس من امرأة إلى أخرى حسب وضعيتها الاجتماعية فنجد:

1-1- ولي المرأة الحرة: حدد بالأب أو غيره ممن حددهم الشرع الإسلامي، وحسب أبو حنيفة هم العصبة أو ذوي الأرحام حسب الترتيب، وفي المذهب الحنفي مذهب العثمانيون بمدينة الجزائر أنه يحق لولي العروسة على إجبار وليته الصغيرة السن على الموافقة لعدم إدراكها لمصلحتها أما إذا كانت كبيرة فيحق لها رفض الخاطب إذا لم يعجبها، و ظلت طبيعته الولي متدبدة فأحيانا يكون هناك تساهل حول الولي ويقبل أي شخص تولى تزويج البنت وأحيانا يكون تشدد وهذا راجع إلى

¹ - ع124-125، م2، ق13، سنة 1101هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 359.

² - تتميز قاعة العقد بإحتوائها على زراي مفروشة، وقاضي يرتدي عمامة كبيرة يجلس على كرسي في مكان مرتفع من القاعة ويجنبه طاولة بيضاوية الشكل عليها مصحف غلافه من الجلد مطرز بالذهب وعن يساره الكتاب الذي يسجل فيه محضر الجلسة ينظر: أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص74.

³ - نفسه، ص74.

⁴ - عبد الوهاب خلاف: مرجع سابق، صص26-27-28.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إختلاف صفتها، فإذا كانت بكرا فانه يشترط أن يكون وليها أحد أقاربها ويجب أن يكون ذكرا وهو الأحق بالولاية عنها نيابة عن أبيها في حالة عدم وجوده بموت أو غياب وغيره بذكر. وفي الغالب يتولى والدها عقد نكاحها "أنكحها إياه بما سمي فيه والدها المذكور لصغرهما وحجره عليها.. "ومن هذه العقود، نذكر: "والدها السيد مصطفى المذكور" وهناك من تولى تزويجها عمها "أنكحها إياه بما يسمى فيه عمها المذكور لحجره عليها"¹.

وإذا كانت ثيبا فيسمح لها بتزويج نفسها، وتكليف أحد أوصيائها كالخال أو الجار وغيرهم أو أبنها جاء في عقد زواج: "أنكحها إياه بما سمي فيه ولدها محمد الخياط بن محمد بتوكيلها إياه على ذلك"² و العلجة بنت محمد، تولى ابنها مصطفى الحفاف تزويجها باسماعيل الانكشاري القزاز³ وعقد آخر: "أنكحها إياه بما سمي فيه خالها المكرم أحمد بن مامي بتوكيلها إياه." و "العاقد عليها جارها المكرم محمد الجاقماجي بن علي بتوكيل منها على ذلك بذكره"⁴.

أما الولي عند المالكية وهو مذهب الجزائريين، فلقد تشدد الفقهاء في مسألة ولي العروسة الذي حدد بوالدها أو من أوصاه بذلك، قال مالك رضي الله عنه: "لا يزوج الصغير والصغيرة إلا الأب فقط ويقوم مقامه من جعل له الأب ولاية التزويج كالوصي"⁵.

1-2- القاضي الجزائري ولي النساء المغربيات في مدينة الجزائر واللواتي فقدن وليهن:

لما كانت مدينة الجزائر قبلة لبعض الأسر المغربية، لسبب من الأسباب كما ذكرنا سابقاً في حديثنا عن جماعة المغاربة، قد يكون هذا السبب اقتصادياً أو سياسياً، وكانت هذه الأسر أحياناً تتعرض للهلاك بسبب وباء أو مرض أو حادث، فينقضي أغلب أفرادها ويبقى فرد أو أكثر، خاصة الأثني، التي قد تبقى

¹ - ع 1/14، م 2، ق 66، سنة 1211م، وينظر: م.ش.ع 108-199 و 94، وينظر: ع 65-67، م 3، ق 53، سنة 1239م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 343-344، وينظر: بدران أبو العينين: الزواج والطلاق في الإسلام، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط2، 1961م، ص 121، وينظر: محمد أبو زهرة: محاضرات عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1971م، ص 99-101، وينظر: باسمه كيال: مرجع سابق، ص 125.

² - ع 59، م 4، ق 43 سنة 1232م.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية، مرجع سابق، ص 57.

⁴ - ع 44، م 4، ق 99، سنة 1245م نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 532.

⁵ - بدران أبو العينين: مرجع سابق، ص 122.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

بدون ولي أو وصي يشرف عليها. ونظرًا لاستمرار الحياة ولأن الزواج سنة واجبة على كل مسلم، ومن شروط صحة عقد الزواج وجود الولي، فقد تكفل القاضي الجزائري بهؤلاء، وعين نفسه وليًا عليهن. ومن الأمثلة على ذلك ما فعله أحد قضاة مدينة الجزائر مع المرأة التطوانية ميمونة خديجة بنت السيد محمد العجلي التطاوي، التي تقدم لخطبتها الفقيه عبد الله بن المرحوم محمد أبوزار الغامري، فوافقت عليه، ولأنها كانت بدون ولي، لجأت إلى القاضي ليشرف على زواجها، فوافق على ذلك وتولى كتابة عقد زواجهما بنفسه، وأضاف في العقد إثبات عدريتها بعد تأكده من ذلك: "...بكرًا عذراء يتيمة مهملة، لا وصي لها من أب ولا مقدم من قاضي".¹

وهذا لحماية حقوقها، فقد يتهمها زوجها في عدريتها، خاصة وأنها كانت تقيم بمفردها قبل الزواج، وقد يجعلها عرضة للاعتداءات، مما يجعل بعض الأشخاص يشككون في عدرية المرأة، ولهذا فقد تفتن القاضي لهذا، فقام بتسجيله في العقد حتى يكون دليلًا وحجة لها في حال تعرضها للاتهام في الشرف، وخاصة وأنها بلا ولي تلجأ إليه ويدافع عنها، وما يلاحظ على هذه المرأة أن صيتها الطيب وتحليها بالأخلاق الحميدة جعل فقيه المدينة يتقدم إليها ويتخذها زوجة له وأما لأطفاله، وهذا دليل على تربيتها الجيدة وحرصها على دينها وأخلاقها رغم بقائها وحيدة في بلاد غريبة عنها، وربما كان الفقيه يعرف أسرتها ويعلم ما ألم بها بعد هلاك أسرتها، فرأى أن الزواج بها أحسن حل لها بدلاً من البقاء وحيدة، وفي هذه المرحلة يُطلب من المرأة ذكر شروطها على الزوج، وحتى الزوج يطلب منه إتمام شروطه للاتفاق بينهما قبل الزواج..

2- شروط المرأة في عقد الزواج:

2-1- شروط العروس :

من الشروط التي طغت على مختلف عقود الزواج في مدينة الجزائر، هو شرط جعل الطلاق في عصمة الزوجة، والذي يُعتبر من الشروط الدخيلة على المجتمع الجزائري، ويعود أصله إلى مدينة القيروان التونسية، لأن هذا النوع من الطلاق سُمي بالشرط القيرواني. وهذا يدل على احتكاك الجزائريين بالتونسيين حتى في المجالات الاجتماعية، وينص على أحقية المرأة في تطليق نفسها أو ضربتها التي يتزوجها بعدها، وهذا بالنسبة للمرأة الحرة. أما الأمة التي يتسرى بها زوج سيدتها، فإنها تتولى سيدتها باتخاذ القرار في حقها، وذلك ببيعها أو عتقها أو

¹ - ع 142-143، م 4، ق 113، نقلًا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 341.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

معاقبته عقوبة جسدية أو لفظية حسب طبيعة العاطفة عند سيدتها.¹ وإذاً، فمن شروط المرأة في عقد الزواج نجد:

2-1-1-1-1 - رفض الضرة، لأن الزوجة الثانية طالق أو التسري عليها بغيرها، وخاصة بالنسبة للإماء، فقد ثبت أن الكثير من الأسياد كانوا يتسرون بإمائهن لأنه قد يتحول إلى زواج. ولهذا، اشترطوا عليه أنه إذا تسرى بأمة، فإن الأمة ستنال حريتها، ويجب أن يلتزم بالبقاء كزوج لها وحدها: "...أن لا يتزوج عليها، فإن فعل شيئاً من ذلك فقد جعل أمرها بيدها". ومثل هذا الشرط نجد أنه قد أُدرج ضمن عقد زواج فاطمة بنت غيلان، الذي اشترطته على خطيبها مهدي بن زروق: "عدم التسري أو التضري، وإذا تجرأ على القيام بهذا فستطلق نفسها لأن العصمة بيدها". وكذلك الأمر عند رقية بنت الشيخ عبد الله المقري على زوجها الفقيه أبو زيد السيد عبد الرحمان بن المرحوم أبي العباس السيد أحمد شريف مرتضى.²

ومثلما فعلت رقية بنت العالم أبي عبد الله محمد المقري، مع زوجها الفقيه عبد الرحمان بن أحمد الشريف المرتضى أنه إذا تزوج عليها فالمرأة الثانية طالق وإذا تسرى بأمة فإن الأمة تنال حريتها وكذلك عند فاطمة بنت الفقيه الشريف الحسيني أبي عبد الله محمد شريف الزهار على زوجها أبي الحسن علي بن الشيخ الحاج محمد نجل الولي الصالح.³

2-1-2-2 - أن تكون عصمتها بيدها" في حال مخالفتها يصبح الأمر بيدها"⁴، ولهذا أصبح طلاقها بيدها، وبإمكانها تطليق نفسها بدون عراقيل ومن هذه الشروط نجد عند الأرملة مريومة بنت سليمان مع زوجها محمد الحرار.⁵

¹ - Fatimazahra Gouchi: Le Mariage Kairounis avec Clauses, dans La A.H.R.O.S., No 6, pp. 153-178

² - وينظر: عبد الإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م، ص 389-401، وينظر: م.ش.ع 81-80 و22، وينظر: م.ش.ع 81-80 و57، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 135.

³ - عبد الرزاق بن حمادوش، مصدر سابق، ص 240.

S. Bencheneb: « Un Contrat de Mariage Algérois au Début du 18e Siècle », Annales de l'Institut des Etudes Orientales, Université d'Alger 1955 .., pp. 98-117

⁴ - وينظر: م.ش.ع 17 و53، وينظر: ع 73-72، م 3، ق 56، سنة 1239م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 335، وينظر: نجوى طوبال: الزواج والمصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 133.

⁵ - نفسه .

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

2-1-3- ومن شروطها أيضا "أن لا يفارقها إلا برضاها"¹، والموافقة على الإقامة معها في المسكن الذي كانت تقيم فيه قبل زواجها، سواء كان بيت عائلتها أو جدتها أو سيدتها إذا كانت معتقة أو أمة أو الإقامة معها في المكان الذي تختاره بنفسها ولا يجبرها على مغادرته إلا برضاها ومن هذه الشروط نجده في عقد زواج مريمومة بنت سليمان، التي اشترطت على زوجها محمد الحرار الطويل الإقامة معها عند والدتها وأن يوافق على النفقة على أمها وكذلك عند أمنة بنت مصطفى باش سايس البكر، التي اشترطت على زوجها حمدان الشبارلي بن حليلة أن يقيم معها بعد زواجهما عند جدتها للأُم و، كذلك فاطمة بنت حمود، التي اشترطت على زوجها الإنكشاري القنداقجي على الإقامة معها عند جدتها نفوسة بنت علي²، ولكن هناك النساء أقامت مع زوجها في البيت الخاص بهما³ بشرط ألا يجبرها على مرافقته⁴ بالسفر إلى البلد الذي جاء منه، ولا يجبرها على الرحيل من مدينة الجزائر مكان إقامتها إلا برضاها، وعليه البقاء معها في حالة الرفض⁵ مثلما فعلت زوجة سعيد البناء بن علي، التي اشترطت عليه الاستقرار بالمدينة⁶.

2-1-4- أن يوافق على إحتفاضها بأطفالها الذين أنجبتهم من زوجها السابق والإقامة معها، وأن ينفق عليهم مثلما فعلت رحمة بنت أحمد، التي اشترطت على زوجها الثاني حمودة أغا بن علي الموافقة على إحتفاظها بابنتها من زوجها السابق والإقامة معها، وكذلك الارملة مريمومة بنت سليمان، التي اشترطت على زوجها محمد الحرار بظرورة النفقة على ولديها من زوجها السابق وكذلك خديجة بنت محمد

¹ - م ش ع 25 و 35، م ش ع 58 و 16. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 335.

² - ع 72-73، م 3، ق 56، سنة 1239، وينظر: م.ش.ع 59 و 11، وينظر: م.ش 130-131 و 39، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 335، وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 133-135.

³ - م.ش.ع 108-109 و 88، وينظر: خليفة حماش: مرجع سابق، ص 198.

⁴ - ع 17، م 3، ق 89، سنة 1234م، ع 1/14، م 2، ق 66، سنة 1211م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 198، وينظر: بن حمادوش: مصدر سابق، ص 238-241، وينظر: نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 361 نفسه، وينظر: م.ش.ع 80-81 و 66.

⁵ - نفسه، وينظر: م.ش.ع 80-81 و 66.

⁶ - ع 108-109، م 4، ق 82، سنة 1222م

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الصفار، التي اشترطت نفس الشرط على زوجها الثاني الحاج رمضان منزول أغا على إبقاء إبنتها عزيزة معها وكذلك تسعديت مع زوجها محمد أمين جماعة البسكرة، التي اشترطت عليه قبول ولديها¹.

2-1-5 -ومن الشروط أيضا أنها اذا تزوجت برجل مطلق، فانه يمنع عليه إعادته زوجته الأولى إلى عصمته، ومثل هذا الشرط وجدناه عند سكيينة بنت محمد على زوجها أحمد بلكباشي بن يوسف².

2-1-6 -ومن الشروط أيضا شروط تعلقت بأموالها، فلقد اشترطت عليه عدم التدخل في أموالها وتسييرها³.

2-2- شروط ولي العروس :

مثلما كان للعروس شروط خاصة بها أيضا قام وليها بوضعها خاصة إذا كانت صغيرة، ولم تبلغ سن النضج، وهي :

2-2-1 -إذا كانت وليته صغيرة ولم تبلغ فعلى العريس الموافقة على بقائها في بيت أهلها، وأن يتعهد الزوج بعدم الزواج منها حتى تبلغ، مثلما فعل والد دومة، التي خطبها بن عمها التاجر عمر بن الغازي فاشترط عليه الموافقة على إبرام عقد الزواج، ولكنه لا يتم إلا بعد بلوغها⁴.

2-2-2 -إشترط الولي على الخاطب لإبنته بضرورة الإقامة عنده في بيته، ولا يسمح له بأخذها معه إلا بموافقتها مثلما فعل أحمد والد راضية، التي خطبها علي الحوكي فاشترط عليه والدها بضرورة الإقامة

¹ -ع39..1م.ق4 سنة 1106م وينظر ع18/ 1مق36 سنة 1142م، ع102-103، م7، ق198 سنة 1233م وينظر م ش ع 71-70 و56. وينظر م ش ع 108-109 و40. وينظر م ش ع 108-109 و99 نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق ص 121-122. وينظر نجوى طوبال : الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م)، مرجع سابق، ص133.

² -م ش ع 44 و150. خليفة حماش: مرجع سابق، ص 121-122.، 333 وينظر نجوى طوبال: مرجع سابق، ص، 132 محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 532-533.

³ - م.ش.ع 59 و103، وينظر: خليفة حماش: مرجع سابق، ص 121-122، 333، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 132، محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 532-533.

⁴ - م.ش.ع 108-109 و94، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 95، وينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 279.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

عنده بعد زواجه بابنته، ولا يجبرها على مغادرة بيت أهلها إلا بموافقة وأنها يتعهد له بعدم الزواج عليها، وفي المقابل فإن والدها تعهد له بالنفقة عليهما لمدة ستة أعوام من تاريخ العقد¹.

ونجد الحاج بوعلام الذي تولى تزويج شقيقته مريم بنت الحاج إسماعيل بأعراب الزواوي، والذي إشتراط عليه الإقامة مع زوجته ولا يجبرها على مغادرة البيت إلا برضاها، وإذا أصر على مغادرته فطلاقها بيدها².

2-2-3 - وهناك شروط تعلقت بالواجبات، التي تقوم بها ابنته العروس في بيت الزوجية، وهي: " إن ابنته لا تطحن الرحى ولا تحطب الحطب ولا يمنعها من زيارة أبويها متى أرادت ذلك"، ومثل هذه الشروط كان محمد المداح قد اشترطها على زوج ابنته ميمي السيد محمد بن حمدان التاجر³.

2-2-4 - ومن شروطه أيضا هي عدم إحضار وليته لشورة، وهذا الشرطي الغالب ذكره من تولى كفالة يتيمة أو من الأسر الفقيرة أو البسيطة، الذين كان وضعهم المادي مزري لا يمكنهم من توفير شورة كافية كشورة غيرها من بنات المدينة⁴ مثلما حدث مع اليتيمة زهرة بنت عبد الله، التي عجز وليها الحاج أحمد شاوش الحرمين، الذي تولى كفالتها عن توفير الشورة العرس لها، فأخبر زوجها عمر الدلال بن محمد بهذا، الذي وافق على ذلك⁵، ونجد أيضا الحاج مصطفى رايس الحنفي ولي زهرة الذي أخبر محمد الحنفي بن علي خطيب ابنته بأنه عاجز على توفير شورة لها لفقره فوافق الخطيب على ذلك⁶ الحاج أحمد شاوش يخبر ولي العروسة زهراء بنت عبد الله التي أخبر ولي زوجها عمر الدلال بأنه عاجز على توفير شورة لابنته فوافق على ذلك⁷.

3- شروط العريس على العروسة :

¹ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 133-134. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 121-122.

² - نجوى طوبال: المرجع نفسه، ص 134..

³ - نفسه، ص 133.

⁴ Josephdesparmet. Op. cit.: Pp158-159.

⁵ - نجوى طوبال : مرجع سابق، ص 211.

⁶ - نفسه، ص 211.

⁷ - ع 1/16، م 3، ق 47، سنة 1243م، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 211.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

مثلما كان للعروس ووليها شروط على الزوج ، كانت له أيضا شروط ،ومن الشروط التي إشتراطها بعض رجال المدينة على زوجاتهم نذكر:

3-1- على الزوجة توفير مسكن سواء خاص بها أو الموافقة على الإقامة معها عند والديها، وربما هذا الشرط إشتراطه بعض رجال جماعة البرانية أو من الإنكشارية ، الذين تزوجوا بنساء المدينة وكانوا لا يملكون مساكن خاصة بهم أو رفضت النساء الرحيل والإقامة معهم في بلدانهم التي جاءوا منها وهو مادفع بهؤلاء وضع هذا الشرط ،ولهذا نجد فاطمة بنت إبراهيم وافقت على توفير المسكن لزوجها خليل البايك بن حسن وأيضا مريومة بنت سليمان وافقت على توفير المسكن لخطيبها محمد لحرار بشرط أن يتكفل بالنفقة على ولديها اللذان انجبتهما من زوجها السابق¹.

3-2- إلزام الزوجة الثانية على قبول حضانة أطفاله من زوجته السابقة وإقامتهم معها وتتولى تربيتهم ورعايتهم مثلما تفعل مع أطفالها الذين من صلبها ،ومثل هذا الشرط إشتراطه حمدان الفكاه بن أحمد العطار على زوجته الثانية ،وكذلك محمد السراج بن أحمد ،الذي تزوج بأرملة فاشترط عليها هذا وأضاف إليه شرطا آخر وهو إحترام أمه وطاعتها أما هي فقد إشتطت عليه الموافقة على النفقة على إبنتها فقبل شرطها ، وكذلك فاطمة بنت سليمان وافقت على رعاية والتكفل بربيتها روضة بنت إبراهيم الجاقماقي².

3-3- لاحظنا سابقا أن بعض النساء إشتطن على أزواجهن عدم السفر أو مرافقتهم في سفرهم، ولهذا بعض الأزواج وضع شرطا مضاد له فيه ألزم الزوجة على قبوله أو رفضه وتوثيقه في عقد الزواج جاء في شرط الزوج على زوجته: أن لا تمنعه من السفر إذا اراد ذلك وأن ترحل معه إذا اراد تغيير إقامته³.

¹ - ع 59م.5ق.116 سنة 1110م ، ع72-73م.3ق.56. سنة 1239م، وينظر: نجوى طوبال: المرجع نفسه، ص ص84-133-138.

² - ع 25م.2ق.36. سنة 1231م، .وينظر نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية ،مرجع سابق، ص ص 99-138.

³ -نجوى طوبال : المرجع نفسه،ص138.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

3-4- ومن الشروط القليلة جدا إن لم نقل نادر الحدوث وهي إشتراط الزوج على زوجته على عدم مطالبتها بالجماع والعشرة الزوجية بعد زواجهما ، لأنه عاجز على تنفيذه ما جاء في الوثيقة "ألا أربة (رغبة) له فيها من جهة الوطاء...¹" ، ومع ذلك وافقت بعض النساء على هذا الشرط ، ويمكن القول هاته الأرامل أو المطلقات واللواتي أعدن الزواج للمرة الثانية من أجل الإستقرار المادي كالنفقة عليها وتوفير المسكن والحماية ، مثلما حدث مع سكيينة بنت محمد ، التي خطبها أحمد بلكباشي بن يوسف وأخبرها أنه لن يحدث بينهما الجماع "...ألا أربة له فيها من جهة الوطاء..." وافقت على ذلك وأخبره بردها وليها نيابة عنها² ، ولكنها في المقابل إشتطت عليه عدم إسترجاعه مطلقته إلى عصمته فوافق على شرطها³.

ولم يتضمن العقد شروط الزوجين فقط بل سجلت فيه العيوب الخلقية الموجودة في المرأة أو الرجل بعد تصريح بها مثل: ضعف لبصر وغيره ، والهدف من لإعلام كل طرف بعيوب الطرف الثاني له حتى لا يحتج مستقبلا وبالتالي ضمان الإستقرار بينهما بعد رضاهما بذلك مسبقا ، مثلما حدث مع فاطمة بنت الحاج محي الدين ، التي كانت كيفية ولما خطبها محمد يولدش بن مصطفى أخبره وليها بضررها ومع ذلك وافق عليه وتزوج بها⁴.

ه- مضمون عقد الزواج:

يتم إبرام عقد الزواج في المحكمة تحت إشراف القاضي ، الذي قبل كتابته يتأكد من إستلام ولي الزوجة للصدّاق من الزوج⁵.

ويتم إفتتاح وثيقة عقد الزواج بالعبارة التالية: الحمد لله تم على بركة الله تعالى وتوفيقه وعلى منهاج الشرع القويم وطريقه ، ثم يتم تسجيل المعلومات المتعلقة بالزوجين ، وهي :

1- إسم ولقب الزوجين.

¹ - ع44، م4، ق97، سنة1135هـ؛ نقلا عن نجوى طوبال: المرجع نفسه، ص132.

² - نفسه.

³ - نفسه. ، خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص337.

⁴ - خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص335-337، ع 1/16، م3، ق53، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص132.

⁵ - خليفة حمّاش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص327-328.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

2- سن الزوجين مع التركيز على سن الزوجة، التي تختلف وضعيتها بين ثيب أو بكر، وكبيرة أو صغيرة لم تبلغ سن الزواج. وحسب عبد الرزاق بن حمادوش، كان القاضي ينحاز كثيراً إلى بنات الطبقة الغنية أو أصحاب السلطة، وذلك بمدحهن بأجمل العبارات أثناء كتابة عقد زواجهن، بقوله: "الجوهرة المكنونة والدرة المصونة". ولم يكتفِ بذلك، بل كان يزين هذه العبارات بالذهب والأزورد، مثلما حدث في عقد حفيد أحد الدايات، الذي جعل عبد الرزاق بن حمادوش ينبهر بعقده لجماله والأسلوب الذي كتب به، فوصفه قائلاً: "...لقد تمّتها سيدي محمد المسيني، أخو قاضي المالكية، فأجاد في تزويقها بالذهب والأزورد، فلم أر مثلها فيما رأيت"¹.

أما بعض عقود الزواج الخاصة بالفقراء أو جماعة البرانية، فقد كانت خالية من عبارات المدح ويكتفِ بذكر طرفا الزواج فقط مثل العقد التالي إذا كانت بكرا "تزوج الشاب السيد أحمد مخطوبته وكريمته الولية فاطمة بنت محمد البكر البالغ في حجر والدها المذكور. " ونجد "تزوج المكرم السيد الحاج محمد رئيس بن محمد مخطوبته وكريمته الولية زهيرة بنت محمود البكر البالغ في حجر جدتها للام"²، وإذا كانت ثيبا فان القاضي يضيف تسجيل أسباب إنتهاء زواجها السابق بطلاق أو موت الزوج، ومن هذه النماذج، نذكر: "...تزوج...المكرم محمود يولدش بن أحمد مخطوبته وكريمته الولية عائشة بنت والي الثيب المتوفى عنها لحل للنكاح" وعقد آخر " الزوجة عائشة بنت إبراهيم المطلقة"³.

3- الجماعة والطبقة الاجتماعية، التي ينتمي إليها الزوجين.

4- الجماعة الحرفية، التي ينتمي إليها الزوجين فنجد مثلا عقد زواج حمدان الشباري الذي تزوج بأمنة بنت مصطفى باش سايس⁴.

5- الشاهدين، ويشترط فيهما الشروط التي حددها الإسلام مثل أن يكونا بالغين و مؤهلان وغيره¹.

¹ - بن حمادوش: مصدر سابق، ص 237.

² - ع 72-73، م 2، ق 30، سنة 1225م، ع 59، م 5، ق 102، سنة 1243م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 341، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 93-116.

³ - ع 108-109، م 3، ق 45، سنة 1241م، وينظر: م.ش.ع 108-109 و 53، وينظر: ع 65-67، م 3، ق 40، سنة 1212م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 341.

⁴ - م.ش.ع 1/14 و 66، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 532، ونقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 762.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وفي الأخير إمضاء القاضي الذي أشرف على كتابة العقد ، فاذا القاضي مالكي فان توقيعه يكون عبارة عن اسمه ونسبه في شكل حروف متداخلة فيما بينها أما القاضي حنفي فإنه يضع ختم يحمل اسمه ونسبه وتاريخ تعيينه ، وفي أغلب الأحيان يكون في أعلى الورقة ² .

و- موقف السلطة من زواج الفتاة الصغيرة :

لم تحدد السلطة في مدينة الجزائر السن القانونية لزواج المرأة، ويكتفي القاضي أثناء إبرام العقد بالتأكد من توفر أركان الزواج كاملة. ولكن، بالنسبة لولي العروس الصغيرة غير البالغة، يشترط على العريس أمام القاضي الموافقة على كتابة عقد الزواج بشرط عدم نقلها إلى بيت الزوجية إلا بعد بلوغها، والذي قد يكون بعد سنة أو سنتين وربما أربع سنوات، مثلما حدث مع فتاة تم عقد نكاحها قبل بلوغها بأربع سنوات، مثلما فعل والد دومة التي خطبها ابن عمها التاجر عمر بن الغازي . ولأنها كانت صغيرة ولم تبلغ، اكتفى والدها بالموافقة على إبرام عقد الزواج، واشترط عليه عدم نقلها إلى بيت الزوجية إلا بعد بلوغها لتصبح قادرة على تحمل المسؤولية، في حين هناك أسر زفت ابنتها إلى بيت زوجها قبل بلوغها ³ .

ومن هؤلاء نذكر جالة خديجة بنت الحاج بوشامة، التي رغم إنتمائها إلى أسرة إشتهرت في المدينة في المجال التجاري والحرفي إلا أن والدها زوجها صغيرة ولم تبلغ "أنكحها والدها لصغرها وحجره عليها" بمحمد بن السيد عيسى بن واضح، التي كانت أسرته تشرف على تسير ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وهو لا يزال صغيرا « . وقبل للزوج والده لصغره وحجره عليه ... " ولم يعارض القاضي على هذا الزواج ⁴ .

وقد تعهد والد الزوج بتحمل تكاليف الصداق، ويمكن تفسير هذا التسرع في تشبث ولي العريس في مصاهرة أسرة العروس ذات المكانة الاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة أن هذه الفترة تميزت مدينة

¹ - عبد الوهاب خلاف: مرجع سابق، ص 26.

² - خليفة حماش: مرجع سابق، ص 328.

³ - م ش ع 108-109 و 94، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 95.

⁴ - نفسه، ص 85.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الجزائر بالتفاخر والطبقية ،وقد يتولى الاب بمفرده تزويج ابنته من طليقته و التي تقيم معه رغم صغر سنها ،وبدون إستشارة أمها مثلما حدث مع قضية عائشة ،التي رغم صغر سنها إلا أن والدها قدور المقفولجي أراد تزويجها ،ولكن أمها زهرة بنت يوسف رفضت قرار طليقها على تزويج إبنتهما وهي لاتزال صغيرة ورفعت شكوى إلى القاضي تطلب منه إبطال هذا الزواج لصغر سن إبنتها ورفض قرار طليقها¹.

لاحظنا بأن القاضي لم يكن يرفض قرار الولي الراغب في تزويج إبنته الصغيرة ،ولكن في الغالب يؤدي هذا الزواج إلا الطلاق وخاصة وأن العروس تزويج صغيرة عاجزة على تحمل المسؤولية البيت الزوجية ،و لهذا لم يكن القاضي يتواني في تطبيق البنت ،التي كانت تلجأ إليها فتشكي له مشاكلها وعدم قدرتها على تحمل المسؤولية،فيطلقها مشفقا عليها بدون العودة إلى رأي زوجها ،مثلما فعل مع زوجة محمد الصادق بن جوهر ،الذي تزوج بفتاة صغيرة عمرها سبعة سنوات ،ونتيجة لصغر سنها فقد كانت عاجزة على تحمل مسؤولية الحياة الزوجية ،ولكن زوجها لم يراعي صغر السن فلم يشفق عليها فكان عنيفا وقاسيا ضدها ،وهو ماجعلها تلجأ إلى القاضي طالبة الطلاق كما سنرى لاحقا والذي بدوره قام بتطليقها منه كما سنرى لاحقا².

ز-مراسيم الزواج:

1-شراء جهاز العروسة (الشورة):

تعتبر الشورة من الأساسيات التي تسعى كل عروس على توفيرها بعد إستلام وليها للصداق ،فيتولى شراءه ، وأحيانا تتعاون بعض الامهات مع بناتهم على شراءها وتحرص على أن يكون شبيه بشورة غيرها من نساء البلد أو الحضريات³.

ولكن قد تعجز بعض الأسر على توفيرها نتيجة فيشترطون على الزوج في إثناء إبرام عقد الزواج كما رأينا سابقا عدم إحضار ابنته للشورة ،ولكن هناك الأولياء من يسعى لافراح إبنته بيوم عرسها كغيرها من

¹ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 87.

² - نفسه ، ص 87.

³ - عبد الكريم الفكون:مصدر سابق، ص ص 41-73-74.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

البنات، فيحاول شراء شورة لها على قدر إستطاعته، أما الأمهات الأرمال فإنها كانت تتألم في رؤية إبنتها بدون شورة ولهذا كانت ترفض أن تجعل إبنتها تتدوق طعم اليتيم وفقدان الأب في يوم فرحها، ولهذا فكانت تسعى لتوفير شورة لابنتها بمختلف الطرق حتى أنها قد تباع ممتلكاتها مثلما حدث مع الأرملة التي عجزت على توفير شورة لابنتها عايشة بنت محمد، فقررت بيع ماتمملكه إبنتها العروس من عقار تمثلتا في غرفتان يقعان في الجزء، وقبل القيام بهذا فلقد كلفت ابنها السيد عبيد شاوش من أجل أن يستشير القاضي في حكم بيع عقار إبنتها اليتيمة من أجل تجهيزها فسمح لها القاضي بذلك¹.

ويتكون جهاز العروسة (الشورة) من مجموعة اللوازم، التي تحتاجها المرأة في حياتها الجديدة، نذكر منها:

1-1- اللوازم الخاصة بغرفتها:

تمثلت في مجموعة من الأفرشة ذات الألوان الزاهية المرتبطة بالأفراح، وزرابي، خاصة الزربية التركية، وأغطية وبساطات ومضربات ومخايد كمخة مزخرفة بزخارف نباتية من أزهار وأشجار وغيرها، ومطرزة بخيوط ذهبية، ومساند محشوة بالصوف، وحنابل، وإزارات ذات أنواع مختلفة، منها إيزار محرّج، ومنه إيزار شاش، وإيزار الخيط، وأعلى الإزارات هو إيزار غارب، الذي قُدِّر ثمنه بستة ريالات، فتقتني العروس أحد الأنواع حسب إمكانياتها. وتحرص العرائس على الإيزار الخاص بالسرير، الذي يعتبر من أساسيات الشورة، ويتميز في كونه ذو حواشي مطرزة، مما يزيد في جمال غرفة العروس. أما بقية الإزارات، فكانت تستخدمها العروس كالإيزار الخاص بالحمام، وإيزار آخر يُعلّق على باب غرفة العروس، ويتميز باحتوائه على زخارف وإزارات خاصة بالنوافذ والشبيكات. وما تجدر الإشارة إليه أن العروس من الطبقة الغنية كانت تحرص على أن تكون شورتها جميلة، فتشتري المفروشات المستوردة والغالية الثمن، التي تصل أحياناً إلى ستة وثلاثين ريالاً، من أجل التفاخر بها².

1-2- الملابس:

¹ -نجوى طوبال نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م)، مرجع سابق، ص213.

² - وينظر: بيت المال، سجل رقم 02، نقلاً عن ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص 151، وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 215، وينظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص 70. G. Marcas: Les Broderies Turques d'Alger, reprinted from Ars Islamica, Vol. 4, 1937, pp. 147-148, et Bencheneb: Op. cit., pp. 14-15, et Laugier de Tassy: Op. cit., pp. 118-119, Fella Moussaoui El Kachai: The Cultural Heritage Ottoman in Algeria (1551-1830), Symposium Turkologie, Istanbul, Sep. 2013, p. 210

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تقتني العروس مجموعة من الملابس الخاصة بالنساء، تمثلت في: القفطان موبر أو المخمل أو الحريري حسب إمكانيات العروس، بالإضافة إلى الفرملة والغليلة والقمحة، وسروال ملبوس الناس والمحرمة، والحزام، ونعلان؛ الأول مطرز بالذهب والثاني مطرز بالفضة. بالإضافة إلى القبقاب، وهو عبارة عن حذاء مصنوع من الخشب، في أسفله كعب عالٍ مستدق، يحتوي على زخرفة تتمثل في زهرة على شكل نجمة، وفي وسطها زهرة النسرین مرصعة بالصدف الأبيض، وفي خارجها صدف سوداء اللون، وفوقه قطعة من القطيفة سوداء تحتوي على زخارف نباتية مطرزة بخيوط حريرية حمراء مع صدف مربعة، ترتديه المرأة الجزائرية داخل بيتها¹.

وحايك الرولي، وهو حايك من القماش الرقيق واللحاف والعجار المصنوع من القماش ذو شكل بيضاوي تستعمله المرأة لتغطية وجهها فلا يظهر منه إلا العينان فقط وجلابة مزينة بالورود بالإضافة إلى بعض لوازم الحمام من تنشيقية وخاصة التنشيقية المشرقية، التي رغم ثمنها المرتفع إلا أن العروس تحرص على أن تكون ضمن شورتها، بالإضافة إلى البنايق ثم القمحة التي تعتبر من أساسيات شورة العروس فهي مرتبطة بفض البكارة ليلة الدخلة العروس².

1-3-الحلي ومواد التجميلية:

تعتبر الحلي من أهم مكونات شورة العروس، وقد تمثلت في المناقش بالحجر أو الجواهر، والصارمة الذهبية، وإثني عشرة فردة مقفول ذهب، وزوجتين ونائس، بالإضافة إلى الحزام الذهبي، الذي يُعتبر أهم حلي يجب عليها شراءه، فهو من أساسيات لباس المرأة في الأعراس. كما تشمل بعض المواد التجميلية مثل الحنة، والكحل، والحرقوس، والسواك ومرأة، والمشط، الذي هو عبارة عن سترة تضعها المرأة تحت الغليلة، وبعض الحواشي تستعملها في شعرها وماسك³.

1-4-الصندوق :

¹ - مجموعة 2316 قسم المخطوطات الوطنية الجزائرية وثيقة 28.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات، مرجع سابق، ص 217 وينظر سعيدوني والبوعبدلي: مرجع سابق، ص 68.

³ - عون مخالفة: تاريخ الالبسة التقليدية الجزائرية، ترجمة سعاد خايلى، منشورات فوم، الجزائر، 2007م، ص 46.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

يعتبر من المكونات الأساسية لشورة العروس، تسارع نساء المدينة، وخاصة العرائس، اللواتي يشتريه من عند الصندوقاجي الموجود بزقاق كوشة الخندق في حي جبل، مصنوع من الخشب يبلغ إرتفاعه 62سم، أما ألوانه فتتراوحت ما بين وردي وأحمر وأخضر وتفاحي، يحتوي على زخارف نباتية مثل ورود متفتحة ومغلقة وأزهار الياسمين والقرنفل وعباد الشمس وثمار الخوخ و الكرز وزخارف حيوانية مثل: سمكتين متداخلتين في بعضهما البعض وزخارف عربية ملونة باللون الاحمر والأصفر والابيض والازرق والبني والذهبي والأسود¹.

2-تحضيرات العريس للعرس :

2-1-تجهيز غرفة العروسين:

بعد إتمام الخطبة وتحديد موعد العرس تسارع أسرة العريس في تحضير للعرس، وأول الأمور هي تخصيص غرفة للعروسين وتجهيزها، والتي في الغالب تكون في الطابق العلوي للبيت². ويتم طلاءها باللون الأزرق الفاتح وسقفها يزين بقطعة قماشية من المخمل أو القماش الدمشقي أما الارضية فتم تزيينها بزربية أو بساط بالإضافة إلى سرير مصنوع من الحديد يوضع في آخر الغرفة طوله أقل من طول حائط الغرفة، أما تجهيز الغرفة فيكون من طرف العروس التي تحضر معها بعض لوازم الغرفة كما رأينا سابقا مثل الإزار الذي يحيط بالسرير والصندوق الخشبي الذي تستعمله كاخزانة تضع فيه ملابسها ومختلف أغراضها. ومايلاحظ أن بعض النساء أحضرت ثمانية عشر صندوقا مثل : نفيسة بنت أوسطه محمد البجباح³.

كما احتوت على مطرح أو مطرحين في بعض الأحيان ومضربتين ووسائل محشوة بالصوف أو القطن حسب إمكانيات الأسرة وحنبل وأغطية مصنوعة بالكمخة والافرشة وإزارت فمنها ما يوضع في ركن

¹ -عبد القادر نورالدين:مرجع سابق، ص141 نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات، مرجع سابق، ص223 وينظر:

Laugier De Tassy :Op. cit.Pp118-119.Etm. Rozet:Op. cit.P125et Boyer :Op. cit.Pp125-130.

وينظر :فون مالتسان :مصدر سابق، ج2، ص30.

² -مصطفى بوتفوشة و احمد دمري: العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية

، 1984م، ص37.

³ - Deparmet:op. cit. p p 176-177.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الغرفة والأخر في الباب الغرفة ومراة وفانوس ومصباح، وخصّص مكان مستطيل في آخر الغرفة تستعمله المرأة لترتيب أفرشتها وأغطيبتها التي تستعمل للنوم وتقوم بتغطيته بإزار، أما الساعات الحائطية فكانت توضع في وسط الدار¹. أما بيت العرس فتتصافر جهود أسرة العريس مع الجيران على تهيأته وتحضيره لإستقبال أهل العروس والضيوف².

2-2- تحضيرات جيران العريس:

لم تقتصر تحضيرات العرس على بيت العريس فقط، بل شملت بيوت الجيران، الذين بمجرد إبلاغهم بموعد إنطلاق العرس حتى ينطلقون في تهيأة بيوتهم لإستقبال ضيوف العرس، وذلك بتوفير الأفرشة والزرابي كما يقومون بتزين أنفسهم حتى يظهرون بأجمل حلة فيرتدون أجمل الملابس طيلة العرس³.

3- تحضيرات العرس في بيت العروسة :

إتقفت أغلب الأسر في مدينة الجزائر على أن تكون أعراسها في أواخر فصل الصيف وبداية فصل الخريف حتى يكون المناخ مساعدا على إقامة حفل الزفاف على سطح البيت، وقبل أسبوع من إنطلاق العرس تبدأ العروس في تهيأة نفسها للعرس⁴، حيث تقوم أسرة العروس بدعوة الماشطة للتولى العناية بالعروس وتحضيرها للعرس، وذلك بإستخدام بعض المستحضرات الطبيعية لترطب لها بشرتها حتى تصبح أكثر نضارة يوم عرسها وتحضيرها نفسيا لدخول إلى الحياة الزوجية وكلها سعادة⁵، وفي أول أيام العرس تبدأ العروس في ممارسة طقوس الزواج وهي مجموعة من الخطوات، تمثلت في :

3-1- التوجه إلى حمام (حمام العروسة):

¹ - ع 1/14، م 1، ق 2، سنة 1104، وينظر: ع 1/14، م 1، ق 18، سنة 1221م، ع 31، م 1، ق 1، سنة 1141م، ع 23، م 2، ق 28، سنة 1180م، ع 2/16، م 4، ق 8، سنة 1168م، سجل بيت المال رقم 1، سنة 1111م، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 553، وعن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 514-516، وثيقة 28، مجموعة 2316، وينظر: Mehmet Zeki Pakalın : Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü, M.E.B., İstanbul, 1993, p. 241, Laugier de Tassy : Op. cit, p. 78, A. Certoux et E. Henry Cornoy: L'Algérie Traditionnelle, Éd. Maisonneuve Et Leclerc, 1884 .

² - وليام شالر :مصدر سابق، ص96 .

³ - نفسه ، ص ص 95-96 . وينظر : Show:op. cit .p88

⁴ - حسن أمين البعيني:مرجع سابق ، ص101 .وينظر : Desparnet :op. cit.p184

⁵ -فضيلة كرم : موجز تاريخ الحمامات ،ترجمة : يوسفى حضريّة ،منشورات دحلب ،الجزائر ،2007م ، ص 65

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تجه العروس رفقة ماشطتها وبعض قريباتها وصديقاتها إلى أحد حمامات المدينة مشياً على الأقدام، وفي أثناء سيرهن تتولى بعض رفيقاتها قراءة بعض الأدعية وبعض التمام التي تحميها من الحسد، حاملة معها التَّشْبَةَ، وهي عبارة عن حقيبة مصنوعة من القصب تحتوي على بعض لوازم الحمام كالقفاز الخشن، وخاصة الثلاثة طاسات نحاسية والغسول، والمحبس، وهو عبارة عن دلو مصنوع من النحاس أو الفضة بداخله الصابون والمشط والدبايس، والمناشف، والثبَّاب الذي ترتديه في الحمام، ويكون ذو كعب خشبي ليساعدها على السير داخل الحمام، مزين بالصدف، وفراش خاص بالحمام تستعمله للاسترخاء بعد الانتهاء من الاستحمام. وفي الحمام تشرف الطَّيَّابَة على تحميم العروس والاعتناء بها، بتنظيف جسمها وتدليكها حتى تسترخي، وتعطير جسمها بالصابون وماء الورد وبعض الأعشاب العطرية التي تزيل الروائح الكريهة من الجسم. وبعد الانتهاء من الاستحمام، وأثناء العودة، يغيرن طريق العودة بإيمان منهن بالمعتقد السائد لدى سكان المدينة، والذي ينص على ضرورة تغير مسار العروس بين الذهاب والرجوع حتى لا تعود إلى بيت أهلها مطلقة أو أرملة، وكذلك لتجنب الالتقاء بالناس الذين سمعوا بمرور موكب العروس إلى الحمام، فيخرجون لانتظار عودتها ورؤيتها مرة ثانية مدققين النظر، مما يؤدي إلى تعرضها للحسد. وحسب الأسير كاثكارت (Cathcart)، فإن هذه الطقوس مارستها كل نساء المدينة، جزائريات وحتى التركيات¹.

4- توقيع العريسان لعقد الزواج وانطلاق في مراسم العرس:

يتجه العريسان برفقة وليّيهما والشهود إلى المحكمة لإبرام عقد الزواج، وبعد الانتهاء من توثيق العقد تُعدّ العروس إلى بيتها، أمّا العريس ومن معه فيتوجهون إلى المسجد الذي يتمّ تحضيره لإقامة الطقوس الاحتفالية المتعلقة بالعرس. وبعد وصول العريس ورفقائه يجد أقاربه وأقارب عروسه، إضافة إلى بعض الضيوف والحاضرين جاءوا للمشاركة في الاحتفال. ثم ينطلقون في قراءة سورة الفاتحة ويُردّدون الأدعية الخاصة بالمناسبة، والمتعلقة بالزوجين، كالدعاء لهما بحياة زوجية سعيدة ومباركة. ثم ينهض العريس ليُسلّم

¹ - فضيلة كرم: مرجع سابق، ص 44-66 وينظر عون مخالفة: مرجع سابق، ص 46 نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 230-231، كاثكارت: مذكرات كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 99، وينظر: مالك شبل: الجنس والحريم وروح السراي السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا شرق، المغرب، 2010م، ص 88. وينظر :

P.Eudel :L'Orfèverie Algérienne Et Tunisienne.Jourdan.Alger .1902.P46 ; Eudel : Op. cit.Pp209-207-208-221.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

على والد العروس ووالده، ليعلن بعدها عن انطلاق أول أيام العرس. وأمام هذا الخبر المفرح، يخرج أحد خدام المسجد حاملاً بيده اليمنى محلياً — ونعتقد أنها الشربات — وبيده اليسرى ماءً معطراً يتمثل في ماء الورد أو ماء الزهر، فيتنقل بين الحاضرين مرحباً ومهنئاً لهم بالمناسبة، ثم يقدم لهم المشروب ويرش على عمائمهم العطر الذي يحمله، فيقومون بمسحه أيضاً على لحاهم¹.

وبعد الانتهاء من الطقوس الاحتفالية يتجه الحاضرون صوب العريس لمباركة زواجه وتهنئته بلفظة "صححة"، ثم يخرجون من المسجد²، وبعد فراغ المسجد من الحاضرين يخرج العريس وبعد خروجه مباشرة حتى تستقبله فرقة موسيقية ترافقه في جولته داخل المدينة معلنة على زواجه³.

أما العروس بعد عودتها إلى منزل بعد توقيعها للعقد، حتى تجد أسرتها في إنتظارها وإستقبالها لتبدأ طقوس الزواج المتمثلة في وضع الحنة بيديها تعبيراً عن فرحهم بهذا الزواج⁴.

ويستغرق العرس في مدينة الجزائر ثلاثة أيام بالنسبة لمختلف الأسر أما الأسر الغنية فيستغرق العرس عندها سبعة أيام، وفي أول أيام العرس يقوم العريس بالتجول في المدينة ترافقه فرقة موسيقية، للتشهير بزواجه للمرة الثانية، بلباس مختلف عن اللباس السابق الذي ارتداه في المسجد، وهو عبارة جلاباب [هكذا] أحمر ونعتقد أنه قشايبة ذات لون أحمر، علق عليها سيف رفيع، ويغطي وجهه بخمار مرقي لإبعاد عين الحسود عليه، وما ينجر عليها خاصة في هذه المناسبات⁵، وخلال أيام العرس كلها وقبل جلب العروس يداوم العريس في الذهاب إلى الحمام، من أجل أن يبعد عنه التوتر ويرتاح نفسياً ومن أجل الحرص على نظافة جسمه طيلة هذه الأيام⁶.

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 174.

² - نفسه

³ - بن الشيخ عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 191.

⁴ - نفسه وينظر: أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 61.

⁵ - بن الشيخ عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 191، وينظر وليام سنسر: مرجع سابق، ص 117، وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 86.

⁶ بن الشيخ عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 192.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما العروس فتفتتح عرسها بليلة الحنة التي تُقام عادةً يوم الأربعاء، وهي الليلة السابقة لانطلاق الاحتفالات. تبدأ المراسم بزيارة نساء من أسرة العريس إلى بيت العروس، وهنّ يحملن هدية الحنة التي تتكوّن من خروف أو كمية من اللحم، ومحرمة حريرية، ومرآة، وبلغتين، وشمعتين كبيرتين، وحنّة، وست حبات بيض، وقالب سكر، ومبلغ مالي مخصّص لمصاريف الحمام وزينة العرس وأجرة ماشطة العروس. وتقوم أسرة العروس بإكرامهنّ بأطباق الكسكس والرشته إضافة إلى حلويات مثل البقلاوة والمقروط والصامصة والمقطّفة، ثم يُرشّ عليهنّ ماء الزهر قبل التوجّه إلى العروس الجالسة على وسائد مطرّزة بخيوط ذهبية، مطاطعة الرأس ومغطّاة بمحرمة زهرية، استعداداً لوضع الحنة في يديها ورجليها. وتُحضّر الحنة بمزجها مع بيضة واحدة وماء الورد، وتتولى إحدى قريبات العريس وضعها مع قطعة نقد ذهبية من نوع السلطاني، ثم تُزيّن عينا العروس وحاجباها بالكحل على وقع الدفوف والأناشيد الدينية والمدائح والرقص تعبيراً عن الفرح. أما العريس فيجتمع مع أقاربه وأصدقائه لقراءة قصائد البردة، وفي صباح اليوم التالي يستقبل بيت العروسين النساء والرجال المهتمّين المحمّلين بالهدايا، ويُردّ عليهم بقول: "إن شاء الله نردّها لكم في الفرح". وبعد صلاة المغرب يحضر بعض أعيان المدينة ضمن ضيوف الشرف، ويُقسّم بيت العرس مسبقاً إلى قسمين حفاظاً على حرمة النساء¹.

فهناك جزء خاص بالرجال وجزء خاص بالنساء، فيجلس بعضهم في بيت العرس، وبعد امتلائه يُنقل الآخرون إلى بيوت الجيران التي سُخّرت لاستقبال الضيوف. ويُقدّم لهم الكسكس واللحم وبعض الفواكه، وبعد الانتهاء من الطعام تُقدّم المشروبات كالقهوة، ثم يتوجّه الرجال للاستمتاع بالموسيقى التي تستمرّ في الفترة المسائية إلى غاية الصباح، ثم يفترقون. وينطبق الأمر نفسه على النساء، إذ يستمتعن

¹ - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 61، وينظر: أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث العلمي في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م، ص 226، وينظر: عزي بوخافة: مرجع سابق، ص 234-235، 391، وينظر: ملك شبل: مرجع سابق، ص 155.

Mohamed El Habib Hachef: El Haoufi Chants de Femmes d'Algérie, Ed. Alpha, Alger, 2006, p. 358, et Des Parmet: Op. cit., pp. 156-158 و Pierr Boyer: Op. cit., p. 54, et Show: Op. cit., p. 80, و Mhamsadj: Op. cit., pp. 165-166.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

بعد تناول الأطعمة المقدّمة لهنّ بالموسيقى النسائية المتمثلة في العزف على الدربوكة والقيتارة وبعض الآلات الأخرى، وتقوم النساء بالرقص ملوّحات بأيديهنّ الماسكتين لمنديلين مُطَرَّزَيْن¹. وترتدي العروس في يوم زفافها قفطاناً مخملياً مطرزاً بالذهب ومزّيناً بقطع سلطاني، ومحاطاً بحزام، وفوقه غلييلة وهي سترة طويلة تصل إلى منتصف الساقين، تُصنع من المخمل أو من النسيج الدمشقي وتُزَيَّن بأزرار ذهبية في وسطها. وفوقها ترتدي فريملة، وهي سترة قصيرة مصنوعة من الجوخ، بلا كَمَيْن، تُغلق بالأزرار أو المشابك. أمّا تسريحة الشعر فتتكوّن من ضفيريّتين تُضَفَران من مقدمة الرأس وتزيّتان بجواشي حريرية حمراء ووردية، ثم تُلفّ الضفيريّتان على الرأس لتبدو كتاج، ويُترك جزء من الشعر عند الأذنين. أمّا الشعر الخلفي فيُسدل على طول ظهر العروس، ثم يُعطّى الرأس بـ صارمة ذهبية أو فضية حسب إمكانياتها، وتعلوها عبروق أو برقع خفيف، وهو ستار شفاف مرصّع باللؤلؤ، يُسدل من الخلف ويكون أطول من الجزء الأمامي ليصل إلى مستوى الصدر، فيغطي وجه العروس مع إمكان النظر من خلاله. وبعض العرائس يرتدين الشبير أو الشنبار بلونه الأحمر، ويثبّت بحيط الروح، وهو عصابة تحتوي على الجواهر والماس. أمّا الرقبة فتزيّين بسلسلة ذهبية مضمفورة تحمل أشكالاً نباتية أو حيوانية مثل الزهرة أو السمكة، وتزيّين الأذنان بالونائيس² وبخصوص الحذاء، فترتدي العروس السبّاط المجدود المميّز بكعبه الجلدي المزيّن بخيوط ذهبية أو فضية.³

تجلس العروس بلباسها وسط دائرة من النساء اللواتي يلتفنن حولها لمشاهدتها، وهنّ في غاية البهجة والسرور، تعبّر أصواتهن بالزغاريد ورقصاتهن الأندلسية عن فرحتهن. وتشاركهن العروس رفقة

¹ - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 61-120-136، أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 226، وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 116-118، و152، وينظر: شبل: مرجع سابق، ص 155، وينظر: عزي بوخافة: مرجع سابق، ص 417-418، وينظر: عون مخالفة: مرجع سابق، ص 108.

Show: Op. cit., p. 99, et D'Alonso Cano: Op. cit., p. 175, et Broughton: Op. cit., p. 47.

² - عون مخالفة: مرجع سابق، ص 135-98، وينظر وليام شالر: مصدر سابق ص102.

Ben Cheneb :Op. cit.P36et Venture De Paradis:Op. cit.P37.Et Desparmet :Op. cit .P186

³ وينظر عون مخالفة: مرجع سابق ، ص 135-98 وينظر وليام شالر: مصدر سابق ، ص ص86-87 .

Ben Cheneb: Op. cit., p. 36, et Venture de Paradis: Op. cit., p. 37, et O. Baghli: Chaussures Traditionnelles Algériennes, Documents du Centre de Recherche Anthropologiques, Préhistoriques et Ethnographiques, SNED, Alger, 1977, p. 37, Desparmet: Op. cit., p. 186

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

صديقاتها الرقص احتفالاً بيوم زواجها، ثم تجلس النسوة ويتسامرن، بينما تستمر بعضهن في الرقص إلى غاية قدوم العريس¹.

العريس، قبل توجهه إلى منزل عروسه لنقلها من بيت أهلها إلى بيته، تُوضع له الحناء وتُقرأ قصيدة البردة، ثم يؤدي صلاة جماعية رفقة الحاضرين من الأقارب والأصدقاء وبعض الأئمة، ويتم في هذا المجلس التعريف بالعروسين والتأكيد أخيراً على تمام زواجهما. وقبل غروب الشمس ينطلق العريس في موكب بهيج، يحمل بعض المشاركين فيه الفوانيس وآخرون الشموع لإضاءة جو من الألفة والرومانسية، ترافقهم فرقة موسيقية، متجهين إلى بيت أهل العروس. وعند الوصول تُسلم العروس لزوجها بعد أن تُلفّ في حايك حريري أبيض وسط زغاريد النساء المعلنّة عن خروجها من بيت والديها، ثم تُنقل مشياً على الأقدام، أمّا نساء الطبقة الغنية فكُنَّ يُنقلن على ظهر بغل².

وبعد وصول الموكب وعودته رفقة عروسه، تتعالى زغاريد النساء اللواتي كنَّ في انتظارهما، ثم يجلس العروسان جنباً إلى جنب لأول مرة في المكان المخصّص لهما، ويستمرّ الحاضرون في احتفالهم معبرين عن فرحتهم باجتماع العروسين بالزغاريد. وفي هذه الأثناء، وأمام الجميع، يُخرج الزوج هديته المتمثلة في بعض الحلّي والنقود ويقدمها إلى زوجته. وبعد انتهاء هذه الطقوس الاحتفالية تخرج المحتفلات من البيت، تاركات المكان للعروسين، وتبقى معهما الماشطة التي تتولّى مرافقة العروس وإدخالها إلى غرفة زوجها، فتجلسها إلى جانبه، ثم تحضر لهما إناءً يحتوي على ماءٍ مُعطرٍ مُحلّى تقدّمه للعروس لتقدّمه بدورها لعريسها فيشرب منه، ثم يمسك الإناء فتشرب منه العروس³ ثم تهدي له قمحة وسروال⁴.

¹ - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 61-136، أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 226، وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 117-118، وينظر: مالك شبل: مرجع سابق، ص 155، وينظر: عزي بوخافة: مرجع سابق، ص 417-418.

Show:Op. cit.Pp152-99 Et D'Alonso Cano :Op. cit.175 Et Elizabeth Broughton:Op. cit.Pp22-23.

² - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص 120 وينظر سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 174. Et Shaw:Op. cit .Pp88-89et D'Alonso Cano :Op. cit.P175 Et Chevalier D'arvieux:Op. cit.Pp286-288.

³ - بن الشيخ عبد الحكيم: مرجع سابق، ص 192، وينظر: أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 226. أبو العيد دودو: مرجع سابق،

ص 61. وينظر: Elizabeth Broughton: Op. cit Pp48-49et D'Alonso Cano: Op. cit.175

⁴ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م) ، مرجع سابق، ص 221.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تسعى العروس في هذا على تأكيد عفتها وشرفها، وخاصة لوالدها الذي يصاب بإضطراب وخوف من احتمالية وقوع كارثة في ظل إنتشار الانحلال الخلقي من ظاهرة الزنا والبغاء ، فيؤكد له عريسها عدريتها ، فيذهب مهرولا نحو ضيوفه صائحا ومفتخرا بعذرية ابنته ، إن فرحة الأب بهذا الخبر ليس تشكيكا في عفة ابنته ، وإنما ليؤكد للناس على أخلاق ابنته وشرفها ، وخاصة وأنه إنتشرت ظاهرة أخرى تمثلت في قذف المحصنات وبهذا ينتهي العرس¹.

وتحظى العروسة منذ زواجها ولمدة سبعة أيام بفترة الراحة فتمنع من أداء الأعمال المنزلية وبعد مرور بضعة أيام تراوحت ما بين ثلاثة إلى خمسة أو سبعة أيام على حسب كل أسرة ، وفي الغالب سبعة أيام تكون فيها قد تأقلمت مع حياتها الجديدة، فتبدأ بممارسة واجبتها المنزلية².

ويذكر ما أورده وليام سبنسر " (William Spencer) إن حفلات الزواج الجزائرية لم تكن فقط مناسبات للعائلات لتفخر بثروتها أو بكرمها تجاه بناتها من خلال صداق فاخر، بل كانت أيضا جهودا فوق العادة للإعجاب بالمرأة."³.

ج- دور الزواج في التمازج بين الجماعات السكانية بمدينة الجزائر:

شهدت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تنوعا بشريا كبيرا من حيث العرق والجنس والدين والمذهب، حتى أضحت بمثابة فسيفساء بشرية تمثل مختلف الملل والنحل. وقد برزت المرأة في هذا السياق، فساهمت في دمج هذه الجماعات عن طريق الزواج، ما أدى إلى اختلاط الأنساب والأجناس⁴.

1- التمازج بين العائلات الوافدة:

¹ - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص61 وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 175، وينظر:

Et D'Alonso Cano : Op. cit.175

² - عائشة غطاس: لحرف والحرفيون، مرجع سابق ، ص147.

³ - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 116 وينظر ابو العيد دودو: مرجع سابق، ص122. وينظر سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص116.

⁴ - Larbi Chboudene : Alger, Histoire et Capitale de Destin National, Éditions Casbah, Alger, 1997, pp. 48-50

وينظر ابو القاسم سعد الله التاريخ الثقافي: مرجع سابق، ج2، ص، 172

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إن العثمانيون الذين سيطروا على مختلف الشؤون الإدارية والعسكرية بصفة عامة ، ونتيجة لقلّة عددهم أو إنعدام التراكيب العازيات بمدينة الجزائر¹، فإنهم لجأوا لمصاهرة الجماعات التي تتناسب ومستواهم الاجتماعي والذي وجدوه في الأندلسيات والعليجات.

1-1- تمازج العثمانيون بالأندلسيات :

شهدت مدينة الجزائر ظاهرة زواج العثمانيين بالأندلسيات، وكلا الجماعتين تُعتبران من الجماعات الوافدة على مجتمع مدينة الجزائر، بالإضافة إلى انتمائهما إلى طائفة الحضرة الحاكمة. فالعثمانيون اعتبروا جماعة الأندلسيين من الطبقة العليا للمجتمع الجزائري من الناحية الثقافية والمادية، ولهذا حرصوا على مصاهرة عائلات العلماء والأشراف، وذلك لإيجاد سندٍ قبلي لسلطتهم وتعزيز مكانتهم في مجتمع مدينة الجزائر. فالعصبيّة القبليّة ضرورية منذ القدم، وأهميتها ذكرها بن الأزرق في قوله: "...ذوي عصبيّة مشتبكة وأهل تشيع واحد وحينئذ تشد شوكتهم ويخشى جانبهم بما جبل في القلوب من الشفقة والنعرة على ذوي الرحم والقرباة."².

ولكن بعض العائلات الأندلسية رفضت التمازج وبقيت متعصبة، رافضة مصاهرة الجماعات الأخرى، وكان هدفها الحفاظ على الدم الأندلسي، فحرم بناتها من الزواج بغير الأندلسيين. بيد أن بعض العائلات الأندلسية الأخرى رفضت هذه العزلة وفضّلت سياسة الاندماج مع مختلف الجماعات، مثل: عائلة بن نيكرو، وبن الكبابطي، وبن الأمين، فقامت بتزويج بناتها لمختلف الجماعات الموجودة في المدينة، لا سيما الفقهاء الأندلسيين الذين أدركوا أن هذا السلوك يتنافى مع الشريعة الإسلامية، التي تأمر بتزويج البنت لمن ترضى دينه وخلقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [رواه الترمذي]. ولهذا ظهرت مصاهرات بين الأندلسيين وبعض العثمانيين، ومن هؤلاء: البيلرباي حاجي باشا، الذي تزوج بمورسكية (من

¹ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص 171.

² - أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 399 وينظر منور مروش: مرجع سابق، ج2، ص 287-288. و نظرية العصبيّة بين ابن خلدون ومعاصره ابن الأزرق في مجلة دعوة الحق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد -

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

فالنسب)، فأُنجبت له ابنة وحيدة، والتي تزوجها القايد دوت (يقصد داود)، كما تزوج الداي حسين إحدى بنات السيد محمد الأندلسي بن الحاج عبد القادر بن عمر¹.

ومن الأندلسيات اللواتي تزوجن بالعثمانيين، نذكر: فاطمة بنت محمد الثغري، التي تزوجت بالحاج محمد التركي بن إلياس، وتزوجت عايشة بنت مصطفى الأندلسي بمحمد ريس، وتزوجت تركية بنت أحمد الأندلسي بخليل الانجشاري بن أحمد التركي، وتزوجت عزيزة بنت الحاج محمد الأندلسي بمصطفى خوجة بن عبد الله، وتزوجت فاطمة بنت سالم الأندلسي بناي أغابن إلياس التركي².

ورغم موافقة بعض الأسر الأندلسية لهذا التمازج إلا أن الأسر الراضية لهذا التمازج كانت تتهم الفتيات اللواتي تزوجن بغيرهم، قد إرتكبوا إثماً في حق جماعتهم و تعرضوا للتهميش والنبد طرفهم ولهذا فبعضهن كانت تسعى تخفي وجهها بوضع ستار عند قدومها لزيارة أهلها أو أثناء خروجها حتى لا تتعرض لانتقاداتهم وتوبيخاتهم لها، أما نتاج الزواج الأندلسيات والعثمانيين من الأطفال، فقد كانوا يدرجون ضمن فئة الكراغلة، أما فزيولوجيا فقد كانوا يشبهون آبائهم يصفهم صالح فركوس بقوله: "فإن أجسام الجزائريين رشيقة ذلك أن إمتزاج العنصر التركي بالعنصر الأندلسي قد أنتج عنصراً مختلطاً من النوع الرفيع"³.

¹ - فراي ديغو هايدو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 83، وينظر: فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ / 2016م، ص 34-74، وينظر: ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ / 2003م، ص 34، وينظر: أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 399، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 277-278، وينظر: م.ش.ع 129 (28)، وينظر: مهدية طيبي: مرجع سابق، ص 180.

² - م.ش.ع 120/119 (38)، وينظر: م.ش.ع 2/9 (9)(39)، وينظر: م.ش.ع 1/5 (5)(27)، وينظر: م.ش.ع 68 (33)، وينظر: م.ش.ع 118/117 (23)، وينظر: مهدية طيبي: مرجع سابق، ص 180، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 359، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 34، ونقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 42.

³ - فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1437هـ / 2016م، ج 2، ص 34-74، وينظر: فراي ديغو هايدو: تاريخ ملوك الجزائر، مصدر سابق، ص 83، وينظر: ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية: مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، مرجع سابق، ص 34، أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، ج 1، ص 399، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 1، ص 277-278، وينظر: مهدية طيبي: مرجع سابق، ص 180-181، وينظر: صالح فركوس: مرجع سابق، ص 382.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ومن الأسر التي ظهرت بمدينة الجزائر نتيجة هذا الزواج، نذكر: أسرة بن شاوس، سيدي الأكلحل بن علال، ولد سيدي مبارك الثعالبي وغيرهم¹.

ويبدو أنه لم تكن بين الطرفين مصاهرات كبيرة، لأن الأندلسيين خلال هذه الفترة كانوا سعوا في الحفاظ على سلالاتهم من الامتزاج مع مختلف الجماعات².

1-2- التمازج بين العثمانيين والعلمجيات:

إن اعتناق النساء المسيحيات للإسلام، أهلها للزواج برجل مسلم والظفر بزواج من العثمانيين أصحاب الطبقة الحاكمة، فنجد: خير الدين بربروس تزوج بالعلمجية ميغابتانو (Mighabetano)، ونجد رمضان باشا تزوج من علمجة كورسيكية الأصل (Corsican origin)، والقايد مراد، الذي وجد ذكراً في بعض المصادر باسم حاجي مراد، فقد تزوج من علمجية إسبانية (Spanish origin)، ومن الدايات نجد الداوي علي باشا تزوج بعلمجية، التي بعد وفاته تزوجها الداوي عثمان باشا، ونجد الداوي محمد الدولاتي التركي تزوج من العلمجة خديجة بنت عبد الله، وتزوج البلكباشي علي بخديجة العلمجة بنت عبد الله، وتزوج شاوش علمجية³.

1-3- التمازج بين التركيات بالأعلاج:

ولأن الأعلاج أصبحوا يتساوون مع العثمانيين بنفس الامتيازات كما رأينا سابقاً، ولهذا لم يمانع العثمانيون من زواج الأعلاج ببناتهم مثلما فعل رمضان باشا، أحد أتراك الجزائر، الذي زوّج بناته ببعض

Haedo Digo: Topographie, Op. cit., p. 97, et M. R. Renaudot: Alger, Tableau du Royaume de la Ville d'Alger et de ses Environs. État de son Commerce, de ses Forces de Terre et de Mer, édité par Librairie Universelle de P. Mongie, Paris, 1830, p. 5.

¹ - فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، مرجع سابق، ص 66-67، وينظر: مهدية طيبي: مرجع سابق، ص 187-188.

² - ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1424 هـ / 2003 م، ص 138.

³ - ع 124-125، م 2، ق 13، وينظر: م.ش.ع 38 و 67 سنة 1141 هـ، وينظر: و.م.ش.ع 38 و 67، وينظر: بيت المال، دفتر 5 و 140، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 359، ونقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 34، ونقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 42، وينظر: شريف زهار: مصدر سابق، ص 24، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 183، وينظر: و.م.ش.ع 38 و 67.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أعلاج المدينة، فزوج إحداهن للقايد مامي علع من أصل إسباني (Spanish origin) ، والثانية من خضر بن علع النابولي. (Neapolitan origin).¹

1-4- تمازج بين العلجيات والأعلاج :

تعتبر جماعة الأعلاج، كما ذكرنا سابقًا، من الجماعات الحاكمة في مدينة الجزائر، ولهذا شهدت مصاهرة داخلية بين أفرادها، فتزوجت العلجية بالعلجي، لا سيما بنات الأعلاج ذوي السلطة والنفوذ في المدينة، اللواتي ارتبطن بأعلاج من طبقتهم. ومن الأمثلة على ذلك، ابنة العلع القايد جعفر قطانية، التي تزوجت من رضوان بن عبد الله معتق الباشا محمد تكالي، الذي أصبح قائدًا ثم باشا وثرثيًا من أثرياء المدينة. ويُعتقد أن رضوان كان متزوجًا من امرأتين، الثانية منهن هي ابنة مامي أغا..

1-5- التمازج بين العثمانيين والجزائريات:

شهدت مدينة الجزائر، كما ذكرنا سابقًا، ظاهرة زواج العثمانيين بالجزائريات، رغم العراقيل التي وضعتها السلطات العثمانية للحيلولة دون تمازجهم مع الجزائريات، والتي تمثلت في منعهم من الترقيات والامتيازات وغيرها. ومن أصر على الزواج، فإنه يتوجه إلى الكاهية أو أغا الانكشارية، الذي يمنحه رخصة الزواج، وغالبًا ما كان يرفض طلباتهم. وبعد إلحاح كبير، يُسمح لهم بالزواج ويقدم لهم قرار الموافقة ورخصة الزواج، مع تذكيرهم بأنه في المقابل سيُحرم من الكثير من حقوقه، مثل حرمانه من الترقية التي قد يستفيد منها إذا استوفى الشروط الثلاثة: الكفاءة، الانضباط، والتفاني في أداء المأمورية، كما يُحرم من التخفيض على أسعار المواد الغذائية كالخبز وغيره، ويُحرم من الاستفادة من السكن والإقامة في الثكنة، ويكتفى بمنحه الأغذية مجانًا في بعض المناسبات، ويُحرم من الاستفادة من السكن والإقامة في الثكنة، ويكتفى بمنحه أجرته فقط. لكن يمكنه استرجاع كل حقوقه بعد تطليقه لزوجته. يفسر لوجي دوتاسي (Louis Dutasié) هذه القرارات الجائرة على الإنكشاري الراغب في الزواج بأنها تهدف إلى إبقائهم عزابًا والاستحواد على تركتهم بعد موتهم. ولم تقتصر هذه العراقيل على الإجراءات البسيطة، بل تجاوزتها إلى قيام بعض الإنكشارية بمعاينة الأسر الجزائرية التي وافقت على مصاهرة العثمانيين، أحيانًا بقتل ولي

¹ -منور مروش: مرجع سابق ، ج 2، ص 183.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

العروسة: "وفي بعض الأحيان يتعرض أهل الزوجة الراغبون في خلق صلات مصاهرة مع العناصر الحاكمة إلى البطش وتطبيق العقوبات عليهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم"¹.

مثلما حدث مع سي قدور أحد أعيان مدينة الجزائر، الذي قام بتزويج إبنته لاحد الأتراك مما أدى إلى قتله، وأحياناً يجبر الزوج العثماني زوجته الجزائرية على إجهاض طفلها منه².

ظلت السياسة طبقت فقط في المرحلة الأولى من تواجد العثمانيين بالجزائر، ولعل السبب الرئيسي لمنع مثل هذه المصاهرة، هو: تخوف العثمانيون من الجزائريين قد ينافسونهم على السلطة عن طريق إستغلال المصاهرة بين الطرفين وهناك من فسرها برغبتهم في الإنعزال عن الجزائريين، ولكن ما لبثت وإن تغيرت سياستهم وسمح لهم بالانصهار مع الجزائريات كما رأينا سابقاً³.

لهذا عرفت مدينة الجزائر انتشاراً كبيراً لهذا الزواج، مما أدى إلى ظهور، كما رأينا سابقاً، جماعة الكراغلة مثل عائشة القليعية، التي تزوجت ب(يولداشي)، ولقد امتد هذا التمازج إلى طبقة الحاكمة من أعضاء الديوان، الذين تزوجوا بجزائريات لقلة النساء التركيات بالمدينة، والذي دفعهم على الزواج بهن هو تخوفهم من موتهن عزبا فتنقل أموالهم إلى بيت المال، وكذلك بعض الحكام مثل الداوي حسن بن خيرالدين بربوس تزوج بجزائرية وهي إحدى بنات ابن القاضي، ولكن حسب بعض المصادر أن زواجه بجزائرية أثار سخط الانكشارية فقاموا باعتقاله ونفيه إلى إسطنبول مقيداً، ومن الدايات نذكر الداوي حسين تزوج من حفيدة أحمد بن يوسف الملياني بقلعة بني راشد، ونجد الداوي محمد بلكباشي بن علي التركي تزوج بقادان بنت محمد القزاز⁴.

¹ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 92-93، صالح عباد: مرجع سابق، ص 313، وينظر: أحمد بحري: مرجع سابق، ص 108، وينظر: أرزقي شويتام: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، مرجع سابق، ص 17، وينظر: يحيى محمد طاهر الغزاوي: مرجع سابق، ص 91-96، وينظر Kamal Chehrit: Les Janissaires: Origines et Histoire des Milices Turques des Provinces Ottomanes et et Laugier de 'Tout Spécialement Celle d'Alger, Édition Grand-Alger-Livre, Alger, 2005, p. 173 Tassy: Op. cit., p. 207.

² - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 93-94.

³ - C. A. Rozet: Voyage dans la Régence d'Alger au Description du Pays Occupé par l'Armée Française en Afrique, T2, Abertrand, Paris, 1833, pp. 276-277.

⁴ - و.م.ش.ع 41 و 39، و.م.ش.ع 53، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 25، ونقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 77. وينظر: مارمول كاربخال: مصدر سابق، ج 2، ص 388-389. وينظر: أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي،

1-6- التمازج بين الأعلاج والجزائريات:

أُعتبر الأعلاج من الطبقة الحاكمة مثل العثمانيين كما ذكرنا سابقًا، ولأن بعض العثمانيين اقتربوا من بعض الأسر الجزائرية وتصاهروا معها، فقد شجع ذلك بعض الأعلاج على الزواج بالجزائريات، وكان نتاج زواجهم يصنف ضمن جماعة الكراغلة، مثل أطفال نتاج زواج الجزائريات بالأترك، وهذا بديهي، فالأعلاج يتساوون مع الأترك في الطبقة كما ذكرنا سابقًا¹.

1-7- التمازج بين التركيات والمعقوقين:

إن المكانة التي إحتلتها جماعة العثمانيين في مدينة الجزائر بأنها المسيطرة على مقاليد الحكم الجزائري وإكتفت بمصاهرة من يتساون معها في المكانة الاجتماعية ولكن لاينفي وجود أسر عثمانية تصاهرت مع جماعات أخرى أقل منهم مكانة تمثلت في جماعة المعقوقين إذ شهدت مدينة الجزائر تزويج بعض الأسر العثمانية لبناتها لطبقة المعقوقين مثلما حدث مع فاطمة ابنة درغوث التي تزوجت من معتق أبيها، ونجد مامي رايس، الذي وعد أسيره بمنحه حريته بشرط أن يتعهد له بالموافقة على الزواج من ابنته أغاتارومانبولان باليرما فقبل الأسير بعرضه وتزوجها، وكذلك الداوي محمد بن عثمان باشا الذي طلب من أسيره الأمريكي برين (R.O.Brien) الذي قبل الاسر كان ربانا وبعد إعتناقه الاسلام عرض عليه الداوي محمد بن عثمان باشا تزويجه بإبنته ثم تعينه قائدا على الأسطول البحري، وكان دافع الذي على تزويجه لإبنته لهذا الأسير هو: إسلامه ثم إعجاباه بمهارته العالية ومؤهلاته القيادية مما جعله يفكر في تقريره منه عن طريق المصاهرة، ونجد خدوجة بنت مصطفى التركي كانت متزوجة من دوكة معتق المعلم أحمد الحماجي².

1-8- التمازج بين الأندلسيات والمعقوقين :

مرجع سابق، ج1، ص 466-469. وينظر: جون بول وولف: مرجع سابق، ص 170-171. وينظر: حمدان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص 83-88-93-96-97. وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج2، ص 298.

¹ -منور مروش: مرجع سابق، ج2، ص185.

² - وينظر: م.ش.ع 81/80 و136، وينظر: خليفة حماش: مرجع سابق، ص 762، ومنور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 184-244.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

لم يقتصر زواج المعتوقين بالنساء التركيات والجزائريات، بل شمل أيضاً النساء الأندلسيات، رغم ما ذكرناه سابقاً من تحفظ بعض العائلات الأندلسية على تزويج بناتها من الجماعات الأخرى، حتى ولو كانت من الطبقة الحاكمة، إلا أنه عُثر على أندلسيات تزوجن بمعتوقين، مثل: نفيسة بنت الحاج منصور بن عمر (التاجر الأندلسي)، التي تزوجت بعلي بتشين بن عبد الله (معتق الحاج مصطفى بن قارة علي)¹.

1-9- التمازج بين التركيات والجزائريين:

أورد المؤرخ الباحث ناصر الدين سعيدوني معلومة، تمثلت في امتناع بعض الأسر الجزائرية عن مصاهرة الأتراك والزواج من بناتهم، حتى أنهم هددوا كل جزائري حاول الزواج منهم ومصاهرتهم بالقتل، ورغم هذه التهديدات، إلا أنه عُثر على بعض الجزائريين الذين تملدوا على هذه القرارات وحاولوا مصاهرة الأتراك، مما أدى إلى قتلهم².

1-10- زواج الشرفاء من العلجيات:

رغم النسب الشريف لبعض العائلات، إلا أن ذلك لم يكن سبباً في منع الزواج بالعلجيات، إذ نجد الشريف زهار تزوج بعلجية ليوم واحد فقط ثم طلقها، لأنه كان رافضاً للزواج لولا إقناع أصدقائه بضرورة الزواج والاستجابة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (رواه البخاري ومسلم)³، فطلاقه للعلجية لم يكن بسبب تعلقه بها، وإنما نتيجة رفضه المطلق للزواج.

1-11- التمازج بين العثمانيين بالمغربيات:

ولم يقتصر تمازج العثمانيين على نساء الطبقة الحاكمة أو بعض الجزائريات، بل كان هناك من فضل الزواج بالنساء الوافدات من الإيالات العثمانية ومن المغرب الأقصى، مثل تونس، وخاصة بنساء القادمات من جزيرة جربة التونسية، وكذلك حسن الإنكشاري البجاقجي الذي تزوج بزهرة بنت عياد

¹ - منور مروش: مرجع سابق، ج2، 262.

² - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعدلي: الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 92-93.

³ - الشريف الزهار: مصدر سابق، ص24.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الجريري. ومنهم من تزوج بالمغربيات، وخاصة القادمات من تطوان، فنجد: الفقيه السيد عبد الله بن محمد أبو زار الغماري تزوج من الميمونة خديجة بنت السيد محمد الغجلي التطاونية، وتزوج الشيخ جار الله أبو مكتوم المقرري الزواوي من ابنة الشيخ أبو الحسن السراج السلجماسي، وتزوج الحاج محمد بن عبد الرحمان بالمغربية شاشة، وتزوج محمد بن كسيمة بالتطاونية، وتزوج عبد الله بن محمد الغمار بخديجة بنت السيد محمد الفجلي التطاونية¹.

1-12- تمازج المغاربة بالجزائريات:

والملفت للانتباه أن وجود بعض المغاربة العزاب في مدينة الجزائر، سواء لأسباب اقتصادية أو ثقافية أو نتيجة الإقامة الطويلة بها، دفعهم إلى الزواج بالجزائريات، ومن هؤلاء نذكر: تزوج الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري من ابنة العالم الشيخ عيسى الثعالبي، وتزوج أحمد بن صالح الجري بالولية الحرة جنات بن الحاج أحمد بن معمر، وتزوج محمد الفاسي فاطمة بنت البياض، وإمرأة جزائرية لم تذكر الوثيقة اسمها تزوجت برجل من طنجة. كما ورد عن وفاة الولية دومة بنت محمد العمالي أن أختها للأمة كانت الولية عويشة بنت الحاج محمد الطنجي².

1-13- تمازج جماعة البرانية مع نساء المدينة:

إن الإقامة الطويلة لجماعة البرانية بمدينة الجزائر أدت إلى التمازج مع بعض الجماعات المشككة للمدينة، ولم تكن لهم مصاهرات مع الطبقة الحاكمة. ويمكن تبرير رفض التمازج مع هؤلاء بوجود الطبقة خلال هذه الفترة وتكريسها في مختلف المجالات حتى في الزواج. ومع ذلك، وُجدت بعض حالات التمازج بين البرانية ونساء الطبقة الحاكمة مثل العلجيات، لكنها كانت بنسبة قليلة جداً، مثل زواج عبد القادر البسكري بعلجية³.

¹ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 32، وينظر: ع 142-143، م 4، ق 113، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 340-341، ونقلاً عن شهرزاد بوترة: الحضور المغربي في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، السنة الجامعية 2014-2015م، ص 45-46.

² - س.م.ش. ع 1/26، م 1 و 8، وينظر: م.ش. ع 14، م 1 و 29، وينظر: س.م.ش. ع 14، م 1 و 5، نقلاً عن شهرزاد بوترة: مرجع سابق، ص 45-47، وينظر: سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج 2، ص 53.

³ - أحمد مجري: مرجع سابق، ص 108، وينظر: بوشناني محمد: مرجع سابق، ص 543.

1-14- التمازج بين الجزائريات والمعتوقين:

شهدت مدينة الجزائر زواج بعض الجزائريات بجماعة المعتقين، وخاصة بمعتقي آبائهم أو أقاربهم¹، وربما أصبح المعتق لاحقًا علجًا، وبالتالي ارتقى في طبقته وأصبح في مرتبة اجتماعية تتساوى مع جماعة العثمانيين، أو اعتنق الإسلام لنيل الحرية فتم تزويجه بابنة سيده كمكافأة له. ونعتقد أن الأب كان يزوج ابنته لمعتقه لإعجابه بخصال معتقه الحميدة أو خوفه عليها من العنوسة، ما جعله يوافق على تزويجها بمعتقه.

1-15- زواج بنات العلماء والشرفاء:

حظيت بنات العلماء والأشراف في مدينة الجزائر باقبال الخطاب عليهن للزواج، وذلك بفضل المكانة التي تتمتع بها عائلتهم، والمعتقد السائد في أوساط المجتمع الجزائري، والذي ينص على أنه من تزوج من أسرة العلماء سينجب أطفالًا "يعتقدون بل حتى يستيقنون أن البركة تلتصق حتى بالأبناء في سن الحداثة"².

وكذلك بهدف تقرب العثمانيين من المجتمع عن طريق هؤلاء العلماء، سواء كانوا رجال دين أو شيوخ زوايا أو مرابطين، فتقربوا منهم عن طريق الهدايا والتبجيل، ثم عن طريق المصاهرة كأوطد وأدوم رابطة بينهما، خاصة وأن دولة العثمانيين كانت قائمة على أساس ديني. فنجد: علي خوجة تزوج من ابنة الحاج مصطفى بن الشيخ بن مالك الزهار، المفتي المالكي، ونجد حبيب بن مصلي التركي تزوج حليلة بنت محمد الشريف، وحتى هذا المعتقد تبناه الأعلج، الذين ساروا للزواج من هؤلاء ربما لإيجاد سند ديني لهم. فنجد العليح الياياباشي حسين بن عبد الله تزوج من حفيدة أحد الفقهاء الأندلسيين لم تذكر لنا المصادر اسم الفقيه، وربما هو الفقيه سعيد بن أحمد الأندلسي، الذي ذكره منور مروش، والذي

P.Boyer La Vie Quotodienne : Op. Cit. P184

¹ - منور مروش: مرجع سابق، ج2 ص 179.

² - م.ش.ع 1 و12-13، و.م.ش.ع 41 و5، نقلًا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 249، وينظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 107، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 184، جميلة معاشي: مرجع سابق، ص 236، وينظر: أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، مرجع سابق، ص 32.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

كان قد زوج ابنته من معتقه المدجن إبراهيم، وكذلك الداوي شعبان تزوج من نفيسة ابنة العلامة محمد بن عبد المؤمن¹.

وأغلب المصاهرات بين الأسر العلمية كانت منحصرةً فيما بينهم، ففي الكثير من عقود الزواج نجد بأن بنات العلماء تزوجن بعلماء أو أبناء العلماء، فنجد مثلاً الحاج سعيد تزوج من عزيزة بنت سيدي محمد بن سيدي السعيد، ونجد محمد سيدي صاهر عمار بن عبد الرحمان التلمساني وتوطدت العلاقة بينهما أكثر حتى أنه سُمح له بالتدريس معه في الجامع. وتزوجت رحمة بنت العالم المحقق أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن الخروبي الطرابلسي بالعالم الفقيه أبي عبد الله محمد بن محرز، ونجد رقية بنت العالم محمد المقرري تزوجت بالفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد الشريف، وتزوجت فاطمة بنت الفقيه أبي عبد الله بأبي عبد الله محمد بن الفقيه محمد بن عثمان، وتزوجت فاطمة بنت الفقيه الشريف الحسيني أبي عبد الله السيد محمد الشريف الزهار بأبي الحسن علي بن الشيخ الحاج محمد نجل الولي الصالح، وتزوج أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري من ابنة شيخه عبد الواحد الأنصاري الفيلاي. ولكن العلاقة الزوجية بينهم لم تستمر طويلاً، وذلك بتطليقها بسبب سوء العشرة بينهما نتيجة مجموعة من المشاكل².

ولقد أدت المصاهرة بين العلماء إلى تعاونهم مع بعضهم البعض في أحلك الظروف وأخطرها مثلما حدث في عهد مصطفى باشا حاكم الجزائر، الذي قام بعزل القاضي المالكي محمد بن مالك من منصبه، فقام صهره علي خوجة بثورة غضب وسخط على الباشا، الذي اعتبر عزله لصهره إهانة في حقه، ولكن الباشا ظل مصراً على قراره، ولم يكتف بهذا بل قام بنفيه إلى مدينة القليعة ثم تراجع على

¹ - ش.ع 1 و 12-13، و.م.ش.ع 41 و 5، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 249، وينظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 107، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 184، جميلة معاشي: مرجع سابق، ص 236، وينظر: أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، مرجع سابق، ص 32.

² - ع 38، م 3، ق 47، سنة 978، وينظر: ع 124، م 1، ق 6، سنة 1019هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 249، وينظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 107-111، وينظر: بن حمادوش: مصدر سابق، ص 238-241، وينظر: عبد الله محمد العياشي: رحلة العياشي (1661م-1663م)، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان الفرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ج 2، ص 181-182.

Haedo : Histoire Le Roi : Op. cit .P351et Ben Cheneb« Un Contrat De Mariage Algerois Au Début Du 18e Siècle : Op. cit. Pp98-117.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

القرار بعد إشتداد ثورة علي خوجة وتحركاته التي استعملها من إستخدام لوسطاء ساعدوه في جعل الباشا يتراجع عن قراره و بالفعل تمكن من إقناع الباشا على التراجع على قراره وإعادة القاضي من منفاه إلى منصبه وحلقة دروسه¹.

16-1- زواج الجزائريين بالمسيحيات الحرات:

إن طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ والمتشعب بتعاليم الدين الإسلامي لم تعارض زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب، ولكن يشترطون عليها اعتناق الإسلام بعد الزواج، وهو ما حدث مع رجل مدينة الجزائر حكمت الذي وقع أسيراً في إسبانيا، فتزوج بالمرأة المسيحية الهولندية (Helen Dons). ولكن سبب موافقتها للزواج منه كان اعتقادها بأنه إسباني، فقد أوهمها بأن اسمه (Herrar) وأنه من إحدى أعرق الأسر الإسبانية العريقة، وهي أسرة (Herrera Velasco)، وكان يتقن اللغة الإسبانية بفضل إقامته الطويلة في إسبانيا².

وبعد مرور سنوات طويلة على زواجهما وإنجابهما لطفل، عاد حكمت إلى الجزائر بعد تعرضه للأسر على يد بحارة جزائريين، الذين أخبروه بأصله وقصته الأسرية، وهو ما تفاجأت به زوجته المسيحية، لكنها استسلمت للأمر. عاد حكمت إلى أسرته بعد غياب طويل برفقة زوجته، التي أجبرت من قبل أسرة الزوج على اعتناق الإسلام، لكنها رفضت وأصررت على البقاء على دينها المسيحي، مما دفع الأسرة لتهديدها بأخذ طفلها عنها. ومع ذلك، ظلت متمسكة بمعتقداتها، مستخدمة وسائل أخرى مثل الرقية الشرعية وإحضار نساء مسنات لإقناعها، لكنها استمرت في تمسكها بدينها، فقاموا بضربها وعض أصابعها، خاصة أصبح التشهد الذي ألزموا عليها رفعه والنطق بالشهادتين، ومع ذلك لم تتراجع عن موقفها. أدى ذلك إلى سجنها في غرفة مظلمة ومنعها من الطعام ماعدا الماء والخبز، وكان زوجها يزورها ليهدئها ويخبرها بأن الأمر خارج عن إرادته، فهو قرار السلطة. وبعد عجزهم عن إقناعها بالاعتناق، تم

¹ - أحمد توفيق المدني: مذكرات أحمد شريف زهار، مصدر سابق ص ص 81-91.

² - خليفة حماش: قراءة في قصة مهاجر إلى أوروبا في العهد العثماني، في الهجرة، الحراك والمعالم الحضريّة في الجزائر، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والابحاث والرحلة والهجرة، جوان، 2009م، ص 4-5.

Areveux Laurent Chevaleir Mémoire .Paris 1735. T6 .Pp 469-482.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

إطلاق سراحها بشرط الرحيل والابتعاد مع زوجها للعيش بعيداً عنهم. وما يلاحظ عليها أنها لم تكتفِ بمسيحيتها بل كانت تقوم بتعميد أطفالها سراً، رغم إسلام زوجها. لم يطل بقاؤهم في الجزائر، إذ رحلوا من المدينة بإصرارها لرفضها العيش داخل هذا المجتمع، ورغم موافقة زوجها لها على ممارسة شعائرها، إلا أنها ظلت خائفة من انكشاف أمرها، فأسرت برغبتها بالفرار بدينها، ولم يجد زوجها سوى الانصياع لها ورحل معها إلى المشرق الإسلامي¹.

ويبدو أن المرأة المسيحية في مدينة الجزائر والتي تتمتع بحريتها كانت ترفض الارتداد عن دينها وإعتناق الإسلام حتى ولو تزوجت بمسلم وتعرضت لضغوطات على عكس بعض النساء المسيحيات التي من اهتدين وفضلن إعتناق الإسلام من أجل الزواج بالمسلمين وتحسن أحوالها، كما نسجل أن الرجل الجزائري كان إنسانياً مع زوجته المسيحية، مما سمح لها باعتناق الدين طوعية مثلما فعل مع حكمت، الذي لم يجبرها على التخلي على دينها وإعتناق الإسلام، ربما إعترافاً منه لها لأنها وقفت إلى جنبه.

وتتغير وضعية المرأة المسيحية الحرة بحسب طبقة زوجها؛ فإذا كانت متزوجة برجل بسيط، يُسمح لها بالبقاء على دينها، أما إذا تزوجت من رجل ينتمي إلى أعضاء السلطة، فغالباً تُجبر على اعتناق الإسلام أو يُتهم زوجها بالردة، كما حدث مع أحمد بوضربة، الذي كلفه والده مصطفى سنة 1820م بالإشراف على مصالحه التجارية في ميناء مارسيليا. نتيجة للإقامة الطويلة هناك، تزوج بوضربة من امرأة مسيحية بروفانسية (فرنسية)، وأنجبت له ابنه إسماعيل، وما يلفت الانتباه أنه سمى ابنه باسم إسلامي، دلالة على تمسكه بدينه. ومع ذلك، أصدر داي الجزائر حسين باشا قراراً قاسياً بحقه، تمثل في مصادرة كل ممتلكاته بحجة زواجه من مسيحية واتهامه بالارتداد عن الدين، كما اتهمه حمدان خوجة بالردة أيضاً. ويمكن تفسير موقف حمدان خوجة من منطلق ما تعلمه في مجتمعه الذي يرى كل متزوج من مسيحية مرتدداً، ليعود أحمد بوضربة مع زوجته إلى مدينة الجزائر بعد إفلاس شركته².

¹ - خليفة حاش: قراءة في قصة مهاجر إلى أوروبا في العهد العثماني، في الهجرة، مرجع سابق، ص 4-5.

Areveux Laurent Chevaleir Mémoire .Paris 1735.T6 .Pp 469-482.

² - أحمد أمين محمد :وثيقة لاعيان مدينة الجزائر في 6 شعبان 1246هـ /30 يناير 1830م حول أحمد بوضربة وبداية تبلور الشعور الوطني ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية،1423هـ /2002م ، العدد 6، ص ص 92-93.وينظر عمار حمداني: حقيقة غزو

1-17- التمازج بين نساء المدينة المسلمات مع الأسرى:

شكل الأسرى جماعة معتبرة في مدينة الجزائر، وكانوا خدما لدى السلطة الحاكمة أو عامة الناس، ونتيجة لما أظهره بعض هؤلاء من قيم أخلاقية حميدة من سمع وطاعة وأدب جعلت بعض دايات حسب جيمس ولسون يصدر قرارا يسمح لهم بالزواج من الجزائريات، ولكن القرار لقي معارضة من طرف العلماء والمرابطين، لأن المذهب المالكي يحرم زوج المسلمة الحرة من العبد: "حرم على المرأة أن تتزوج عبدها دون أن تعتقه أو تخرجه عن ملكها... فقد انفسخ نكاحها منه بلا فصل"¹، وأنفقوا على تنفيذ عقوبة الإعدام على المرأة المسلمة التي يثبت أنها على علاقة مع عبد مسيحي "إن كل علاقة بين عبيد مسيحين ونساء مسلمات تعتبر جريمة تستحق الإعدام"².

ثانيا: مستجدات حياة المرأة بعد الزواج:

أ) - المرأة والانجاب:

1-الولادة:

بمجرد ثبوت حمل المرأة حتى تسارع الأسرة على الاهتمام بالحامل وبجنينها، ولأن أغلب الأسر كانت حريصة على أن ينتجب طفلا جميلا، ولهذا تكثرت في النظر الى للاطفال، الذين يتميزون بالجمال الى درجة تؤمر بشرب الماء فوق راس طفل الجميل بالاضافة إلى رؤية الاشياء الجميلة والابتعاد عن الاشياء القبيحة، ويتم تلبية طلباتها أثناء فترة الحمل وتحقيق ماتشتهيه من طعام³.

الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، الجزائر، 1429هـ - 2008م، ص 205، طونة فكري: رسالة حمدان خوجة إلى صديقه، مجلة التاريخ، الجزائر، 1986م، العدد 29، ص 205-213، وينظر محمد بن مبارك كديدة: رحلة إسماعيل بوضرية إلى غات عام 1858م أهدافها ونتائجها في إستراتيجية الاحتلال الفرنسي للتوغل في صحراء، جامعة محمد بوضياف مسيلة، مجلد 6 العدد 1، سنة 2022م، ص 833. سلطانة عابد: قراءة في خصائص تجار مدينة الجزائر سنة 1830م أنموذج: "حمدان خوجة وأحمد بوضرية" مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، العدد 2، جوان 2012م وينظر: Paul Eudel: Loffevrierie algerine.Op. cit p30.

1 - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، منشورات محمد علي بوضون، كتب السنة والجماعة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م/1425هـ، ج 9، ص 355-356.

2 - جيمس ولسون ستيفن: مرجع سابق، ص 239.

3 - شهيرة بوحنوف: مرجع سابق، ص 23-22.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وفي أثناء مرحلة الولادة ، التي تعتبر من أخطر المراحل التي تمر بها المرأة فانها تحظى بإهتمام كبير من طرف أفراد العائلة، وذلك برعايتها خلال فترة حملها و تسخير قابلية لها خبرة في الاشراف على متابعتها خلال فترات الحمل و توفير الجو المناسب لها أثناء ولادتها بتوفير مختلف الوسائل لإنجاح عملية الولادة وبعد خروج الجنين تسارع القابلة إلى قطع حبل السري ثم ترش مكان القطع بالشب والكحل وتغطيه بكتان نظيف، ولكن هناك نساء توفين أثناء فترة المخاض، وذلك راجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها: تدهور المرافق الصحية وقلة الأدوية، بالإضافة إلى ترك المرأة تكابد المخاض¹، ربما لعجز القابلة على معالجتها أو لم يعثر على قابلة في ذات الحي أو الأحياء المجاورة .

ويزداد الطفل فيعم البيت فرحا كبيرا فيسارع الزوج باطلاق طلقة بارود للتعبير عن فرحته بإزدياد الطفل وحامدا الله على سلامة الأم وإبنها ثم يقوم بذبح دجاجة إذا كان المولود بنتا وديكا إذا كان المولود ذكرا وبعد مرور سبعة أيام عن ميلاد الطفل الجديد يقوم الزوج بدبح العقيقة خلال هذه الفترة تستقبل أسرة المرأة الولود النساء اللواتي يقمن بواجب الزيارة محملين بالهدايا ومهنئين لها على المولود الجديد فتقدم لهن الطمينة وهي حلوة مصنوعة بالدقيق والسكر².

ورغم فرح الزوج بالمولود الجديد، إلا أننا وجدنا بأن بعض الأسر كان عدد المواليد عندها قليل رغم زواج المبكر فهل هناك أسباب ودوافع لهذا؟.

2-تحديد النسل:

رغم انتشار الزواج المبكر كما سبقت الإشارة، والذي كان في الغالب بدافع رغبة بعض الأسر في الإكثار من النسل، إلا أنّ الوثائق تكشف عن نساء فضّلن الاكتفاء بعدد محدود من الأبناء لا يتجاوز ستة أطفال، وهو ما أكدته دراسة الباحثة عائشة غطاس رحمها الله التي أوضحت أنّ الولادات لدى المرأة الجزائرية في القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي والقرن الثاني عشر هجري/النصف الأول من الثامن عشر ميلادي كانت منخفضة، إذ بلغ الحد الأقصى ستة أطفال بينما اكتفت معظم

¹ -ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص67. وينظر: Mostefa :Op. cit. P 80

Khayti Et Shuval: Op. cit. P45.

² -محمد بن رمضان شاوش: مصدر سابق، ص ص375-381.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الأسر بثلاثة فقط، وشكّلت الأسر الأندلسية نسبة 64.10% من مجموع الأسر المنجبة، مقابل 12.82% فقط ممن أنجبن ستة أطفال. ومع وجود حالات قليلة تجاوزت هذا العدد فأنجبت سبعة أو عشرة، إلا أنّ الغالبية بقيت في حدود طفلين إلى ثلاثة، ومن ذلك ياسمينة بنت عبد الله زوجة رجب رئيس التي أنجبت ثلاثة أطفال، وعويشة بنت الساسي زوجة علي بن عمر التي أنجبت أربعة، وعزيزة بنت رمضان التي أنجبت طفلين ثم ثلاثة من زواج آخر وطفلاً واحداً من زوجها محمد أودا باشي، ومع ذلك يبقى سبب انخفاض عدد الولادات رغم الزواج المبكر غير واضح تماماً¹.

وقد يُعزى انخفاض عدد الولادات إلى جملة من العوامل الصحية والاجتماعية التي كانت المرأة الجزائرية تواجهها في تلك الحقبة؛ فالأمراض المتكررة، وغياب المرافق الصحية، وندرة الأدوية، وسوء الرعاية بالمرأة والطفل - كما أشارت إلى ذلك الباحثة ليلي خيراني - كانت من العوامل التي قد تدفع النساء إلى الحدّ من الإنجاب. كما كشفت بعض الوثائق عن حالات لنساء توفين خلال وضع حملهن، أو أطفال ماتوا مباشرة بعد الولادة، وهو ما يجعل خيار تقليل الولادات محاولة لحماية حياة الأم أو الأبناء. وإلى جانب ذلك، لعبت الظروف الاقتصادية الصعبة، خاصة لدى الأسر البرانية، دوراً مهماً في دفع المرأة إلى تقليل الإنجاب أو حتى الإقدام على الإجهاض في بعض الحالات. ومع ذلك، تبقى هذه الأسباب في إطار الافتراضات؛ لأنّ المصادر التاريخية لم تقدّم تفسيراً صريحاً لهذه الظاهرة، مما يجعل الباحثات يلجأن إلى مثل هذه التقديرات لتبرير انخفاض معدلات الولادة.

ب- مصير المرأة العقيم ووضعتها الأسرية والاجتماعية:

إن الهدف من الزواج هو إستمرار النسل البشري يصفة عامة ،و إجتماعيا سعي كل أسرة لاستمرار نسلها عن طريق التكاثر،ولكن تكون المرأة عقيم ،قال الله سبحانه وتعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الشورى الآية 46 - 47] فمن هذه الآية تبين

¹ - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مجلة انسانيات، العدد 3، وهران 1998م. ص 5-6-8. وينظر: مهدية طيبي، مرجع سابق، ص 37.

Jean Paul Pascual Et Estable Coleut : Famille Et Fortunes A Damas 450 Foyers Damascains En 1700 Dames-Institut Francais Detudes Arabes De Domas 1994. Pp52-53.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

لنا بأن العقم ظاهرة طبيعية وأمر رباني لادخل للانسان فيه ولقد أصيبت بعض نساء المدينة بالعقم فما مصيرهن؟.

ولأن العقم داء ليس له دواء جعل بعض النساء العقيمت يسمحن لأزواجهن بإعادة الزواج مع إبقائها تحت عصمته، ولم يكتفين بذلك بل أوقفن عليه بعض ممتلكاتهن مثلما فعلت ليومنة بنت سليمان مع زوجها وأبناء ضرثها الذين خصصت لهم وقفا يستفيدوا منه وإمرأة أخرى وهبت إبن ضرثها دارا أو غرفة، وكل هذا من أجل كسب رضى زوجها تحضى بعطف أبناء ضرثها¹.

وقد تكون الزوجة الثانية عقيما فانه يبقى عليها في حال إحتفاظه بأطفاله الذين أنجبهم من زوجته الأولى، فتتخدمهم أطفالا لها، وتشرف على تربيتهم وكأنها أمهم التي أنجبتهم من صلبها، مثلما فعلت عائشة زوجة محمد خوجة بن سفين، التي قامت بتربية أبناء زوجها التسعة، الذين أنجبهم من زوجته الأولى²، وكذلك زهراء بنت خليل زوجة محمد الانجشاري، التي قامت بتربية أبناء زوجها الثمانية، وكذلك فاطمة بنت أحمد الاندلسي، التي قامت بتربية أولاد زوجها محمد أغا الاصابيحية السبعة³.

ج- موقف المرأة الجزائرية من الضرة:

قال الله تعالى ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنِي وَتِلْكَ فَرِيقٌ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء، الآية 03]، وروى البخاري في صحيحه "عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ هَلْ تَزَوَّجْتَ قُلْتُ لَا قَالَ فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً".

إن الشريعة الاسلامية سمحت للرجل بالتعدد في الزوجات، وحددت العدد بأربعة نساء، ولكن ضبطتها بشرط أساسي، وهو العدل بينهن معنويا وماديا⁴.

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 172. وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 1، ص 381. وينظر: بوزيد صليحة: مرجع

سابق، ص 179-180. وينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 285.

² - ع 13، م 1، ق 7، سنة 1142هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 147.

³ - ع 122، م 1، ق 13، سنة 1200هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 170.

⁴ - بدران أبو العينين بدران: الزواج والطلاق في الإسلام، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط2، 1961م، ص ص 103-104.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ورغم طبيعة مجتمع مدينة الجزائر في كونه مجتمع مسلم ومحافظ سعى في تطبيق الشريعة الاسلامية، و الالتزام بكل ما تنصه عليه ، إلا أن قضية التعدد ووجود ضرة لها ، فقد كانت أغلب النساء يرفضنها رفضا مطلقا ، ليس إعتراضا على حكم الدين الاسلامي ، ولكن غريزة الغيرة في المرأة كانت أقوى وتمنعها من الموافقة على وجود امرأة تشاركها زوجها ، وكذلك لإدراكها عدم عدل الزوج بينهما ، وخوفا من التعدد، فقد إتخذت المرأة الجزائرية مجموعة من التدابير أهمها أن تشترط عليه في عقد الزواج رفضها للتعدد والزوجة ثانية وأنها محرمة عليه مسبقا كما ذكرنا سابقا ، أو تجبره على النفقة عليها بإسراف حتى لا يتمكن من جمع المال فيفكر في الزواج عليها¹.

أما إذا كان العامل رب أسرة مكونة من أربعة أو خمسة أشخاص، فالإدخار صعب عليه حتى لو كان بعض افراد الأسرة يساهمون في إعانة²، ولم تكتف نساء المدينة بهذا بل أجمعن على إعلان العداوة وتهميش وإحتقار ودم ونعتها، بالاشارة إليها بالأصابع بمختلف الصفات القبيحة كل امرأة سمحت لزوجها بالزواج للمرة الثانية³.

ومنهن من كانت تمنح زوجها وقفاً وتقيده بشروط، أهمها أن يحق له الاستفادة من الوقف في حالة كونه غير متزوج، وإذا أراد الزواج مرة ثانية يُحرم من الوقف، مثلما حدث مع عائشة بنت عمار، وقد تُسلبه ممتلكاته التي كانت قد منحها له فيصبح فقيراً. ومثال آخر، زوجة علي بتشين، التي اكتشفت أنه تزوج من علجة ذات أصل يوناني وأنجبت له طفلاً، فهددته بالطلاق وإرجاعه فقيراً بحرمانه من الثروة التي قدمتها له سابقاً، فكان عليه تطليق زوجته الثانية وأخذ الطفل عنها ليقدمه للزوجة الأولى لتربيته، لكن الطفل توفي بعد ذلك⁴.

ويُعتقد أن علي بتشين قد تزوج للمرة الثانية بدافع رغبته في الإنجاب نتيجة عقم زوجته الأولى، والدليل على ذلك قيامه بأخذ الطفل عن زوجته الثانية ومنحه لتربية زوجته الأولى. كما يمكن القول إن

¹ - حلبي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، ص 265. سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 165-173-172. وينظر منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 264.

² - نفسه.

³ - نفسه.

⁴ - منور مروش: مرجع سابق، ج 2 ص 264.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

المرأة ذات المال والنفوذ كانت قادرة على السيطرة على زوجها، حتى ولو تجرأ على الزواج من ثانية، إذ كانت تجبره أحياناً على تطليق زوجته. ولهذا السبب، قام بعض الرجال بإخفاء زواجهم الثاني إلى أن توفوا، لتكتشف الزوجة الأولى الأمر لاحقاً عند عملية تقسيم الإرث، مثلما حدث مع فاطمة بنت شعبان، زوجة محمد بن علي، التي اكتشفت أن زوجها قد ترك لها ضرة عندما تقدم أحد أقرباء المتوفى إلى وكيل الزوجة الأولى السيد المكرم محمد شاوش بن مصطفى للمطالبة بحق الزوجة الثانية مريم بنت أشكير في الإرث¹.

وعلى النقيض هناك نساء عقيمات سمحن لزوجهن بالزواج مع البقاء تحت عصمتهم بدلا من الطلاق وكذلك لتحظى بعطف أبناء زوجها، ولم يكتفين بذلك بل أوقفن عليهن بعض ممتلكاتهن مثلما فعلت ليومنة بنت سليمان مع زوجها وأبناء زوجها، الذين استفادوا من وقفها وإمرأة أخرى وهبت ابن زوجها دارا أو غرفة²، ومنهن من أوقفت بعض ممتلكاتها على زوجها أيضا مثلما فعلت ليومنة بنت سليمان التي كانت عقيم بعض ممتلكاتها على زوجها وأولاده وضررتها³.

إن السياسة التي انتهجتها هاته النسوة أدت إلى تقليص ظاهرة تعدد الزوجات، ولكن مع أواخر القرن الثامن عشر ميلادي وبداية القرن التاسع عشر، بدأت ظاهرة التعدد في الظهور والانتشار يقول الأسير النرويجي "...وليس من النادر أن يتزوج بثلاث أو أربع نساء"⁴.

كما عثر على وثائق تؤكد على وجود رجال تزوجن على نساءهن فمنهم هناك من تزوج بأربعة نساء مثل: الحاج موسى بن علال بن الحاج محمد نجل الشيخ سيدي علي بن مبارك وزوجاته هن:

¹ - م.ش.ع 141 و54، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 585.

² - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 172، وينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 1، ص 381، وينظر: صليحة بوزيد: الوقف الأهلي في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر بين الشريعة والممارسة من خلال سلسلة المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 1436هـ، 2015م، ص 179-180، وينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 285.

³ - صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 180.

⁴ - ع 1/27، م 2، ق 13، سنة 1066م، وينظر: ع 2/19، م 4، ق 40، سنة 1199م، وينظر: ع 2/26، م 4، ق 4، سنة 1126م، وينظر: ع 132-133، م 2، ق 40، سنة 1232م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 192-442-832، وينظر: نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103، عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 6-8.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

حدوجة بنت علي وكلثوم بنت عمر الشريف ومريم بنت بوغارلي وعائشة بنت الطاهر ومنهم من تزوج بثلاثة نساء مثل محمد بن الولي الصالح سيد مؤمن تزوج بثلاثة نساء، وهن: عائشة الشريفة وأمنة اليعقوبية وأسيا بنت الجلابي وكذلك الحاج محمد العطار بن الحاج عبد القادر الذي كانت له ثلاثة نساء وهن الحاجة زهراء بنت المقداد ولااهم بنت الحاج المداني وحليمة بنت محمد شريف¹.

ولكن هذه الحالات كانت نادرة، إذ أن أغلب الرجال كانوا يكتفون بضرورة واحدة، مثل: المفتي الحنفي الحاج محمد النيار، الذي كانت له زوجتان، وإبراهيم شيخ البلد بن أحمد، التي كانت له زوجتان هما فاطمة بنت الحاج علي بن شهباء ومومنة بنت محمد البستاني، والحاج عبد الرحمن أمين الصفارين ابن محمد بن مهران، الذي كان متزوجاً بإمرأتين، رقية بنت حسن خوجه وعائشة بنت محمد، والفقيه محمد كاتب يحيي أغا السبائية، الذي كان متزوجاً بزوجتين، راضية بنت محمد ووحددة بنت عابد شريف، والعالم محمد نيقرو الأندلسي، التي كانت له زوجتان، وعبد القادر بن أحمد الأندلسي، أحد شيوخ الكتاب، الذي كانت له زوجتان هما أمينة بنت الحاج علي وعائشة بنت أحمد².

ومع ذلك، يمكن القول بأن نسبة وجود الضرّة في مجتمع مدينة الجزائر كانت ضئيلة، حيث قدرت بـ 28.2٪، ويعود قلة هذه النسبة إلى الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها نساء المدينة للحيلولة دون وجود ضرّة عليهن³.

د- طبيعة العلاقة بين المرأة و الرئائب:

تعارضت المرأة في مجتمع مدينة الجزائر وجود الضرّة كما سبق الإشارة، إلا أن الزوج قد يضطر للزواج مرة ثانية نتيجة أسباب متنوعة، أهمها وفاة زوجته أو تطليقها، فيحتفظ عند ذلك بأطفاله الذين يصبحون رئائب للزوجة الثانية. وتباين موقف الزوجة الثانية تجاه هؤلاء الرئائب، إذ اختلفت طبيعة

¹ - نفسه.

² - ع 45 م 1 ق 4 سنة 1146. وينظر: ع 52 م 3 ق 73 سنة 1223 هـ وينظر ع 19 / 2 م 4 ق 19 سنة 1239 وينظر ع 45 م 1 ق 4 ، سنة 1146 هـ نقلا : خليفة حمّاش : مرجع سابق، ص ص 456 - 440 وينظر: عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني ، ص ص 6-8-3 وينظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش : مرجع سابق ، ص 14.

³ - نفسه، ص 6.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

العلاقة بين المرأة وربيتها: فقد كانت هناك نساء تتسم علاقتها مع ربائبها بالحب والتعاون والعطف، مثل فاطمة بنت سليمان، التي تكفلت بالاعتناء بـ روزة بنت إبراهيم الجقماقجي، بما يشمل النفقة والكسوة وتوفير شروط الحياة الكريمة من مالها الخاص، وقد أوصت بثلاث ممتلكاتها لربيتها. ولم يقتصر عطف زوجة الأب على الربائب فحسب، بل شمل أيضًا إخوة الأب، كما حدث مع خديجة بنت العربي، التي أوصت بثلاث ممتلكاتها لأخيها من الأب محمد¹، ويرجع هذا التعاطف في بعض الحالات إلى عقم المرأة وحاجتها للأطفال، ما جعلها تتعامل مع الربائب كأخن بناتها. وفي المقابل، لوحظ أن بعض زوجات الأب كنّ يتحولن إلى موقف عدائي تجاه الربائب بعد وفاة الزوج، حيث يجرمون الأطفال من حقهم في الميراث ويستحودون عليه بطرق غير شرعية، مثل إنكار نسب بعض الأطفال لأبيهم. مثال على ذلك فاطمة زوجة عمر الإنكشاري منزل أغا، التي أنكرت نسب أحد الربائب لزوجها ونفت كونه شقيقًا لإخوته، إلا أن الشاب رفع دعوى قضائية لإثبات نسبه والحصول على حقه في الميراث، فاستدعى القاضي بعض الشهود الذين أكدوا صحة نسبه، وكذبوا ادعاءات زوجة الأب²، وقد يكون سبب إنكارها لنسب الذكر هو منع استحواذه على الحصة الكبرى من الميراث، بينما أبقّت على انتساب البنات لوالدهن لتجنب الكشف عن جرمها في حق الأيتام.

هـ - العنف الأسري المسلط على المرأة:

يعتبر العنف ضد المرأة من القضايا، التي ناقشها مختلف رجال الإفتاء في مدينة الجزائر وعلى إختلاف المذاهب خاصة قضية العنف اللفظي المتمثل في: الاهانة والشتيم من زوجها، ومثل هذه القضية تسببت في صراع بين المفتي المالكي أحمد بن سعيد قدورة والمفتي الحنفي النيار الذي أفتى بالتالي: " فحكم النيار بالسكنى في قوم صالحين آخرين أو يؤمران بالانتقال إلى قوم آخرين"³، لكن هذه الفتوى لم تعجب المفتي المالكي، مما جعله يحتج ليتدخل أهشي مصطفى الذي قام بإقالته⁴.

¹ - ع 2/27، م 5، ق 8، سنة 1173هـ، وينظر: ع 1/16، م 1، ق 2، سنة 1207هـ، وينظر: م.ش.ع 37/59، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 862-863.

² - ع 2/28، م 7، ق 41، سنة 1213هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 149.

³ - بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مرجع سابق، ص 102.

⁴ - نفسه.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

تعرضت بعض نساء مدينة الجزائر للعنف من أزواجهن، حتى أثناء الحمل. فقد لم يقتصر الأمر على العنف اللفظي، الذي كان يتمثل في شتم المرأة بألفاظ سيئة وديئة تقلل من قدرها، بل وصل الأمر أحياناً إلى الإهانة أمام أطفالهن، مما جعل الأبناء يقلدون آباءهم ويحتقرون أمهاتهم. وقد وقعت حالات عنف جسدي شديد، مثل روزة بنت خلاف، التي كان زوجها يضربها رغم حملها وآلامها، فاضطرت للجوء إلى القاضي عبد الله الجيجلي بن أحمد لطلب الطلاق لعدم قدرتها على الاستمرار في العيش معه. كما تعرضت نفيسة بنت محمود للضرب والتجويع، وبعض النساء تعرضن إلى ضرب مبرح بالحديد، أو ضرب في مناطق حساسة من الجسم، كالعنق، ما قد يؤدي إلى الشلل أو الموت. مثال على ذلك عائشة محمد الفليسي، التي تعرضت لضرب عنيف على مستوى الرقبة من قبل زوجها، فاضطرت هي الأخرى للجوء إلى القاضي طالبة الطلاق، حيث استدعى القاضي القابلة زهيرة بنت الرايس محمد الخياط الصغير للكشف عنها والتأكد من صحة إدعائها¹.

ولم يقتصر العنف الممارس على النساء في مدينة الجزائر على الشتم أو الضرب فقط، بل بلغ أحياناً حد القتل. ففي سنة 1223هـ / 1808م، عُثر على ثلاث نساء مقتولات في المدينة، من بينهن فاطمة الوهرانية، التي قتلها زوجها. ولم تقتصر هذه الظاهرة على مدينة الجزائر وحدها، بل ظهرت أيضاً في البايليكات الأخرى، لا سيما في بايليك الشرق، حيث قام زوج، وهو جندي، بقتل زوجته بسبب غيرته المفرطة واعتقاده بأنها خانته مع جاره، رغم شهادة جيرانه على أخلاقها وشرفها وسمعتها الحسنة واستبعادهم قيامها بهذا الفعل. بعد الحادثة، تدخل الأغا وألقى القبض عليه، ثم أرسله إلى الباي للنظر في الحكم بعد استشارة الداوي. وفي رسالة بعث بها أحمد باي سنة 1243هـ / 1827م إلى الداوي حسين، استشار الأخير بشأن مصير زوج قتل زوجته ولجأ إلى النوبة طالباً الحماية، متسائلاً ما إذا كان يجب تنفيذ حكم الإعدام فيه أو العفو عنه².

¹ - ع 65-67، م 3، ق 44، سنة 1239هـ، وينظر: ع 59، م 4، ق 45، سنة 1243هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 198-220، وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات...، مرجع سابق، ص 302.

² - م ش ع 46 و 382، سنة 1254، وينظر: م ش ع 108-109 و 52، سنة 1251هـ، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 384-456، وينظر: جون بول وولف: مرجع سابق، ص 170، وينظر: ليلي خيراني: واقع النساء في مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص 81-82، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 302، وينظر: المجموعة 1642، الوثيقة 24، رسالة 24، والمجموعة

و- المرأة والانتحار:

رغم تحريم الدين الإسلامي للانتحار والوازع الديني القوي لدى سكان مدينة الجزائر، إلا أن بعض النساء انتحرن، ففي سنة 1793م، في مدينة الحمامات، عُثر على امرأة فقيرة منتحرة قد رمت بنفسها من سطح بيتها، مخلقة وراءها مبلغًا بسيطاً قدره 43 ريالاً، وقد يكون لجوؤها إلى الانتحار سببه الفقر، أو عجزها عن تسديد دين، أو خوفها من فضيحة، أو عدم قدرتها على مواجهة صعوبات الحياة بمفردها¹.

ز- المرأة والخيانة الزوجية:

رغم طبيعة مجتمع مدينة الجزائر المحافظ والملتزم بالقيم الدينية، إلا أن بعض النساء تمردن على هذه القيم الاجتماعية، حتى وصل تمردهن إلى الخيانة الزوجية، مثل حالة عايشة بنت حسن الحفاف، التي رغم زواجها من محمد بن إبراهيم بولكباشي خانتها، وهو ما وصفه زوجها بالقول: "ليست أهل صيانة ولا تحفظ نفسها"²، فسارع إلى المحكمة طالباً بتطليقها، وأخذ معه شهوداً لتأكيد صحة قوله، وبعد استماع القاضي لهم والتأكد من صحة الإدعاء، أذن له القاضي بتطليقها³.

وهناك من الرجال من كانت غيرته الحادة على زوجته فبمجرد سماعه خبراً سيئاً حتى ولو كان قدفا ولم يتأكد من صحته حتى يسارع إلى تطليقها⁴، أما في بايليك الشرق فإن بعض الرجال لم يغفرو لزواجهم الخيانة ولا يكتفون بتطليقها بل يقتلها، ففي حادثة وقعت في بايليك الشرق اتهمها زوجها بخيانتها مع جاره فقام بقتلها⁵، هذا بالنسبة للردود الفعل الفردية، ولكن إذا خيانة زوجته مع مسيحي فانه يشكوها للسلطات فتكون عقوبتها بجلدها أمام الناس، وإذا أعادت الكرة مرة ثانية فانها ترمى في

رقم 1642 في المكتبة الوطنية الجزائرية، ومجموعة 3190، الملف الأول، قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وينظر: ناصر الدين سعيدوني: ورقات، مرجع سابق، ص 240، وينظر: نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 76، وينظر:

Siefangendjaft Funfiabrig : Op. Cit.P179

¹ - وينظر: بيت المال، دفتر 5 و75، وينظر: بيت المال، سجل رقم 19، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 74

² - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 303.

³ - نفسه، ص 303.

⁴ - عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص 75.

⁵ - مجموعة 1642 رقم 24 المكتبة الوطنية.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

البحر حية حتى تلفظ أنفسها، أما الرجل المسيحي فيخير بين إعتناق الاسلام فيعفى عنه أو يعدم بالحرق حياً¹.

ح- التحرش بالنساء:

شهدت إيالة الجزائر بعض الظواهر الأخلاقية كالتحرش بالنساء، إلا أن السلطات كانت تصدر أحكاماً عقابية صارمة ضد كل من يتحرش بالمرأة حتى ولو كان من الجيش، كما حدث مع امرأة تعرضت للتحرش من قبل بعض الإنكشارية، مما دفعها لتقديم شكواها إلى مصطفى أغا نوبة، الذي أرسل رسالة إلى أغا العرب لاستشارته في نوع العقوبة التي تطبق على أربعة جنود من الإنكشارية "ارتكبوا فاحشة"، فأمر بضرب كل واحد منهم خمسمائة ضربة بالعصا².

رابعا - المرأة والطلاق:

يُعد الطلاق أبغض الحلال الذي شرعه الله تعالى للمسلمين، وجعل اتخاذ قراره بيد الرجل نظرًا لعظم أمره وخطورته، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يكسر من الطلاق، فقال: "لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ مَزُوجٍ مُطَلَّقٍ"، كما حذّر في حديث آخر قائلاً: " (لا تُطَلِّقُوا، فإن الطلاق يهتر له العرش)"³. ويُعرف الطلاق في المذهب الحنفي بأنه "رفع قيد النكاح بلفظ مخصوص، سواء كان صريحًا مثل قول الرجل: أنتِ طالق، أو كناية مثل قوله: مطلقة بالتخفيف"، أي استخدام ألفاظ تدل على الانفصال الشرعي بين الزوجين وفق أحكام الفقه الحنفي⁴.

أما في المذهب المالكي فالطلاق هو: "إزالة عصمة الزوجية بصريح لفظ أو كناية ظاهرة أو بلفظ مع بينة"⁵.

ورغم خطورة الطلاق وما يترتب عليه من آثار اجتماعية وشخصية، فإن مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني شهد بعض التغيرات، إذ وضعت بعض الزوجات شرطاً يمنحهن حق العصمة على

¹ - كورين شوفاليه: مرجع سابق، ص 71.

² - مجموعة رقم 3190 رقم 282 المكتبة الوطنية.

³ - مولاي ملياني البغدادي: حقوق الانسان، قصر الكتاب، البلدة، ص 250.

⁴ - مريم أحمد الدعشاني: الطلاق في الشريعة الاسلامية، د. ب، 1994 م، ص 9

⁵ - نفسه.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الطلاق ضمن عقد الزواج، مما مكّنهن من التحكم في استمرار النكاح أو فصله. وفي المقابل، أصبح الطلاق بالنسبة لبعض الأزواج عملية يسيرة وسهلة، كما أشار الأسير النرويجي بقوله: "...وكانت عملية الطلاق تتم بسهولة"¹.

أ- الإجراءات الوقائية للأسر الجزائرية لتجنب طلاق بناتهن:

سعت الأسر الجزائرية إلى الحفاظ على تماسك الأسرة وتجنب حدوث الطلاق من خلال منح زوج ابنتهم وقتاً يستفيد منه هو وأطفالها طوال فترة بقاء ابنتهم تحت عصمته. ومثال على ذلك، محمد بن عبد الله السمان، الذي خصص وقتاً لجنينته ورقعتين لصالح حفيدته قامير بنت بيري وابنها عمر بن ناي، بحيث يستمر هذا الابن في الاستفادة من الوقف ما دامت والدته تحت عصمة أبيه ناي².

إن الإجراء، الذي قام به الجد هدفه الحرص على سعادة حفيدته واستقرارها ولم شمل أسرتها ربما كان مسؤولاً على رعايتها بعد موت أو طلاق والديها، ولكن مع ذلك ظهرت أسباب جعلت من الطلاق أمراً مفروضاً.

ب- أسباب الطلاق:

تعددت أسباب الطلاق وإختلفت بين الزوجة والزوج ولكل منهما أسبابه التي جعلت الطلاق أمراً حتمياً ولأن بعض النساء المدينة لم تكن تؤمن شر الزوج ولهذا منذ عقد الزواج قد وضعت عصمتها بيدها بيدها لتجنب ظاهرة الخلع، الذي يكلفها خسائر مالية، ولهذا فإن المرأة كانت تنهي العلاقة الزوجية بمفردها عند اصطدامها بالواقع المر كالاهمال أو تعرضها للضرب والتجويع أو حياة ضنكة من فقر أو بخل أولم تجد ما تم إيهامها به في هذا الزواج، مما جعل صعوبة الإستمرار معه أمر مستحيل، وقد يدفعها لطلب الطلاق. وسنحاول ذكر بعض الأسباب التي دفعت المرأة لتطلب الطلاق.

وأول الأسباب هو بخل الزوج وعدم إنفاقه على زوجته، إذ يُعتبر البخل من أبرز الدوافع التي جعلت بعض الزوجات يطلبن الطلاق، كما حدث مع الحاجة زهرة، التي ذهبت لأداء مناسك الحج مع زوجها محمد، وكانت تنفق عليه خلال أداء المناسك، لكنه لم ينفق عليها ولو مبلغاً بسيطاً، مما دفعها للتذمر،

¹ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103.

² - ع1/42، م2، ق42، سنة1244هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص203.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

فخيره بين أمرين: الإنفاق عليها أو الطلاق. السبب الثاني هو رفض الزوجة مرافقة زوجها في سفره، فقد كانت بعض النساء يطلبن الطلاق نتيجة سفر الزوج وتركه لهن بدون مال للإنفاق على أنفسهن، خاصة إذا رفضن مرافقته، كما حصل مع زوجة التاجر محمد التي رفضت الانتقال إلى بيته وأصرت على البقاء مع أخوتها، فطلبت الطلاق. السبب الثالث هو عدم الالتزام بأوامر الزوج ورفضها التدخل في شؤونها الخاصة؛ فقد ذكر سروفال (Crevalle) أن من الأسباب التي دفعت المرأة للمطالبة بالطلاق كانت أحياناً تافهة، مثل منعها من الخروج المتكرر من البيت، ما يُعتبر تقييداً لها وتدخلها في شؤونها، وأحياناً كانت تطلب الطلاق بعد إصابتها بأمراض مثل الجنون¹.

والسبب الرابع، هو زواج الإكراه: أجبرت الكثير من البنات على زواج برجل رفضته ولكن وليها أصر على ذلك مما جعلها بعد الزواج ترفض التأقلم مع الزوج مما يؤدي إلى سوء العشرة بينهما من شجارات مستمرة فتطلب الطلاق. ومثل هذه الحالات ذكرها بن الفكون في نوازله وهي تزويج البنت بشخص رفضته غصبا عنها بموافقة وليها مثلما جاء في النازلة: "فأعطاها للولد المذكور.. والحالة البنت المذكورة منكراً لجميع ذلك ونافرة من الولد كل إنفار وأجبروها على نكاح الولد وعقد عليها... ولارضا ولاتوكيل... ولما بنا بها الولد فرت من عنده وجرت إلى در أمها... وسكنت عندها مايزيد الستين والام تراود فيها وجميع أقرارها على الرجوع ولم يزدها كلامهم إلا نفورا" فالبنت رغم الزواج إلا أنها ظلت مصرة على طلاقها حتى تمكنت من الطلاق كما جاء في النازلة².

والسبب الخامس هو صغر سن الزوجة، إذ كانت بعض الأسر الجزائرية تزوج بناتها صغيرات السن دون اعتراض من القاضي، فتجد البنت نفسها فجأة أمام واقع جديد وعجز عن تحمل المسؤولية، مما يعرضها للعنف اللفظي من توبيخ وشتيم، والجسدي من ضرب وغيره، كما حدث مع زوجة محمد

¹ - ع65-67، م3، ق44، سنة 1239هـ، وينظر ع59، م4، ق45، سنة 1243هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 198، ونجوى طوبال: مرجع سابق، ص 305. وينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 282، وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م)، مرجع سابق، ص 303.

² - عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص 37.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الصادق، التي تزوجت وهي في سن سبع سنوات، وبسبب عدم قدرتها على التأقلم مع الحياة الأسرية الجديدة وتحمل المسؤولية، تعرضت مرارًا وتكرارًا للضرب، حتى لجأت إلى القاضي طالبة الطلاق¹.

ومن أهم الأسباب التي جعلت بعض النساء تطلب الطلاق هو الغش في الزواج و العنف الأسري فقد تعرضت بعض النساء إلى العنف الجسدي واللفضي نتيجة مجموعة من الأسباب وقد تتحمل هذا العنف لمدة ثم ينفذ صبرها مما يدفعها لطلب الطلاق ومن الأسباب الأخرى أيضا هي الغش في الزواج فقد خدعت بعض النساء اللواتي لم يسمح لهن برؤية الخطيب بزواج مصاب بعاهة معينة الجسدية مثلما مثلما حدث مع امرأة في يوم زواجها تفاجأت بأنه معاق حركيا "...ضرب من رجله" وهو ماجعلها تتجه إلى القاضي تشتكيه أمر خداعها وتزويجها بزواج معاق وطلبت منه تطليقها منه².

ومنهن من توجهت للقاضي طالبة الطلاق من زوجها الذي أصيب بالجنون مثلما حدث مع حنيفة بنت عثمان بوشناق التي أصيب زوجها محمد البناء بن علي برصالي بالجنون فتوجهت للقاضي رفقة مجموعة من الشهود لاثبات صحة كلامها فوافق القاضي على تطليقها منه بعد تأكده من صحة الخبر³. وما يلاحظ أن هناك نساء رغم إصرارهن على طلب الطلاق إلا أنهن لم يتمكن من تحقيقه وكانت طلباتهن مرفوضة⁴.

أما دوافع الرجل لتطليق زوجته، فمنها أولاً عصيانه لأوامره، خاصة الخروج المتكرر من المنزل، إذ كانت هناك نساء رغم تهديد الزوج ومنعه لهن من الخروج، إلا أنهن تمردن على قراراته، وخصوصًا إذا منعها من حضور حفل زفاف، الذي كانت النساء لا تتوانى عن حضوره، مما يعرضها لخطر الطلاق⁵.

والسبب الثالث هو النزاعات المتكررة بين الزوجين، إذ إن عدم قدرة الزوج على تحمل المشاكل التي تثيرها زوجته دفعه إلى تطليقها، ففي نازلة ابن الفكون: "...أن الزوجة سيئة الخلق وأساءت عشرته والزواج

¹ -نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 87.

² - نفسه، ص 314.

³ - نفسه، ص 314.

⁴ عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص 65.

⁵ نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص 303-307.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

محاسن لها وعزموا على طلاقها منه فامتنع عن طلاقها وأراد عدم السكن مع والده هو المنفق عليه وعلى زوجته... من كون الزوج قليل التكسب..."، وهو ما جعله يطلقها في نهاية المطاف¹.

والسبب الرابع هو: الخصومات الأسرية بين الزوج والأصهار: تكون المرأة أحيانا ضحية نزاعات أسرية بين زوجها وأسرته لأسباب مادية لاعلاقة لها بها، ومع ذلك فهي المتضرر الأكبر من هذا النزاع لأنه يؤدي إلى طلاقها مثلما حدث مع روحية بنت السيد أحمد الخياط، التي طلقها زوجها بسبب شجار وقع بينه وبين أخوها وأقسم على تطليقها إذا قام أخوها بطرده من الجنة، وبالفعل حدث ذلك فقام بتطليقها تطليقا محرما²، وأيضا خداج بنت عبد الرحمان التركي، التي تعرضت للطلاق ثلاثة مرات من طرف زوجها محمد بن عثمان المقفولجي بسبب شجار وقع بين زوجها وأمها وفي كل مرة يطلقها ففي المرة الأولى بعد الشجار طلقها ليتجدد شجاره مع أمها للمرة الثانية وطلقها وتكرر للمرة الثالثة مع والدها فطلقها³.

والسبب الخامس هو رغبة الانكشارية في استرجاع حقوقهم بالطلاق، إذ يمكن تفسير انتشار ظاهرة الطلاق بين بعض الانكشارية برغبتهم في استرجاع بعض الامتيازات التي كانوا يحظون بها وهم عزاب، والتي حُرِّموا منها بعد الزواج، مثل الإقامة في الثكنات، التخفيضات على المواد الغذائية، والترقيات، والتي كان يمكنهم استرجاعها بالطلاق، مما جعل المرأة ضحية هذه الإجراءات التعسفية في حقها⁴.

وفي الأخير، يمكن القول إن من أهم أسباب استمرار العشرة الزوجية بين الزوجين هو وجود الأطفال، إذ قد يطلق الزوج زوجته إذا كانت عاقراً، ولكن هناك نساء، رغم إنجابهن للذكور والإناث، تعرضن للطلاق، مثل: أم الحسن بنت موسى بن طنون التي طلقها زوجها مراد أغا بن عبد الله، وهي أم لثلاثة ذكور وبنت، وعائشة بنت علي التي طلقها زوجها أحمد شاوش أغا، وهي أم لستة أطفال⁵.

¹ - عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص 54 - 72.

² - ع72-73، م4، ق74، سنة 1200هـ نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 207.

³ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 307.

⁴ - يحي محمد طاهر الغزاوي: مرجع سابق، ص 91.

⁵ - ع41/2، م4، ق11، سنة 1044هـ، وينظر ع33، م2، ق21، سنة 1204هـ. نقلا عن: خليفة حماش: مرجع سابق، ص215.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أما نساء الطبقة الحاكمة، فكانت عصمتهن بيد ابائهن، الذين يزوجهن متى أرادو ويطلقهن متى أرادو كما سنرى لاحقا في دور المرأة في توطيد الحكم .

ج- إجراءات الطلاق :

يتجه الزوج إلى المحكمة لفسخ عقد الزواج بالطلاق بدون حضور الزوجة في أغلب الأحيان لأنها تكلف وكيلا ينوب عنها، فإذا كان الطلاق برغبة من الزوجة، التي رفعت دعوى طلاق ضدها زوجها الذي لم يلتزم بأحد شروطها المذكورة في عقد الزواج والمقيدة بطلاق وكان الزوج وافق عليها، فيتأكد القاضي من ذلك بالعودة إلى العقد، ثم يصدر قرار الطلاق إذا ثبت ذلك¹ ورغم وضع المرأة الجزائرية لعصمتها بيديها إلا أنه لم يسمح لها بتطليق نفسها إلا بعد العودة إلى القاضي الذي يتولى عملية التطليق بعد الإنصات للزوجين معا² لمعرفة الأسباب التي منعت الزوج من عدم الالتزام بشروط المرأة حتى لا يكون ظلما له .

ولكن تبقى أحقية التطليق بيد الزوج، فهناك أسباب كثيرة جعلت الزوج يطلق فيها زوجته عندما رأى أن إستمرار العشرة الزوجية معها أصبح مستحيلا رغم وجود الأطفال أو عجز الزوج على نفقة عيها أو بسبب عقمها أو إصابتها بمرض معين كالجنون وغيره³.

وبعد التوجه إلى المحكمة يطلب القاضي من الزوج إعادة لفظ الطلاق التي طلق بها زوجته زوجته حتى يحدد نوع الطلاق ويسجله في العقد فمن ألفاظ الطلاق ما يسمح له بإعادة زوجته ومنها ما قد يجرم عليه إعادتها، مثل لفظ: "أنت طالق وحارمة على كما حرمت مكة على اليهود"⁴. أو قوله: «. محرمة مثلما حرمت مكة على اليهود والنصارى "و"أنت مطلقة محرمة مثلثة" " طلقها بالحرام وأن لا تبث على

¹ - وهذا ما رأيناه سابقا في شروط المرأة الجزائرية في عقود الزواج .

² -مولاي ملياني البغدادي: مرجع سابق، ص250.

³ - م ش ع 142-143 و 129، وينظر نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 299-300، جون بول وولف: مرجع سابق، ص 170، وينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 282.

⁴ -نفسه، ص282.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ملكه " " طلقها بلفظ الحرام الثلاث " و" مهما حللت حرمت " " محرمة في المذاهب الأربعة " " مطلقة إلى يوم القيامة" «». مطلقة من الكهف إلى الكهف " ولفظ " محرمة بعدد النساء " و" طلقة ثانية بلفظ النون" ¹.

من خلال ألفاظ الطلاق، يظهر أن الرجل كان قاسياً في حق زوجته، خاصة عندما طلقها بلفظ التحريم الذي يمنع عودتها إلى حياتها الأسرية، أو بألفاظ جارحة تهين شخصيتها وتسبب لها الكآبة. وهذا يعكس الحالة النفسية للرجل في لحظة الغضب الشديد، التي دفعته للتلفظ بأقصى الكلمات. ومع ذلك، ورغم حدة هذه الألفاظ، يتبين لفظة المذهب الحنفي أن الأمر مرتبط بالنوايا، حيث يقوم الفقهاء بالتحقق من قصد الزوج من وراء اللفظ، هل هي نية التحريم الفعلي أم مجرد الطلاق؟ فإذا كانت النية مجرد الطلاق، فيسمح له بإعادة زوجته، رغم قوة ألفاظه القاسية ².

أما عن عقود الطلاق، فهي تختلف عن عقود الزواج في مجموعة من الأمور، التي رأى القاضي أنها أدت إلى تشتيت الأسر فهي من عمل الشيطان ولهذا فإنها مقدمة عقد الطلاق يخلو من لفظ البسمة والمدح فيتم كتابته بشكل بسيط، كما تتميز عن عقد الزواج في إمتناع القاضي عن كتابة إسمه في عقد الطلاق ويكتفى بذكر إسم المحكمة التي تمت فيها العملية، وإسم الزوجة والزوج وعدد الطلاقات ولفظ الطلاق لان هناك لفظ يؤدي إلى طلاق التحريم وعدد الطلاقات ³.

بعد الطلاق، يُطلب من الزوج تسديد ما عليه من دين الصداق لطليقتة، وقد تظهر ظروف اقتصادية صعبة تمنعه من السداد الكامل. من الأمثلة على ذلك، زوج كان عليه صداق مؤخر (كالي) قدره 7 دنانير، تُصرف كل دينار بسبعة ريبالات صغيرة، بالإضافة إلى 12 دينار ثمن قفطان، ليصبح المجموع 17 ديناراً. ونظراً لفقره وضعفه المعيشي، ولمقدرته على سداد كامل الدين، قرر القاضي مراعيًا حالته منح طليقتة حلاً وسطاً، تمثل في منحها دينارين فقط: الأول حق نفقتها والثاني لتسديد جزء من الصداق المؤخر، وهو ما يعكس مرونة القضاء في مراعاة الظروف الاقتصادية. ومن الأمثلة الأخرى، خدوجة بنت

¹ - م ش ع 46 و360، وينظر نجوى طوبال: مرجع سابق، ص ص 299-300، وينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، مرجع سابق، ص 282.

² - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 299.

³ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 298، أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2، ص 282.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أحمد التركي، التي سدد لها طليقها محمد الانجشاري ما بقي من صداقها المتمثل في قفطان وسبعة دنانير سلطانية، وعائشة بنت محمد بن رمضان البليدي التي سدد لها طليقها محمد العطار بن الحاج قدور البليدي ما تبقى لها من صداق، والمتمثل في ثلاثين ريالاً¹.

د-أنواع الطلاق الذي تعرضت له نساء المدينة:

1-بائن بينونة صغرى: ويتم الطلاق بطلقة واحدة، وفي هذه الحالة يحق للزوج إعادة زوجته بشرط إبرام مهر وعقد جديدين. ومن نساء مدينة الجزائر اللواتي تعرضن لهذا النوع من الطلاق، نذكر خدوجة بنت العربي التي طلقها زوجها موسى بن الحاج عمر الحرار طلقة واحدة، وفاطمة التي طلقها زوجها دحمان الكومناجي بن قدور².

2-الطلاق الرجعي: الذي يمكن للزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته بدون عقد أو مهر مادامت في عدتها المحددة، ومن هؤلاء نذكر الزهرة بنت قويدر بن حاجي التي طلقها زوجها محمد الشقماقي³.

3-طلاق التحريم: ويكون بالتلفظ بلفظ الحرام، ومن أشهر العبارات التحريم المنتشرة بمدينة الجزائر والتي سبق وأن ذكرناها "أنت طالق وحارم عليا كما حرمت مكة على اليهود".

ومن نساء المدينة التي طلقت بلفظ التحريم، نذكر : فاطمة التي طلقها زوجها عبد القادر بن قاسم الموسى ثلاثة طلاقات في فترات مختلفة جعلها محرمة عليه ،وحنيفة بنت القنداقجي التي طلقها زوجها عبد القادر بن الحاج بن محمد المازوني الانجشاري بلفظ تحريم واحد⁴، وموني التي طلقها زوجها محمد الانكشاري بن حسن بلفظ النون،وقد يقع التحريم مباشرة بعد حدوث شرط من الشروط التي عقد عليه التحريم دون في عقد الزواج كأن تحرم الزوجة نفسها اذا تزوج عليها بامرأة ثانية ،مثلما حدث مع

¹ - وينظر: م ش ع 104-105 و 232؛ م ش ع 108-109 و 71؛ م ش ع 53، م 3، ق 12، سنة 1216هـ؛ م ش ع 59، م 6، ق 122، سنة 1226هـ؛ نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 210-353.

² - وينظر: م ش ع 108-109 و 78؛ م ش ع 108-109 و 88؛ م ش ع 19 و 182؛ م ش ع 79 و 21؛ م ش ع 79 و 171؛ م ش ع 79 و 212؛ م ش ع 80-81 و 9؛ ع 1/37، م 3، ق 44، سنة 1240هـ؛ ع 44، م 4، ق 98، سنة 1236هـ؛ نقلا عن بوشنافي: مرجع سابق، ص 546-549؛ ونقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 214.

³ - م ش ع 108-109، و 71. نقلا خليفة حماش: مرجع سابق، 546

⁴ - م ش ع 104-105، و 232، وينظر م ش ع 142-143، و 129. نقلا عن: بوشنافي محمد: مرجع سابق، ص 546.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

فظومة الحاجة بنت سيدي علي الزناجي، التي تعهد لها زوجها مصطفى بربر يولداش الحفاف أنه "متى ظهرت له زوجة بالجزائر أو رد مطلقة... فزوجته فظومة الحاجة بنت سيدي علي الزناجي حرام عليه"¹.

ونجد روحية بنت أحمد الخياط بن عبد الله المغيث، التي طلقها زوجها طلاق تحريم بسبب شجار وقع بينه وبين شقيقها حول جنة، وذلك عندما أقسم زوجها الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان بأنها محرمة عليه إذا قام شقيقها بطرده من الجنة، ولكن شقيقها أنكر حدوث ذلك، وكنتيجة لذلك طلب الزوج تطليق أخته لأنها محرمة عليه حسب قوله، غير أن الزوج ندم على تحريمه لها لأنه تلفظ بذلك في حالة غضب ورغبة منه في استرجاع زوجته، فاتجه إلى القاضي ليحصل على فتوى بإعادة زوجته إلى عصمته، فوافق القاضي على إرجاعها بخطبة جديدة وصدّاق جديد مثل صداقها الأول، وأضاف إليه مبلغا قدره خمسون ديناراً خمسينية، وتم إعادة لم الشمل بين الزوجين بعقد جديد تولى وليها إبرامه نيابة عنها².

وكذلك بالنسبة للزهراء بنت أحمد التي طلقها زوجها الحاج قدور البصاوي بن أحمد طلاق تحريم، وكان ذلك بعد تهديد لها بعدم الاستعارة من عند الغير، وربما سهوا منها لأنها لا يمكن أن تخرب بيتها أو تشتت أسرتهما، فخالفت أمره واستعارت شيئاً من أحد الأشخاص، فوقع طلاق التحريم المربوط بهذا الشرط، غير أن الزوج ندم على هذا الطلاق وأراد إعادة زوجته إلى عصمته، فذهب إلى قاضي الحنفية الحاج إسماعيل أفندي ليصدر له فتوى بعودتها، فأفتى له بزواج جديد بخطبة وصدّاق وعقد جديد، وتولى وليها جدها للأم حميدة النجار بن الزروق إجراءات العقد³.

¹ - ع 28 / 1، م 4، ق 105، سنة 1028هـ. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 207.

² - ع 72-73، م 4، ق 74، سنة 1200هـ. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 207.

³ - ع 58، م 3، ق 82، سنة 1223هـ. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 207.

هـ- مطلقات قبل الزواج:

تعرضت بعض نساء مدينة إلى الطلاق قبل الزواج والدخول بمن واختلفت الأسباب فمنها ما كان بسبب عيب طراً على العروس قبل الزواج ففي نازلة لابن الفكون تتعلق بامرأة من بايليك الشرق تطلقت قبل الزواج جاء فيها: " أن امرأة أصيبت بحب فرانس فاستشار بن الفكون الذي لم يعتبره عيباً تطلق بسببه المرأة ولكن مفتي آخر وهو الكماد أجاز له تطليقها وأوجب ذلك بانه عيب وجب تطليقها بسببه"¹.

ومن نساء المدينة اللواتي طلقن قبل زواجهن نذكر: دومة بنت محمد التي طلقها زوجها عثمان البلكباشي بن حسن قبل الدخول بها².

و- المرأة والخلع:

إن الشرط الذي وضعته النساء والمتمثل في كون عصمتها بيدها في عقد زواجها جنبها الكثير من المشاكل أهمها الخلع، الذي تلجأ إليه المرأة بعد صعوبة مواصلتها للحياة الزوجية ، ولهذا إن شرط الطلاق الموجود بالعقد قد قضى نسبياً على ظاهرة الخلع وجنب النساء دفع المال، ولكن بعضهن أغفلت عن هذا أو لم تشرطه حتى تبدأ حياة زوجية ملئها السعادة والاستمرارية، ولكن بمرور الوقت وإستحالة مواصلة الحياة الزوجية وأمام رفض الزوج للطلاق مما يجعلها تلجأ للخلع و إفتداء نفسها بمال تقدمه للزوج حتى يطلقها، مثل : السيدة فاطمة بنت يحيى، التي قررت تطليق نفسها عن طريق الخلع ، و لكن طليقها إشرط عليها من أجل الموافقة على الخلع بالتنازل على بعض حقوقها، والمتمثلة في ما تبقى لها من صداقها وكاليه و على نفقة الطلاق³ وأيضاً موني بنت خليل خوجة، التي

¹ - عبد الكريم بن الفكون: مصدر سابق، ص ص 70-94.

² - نفسه، ص 347.

³ - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني، مرجع سابق، ص 5-8.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

خلعت نفسها عن طريق منحها شورتها المتمثلة في: قطع قماش ووسائد ومسند وصندوق وكالي صداقها وقفطان لزوجها عبد الرحمان الشريف، لكي يوافق على تطليقها¹.

أما موني بنت بكير مسترداش، التي سأمت الحياة الزوجية مع الصباح قدور الصباح بن إبراهيم، فخلعت نفسها بمنحه مجموعة من المجوهرات مثل المساسي، وذهب، ومحبس نحاس، وخمسة أدرع ونصف درع منجم، وأضفت له مبلغاً مالياً حتى يوافق على تطليقها؛ وقامت زينب بنت بلقاسم بخلع نفسها من زوجها أحمد القلمامي بن عمر، بمنحه مبلغاً مالياً قدره تسعة عشر ريال بوجو، شرط أن يمنحها الطلاق².

ز- سياسة القضاة في تقليص ظاهرة الطلاق:

اتخذ القضاة سياسة صارمة إزاء المتطلقين للقضاء على هذه الظاهرة ومنع انتشارها بسبب تهور الزوجين، سواء المرأة أو الرجل، وتسرعهما في المطالبة بالطلاق دون إدراكهما للعواقب المترتبة على ذلك، ثم الندم والتحسر والرغبة في العودة إلى حياتهما الزوجية، فيلجآن إلى القاضي لإيجاد حل لهما؛ ولكن القاضي لم يكن يسمح لهما بالعودة إلى الحياة الزوجية بسهولة، فيصعب عليهما الأمر حتى لا يفكرا في الطلاق مرة أخرى. ومن الصعوبات التي فرضها عليهم نذكر: إلزام الزوج بتقديم مهر جديد لمطلقاته مثل مهرها السابق الذي دفعه لها أول مرة، يضاف إليه ستة ريالات دراهم، مثلما حدث مع الشاب مصطفى الذي أراد إعادة زوجته عجولة، التي كان طلقها في أواخر صفر 1233هـ/ديسمبر 1817م، وأراد إعادةتها في أوائل ربيع الأول 1233هـ/يناير 1818م، أي لم تمر على طلاقهما سوى أيام معدودات، ولكن القاضي ألزمه بأن يدفع لها صداقاً جديداً وكاملاً مع ستة ريالات دراهم ك مبلغ إضافي؛ وما حدث مع روية، التي رغب زوجها الحاج محمد بن الحاج عبد الرحمان في إعادةتها إلى

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م)، مرجع سابق، ص 313.

² - نجوى طوبال، مرجع سابق، ص 313.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

عصمته بعد تطليقها، فامر القاضي بخطبة جديدة وأخذ موافقتها، وصادق جديد مثل صداقها الأول يضاف إليه مبلغ قدره خمسون ديناراً خمسينية¹.

ولكن بعض النساء لم تفكر في نتائج الطلاق، الذي فكرت فيه قبل زواجها ووضعته كأحد شروطها في العقد وكأنها وضعت هدفها المستقبلي وحتى عائلتها، التي كانت تبقي جزءاً من صداقها عندهم تسترجعه بعد طلاقها، وهذا ما يجعلنا نصدر فرضيتان هي تقبل الأسرة على طلاق إبنتها أو لم يكن يؤمن شر الزوج.

ح-وضعية المرأة المطلقة وموقف المجتمع منها :

تصاب المرأة بعد طلاقها وترك الرجل لها إلى التهميش والاهمال ولهذا سميت بالهجالة، ويقصد بها الترك والاهمال²، وهو أقرب وصف لمعاناتها بعد الطلاق.

إن أغلب سكان المجتمع الجزائري يهتمون المرأة بأنها المتسبب الرئيسي في الطلاق ويلقون اللوم عليها³، ولكن رغم إهمامهم لها و معارضتهم لطلاقها إلا أنهم لا يظطهدونها بل يكفلون لها حقوقها، ومن هذه الحقوق نذكر :

1-الاستفادة من النفقة :

من القضايا التي كانت تشغل المرأة بعد طلاقها قضية النفقة، خاصة وأن أغلب نساء المدينة خلال هذه الفترة لم يكنن عاملات وكنن ماكننات في بيوتهن، محرومات من الخروج إلا نادراً، ولهذا فإن المطلقة كانت تجد صعوبة في الإنفاق على أطفالها، خاصة وإن كانت مطلقة بتحريم واستحالة عودتها إلى بيت زوجها. ولكن قضية النفقة كفلها الإسلام وكفلها القاضي في مدينة الجزائر، فبعد توقيع عقد الطلاق يلزم القاضي المطلق على تقديم نفقة لمطلقاته، ويتم كتابتها في العقد، فتستفيد المرأة إذا كانت حاملاً حتى تضع طفلها، مثلما حدث مع روضة بنت خلاف، التي استفادت من النفقة من طليقها الحاج عد

¹ -م ش ع 108-109 و 88. وينظر م ش ع 72-73، م 4، ق 74، سنة 1200هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 207.

² -نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات...، مرجع سابق، ص 205.

³ -لامية بويدي: الطلاق دراسة سيكولوجية للعوامل والأثار، مجلة البحوث والدراسات، مركز الجامعي، الوادي 2007م، العدد 5، ص 172.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الله الجيجلي، كما يُلزم المطلق بتقديم نفقة شهرية لأطفاله الذين بقوا مع مطلقتة. ولقد اختلفت نفقة المطلقة من امرأة إلى أخرى بحسب الإمكانيات المادية لكل زوج وعدد الأطفال الذين ينفق عليهم، ولهذا نجد أن هناك من النساء من قدّرت نفقتها بـ161 ريال ونصف، وأخرى بعشرة ونصف ريال درهم صغار تحضر لها ما تحتاجه من ضروريات العيش الهني، وأخرى قدّرت نفقتها بسبعة وأربعين ريالاً ودرهم صغار، وأخرى حددت نفقتها إلى جانب المبلغ المالي المقدر بعشرة ونصف ريال درهم صغار بأن يحضر لها اللحم والزيت والبيض وغيره، مثلما حدث مع أحمد رايس الذي ألزمه القاضي بدفع أربعة ريالات في كل شهر لمطلقتة عائشة كنفقة على إبنه عثمان وخدمته¹.

و منح حسين يولدش لمطلقتة زهراء بنت خليل نفقة قدرها 7.5 ريالات دراهم صغار في كل شهر وقدم الحاج دحمان البرادعي لمطلقتة حسينة بنت الحاج نفقة قدرها 18 ريال شهريا على إبنها عمر ونفيسة².

ونتيجة للمبلغ المالي الذي ألزم الزوج على تقديمه لمطلقتة كنفقة على أطفاله، الذين بقوا مع طليقتة الذي يكون مرتفعا في بعض الأحيان، ولهذا فقد كان يأخذ أبناءه تجنبا لدفعها ولكن بعض المطلقات تتنازل على بعض حقوقها مثل: كالي صداقها بشرط أن يستمر في النفقة عليهم حتى يشعر أبناءها بقرب أبيهم وإهتمامه بهم رغم طلاق أمهم³.

مثلما فعلت إحدى نساء المدينة التي كانت مطلقة بتحريم ثلاثة طلاقات على صداقها المؤخر في مقابل أن يستمر في نفقته على إبنته زهرة حتى ولو تزوجت⁴.

¹ - ع 65-67، م3، ق44، سنة 1239هـ، وينظر: م ش ع 1/14 و55، وع 59، م4، ق68 سنة 1223هـ، م ش ع 59 و85، وم ش ع 1/14 و55، وم ش ع 65-66-67 و65، وم ش ع 83 و123، نقلا عن: ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 199-201، ومحمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 549، وخليفة حماش: مرجع سابق، ص 209-211.

² - ع 59، م4، ق68، سنة 1223هـ، وينظر: م ش ع 98 و15، وم ش ع 108-109 و47، نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 585، وخليفة حماش: مرجع سابق، ص 355-356.

³ - م ش ع 142-143 و129. نقلا عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 318.

⁴ - م ش ع 142-143 و129 نقلا عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 318.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ومنهم تجنبا لمطالبة طليقها لأطفاله فإنها أغرته بالتنازل على كل حقوقها وحقوق أطفالها المتمثلة في النفقة بشرط أن يسمح لها بالإحتفاظ بأطفالها مثلما فعلت حورية بنت القايد مع طليقها زوجها محمد بن حسن خوجة التي طلقها وهي حامل، ولأنها خافت من مطالبة طليقها بالطفل، فإنها إستعطفته بإبقاء إبنها معها وتنازل له على مختلف حقوقها مثل كالي صداقها وأجرة الكراء السكن ونفقة الحمل وغيره¹، وكذلك روزة بنت محمد التي تنازلت على مختلف حقوقها المالية لطلقها محمد الانكشاري الخياط بن علي التركي بشرط أن يبقى بطفلها معها، و لقد تعهد له خالها بتكفل بالطفل²، ومثلما حدث مع المطلقة يمونة بنت مصطفى الانكشاري، التي تنازلت لمطلقها مصطفى الانكشاري بن والي على نفقة ابيها شرط السماح لها بالاحتفاظ بهما والعيش معها³.

سعت بعض النساء لتثبيت لطليقها مدى حرصها على أطفالها، فقد أظهرت له القيمة التي ستنفقها عليهم وأنها ستراعهم رعاية جيدة، مثلما فعلت حورية بنت محمد، التي تعهدت بالإئناق على ابنتها عائشة بنت سعد المزوار بمبلغ قدره 161 ريال ونصف، ونفس الشيء عند موني التي رفضت التخلي عن ابنتها فاطمة بنت الطيب لطليقها، وتعهدت له بأنها ستتولى رعايتها والإئناق عليها بمبلغ قدره 4.5 ريال ص 31 ردص في كل شهر⁴ إستعانت المرأة بصداقها، الذي كانت تحتفظ بنصفه لوقت الحاجة المتمثلة في الطلاق في بعض الأحيان⁵.

لاحظنا أن بعض النساء فضلن الإحتفاظ بأطفالهن بعد الطلاق بالتنازل على كل حقوقها وحقوق أطفالها وهذا راجع إلى عاطفة الأمومة الجياشة في نفوسهن وصعوبة مفارقة أطفالها فمنهن من لقيت دعما من طرف أقاربها مثل: حالة روزة التي دعمها خالها كما رأينا سابقا، ولكن بعضهن تعرضن

¹ - نجوى طوبال: المرجع نفسه، ص 318.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م)، مرجع سابق، ص 318، وينظر: م ش ع 45 و 195 وينظر م ش ع 79 و 24.

³ - م ش ع 17، م 2، ق 50، سنة 1180هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 216.

⁴ - م ش ع 108-109، و 47، وينظر م ش ع 65-66-67، و 65 وينظر م ش ع 44، و 30 وينظر م ش ع 59 و 85. نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 318. م ش ع 108-109، و 47، وينظر: م ش ع 65-66-67، و 65، م ش ع 44 و 30، م ش ع 59 و 85، نقلا عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 318.

⁵ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

لمعارضة من أوليائهن في مسألة الحفاظ بأطفالهن بإبقائهم مع والدهم وأجبروا على رفض الحضانة مثلما حدث مع ميمي ابنة أخ عبد الرحمان المفتي المالكي مصطفى غياطو ، التي أجبر والدها على رفض حضانة ابنها إبراهيم بعد طلاقها من زوجها محمد بوضربة وإبقائه مع والده، ولكن ميمي رفضت ذلك وقررت الاحتفاظ بابنها والتكفل به بعد أن توجهت إلى القاضي تطالبه بإنصافها في حق الحضانة والنفقة على طفلها¹ .

ولكن بعض الأزواج أصر على أخذ أطفاله معه ليتولى رعايتهم بنفسه، ويبقى البنات مع أمهم لتتولى رعايتهم بنفسها² ، ويجبر زوجته الثانية على قبولهم ورعايتهم ولكن بموت الزوج تستطيع المطلقة استرجاع أطفالها مثلما فعل عبد الرحمان الاصباحي بن مخلوف، الذي طلق زوجته أم البخت بنت أحمد وأخذ عنها ابنها رجب ليتولى رعايته بنفسه مع زوجته الثانية فاطمة بنت قاسم والتي كانت قد أنجبت له قاسم ،وبعد موته إسترجعت أم البخت ابنها رجب³ .

ولكن بعضهن تخلت على أطفالها وتركتهم مع والدهم ليتولى رعايتهم بنفسه " ...أن النساء يتخلين عن أبنائهن من دون أن يشعرن بأي ألم وقد شاهدت بعض هذه المناظر الفظيعة...⁴ ، وحتى نساء بايليك الشرق كانت تترك أطفالها مع طليقها ففي نازلة لابن الفكون جاء فيها : "...وسلمت بنيتها لوالدها ثم إن الأولاد لم يصبروا على والدتهم ... وصارت هي المنفقة عليهم وهي فقيرة ... ونفقتهم لازمة سواء أن كانوا عنده أو عندها لأنها لم تلتزم بنفقة ... عليهم حين الطلاق ..."⁵ .

إن إبقاء بعض النساء لأطفالهن مع والدهم ربما لعجزها عن النفقة عليهم أو تمهيدا لحياة زوجية جديدة لأن أغلب المطلقات من تكرر الزواج مرة ثانية.

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، 318.

² - وهذا ماسنراه لاحقا في وضعية المرأة المطلقة كيف أنها كانت تتنازل عن حقوقها للاحتفاظ بأطفالها معها.

³ - ناصر الدين سعيدوني: الملكية والجباية في الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر ، د.ت ، ص 66، وينظر صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 162.

⁴ - عميرايي أمحيدة: مرجع سابق، ص 62.

⁵ - عبد الكريم فكون: مصدر سابق، ص 72.

2- إعادة الزواج للمرة الثانية:

إن فشل المرأة في حياتها الزوجية وطلاقها لم يمنعها من إعادة الزواج للمرة الثانية، فالدين الإسلامي أباح لها ذلك، ولم يعارض المجتمع الجزائري هذه المسألة، والدليل تقدم بعض الرجال للزواج من المطلقات. فقد كانت الكثير من المطلقات يعيدن الزواج بعد مرور فترة قصيرة على عدتهن، قد تبلغ 18 شهرًا فقط، فتعيد الزواج بمجرد تقدم خطيب لها، مثلما حدث مع نفيسة بنت محمود، التي بعد طلاقها من أحمد الصمار الانجشاري، وبمرور 18 شهرًا تزوجت للمرة الثانية بمحمد يولداش بن حسين التركي، وكذلك راضية التي طلقها محمد فتزوجت للمرة الثانية بحسين بولكباشي بن أحمد¹.

ورغم إعادة المطلقات للزواج إلا أنها كانت تصر على بقاء أطفالها من زوجها الأول معها وتجر الزوج الثاني على قبولهم ورعايتهم بالنفقة عليهم، وتوثق هذا في عقد الزواج².

3- الاستفادة من الوقف:

تعاطف المجتمع مع المطلقة فخصيص لها بعض الأوقاف لإعانتها على للعيش في حياة سعيدة حتى أن هناك من استفادت بوقف من طليقتها، الذي إشتراط في عقد الوقف على إستفادة طليقتة منه إلى غاية زواجها "أما إذا تزوجت فإن نصيبها يرجع إلى". وفي وثيقة أخرى "...فإن تزوجت فلا شئ لها في الحبس"³.

والمثير للاستغراب أن هناك نساء يحفظن الود لأزواجهن حتى بعد طلاقهن، فهذه كريمة بنت عمار أوقفت بعض ممتلكاتها على طليقتها مدام بدون زواج وهذا من قمة حنان وعطف المرأة على زوجها⁴.

¹ - م ش ع 109-110 و5، نقلا عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 627.

² - جون بول وولف: مرجع سابق، ص 227، وينظر عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 6.

³ - صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 179.

⁴ - نفسه.

خامسا: وضعية الأرملة واليتامي في مجتمع مدينة الجزائر.

إن حياة الإنسان مرتبطة بأجل، وقد تنقطع الحياة الزوجية بوفاة أحد الزوجين كوفاة الزوج خاصة وفي هذه الحالة تترمل المرأة وتصبح المرأة المسؤولة الرئيسي على تسيير الأسرة، التي تركها لها زوجها أمانة بعد وفاته، هذه الأسرة التي كانت تسييرها مع زوجها، والتي كان في الغالب صاحب القرار النهائي، ولهذا فالمرأة بعد موت زوجها تدخل في مرحلة خطيرة من حياتها، فبعد وفاته مباشرة تقوم بالعدة التي تدوم أربعة أشهر وعشرة أيام، فترتدي ملابس قديمة للتعبير عن حزنها بموت زوجها و إصطدامها بالواقع الصعب و المر فإنها تدخل في دوامة حزن وكأبة، وخاصة وإن كانت قد أدركت عجزها في تسيير هذه الأسرة¹.

أ- دور المجتمع الجزائري في تحديد وضعية الأرملة :

1- النفقة والتكفل باليتامي:

إدراكا من الأسرة الجزائرية لهذا الوضع المؤلم، الذي سيؤول إليه مصير الأرملة، إذا لم يتم تفكير في حلول استعجالية لانتشالها منه، ولهذا فقد قاموا بمجموعة من الاجراءات من أجل مساعدتها على الصمود في هذه الحياة، ومن أهمها:

1- تخصيص مدخول مالي لها، أقرته لها الشريعة الاسلامية يتمثل في الميراث لقوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَوَلَدٌ فَلَكُمْ أَلْرُبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَوَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَوَلَدٌ فَلَهُنَّ التُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي التُّلْثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿ [سورة النساء الآية 12].

¹ -مرفت عبد الناصر: هموم المرأة تحليل شامل لمشاكل المرأة النفسية، مطابع ستاربرس، الهرم، مصر، د.ت، ص 127. وينظر وليام سينسر: مرجع سابق، ص 126-127.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

ومن هؤلاء، نذكر مثلاً أم الحسن بنت الحاج محمد التي مات عنها زوجها أحمد بلكباشي بن رجب التي كان نصيبها من تركة زوجها سهماً واحداً وحنيفة بنت مصطفى ورثت عن زوجها أحمد الانجشاري أمين الخياطين حانوتا، ويكفل لها حقها وأطفالها من الميراث حتى ولو تزوجت للمرة الثانية فمثلاً: مريومة بنت القاضي الحنفي، التي بعد موت زوجها وأطفالها صغار أعادت الزواج للمرة الثانية بعلي الزرناجي وهذا لم يمنعها من الحصول على حقها من الارث الذي تولى زوجها الثاني إحضاره لها¹.

وهناك أرامل تمكنت من تحسين وضعيتها قبل موت زوجها، الذي كان فكر في مصير أطفاله بعد موت أحد الزوجين، وذلك بأن خصص لهم وقفاً يكون مصدر رزق دائم عليهم مثلما فعل مصطفى باشا الذي خصص وقفاً تمثل في حانوت على أطفاله وزوجته، التي تتولى رعايتهم بعد موته².

والمجتمع بدوره أشفق على الأرملة وأطفالها بأنها خصص لها نفقة تأتيها من أراضي الجبوس، فبعض الأسر الجزائرية أرادت من الوقف على الأرملة هو الحصول على أجر وثواب كافل اليتيم، وأيضاً الدولة خصصت جزءاً من العشور لنفقة على الأرملة واليتامى³، فنجد نفقة بنت محمد بن قائد الباب قامت بوقف جزء من بيت تملكه على اليتيمة أمينة بنت محمد الغراصدي الشرباجي، وإستفادت الأرملة عزيزة بنت الحاج محمد، التي توفي عنها زوجها الحاج إبراهيم مخلفاً وراءه طفلين من مبلغ خصص لها

¹ - ع 11، م 3، ق 41، سنة 1209هـ، وينظر ع 1/16، م 2، ق 13، سنة 1115هـ، وينظر ع 1/41، م 2، ق 31، سنة 1193هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، صص 173، 632-633، 749. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 628.

² - م ش ع 28 و 9، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، صص 514-516.

³ - حمد محمد الزبادي وإبراهيم ياسين الخطيب: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، ط 1، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000م، ص 80. وينظر: الإمام محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ملتزم للطبع والنشر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، صص 146-147. وينظر: ناصر الدين سعيدوني، الملكية والحبابة في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 66. وينظر: ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791م-1830م)، البصائر للنشر والتوزيع، 2013م، ص 231. وينظر: حمدان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 105.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

القاضي كنفقة قدرت بريالان إثنان كل شهر ، و نجد روزة بنت الحاج التي تولت رعاية ابنها اليتيم أحمد ، ومنحت لها نفقة قدرت بتسعة ريالات دراهم صغار للانفاق عليه¹.

ولأن الاسلام أوصى باليتامى وكافل اليتيم ، وتوعد الله سبحانه وتعالى ظالم اليتيم أو من يسئ إليه بالعذاب العظيم قال الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)﴾ [سورة الماعون الآية 01 ، 02]، وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتِيمَ أَموهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء الآية 02]، كما بشر الذي يتولى رعاية اليتيم بالفوز بالجنة ومرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء في حديثه عليه أفضل الصلاة والسلام عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: كَافِلُ الْيَتِيمِ - لَهُ أَوْ لِعَبِيرِهِ - أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ الرَّأْيِي - وَهُوَ مَالِكُ بَنِي أَنَسٍ - بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى . (رواه مسلم)، كما كفل الاسلام للمرأة اليتيمة حقوقها المالية فقد تحصل عليها بالميراث عن طريق هبة أو الوصية².

فالدافع الديني جعل أقارب اليتامى يتهافتون على كفالتهم ورعايتهم للفوز بالجنة ومحوارة سيد الخلق محمد صلى اله عليه وسلم ، فنجد اليتيمة عائشة بنت سيدي علي تولى محمد بلكباشي حضانتها ورعايتها كما خصصت لها نفقة قدرت بنصف دينار في كل شهر ، وهناك من تولت جدتهم رعايتهم مثلما فعلت زهرة التي تولت رعاية أحفادها الثلاثة اليتامى أبناء بلقاسم شريف ، وخصصت لهم نفقة قدرت ب 5 ريالات درهم وربع ريال دراهم على كل واحد ومنهم³.

هذا بالنسبة لأطفال اليتامى أما الأرملة فقد سمح لها بإعادة الزواج مرة ثانية بعد إنتهاء عدتها ، التي فرضها عليها الشرع الاسلامي ، تطبيقا للشرعية الاسلامية قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي

¹ - م . ش . ع 1/14 و 59، وينظر م . ش . ع 1/14 و 54، وينظر م . ش . ع 89، م 3، ق 68، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 558.

² - علي عبد الواحد واني: المرأة والاسرة في الاسلام، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، د.ت، ص 110.

³ - م ش ع 1 و 17، وينظر م ش ع 1/14 و 53 وينظر م ش ع 15 و 17. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 558.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيَمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ غَلِيمٌ (235) ﴿٥٧﴾، [سورة البقرة الآية 234-235].

2- السماح لها بالزواج مرة ثانية:

إن تشجيع الأسر الجزائرية للأرملة على إعادة الزواج، لأن هناك أسر كانت تفضل خطبة الأرملة خاصة لرجل مسن توفيت زوجته من أجل رعايته، وفي الغالب أبناءهم من يختارون له الزوجة، ويحرصون على أن تكون أرملة، ونعتقد لقلّة مهرها، ولخبرتها في تسير الأسرة ويمكن تفسير لجوء أحمد بن المقفولجي لخطبة الأرملة زهيرة بنت مصطفى والتي كان لديها طفلا لوالده الحاج محمد المقفولجي من أجل أن تشرف على خدمة والده العاجز، ولقد تولى الابن إبرام عقد الزواج وتعهد لها بقبول شروطها وخاصة قضية النفقة عليها وعلى ابنه الذي وافق على إقامته معهم شرط أن تظل زوجة لأبيه العاجز وتشرف على تسير شؤونه¹.

وأحيانا يكون اللجوء للزواج من الأرملة أفضل من البنت البكر لقدرتها على تسير الشؤون الأسرية وإدارة المنزل بكفاءة؛ ومن هؤلاء نذكر الأرملة قامير بنت الحاج إبراهيم الأندلسي، التي توفي عنها زوجها وكانت أمّا لأربعة أطفال فتزوجت للمرة الثانية بيوسف وأنجبت منه بنتا واحدة، وكذلك علجية بنت محمد التي توفي زوجها فأعادت الزواج للمرة الثانية بإسماعيل الانكشاري القزاز²، وحتى أن بعض الأرامل تزوجن بأسير اعتنق الإسلام وأصبح علجا، وما يلاحظ على الأرملة أنها كانت تضع شروطها مثل المرأة البكر رغم حاجتها لزوج يساعدها على مواجهة مصاعب الحياة، فمثلا الأرملة دومة بنت محمد التي تقدم لخطبتها محمد العطار بن محمد التفاحي وضعت له مجموعة من الشروط أهمها: إحضار أمة

¹ - نجوى طوبال : مرجع سابق، ص 58.

² - ع 2 / 14، م 5، ق 3، سنة 1120 هـ نقلا عن نجوى طوبال : المرجع نفسه، ص 57.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

سودانية لخدمتها، واشترطت عليه ضرورة الإقامة معها في بيتها؛ مما يعكس حرصها على تنظيم حياتها وفق شروطها الخاصة¹.

ولكن هناك عادة إتخذتها بعض الأسر الجزائرية إزاء الأرملة، وهي الحفاظ على الأحفاد وتربيتهم داخل أسرة أبيهم المتوفى ومنعهم أمهم من أحدهم معها إلى أسرتها فيقترحون عليها الموافقة على الزواج بأخ زوجها المتوفى، الذي يجبرونه على الزواج بها للبقاء مع أبنائها وتربيتهم أو ترك الأطفال والذهاب بمفردها، ومن هذه الحالات نذكر فاطمة بنت غنية كانت زوجة لعلال بن عبد العزيز وأنجبت منه موسى ومريم وأمنة ولما توفي تزوجها أخيه أحمد فأنجبت منه إبتها مباركة ثم توفي فتزوجت للمرة الثالثة بأخيهم دحمان الذي مات عنها دون أن تنجب منه طفلا².

ونفس الشيء إذا توفيت الزوجة مخلفة أطفالا فإن أسرة الزوج وحرصا منها على السلامة النفسية للأبناء، فإنها تقوم بتزويج أبيهم بخالتهم بإعتبارها الأقرب إليهم، ومن هؤلاء نذكر: عائشة بنت العالم الحاج أحمد التي تزوجت بعلال بن الامين زوج أختها المتوفاة لتربية ورعاية ابنة أختها نفيسة³، وكذلك زهراء بنت حسن جلابي التي تزوجت من محمد بن محمد الحفاف زوج أختها المتوفاة لتربية حسن وقادن ابني أختها المتوفاة⁴.

في حين هناك أسر عارضت إعادة الأرملة أو الأرملة للزوج ومبرراتهم هي التقليل من عدد الورثة ليكون نصيبهم من الارث كبير، فالزواج يؤدي إلى إرتفاع عدد الورثة من الزوج الجديد أو زوجة الجديدة وأحيانا بمنعها أبنائها من إعادة الزواج من أجل الحفاظ على ذكرى المتوفى أب أو أم⁵.

¹ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص98. وينظر: فاطمة الزهراء قشي: الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م، صص 96-97؛ جون بول وولف: مرجع سابق، ص227؛ وينظر: عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص6.

² - ع2/26، م5، ق25، سنة 1177هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص127.

³ - ع2، م4، ق115، سنة 1147هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص150.

⁴ - ع123، م3، ق48، سنة 1195هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص422.

⁵ - حسن عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص85.

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وفي الأخير نقول إن الاهتمام بالأرملة راجع إلى تشبع الاسرة الجزائرية بالدين الاسلامي ،الذي يحث على ضرورة الإهتمام بالأرملة ،حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل ،الصائم النهار"¹.

سادسا: ظاهرة تكرار الزواج عند المرأة الجزائرية.

شهدت مدينة الجزائر تكرار النساء المطلقات أو الأراامل للزواج عدة مرات قد تصل إلى أربعة مرات مثل قامير بنت محمود، التي تزوجت بعلي وأنجبت منه فاطمة ،للتزوج للمرة الثانية بمحمد، الذي أنجبت منه أمنة لتعيد الزواج للمرة الثالثة بمصطفى بن عثمان التركي وربما كان عقيمالأن الوثيقة لم تذكر أطفالها منه².

وهناك من تزوجت أربعة مرات مثل عائشة ابنة مصطفى خوجة ،التي تزوجت أربعة مرات فتزوجت في المرة الأولى بعلي الانجشاريوفي المرة الثانية بعلي خوجة وفي المرة الثالثة بيوسف خوجة وفي المرة الرابعة بعبد الرحمان تيرالي³،ولكن أغلب الرجال الذين تقدمو لهؤلاء النساء اللواتي سبقن لهن الزواج في الغالبكانوا من فئة الكهول أو شيوخ وهذا شئ بديهي لأننا رأينا سابقا في عقود الزواج أن أغلب النساء المدينة كن يشترطن على أزواجهن في العقد عدم الزواج من المرأة ثانية وإذا حدث فتطلق أو تحرم ، ولعل لجوء هؤلاء إلى تكرار الزواج هو وفاة نسائهن أو بسبب طلاق وعجزهم على مواصلة الحياة بمنفردهم وبقاء الأطفال معهم مما دفعهم للزواج مرة ثانية بإمرأة سبق لها الزواج تتقن تسيير أسرة و تربية الاطفال فالحاجة دفعتهم على الزواج بنساء سبق لهن الزواج⁴.

¹ - الشيخان والتزميدي والنسائي وينظر الملياني البغدادي: مرجع سابق، ص 345.

² - ع2/42، م4، ق10، سنة 1157هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص123.

³ - ع1/41، م2، ق20، سنة 1170هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص124

⁴ - ينظر لامية بويدي: مرجع سابق، ص172..

الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

وختلاصة القول:

- تعددت الانتماءات العرقية والاختلافات المذهبية لنساء مدينة الجزائر، فوجدت العثمانية والعربية والعلمية. كما اختلفت مكانة المرأة الجزائرية باختلاف الانتماء الطبقي لها فوضعية المرأة في الأسرة الفقيرة يختلف كثيرا عن وضعيتها في الطبقة الغنية ولكنهما يشتركان في حصولهما على حقوقهما الأساسية للحياة.

- كما تنوعت أزياء وأطباق المرأة الجزائرية بتنوع الجماعات النسائية الموجودة بالمدينة، فكل منهن حاولت الحفاظ على أطباقها وأزيائها الخاصة بهن.

- تعرضت بعض نساء المدينة للتعنف الأسري، ولكنها تمكنت من الدفاع عن نفسها عن طريق الطلاق أو الخلع، إلى جاني ذلك كفل المجتمع الجزائري للمرأة المطلقة والأرملة حقوقها من نفقة والسماح لها بتكرار زواج وغيره.

- وجدت بمدينة الجزائر نساء ذميات يهوديات ومسيحيات وكل منهن مارست عاداتها وتقاليدها بكل حرية حتى أن نساء اليهوديات بفضل الإقامة الطويلة لأسرهن بمدينة الجزائر وإحتكاكهم بمسلميها جعلهم يغيروا نظرهم للبنات اليهوديات من نظرة الاحتقار إلى نظرة الانسانية.

- عرفت مدينة الجزائر وجود نسبة لا بأس بها من الاماء بيض وزنوج، وتمتعت هذه الفئة من نساء المدينة بكل حقوقها حتى حقها في الزواج ومقاضاة سيدها في حال تعرضها للاعتداء من طرفه، كما ظهرت مجموعة من النساء بالمدينة عرفن بالمعتقات وهن إماء ذميات إعتنقن الاسلام فحظين بكل حقوقهن وقربهم المجتمع منهم.

- رغم طبيعة أغلب أسر مدينة الجزائر بالمحافظة، إلا أنه وجدت نساء خرجن للعمل خارج بيوتهن فظهرت الطباخة والخادمة وغيرهن، كما استفادت نساء المدينة من الترفيه بالقيام بحفلات داخل بيتها والذهاب للحمامات وغيره.

وبالرغم من الاختلاف العرقي والديني والمذهبي وما بين إمراة حرة وأسيرة فكلهن متساويات في الحقوق، فالمرأة في المدينة حظيت بالاحترام والتقدير وإن وجدت نساء تعرضن للتعنف، فهي حالات إستثنائية تحدث في كل المجتمعات نتيجة ظروف حتمت ذلك.

الفصل الثاني:

واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

المبحث الأول: مكانة المرأة اليهودية والمسيحية في الأسرة والمجتمع بمدينة
الجزائر العثمانية

المبحث الثاني: الواقع الإجتماعي والأسري للنساء المعتقات والإماء في مدينة
الجزائر العثماني

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية :

- تمهيد:

احتوت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني على الكثير من الجماعات غير مسلمة والتي عرفت بأهل الدمة كطائفة اليهود والمسيحين والدين كغيرهم من الجماعات كانت لهم نساء، ولهذا ارتأينا التطرق لواقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر .

المبحث الأول: المرأة اليهودية والمسيحية في مدينة الجزائر العثمانية ومكانة الأسرية والاجتماعية.

أولا : الوضعية الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية:

حاولنا في أثناء حديثنا عن المرأة اليهودية في مدينة الجزائر العودة إلى المصادر التي تحدثت عنها في وادي مزاب، وذلك لقلّة المصادر التي تحدثت عن وضعيتها بمدينة الجزائر، فوجدنا بأن أصول يهود وادي مزاب حسب بعض المصادر يرجع إلى موشي سيبانو (Mouchi Siebano) أحد أصول يهود مدينة الجزائر وإلى يهود إسبانيا الذين لجؤوا إلى الجزائر بعض سقوط غرناطة ، ولقد حرص اليهود على الإلتزام بالمحافظة على تعاليم دينهم وعاداتهم وتقاليدهم في الأماكن والأزمان ولهذا اتخذوا حيا خاصا بهم للممارسة طقوسهم كما توارثوها¹.

أ-المكانة الاجتماعية للمرأة اليهودية:

لم تحظ أغلب النساء اليهوديات بالمكانة، التي حظيت بها المرأة المسلمة، فالرجل اليهودي كان ملزما على معاملة المرأة اليهودية، وفق ما جاء ديانتهم وكتابهم المقدس التوراة، يقول بابا بتره أحد خامات اليهود: " ماأسعد من رزقه الله ذكرا وماأسوء حظ من لم يرزق غير الإناث"². ولقد وصلت أبشع

¹ - نقلا عن رحيمة بيشي :مرجع سابق ، ص 75. مسعود كواتي،مرجع سابق، ص 102 وينظر:

Michel Lesourd: Conmanuteés Juives Du Sahara.1971.P67

² - خليل حنا تادرس: نساء العالم وطقوس الحب والزواج، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، د.ت، ص66؛ وينظر: ليلي إبراهيم أبو الجحد: المرأة بين اليهودية والإسلام، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 2007/1428م، ص9؛ وينظر: مسعود كواتي: مرجع سابق، ص132؛ وينظر: الميسري: مرجع سابق، ص71؛ وينظر: وليام سينسر: مرجع سابق، ص85؛ وينظر: أحمد شلبي: مقارنة الأديان اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ص300.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

النعوت على نعتها بأنها أقسى من سكرة الموت : " المرأة أمر من الموت وأن الصالح أمام الله ينجو منها " ¹. وجاء في تلمويدهم أيضا: "فوجدت أمر من الموت المرأة" ²، فبسبب تعاليم شريعتهم المحرفة تعرضت المرأة للنبد والاحتقار والذل ، ولهذا يمكن القول بأن مكانتها في المجتمع اليهودي تتساوى ومكانة العبيد عندهم وهذا ماجعل بعض الرجال اليهود يحمدون الله أنهم خلقوا ذكورا وليس إناثا ورغم هذا الاحتقار للنساء إلا أن بعض اليهوديات إتزمّن بتعاليم دينهن ومارسن طقوسها ³.

ولكن بمجيئهن إلى مدينة الجزائر واحتكاك اليهود بالمسلمين، وتأثرهم ببعض العادات الاسلامية انعكس على المرأة اليهودية بالإيجاب وتغيرت مكانتها إلى الأحسن فرفعت عنها تلك الصفات المذمومة التي نعتت بها وحصلت على بعض الحقوق، التي كانت تحضى بها المرأة المسلمة في مدينة الجزائر ⁴ وهذا ما جعل الباحث فوزي سعد الله يرى بأن مكانة المرأة اليهودية في الأسرة لا تختلف عن مكانة المرأة المسلمة إلا في بعض الأمور القليلة التي تقوم بها المرأة خارج المنزل ⁵، ولقد كانت المرأة اليهودية تنتقل بكل حرية في مدينة الجزائر و لم تتعرض للمضايقات من سكانها ⁶.
والان سنحاول الحديث عن مكانتها الأسرية.

ب -وضعية المرأة اليهودية في الأسرة:

احتقرت المرأة اليهودية منذ الولادة، وهذا راجع إلى عقيدتهم، التي تحتقر النساء كما رأينا سابقا، ولهذا فإن الاسرة اليهودية تفرح وتتعالى زغاريدها اذا كان المولود ولدا ، وتخزن ويتحول البيت إلى مأثم

¹ - خليل حنا تادرس: نساء العالم وطقوس الحب والزواج، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق-القاهرة، د.ت، ص66؛ وينظر: ليلي إبراهيم أبو المجد: المرأة بين اليهودية والإسلام، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 2007/1428م، ص9؛ وينظر: مسعود كواتي: مرجع سابق، ص132؛ وينظر: الميسري: مرجع سابق، ص71؛ وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص85؛ وينظر: أحمد شلبي: مقارنة الأديان اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988، ص300.

² - نفسه .

³ - نفسه.

⁴ - نجوى طوبال: مرجع سابق، صص 156-157، 161-162

⁵ - فوزي سعد الله: اليهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، صص 135-136.

⁶ - نفسه، صص 171-172.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

إذا كانت المولودة بنتاً¹، ولهذا كانت أغلب اليهوديات في فترة الحمل تتوجه إلى بيوت السحرة والمشعوذين سعياً منها لتغيير جنس جنينها من أنثى إلى ذكر².

1- واجبتها داخل بيتها:

أما عن واجباتها داخل بيتها فتتمثل في الطهي والتنظيف والحياطة والنسيج، وتربية أطفالها ورعايتهم، وهدوء وسلامة بيتها ولهذا تحضى باحترام زوجها، ولكن هناك من الأزواج من إعتبر زوجته مجرد خادمة ووسيلة لانجاب الأطفال، فلا يهتم بها ولا يحترمها ولا يسمح لها بالجلوس إلى جانبه وربما يمنعها من الحديث معه ولم يكتف بهذا بل يمنعها من تناول الطعام وفي بعض الأحيان يلزمها على عدم تناول وجبة تشبه وجبة طعامه، ولهذا تظطر اليهودية على طهي طبقين مختلفين، فإذا كان طعامه من القمح كان طعامها من الشعير أما اللحم، فكان يحرام على المرأة تناوله إلا في المناسبات عكس الرجل الذي يتناوله في كل الأوقات³.

أما بالنسبة للانفاق فلقد ألزم الرجل بالنفقة على زوجته⁴، وألزمت المرأة، التي يتغيب عنها زوجها بالاستحمام و تغيير ملابسها إلا بعد عودته إلى البيت فتغتسل في المكوي⁵ الموجود في بيتها⁶. ولكن بعد إحتكاك اليهود بالجزائريين في المدينة، توقف بعض اليهود على إحتقار المرأة وإظطهادها تحررت من قيود الرجل والشريعة اليهودية المطبقة عليها مثل منعها من الخروج إلا للضرورة

¹ -حاييم زعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ -ثقافة -دين ،ترجمة: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم ،ط1 ،دار البيضاء 1987م ،ص50.

² -نفسه، ص49.

³ -حاييم الزعفراني :مصدر سابق،ص171 وينظر:خليل حنا ندريس:مرجع سابق،ص68. وينظر كواتي مسعود :مرجع سابق ،ص109، وينظر أحمد شليبي :مرجع سابق ،صص 258-286. وينظر الميسري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،ط1 ،دار الشروق ،القاهرة، 1999م ،ص71 وينظر كواتي مسعود:مرجع سابق ، ص 109.

Et Esrael Abrahams Op. cit.Pp156-155.Et Mercier : Juifs De Mzab Et Israël .Travaux De L'institut Recherches Saharienne.Université d'Alger.1960.T9..P130 Et J.Huguet :Les Juifs Du M'zab Extrait Du Bulletins Et Mémoires De La Socityté d'Anthropologie De Paris.Ecole De Médecine .Paris .1902.P12. .

⁴ -نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر ،مرجع سابق ،ص169.

⁵ - المكوي :كلمة عبرية مشتقة من مكون وهي عبارة حمام صغير داخل البيوت اليهودية وهو في شكل حوض مربع يبلغ طوله مترين مترين وعمقه متر و يتم بناءه في غرفة ضمن الطابق الأرضي تستحم فيه النساء.ينظر : Huguet: Op. cit .Pp10

⁶ - Ibid

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أو الجلوس قرب أبواب البيوت أو التجول بالمدينة بالذهاب إلى الحدائق أو زيارة المقابر وحجة منعهم هي: أن هذه التصرفات تجعل منها امرأة كسولة وخاملة، فانتفضت على قيود الشريعة فقد أضحت أفضل من النساء المسلمات من حيث التحرر، فمنهن من تتجرات على وضع حصيرة أو زريبة في الشارع قرب بيتها للاستمتاع بمراقبة تحركات وأعمال جيرانها وخاصة جارها، ويقدم وليام سبنسر وصفا المرأة اليهودية بمدينة الجزائر: "إمرأة خاملة و لا تبالي بشؤون بيتها وأطفالها .."، ومنهن من إنشغلت بالاهتمام بمظهرها وتزيين نفسها بوضع الحنة في يديها ورجليها وشعرها والكحل في عينيها وحاجبيها¹، واللامبالاة ببيتها ونظافته بل إنها التأقلمت مع أوساخه وترهق نفسها للانشغال بشؤونه².

وهذا ما لاحظناه سابقا في حديثنا عن الاحوال الصحية بأن من أسباب ظهور الأوبئة هي: الاحياء اليهودية المتسخة، ولكن لاينفي وجود أسر إهتمت بنظافة بيتها وأجبرت النساء على القيام بواجباتهن المنزلية وعدم البقاء بدون نشاط حتى ولو كان في البيت خدم أو حتى وإن أحضرت العروس معها خادمة خاصة بها إلى بيت زوجها لتقوم بالأعمال المنزلية عنها إلا أنها تصطدم بإلزامها بأداء أعمال أخرى ولا تبقى مكتوفة الأيدي كالقيام بحرفة معينة مثل: الغزل ففي إعتقادهم بأن الفراغ لدا المرأة يؤدي إلى إنشغالها بأشياء قد تؤدي إلى فساد أخلاقها³.

وتمنع من الخروج إلا في المناسبات ويشترط عليها أن ترافقها إحدى نساء المدينة، ولهذا صادقت النساء المسيحيات حتى تستعين بهما للخروج من منزلها، ومنهن من إستغلت مرافقة المسيحيات لاختفاء خروجها من البيت و لا يكتشف أمرها⁴.

وكانت تمنع من الحديث والضحك مع الأجانب، مثل المرأة المسلمة في مجتمع المدينة، إلا أن مكانة المرأة اليهودية في الأسرة تحكمت فيها عوامل منها جنس المولود والعقم ولهذا كانت أغلب اليهوديات إذا حملت، وشعرت بأن مولودها بنتا فإنها تسارع إلى الذهاب بيوت السحرة والمشعوذين من

¹ - وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 101؛ محمد سي يوسف: المرأة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص

193؛ فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص 162؛ 166، p. cit., Abrahams Esrael.

² - Huguet :Op. cit.Pp7-8.

³ - كواتي مسعود:مرجع سابق، ص 109، أحمد شلبي: مرجع سابق، ص 301 .

⁴ - عيسى شنوف: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة،الجزائر،د.ت، ص45.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أجل تغير جنس جنينها من أنثى إلى ذكر، أما إذا ثبت عقمها فإنها تنتقل من الحياة السعيدة إلى دوامة الأحزان والألام¹.

2-وضعية المرأة الولود وموقف الأسرة من المرأة العقيم:

2-1- دور الأسرة في تحضير المرأة على الإنجاب :

تحرص الأسر اليهودية على الاكثار من النسل وذلك بالمحافظة على خصوبة المرأة والزواج المبكر، فنجد:

2-2-الحفاظ على خصوبة المرأة:

يسعى اليهود إلى الحفاظ على خصوبة المرأة واستمرار حيضها، إذ إن انقطاعه يؤدي إلى توقفها عن الإنجاب وانقراض نسلهم، ولهذا اتخذوا بعض الإجراءات الوقائية تمثلت في منع المرأة من التوجه إلى الأماكن التي تحتوي على الحبوب مثل القمح، حتى وإن كانت بحاجة إليه، بحجة أنه سيؤثر على خصوبتها ويوقف حيضها نهائياً، وبالتالي يتوقف الإنجاب².

وعندما تتعرض المدينة إلى الأوبئة الفتاكة مثل الطاعون وغيره، فإنهم يسارعون للقيام بالأعراس الجماعية وتزويج كل النساء اللواتي في سن الزواج للحفاظ على نسلهم من الانقراض بهذه الأوبئة³.

2-3-الرعاية الصحية للمرأة في فترة الحمل :

حظيت المرأة اليهودية الحامل بمدينة الجزائر برعاية خاصة من عائلتها خاصة خلال الأشهر الثلاثة من حملها فيعملون على الاهتمام بمختلف شؤونها والسهر على راحتها وتحقيق كل متطلباتها حفاظاً على صحتها وصحة جنينها، وتوفير كل ماتشتهيه حتى لا يتعرض جنينها للتشويه⁴.

¹ - حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص49-50. وينظر: . P156. Abrahams Esrael : Op. cit.

² - الونشريسي: المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج2؛ وينظر زعفراني: مصدر سابق، صص 300-301، 489.

³ - ليلي خيراني: المرأة دراسة أرشيفية...، مرجع سابق. وينظر: إميلي مالكا : العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهدي إلى الالحد ، ط2 ، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء المغرب، 2003م ، ص66.

⁴ - حاييم زعفراني: مصدر سابق، صص 301-300.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقدات في مدينة الجزائر العثمانية

كما تسعى إلى تغيير جنس مولودها وخاصة إذا كانت امرأة إعتادت على الانجاب البنات فإنها تستعين بالسحرة والمشعوذين الذين تعتقد بأنهم قادرين على تغيير جنس مولودها ، حتى تحضى بمكانة هامة في الأسرة بانجابها للذكر¹.

ولم يقتصر اهتمامهم بها خلال الاشهر الأولى من الحمل فقط، بل تعداه إلى قبيل الولادة ،فبعد حضور القابلة يتم إستدعاء جاراتها ،لاداء صلاة الاستعطاف لله من أجل حماية الأم ومولودها ،وتقوم القابلة باجراء بعض الطقوس أهمها :إحضار كتاب مراکش يحتوي على بعض الطلاسم والحروف، وهي: ألف ،ميم ،نون ،طاء ،في شكل مربع سحري ، ولقد اختلف حولها فهناك من يرى بأنها عبارة عن أسماء سرية أو أسماء ملائكة أو آيات من التورات ثم توضع في فم المرأة ويتم نزعها بعد إنتهاء عملية الولادة وخروج الجنين وتسارع النساء للتعرف على جنس الجنين ،فإذا كان ذكرا تصرخ القابلة مبهجة "مبارك هذا الأتي" ثم يملأ البيت بالزغاريد والتبريكات لأفراد العائلة وتكرر القابلة الحمل التالية ثلاثة مرات.."ليبارك الملاك الذي خلصني من كل شر هؤلاء الصبيان وليحل فيهم ذكر اسمه إبراهيم وإسحاق ليتكاثروا كالسمك وينتشروا في البلاد إنه فرع خصيب كيوسف فرع خصيب على حافة العين يتجاوز كل الفروع الاخرى على طول السور خاص" ثم تردد "سيبارك الرب ويحفظك وسيلاً نور وجهه فوقك ويمنحك فضله"² ، ولكن إذا كان الجنين بنتا فان القابلة تكتفي بقول "مباركة مسعودة" ويعم البيت حزن وكأبة وكأن وفاة قد حلت به لهول ما أنجبت³.

وبعد الانتهاء من عملية الولادة والتعرف على جنس الجنين يستمرون بإقامة طقوس الخاصة بالمناسبة وقراءة مقاطع وأسفار من كتابهم المقدس، وبعد الانتهاء يتم نقلها إلى بيت عائلتها للتكفل برعايتها والسهر على راحتها وشفاءها بإطعامها بمختلف الأطعمة الصحية،التي تساعد على إسترجاع طاقتها من جديد ،وتحضى بإهتمام كبير إذا كان مولودها ذكرا وذلك بمنعها من أداء الواجبات

¹ - حاييم زعفراني: مصدر سابق، ص 48.

² - حاييم الزعفراني: مصدر سابق، ص ص 49-50-52-53-171؛ وينظر خليل حنا تادرس: مرجع سابق، ص 68؛ وينظر مسعود كواتي: مرجع سابق، ص 109؛ وينظر أحمد شليبي: مرجع سابق، صص 258-286؛ وينظر الميسري: مرجع سابق، ص

71؛ وينظر. Abrahams Esrael: Op. cit., pp. 155-156.

³ - نفسه.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقدات في مدينة الجزائر العثمانية

المنزلية المرهقة ،ويطلب منها الحفاظ على نفسها من التعب ومنحها مدة طويلة لراحة قد تصل إلى عام كامل أما إذا كان المولود أنثى فتقلص مدة راحتها إلى شهرين أو ثلاثة أشهر فقط ثم تؤمر بالنهوض لأداء واجباتها المنزلية، أما الرضاعة فإذا كان المولود توأم ذكر وأنثى فانها تلزم بارضاع الذكر من ثديها أما البنت فترضعها بحليب الماعز ،وحددت مدة الرضاعة بعامين ونصف¹.

3-مكانة المرأة العقيم في الأسرة و المجتمع اليهودي:

يؤدي ثبوت عقم المرأة اليهودية إلى تعرضها إلى سخط وإحتقار زوجها والمجتمع ، الذي ألف عليها مجموعة من الأمثال مثل : "المرأة العاقر مثل الشجرة الميتة"².

ولهذا بمجرد إحساس المرأة اليهودية بتأخر حملها أو أجهضت ،فإنها تسارع للعلاج بمختلف الوسائل ، التي يمكن أن تشفيها باستعمال بعض الادوية الطبيعية أو الاستعانة بالشعوذة والسحر ، اللذان يعتبران من أهم الوسائل ،التي نالت إقبال اليهوديات وبكثرة في نظرهم الغاية تبرر الوسيلة³.
وإذا عجزت المرأة عن الإنجاب وثبت عقمها ، فان المجتمع يشجع الرجل على الزواج مرة ثانية بامرأة ولود من أجل إنجاب الاطفال ، ويذكرونه بالمثل السائد عندهم : "رجل بدون ولد كرجل بدون حياة"⁴
أما المرأة العقيم فإذا طلقها زوجها فانها تحرم من الزواج مرة ثانية إلا برجل متزوج وله أولاد حتى ترعاهم ،ولم يقتصر الحرمان من الزواج على العقيم فقط بل شمل الفتاة التي بلغت سن اليأس⁵.

4-اختطاف اطفال اليهوديات :

¹ - فوزي سعد الله :اليهود هؤلاء المجهولين ،مرجع سابق ،ص140.

Mercier:Le Juifs De Mzob Et Esrail.Op. cit .P131

² - حاييم الزعفراني :مرجع سابق ،ص48.وينظر : Huguet :Op. cit.P13

³ -نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م -1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،دار الشروق للطباعة والنشر ،الجزائر، 2008م ، ص170.

⁴ -نفسه، ص170.

⁵ - مسعود كواتي :مرجع سابق ، ص127 وينظر عمر رضا كحالة :الزواج ، ط2 ،مؤسسة الرسالة، بيروت ،1400هـ -1980م ،ج1 ص ص32-33 .

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقدات في مدينة الجزائر العثمانية

ومن الظواهر التي تتعرضت لها هؤلاء النساء حسب بعض المصادر هي ظاهرة تعرض أبنائهن إلى الاختطاف من طرف الانكشارية من أجل ممارسة اللواط، ولم تكن السلطات تستطيع إنقاذ هؤلاء الاطفال لانه يمنع عليهم الدخول إلى الثكنة، فيتركون الطفل لمصيره¹.

ج- أطباق وأزياء المرأة اليهودية بمدينة الجزائر:

1- أطباق النساء اليهوديات:

برعت النساء اليهوديات في طبخ بعض الأطباق مثل: البواريد وهو عبارة عن فطائر يتم صنعها بمزج الخل مع النييد، وطبق الهريس، الذي يتم صنعه بالدقيق واللحم المقطع، وطبق الفطير: هو عبارة عن فطير محشو بقطع الدجاج، وطبق الفطير المحشو بالتمر ويتم طهيه بمناسبة عيد البوريم، وطبق طحين القمح الممزوج باللبن، وطبق عين عمان وأذن همان وهي عبارة عن رغائف خبز محشو ببيض مسلوقة، وطبق الكسكس الذي يُقدّم باللحم أو الدجاج، وطبق السّفيري، وهو عبارة عن سفنج بالعسل، وطبق المقرّوط بالعسل².

طبق السمك الطازج، الذي يُعتبر من الأطباق الرئيسية للاحتفال بعيد الميمونة: يحتوي على السمك الطازج المعلق بأوراق خضراء، مزينة بخمسة حبات فول أخضر وخمسة حبات بيض، ويتم تزويدها بخمسة نقود فضية أو ذهبية، ثم يُغمس السمك في الدقيق وأوراق الزهور والأعشاب الخضراء وسنابل القمح أو الشعير، ثم يُوضع في الحليب، وطبق موفليته وهو عبارة عن بغيرير بالعسل، وطبق السمك الطازج المغلف بأوراق خضراء مزينة بخمسة حبات فول وبلح وخمس بيضات ويتم غمسهم في الدقيق، وطبق حسن مغموس في العسل، وطبق الخبز المدقوق الممزوج بالحليب والعسل، وحلوة البولوا، التي يتم صنعها بالزبيب أو خبز الجوز³.

2- أزياء المرأة اليهودية في مدينة الجزائر:

¹ - Digo De Haedo: Topographie : Op. cit..P312 Et Venteure De Paradis: Op. cit.P225.

² - Josephe Taledano:Op. cit. P152et Andre Chouraqui:Op. cit.Pp147 -217

عبد الوهاب الميسري: مرجع سابق ، ص85.وينظر: فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق 14/م 15م، كنوز الحكمة ، الجزائر، 1432هـ 2011م، ص146.

³ - عبد الوهاب ميسري: مرجع سابق ، ص88 وينظر حاييم زعفراني:مصدر سابق ، صص243-244.وينظر وحسن ظاظا :

الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ط4 ، منشورات الدار الشامية ، بيروت، 1999م، صص 169-170:وينظر: Andre

Chouraqui:Op. cit .Pp147-217-173.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

إن الديانة اليهودية كغيرها من الديانات السماوية إهتمت كثيرا بلباس المرأة ، فالزمتها إرتداء الحجاب، وإذا تمردت إحداهن وخرجت سافرة ، فإنها تتعرض لعقوبة إختلفت طبيعتها باختلاف وضعية المرأة من متزوجة إلى عزباء ، فإذا كانت متزوجة فإنها تعاقب بالطلاق مباشرة ، وإذا كانت عزباء فإنها تحرم من الزواج¹.

إرتدت اليهوديات والزنجيات في مدينة الجزائر لباسا يشبه لباس النساء المسلمات يتمثل في الحايك الحريري الذي يختلف عن حايك الجزائرية من حيث اللون فقد كان أزرقا وهو اللون الذي خصصته السلطة العثمانية لليهود المدينة ، ومنهن من إرتدت معظفا ، أما لباسها أسفل الحايك فكان عبارة عن قميص أبيض ذو أكمام عريضة وسروال فضفاض يصل إلى الركبتين مربوط بحزام يشبه الحبل يتم ربطه على مستوى الخصر وفوقه جبة صوفية ذات لون أسود أو أزرق أما شعرها فلقد كانت ترفعه وتربطه بخيوط ثم تغطيه بمنديل حريري أو قطني مطرز بخيوط ذهبية ، أما وجهها فتكتفي بتغطيته ماعدا العينين فتبقي عليهما مكشوفتان وأحيانا تبقي الوجه عاريا ، وإذا خرجت من البيت فإنها تضع على كتفها فوطة مزركشة بخيوط. وفي المناسبات فقد كانت ترتدي خمارا يطلق عليه إسم العصمة، أما الحذاء فكان عبارة عن خف مصنوع من جلد الماعز أو الرجيحة، أما الغنية فإرتدت حذاء مطرزا بالذهب².

ونختم كلامنا حول لباس النساء اليهوديات بأنهن ممنعن من إرتداء الملابس التي تشبه ملابس الحضريات يذكر هاينريش فون مالتسان: " فهم يرتدون اللباس الحضري بكل نقائه ولايسيئون إلى منظره على عكس من يهود الجزائر العاصمة"³.

د-مراسم الزواج عند اليهود :

إن الزواج من أساسيات الحياة لاستمرار النسل البشري، ولهذا قدس في الديانات السماوية والوضعية.

¹ - Abrahms Esrael: Jewishe Life In The Middle Age .The Macmillan Company.New York.1896 . P281

² - Haedo Digo: Op. cit .P112 Et Topographie Joao Mascarnhas :Op. cit.Pp 75-76.

³ - هاينريش فون مالتسان :ثلاثة سنوات في غربي شمال إفريقيا،ترجمة أبو العيد دودو ، ط1 ، دار الامة ،الجزائر ،2008م ، ج3 ،ص

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

إن إستقرار اليهود بمدينة واقامتهم الطويلة جعلهم يتأثرون بعادات وتقاليدهم سكانها مثل عادات الزواج رغم معارضة مسؤوليهم على ذلك و أجبروهم على الالتزام و المحافظة على تعاليم شريعتهم نظامي الحلحة وتكونه الاثني عشر في مختلف شؤونهم وقضاياهم¹، ومع ذلك رفض بعض اليهود تطبيقها خاصة ماتعلق بطقوس الزواج وجعلوا مراسيم زواجهم شبيهة بمراسيم الزواج عند مسلمي مدينة الجزائر².

1-مرحلة إختيار العروس :

حدد سن زواج الفتاة اليهودية بعشرة سنوات وأحيانا إحدى عشر سنة و إذا بلغت سن الخامس عشر أو السادس عشر ولم تتزوج فانها تصنف ضمن النساء العوانس ،وحدد سن زواج الرجل اليهودي ب13 سنة³، أما بالنسبة للنساء والرجال الذين تبيح وتحرم الشريعة اليهودية لليهودي أو اليهودية الزواج بهم فهم :

-النساء اللواتي يحرم على اليهودي الزواج بهم وهن :زوجة الاب ،الحفيدة ، الأخت غير الشقيقة واللواتي يسمح له بالزواج بهم فهم: العممة عن طريق النسب والحالة وابنة ابن الزوجة وابنة الزوجة من زوج سابق وأخت الزوجة وزوجة الابن والحماة⁴.

- الرجال الذين يُحرم على المرأة اليهودية الزواج منهم هم: ابن الزوج، الجد، الأخ من زوج الأم، الأخ غير الشقيق، ابن الأخ، ابن أخ الزوج، ابن الأخت، أبو الزوج، زوج الأم، الحفيد، وزوج الأخت⁵. أما بالنسبة لخطوات الزواج فكما ذكرنا سابقا هي نفس خطوات زواج عند المسلمين، تتمثل في :

2-مراسم الخطبة :

¹ - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص 168.

² - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص 168، وينظر Maurice Eisenbeth: Les Juifs En Algérie Et En Tunisie À L'époque Turque (1516-1830), Société Historique Algérienne, 1952, p. 163.

³ - فوزي سعد الله : المرجع السابق، ص169.

⁴ - فاطمة بوعمامة :مرجع سابق ،ص118 وينظر سوزان سعيد يوسف : المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق القديم) ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005م ، ص85.

⁵ -نفسه.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

بعد اختيار العروس، الذي يشترط أن تكون يهودية ،وفي الغالب يتم إختيارها من أسر أقرباه أو من قبيلته¹، وبعض الأسر اليهودية تخطب لابنها في صغره عندما يبلغ أربع أو خمسة سنوات فتختار له زوجة تبقى على عصمته إلى غاية بلوغهما 13 سنة ،ثم يتزوجا بعد موافقة والد العروس على تزويج إبنته للخطيب ، ولكن أغلب الأسر اليهودية تقوم بالخطبة لابنها عند بلوغه سن الزواج ،الذي ذكرناه سابقا وبعد العثور على العروس المناسبة لابنهم سواء بمجهوداتهم الخاصة أو بعد الاستعانة بالوسيطات ،اللواتي يعملن على التوسط بين أسرتي الخطيب والخطيبة ويسعين على إنجاح عملية الخطبة بين الطرفين حتى يحصلن على مبلغا ماليا كمكافأة لهن²، ثم يتوجهون لأب العروس لأخذ موافقته، والذي قبل مجيئهم إلى المدينة وإحتكاكهم بالجزائريينلم يكن الأب اليهودي يستشير إبنته في الزواج سواء كانت بكرا أو ثيبا، ويكتف باصدار قراره بمفرده بالموافقة أو الرفض،ولكن بعد الإقامة الطويلة مع المسلمين وتأثرهم بهؤلاء خاصة في مراسيم الزواج ،فقد قضت على الحكم الجائر وتعنت الأب وجبروته في إتخاذ قرار زواج إبنته فأصبح يستشيرها و يسمح لها بتقديم رأيها بالموافقة أو الرفض، وبعد اتفاق العائلتين على الخطبة ،التي تسمى عند اليهود بالشيدرخين أي طلب يد الفتاة³ تبدأ الخطوات الأخرى. بعد الموافقة، تنتقل الأسترتان إلى ترسيم الخطبة بين الخطيبين، والذي يُسمى عند اليهود إيروسيم أو إيروسين، حيث يُقدّم الخطيب إلى خطيبته ماتان، وهي عبارة عن هدايا ذات ثمن غالٍ مع المهر الذي يُسمى بندونيا، ويُقدّم لها لشراء جهاز العرس، ويتكون من مائة زوزو، والزوز قطعة نقدية فضية. ويتم التبرك بهذه التقاليد، التي توارثها اليهود منذ القدم، وتعود إلى عهد التوراة. تختلف قيمة ندونيا المرأة

¹ - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص 141.

² - سوزان سعيد يوسف: مرجع سابق، ص 78، وينظر: مسعود كواقي: مرجع سابق، 133 وينظر: الميسري، مرجع سابق، ص 76.

وينظر فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص 115

A. Chouraqui: Histoire des Juifs en Afrique du Nord, Édition du Rocher, T1, Paris, 1998, p. 184.

³ - A. Chouraqui: Histoire Des Juifs En Afrique Du Nord, Edition Du Rocher, T1, Paris, 1998. . P475.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

حسب حالتها: فإذا كانت العروس بكرًا، تكون ندونيا بقيمة 3.5 فضة، أما إذا كانت ثيبًا، أي أرملة أو مطلقة، فتكون ندونيا بقيمة مائة زوز. كما اختلفت مدة الخطوبة بين البكر والثيب؛ فالبكر تُمنح لها سنة كاملة، بينما تُمنح الثيب، وخاصة الأرملة، شهر واحد فقط¹.

وقد تظهر مستجدات خلال فترة الخطوبة مما يؤدي إلى فسخها، ورغم عدم حدوث زواج إلا أن اليهود يعتبرونه طلاقًا، وتسمى الخطيبة بالمطلقة، وإذا توفي الخطيب قبل زواجه بخطيبته فتلزم الخطيبة بأن تعتد عدة الأرملة المتوفى عنها زوجها وهي ثلاثة أشهر².

3-الصدّاق:

يتم الاتفاق على مقدار الصدّاق، الذي يُعتبر ركنًا أساسيًا في الزواج عند اليهود، وهو عبارة عن مبلغ مالي حُدّد بمائتي دينار للبكر ومائة دينار للثيب، ويسمح للخطيب بتقديم مبلغ إضافي مع المهر بالإضافة إلى المجوهرات، ويُوثّق في العقد حفاظًا على حق الزوجة. وهناك صدّاق مؤخر يعرف عند اليهود باسم كوتباه، يُستلمه متى تمكن الزوج من توفيره، ويلزم تقديمه لها بعد طلاقها أو وفاة زوجها، فيتم خصمه من تركته ويُمنح لها. وبعد استلام الصدّاق وتوثيقه، يتم مباركة الزواج بما يُعرف بـ القدوش، وتعني مباركات الخمر السبع، مع ترديد الجملة التالية: "ها أنت مباركة لي بهذا الخاتم طبقًا لشريعة موسى وإسرائيل"³.

4-العقد :

يُسمّى هذا العقد عند اليهود بالتقديس والكدوشيم أو الكتوبة، ويهدف إلى تأكيد الزواج رسميًا وشرعًا. ويتم إبرامه عند الحاخام المسؤول عن الأحوال الاجتماعية لليهود في المدينة، بعد عقد مجلس يضم ولي العروس والزوج وعشرة شهود. خلال المجلس، يطلب الرجل من ولي العروس يد ابنته للمرة

¹ - حاييم الزعفراني: مصدر سابق، ص 84. وينظر: ثروت أنيس السيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص 243. وينظر: الميسري، مرجع سابق، ص 76. وينظر: أحمد طه صابر، نظام الأسرة اليهودية والنصرانية والإسلام، نَهضة مصر للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، 2000م، ص 13.

² - صابر أحمد طه: مرجع سابق، ص 13. وينظر الميسري: مرجع سابق، ص 76.

³ - م ش ع 57 (28)، سوزان سعيد يوسف: مرجع سابق، صص 80-81. وينظر: حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص 79. وينظر: ثروت أنيس السيوطي: مرجع سابق، ص 243. وينظر: أحكام النساء في التلمود عقد الزواج، ترجمة وتعليق ليلي إبراهيم أبو المجد، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1426هـ / 2006م، ص 11.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الثانية ويؤكد رغبته في الزواج بها قائلاً: "تقدست لي زوجة بهذا الخاتم"، فيعلن وليها الموافقة، فتصبح المرأة بذلك شرعاً زوجة له. ومن أهم ما يميز هذا العقد أنه يُرفق ببيان مفصّل يتضمن وصف جهاز العروس وواجبات العروسين الواجب اتباعها طوال حياتهما الزوجية، ويُمنع منعاً باتاً أي خطأ أو شطب في نص العقد لضمان صحته القانونية والدينية.¹

5- احتفال العروس بالانتقال من حياة العزوية إلى البيت الزوجية:

تحتفل المرأة اليهودية قبل انطلاق مراسيم الزواج بتوديع حياة العزوية ودخول حياة الزوجية بارتداء أجمل الملابس و المجوهرات منحت لها أو إستعارتها من والدتها ثم تستدعي ثمانية أو عشرة من صديقاتها للاحتفال معها والتنقل معها بين بيوت أقاربها من أجل إخبارهم بموعد زواجها فيقدمون لها مجموعة من الهدايا، وقييل انطلاق العرس تستحم العروس في المكوي وهو عبارة عن حمام مقدس لهم يلزمون بالاستحمام بداخله.²

6- إنطلاق العرس :

يتم الإعلان عن انطلاق العرس، والذي يكون في الغالب يوم الأربعاء، اليوم المقدس عند اليهود ويسمى يوم البركات السبع، ويستمر العرس لمدة ثلاثة أيام وأحياناً أربعة. خلال هذه الفترة، يُزيّن منزل العروسين بالشموع، ويُصبغ شعر العروس باللون البرتقالي باستخدام مادة الزعفران، كما تُزيّن يداها وقدمها بالحناء. بعد ذلك، يتم جلب قميص أبيض يوضع على رأس العروس مساء يوم الطواف الأبيض، ثم يُقدّم هذا القميص للعريس، الذي يُلقب في هذا اليوم بلقب الملك ليُرثديه يوم زواجه، بالإضافة إلى ارتدائه الطاليت³.

ومن العرسان من يرتدي يوم عرسه جبة وقفطان إسباني، واللذان كانا لباسان خاصان بالخاصة فقط كما يرتدي طاليت من حرير أو قماش مزين بالخلي، ويسارع أهل العروسين والمدعوين في هذا اليوم

¹ - Chouraqui : Op. cit.P184 Et Shiloah A: Les Traditions Musical Juive Maisneuve Et Laros Paris .1996.P225

²- Huguet : Op. cit.P19

³ - الطاليت: هو شال يُصنع من الحرير الأبيض أو الصوف، يتكوّن من مجموعة من الزوايا، وفي كل زاوية تُثبّت حلقة تُعرف باسم الصيصيت، والتي تحتوي على ثمانية أهداب من الخيط، أربعة منها بيضاء والأربعة الأخرى زرقاء. وينظر: السعدي غازي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الخليل للنشر، عمان، الأردن، 1994م، ص 64.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

إلى التزين بأجمل الملابس ،وتستدعى فرق فلكلورية صاحبة حتى تضي على العرس بهجة وسرورا بفضل ما تعزفه من نغمات تمازجت مع زغاريد النسوة والرقصات الفلكلورية الجزائرية¹.

وتتزين موائد العرس بأشهى الأطباق وخاصة طبق الكسكسي، وأهم ما يميز العرس اليهودي هو: العودة والهدوة ويقصد بها جلوس المدعوين في ثنائيات قرب العروس، وقبل ذهاب العروسين إلى المعبد يتوجه المدعوين نحوى العروس من أجل تهنئتها وتقديم الهدايا أما الأسر البسيطة والفقيرة، فيضعون صنيات يضع فيها المدعوين المال المهدي للعروس ثم يهنؤنه بالمناسبة، وفي يوم السبت يذهب العروسين إلى المعبد ، الذي يجب أن يكونا يوم زفافهما صائمين².

وفي المعبد تؤدي صلاة البركة، ونعتقد الهدف منها مباركة الزواج، ويشترط في أدائها حضور عشرة يهود على الأقل، وتكون الصلاة بتلاوة التراتيل وأشعار دينية، وتستقطع الصلاة لفترة وجيزة ليؤكد فيها الزوج للمرة الثانية مصاهرته للعائلة، وذلك الزواج من إبتهم ثم يواصلوا صلاتهم، ومن عادات اليهود في العرس ضرورة إنحائه قبل يوم السبت³، الذي إختصه العرف اليهودي بتحريم كتابة عقد عرس أو إنطلاقه أو تزف به العروس إلى بيت زوجها⁴.

وبعد انتهاء مراسيم العرس يسارع الحاضرون إلى ارتداء برنيطة أو عمامة، ثم توضع العروس على جلد خروف، ويتم رميها عاليا ثم تسقط، والذي يتمكن من مسكها، يعين شاهدا على بكارتها، وفي هذا اليوم يحرص الأب اليهودي مثل الاب المسلم على إثبات شرف ابنته واثباته⁵.

¹ - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص142؛ حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص84؛ وينظر: نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م)، ص134-111؛ كواقي مسعود: مرجع سابق، ص133؛ سوزان السعيد يوسف: مرجع سابق، ص84-82؛ وينظر: عبد الرحمان بشير: اليهود في المغرب العربي (22-462/642-1080م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م، ص116؛ السعدي غازي: مرجع سابق، ص64؛ الميسري: مرجع سابق، ص69.

² - بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي (22-462/642-1080م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م، ص116؛ وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص158؛ عبد الرحمان بشير: مرجع سابق، ص116؛ Chouraqui: Op. cit., p184؛ et Shiloah: Les Traditions Musicales Juives, Maisonneuve et Larose, Paris, 1996, p225.

³ - ينظر بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي (22-462/642-1080م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م، ص116 وينظر فون مالتسان: مصدر سابق، ص46-47.

⁴ - محمد الفاضل بن علي اللاني: تأصيل الحوار الديني، ط1، دار الكلمة، المنصورة، مصر، 2004م، ص66.

⁵ - عيسى شنوف: مرجع سابق، وينظر: Huguet: Op. cit. p. 10.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وقد يتجرأ عريس على إتهام عروسه في شرفها وأنها فاقدة للعدرية ليلة عرسها، وربما كان إتهامه باطلا وسبب تلفظه بهذا هو عدم إعجابه بها وأرغم على الزواج بها، فانتظر ليلة العرس حتى يجد مبررا لتطبيقها باتهامها بفقدان العدرية، فيخبر والديها بذلك، فيسارعون بالتوجه إلى شيوخ المدينة رافعين إليهم شكواهم المتمثلة في الاتهام الباطل لشرف إبتهم، فيتولى الشيوخ بالتحقيق في القضية، وبعد التأكد ثبوت عذرية العروس وبطلان الاتهام، يعاقب الزوج بدفع غرامة مالية مقدرة ب100 فضية لوالد العروس ويحرم عليه تطبيقها وتبقى زوجته على مدى حياتهما¹، ويمكن القول كتعويض معنوي ومادي على ماتسبب فيه من أم وأحزان وتدهور لنفسية العروس وشرف الأسرة .

ونختم كلامنا على مراسم زواج اليهود بالوصف الذي ذكره مالتسان: "يرتدون اللباس الحضري بكل نقائه ولا يسيئون إلى منظره... وقد كانت فتاة لا تتجاوز الحادية عشرة ولكنها كانت تبدو مكتملة تقريباً، ترتدي لباساً مخملياً نيفساً، وابتدأت مراسيم الزواج بقصّ شعر العروس إذ لا يجوز لليهودية المتزوجة أن تحمل شعرها الخاص، وإنما ينبغي لها أن تحمل شعراً مستعاراً أو تضع على رأسها غطاءً. وأجلست العروس الصغيرة وسط الغرفة، واقتربت منها قرياتها الواحدة بعد الأخرى، وأخذت كل واحدة منهن حصلة من شعر العروس وضفرتها، ثم أدارت حولها عصايات مخملية ملونة، وبعد حين اتخذ رأس العروس رأس شجرة مزينة في سوق سنوية. ثم حضر الخاخام وقطع شعرها بقسوة، ولكنه جمعه بعناية، وقدمت لكل قريبة الصغيرة التي ضفرتها بنفسها وقطعت، لتحتفظ بالذكرى، ويُغطى شعر العروس بغطاء مخملي أسود ثمين، خيطة فوقه وريقات من ماس، ثم بدأت المراسيم الحقيقية. وقاد العريس العروس، وأدخل الخاخام خاتم العريس في إصبع العروس، ثم أحضر كأسين مذهباً فشرب العريس الخمر، ولما انتهى من الشرب رمى العريس بالكأس على الأرض وداسها بقدمه، وبهذا أصبحا زوجين رسمياً، فكسر الكأس كان بمثابة خاتم ارتباطهما.²

¹ -موسى بن ميمون القرطبي الاندلسي: دلالة الحائرين، ترجمة حسين أتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ب، د.ت، ص69.

² - نفسه : ص 69

هـ- المرأة اليهودية وظاهرة تعدد الزواج:

حرمت شريعة جرشوم بن يهودا التعدد إلا بوجود مبررات تدفع الزوج إلى ذلك، ولم تحدد عدد الزوجات المسموح له بالزواج منهن، لكنها لا تتوانى في معاقبة من تزوج على زوجته بدون مبرر بالحرمان الديني، ولهذا عُثر على بعض اليهود تزوجوا بأربع نساء، وبعضهم بثلاثة، وغيره بأكثر من ذلك. ومع ذلك، حرصت بعض الأسر اليهودية منذ سنة 1492م على استقرار الأسرة وبناتها وراحتهم النفسية، فتجنبت وجود الضرة، التي تعتبر بمثابة مضرة لابنتهم، بوضع شرط منع التعدد في عقد الزواج: يمنع على الزوج الزواج لمرة ثانية إلا بموافقة الزوجة الأولى، وفي حالة موافقتها ووقوع مشاكل بين الزوجتين، مثل تعرض الزوجة الأولى للإساءة من ضربتها أو صعوبة تقبلها لها، "... لم تكن على هواها..."، فيُسمح للزوجة الأولى بتطليق الضرة وطردها من البيت¹.

ولكن وضع هذا الشرط لم يمنع بعض اليهود من الزواج على زوجتهم الأولى بعد توفر المبررات التي تسمح له شريعته بالتعدد، ومن أبرزها :عقم المرأة، الذي يعتبر سبباً رئيسياً ويؤيده المجتمع في حال التطليق، إلا أن بعض الأزواج يبقون وفيين لزوجتهم الأولى ويرفضون تطليقها، مفضلين الإبقاء عليها في عصمتهم، لكن يتزوجون عليها من أجل إنجاب الأطفال. والمبرر الثاني للتعدد هو وفاة أخيه، حيث تجبره أسرته على تطبيق تعاليم الشريعة اليهودية، التي تلزمه بالزواج من زوجة أخيه المتوفى للحفاظ على نسل أبنائه².

ورغم تحريم الشريعة اليهودية للتعدد إلا بوجود المبررات، ورغم اشتراط بعض اليهوديات في عقد زواجهن منع وجود ضرة، إلا أن بعض اليهود تجاوزوا هذا الشرط فتزوجوا بامراتين أو ثلاث أو أكثر³.

¹ - حاييم زعفراني: مرجع سابق، صص 80-90، وينظر: حسن ظاظا: مرجع سابق، ص 192؛ جوتيان: دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوسي، ط 1، وكالة المطبوعات، الكويت 1980م، ص 205؛ عبد الرحمن بشير: مرجع سابق، ص 119؛ ليلي إبراهيم أبو المجد: مرجع سابق، ص 239؛ كوايتي مسعود: مرجع سابق، ص 111.

² - حاييم الزعفراني: مصدر سابق، ص 80.

³ - نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م)، مرجع سابق، صص 161-162؛ فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص 141.

و- المرأة اليهودية والطلاق:

1-أسباب الطلاق:

جعلت الديانة اليهودية الطلاق "بجيطين" باللغة العبرية، بيد الزوج فقط، فيسمح له بتطليق زوجته دون اشتراط أي شروط، ومن أهم أسباب الطلاق المنتشرة عند اليهود ما يلي:

1- عجز الزوج عن تقبل تصرفات زوجته وفشلت العشرة الزوجية بينهما، فيحق له تطليقها، جاء في سفر التثنية الإصحاح 24 الآية الأولى: "إذا لم تقع الزوجة لدى زوجها موقع القبول والرضا وظهر منها ما يشنها، فإنه يكتب إليها ورقة طلاقها ويخرجها من منزله"¹.

2- إذا أصيب الزوج بالنفور من زوجته حتى أنه أصبح رافضا لوطأها أو أصيبت بمرض أعجزها على أداء واجباتها الزوجية²، فيتزوج للمرة الثانية حتى ولو كانت قد أنجبت له طفلا ذكرا³.

3- عقم المرأة، الذي يعد من الأسباب الرئيسية لطلاق، فالشريعة اليهودية تجبر الزوج على تطليق زوجته إذا لم تحمل وثبت عقمها خلال الفترة المحددة لها من تاريخ زواجها إلى عشرة سنوات كأقصى حد، ومنهم من قلصها إلى خمسة أو سبعة، ولا يكتمف بهذا بل يمكنه إسترجاع مهره منها كتعويض له، فالشريعة اليهودية سمحت للزوج، الذي طلق زوجته العقيم بإسترجاع مهره بعد تطليقها لعدم إنجابها للأطفال⁴.

4- إنزعاج الزوج من إستمرار نزول دم الحيض على زوجته وجعلها عاجزة عن تلبية رغبته، فدم الحيض يمنعه من تحقيق رغبته في وطأها خاصة بعد الرغبة الملحة مما جعله يسارع إلى تطليقها ولقد أيدته الشريعة اليهودية في هذه الحالة وسمحت للقاضي بمنحها الطلاق مباشرة بعد التأكد من صحة إدعائه⁵.

¹ - خليل حنا تادرس: مرجع سابق، ص 67. وينظر الميسري: مرجع سابق، ص 76.

² - الميسري: مرجع سابق، ج 1، ص 76، وينظر فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص 122 وينظر: زكي علي السيد أبو غضة: المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط 1، دار الوفاء، منصور، 1324هـ / 2003م، ص 621.

³ - Huguet Op. cit.P 13.

⁴ - Ibid.p 13

⁵ - أحمد طه صابر : مرجع سابق ، ص ص 139-140.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

- 5- رفض الزوجة مرافقة زوجها إلى البلد الذي رحل إليه رغم أن العرف اليهودي يسمح لها بعدم الرحيل منعه حتى أنها منحت أحقية منعه من السفر¹، وهذا ما يجعلنا نجزم بأنه لا يحق للمرأة معارضة الرجل، فسلطته أقوى من سلطتها وإذا تمردت على قراراته جعلها تتعرض للطلاق.
- 6- مرض الزوجة بمرض ألزها الفراش وجعلها عاجزة على القيام بواجباتها الأسرية وخاصة الزوجية كعجزها عن الجماع، ففي هذه الحالة يسمح له بتطليقها².
- 7- إذا ثبت إرتكابها للزنا³.

من خلال ماسبق، نسجل بأن الرجل هو الوحيد، الذي يحق له تطليق زوجته إذا توفرت إحدى الأسباب السابقة الذكر، ولكن هل يحق للمرأة اليهودية أن تطلب الطلاق ؟

إن تعاليم الشريعة اليهودية جائرة في حق المرأة خاصة في قضية الطلاق، فلا تسمح لها بالمطالبة بالطلاق مهما تعرضت له من مشاكل وساءت عشرتها معه وحتى ولو ظهرت في زوجها عيوب أجبرتها نفرتها منه ورغبت في الطلاق، أو خانها بارتكاب زنا مع غيرها، فانها فإنها ملزمة على تقبلها والتأقلم معها والبقاء على عصمته ولا يحق لها المطالبة بالطلاق، ولكن هذا لا ينفي وجود أسر وقفت إلى جانب المرأة وسمحت لها بالمطالبة بحقوقها مثل حق الطلاق، فيتم الوقوف إلى جنبها وتطليقها منه بعد ظهور مجموعة من الأسباب، من أهمها :

- **عقم الزوج** : إذا ثبت عقم الزوج، يسمح للزوجة بالمطالبة بالطلاق وفق الشريعة اليهودية.
- **ارتداد الزوج عن الدين** : إذا ارتد الزوج عن اليهودية، يُصنف ضمن أعداء الله، ويُجرم من جميع حقوقه، بما فيها حق الزوجة، فيتم تطليقها منه.
- **فساد أخلاق الزوج** : عند ممارسة الزوج للفجور أو بيع المنتجات المحرمة ورفضه التوقف عنها رغم التحذيرات، يتم تطليق الزوجة منه.

1 - حاييم الزعفراني: مرجع سابق، صص 80-81، 91؛ وينظر جوتيان: مرجع سابق، ص 205.

2 - عبد الرحمان بشير: مرجع سابق، ص 119؛ وينظر جوايتان: مرجع سابق، ص 204؛ فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص 122؛ زكي علي السيد ابو عظة: مرجع سابق، ص 261؛ أحمد طه صابر: مرجع سابق، ص 139-140.

3 - فاطمة بوعمامة : مرجع سابق ، ص 131.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

- ارتكاب الجريمة وهروب الزوج : إذا ارتكب الزوج جريمة وفر من البلاد، يسمح للزوجة بالمطالبة بالطلاق.
- العنف الأسري المستمر : استمرار الزوج في ممارسة العنف الجسدي أو النفسي على الزوجة يتيح لها طلب الطلاق حفاظاً على حياتها وسلامتها.
- المرض الذي يمنع أداء الواجب الزوجي : إصابة الزوج بمرض يقيده في الفراش أو أمراض مثل الصرع، تجعله عاجزاً عن أداء حقوقه الزوجية.
- البخل والإهمال المادي : إذا سئمت الزوجة من بخل الزوج أو نقص نفقة المعيشة الأساسية، بما يؤدي إلى أضرار لها أو لأطفالها، يمكنها طلب الطلاق¹.

2-خطوات الطلاق:

تم عملية طلاق المرأة عند اليهود عبر مجموعة من الطقوس المقررة شرعاً، تبدأ بتوجه الزوجين برفقة شاهدين إلى المحكمة الحاخامية، حيث يوجد مجلس البيعة الذي يترأسه القاضي. في هذا المجلس يتم توثيق الطلاق بعقد مكتوب على شكل قسيمة رسمية، وبعد استكمال كتابة العقد، يستلمه الزوج ويقدمه إلى زوجته مردداً العبارة التقليدية: "إستلمي وثيقة طلاقك صرت حلاً لغيري"².

وفور خروج المطلقة من المجلس تجدد بعض النساء في إنتصارها من أجل استقبالها بسكب كوب من اللبن عليها معبرين على فرحتهم بانتصارها وحصولها على طلاقها، ونعتقد بأن هذه الطقوس تتم مع المرأة، التي كانت مصرة على الطلاق، وتمكنت من الحصول عليه بصعوبة و بعد مقاومة ونضال طويل

¹ - فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص 122؛ وينظر أبو زكي علي السيد أبو غضة: مرجع سابق، ص 260-261؛ موسى بن ميمون: مصدر سابق، ص 697؛ أحمد طه صابر: مرجع سابق، ص 139-140؛ بشير عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 121؛ نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 161؛ خليل حنا تادرس: مرجع سابق، ص 67.

² - بشير عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 121؛ وينظر نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م)، مرجع سابق، ص 161؛ وينظر الميسري: مرجع سابق، ص 76.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

منها¹، وتمتع المطلقة بالدهاب إلى بيت أهلها مباشرة وفي الأيام الأولى من طلاقها، وخاصة إذا كان يحتوي على نساء متزوجات²، وربما تطيرا وخوفا من انتقال عدوى الطلاق لهن.

وقد يكون بين المطلقين أطفال، فالشريعة اليهودية كفلت للمرأة حق الامومة وسمحت لها بأخذ أطفالها معها، وخاصة إذا كانوا رضعا أو في سن لحضانه فهم بحاجة إلى رعاية الأم أكثر من الأب في هذه الفترة³.

وحددت عدة المطلقة بستين يوما، أما المرأة الحامل والمرضعة فعدتها حددت بستين ولايسمح لها بالزواج مرة ثانية حتى تستكمل عدتها⁴.

3-مكانة المرأة المطلقة الأسرية و الإجتماعية:

تتسم الشريعة اليهودية بالصرامة تجاه المتطلقين، إذ تمنع الزوج من استرجاع زوجته بعد الطلاق حتى لو ندم على ذلك، معتبرة أن المرأة بعد الطلاق قد “تنجست” في نظرهم، ولا يحق لهما العودة إلى بعضهما حتى لو تزوجت المرأة مرة ثانية ثم طُلقَت أو ترملت. ويمكن فهم هذا التشدد كوسيلة ردعية للرجل للحد من التساهل في قضية الطلاق، ووسيلة لمنع انتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع اليهودي. كما كفلت الشريعة اليهودية لأبناء المطلقة حقوقهم المالية، فقد أُلزم المطلق بتقديم النفقة لمطلقاته للإئفاق على أبنائه في الحالات التالية:

1. تستفيد كل امرأة طلقت دون رضاها من نفقة طليقها على ابنها الرضيع طوال فترة الرضاعة، إلا أن بعض المصادر تشير إلى أن النفقة لم تقتصر على الرضع فقط بل شملت جميع أبنائها، وقد قُدرت قيمتها بـ30 فرنكًا شهريًا مع فستان للمطلقة سنويًا⁵.

¹ - نفسه وينظر: خليل حنا تادرس: مرجع سابق، ص 67.

² - بشير عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 121؛ وينظر نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م)، مرجع سابق، ص 161.

³ - نجوى طوبال : طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م)، مرجع سابق ، ص 163-164.

⁴ - سوزان السعيد يوسف: مرجع سابق، ص 129 .

⁵ - ينظر: فاطمة بوعمامة: مرجع سابق ص 131. وينظر Huguit op. cit.p13.

2. تُمنع المطلقة في حالة الطلاق التوافقي من الاستفادة من الصداق المؤخر الذي تم الاتفاق عليه

في عقد الزواج، ومن الندونيا الخاصة بالأعياد والمناسبات، وكذلك من ملابسها الخاصة.

ز- المرأة اليهودية والموت:

إذ توفي أحد أفراد العائلة اليهودية ، فتصاب الأسرة بحالة حزن وفي اليوم الثاني بعد عملية الدفن تتجه النساء إلى زيارة قبر الميت ويستمر حزنهم وحدادهم لمدة سبعة أيام من تاريخ الوفاة لينطلقوا في حياتهم العادية¹.

ح-مكانة الأرملة:

يغيب الموت الزوج في الأسرة اليهودية فتترمل زوجته وتبقى بمفردها مسؤولة على أسرته تتخبط مع المجتمع ومشكلاته، ولكن شريعة اليهود لم تغفل عن الأرملة بل شرعت مجموعة من التعاليم تمثلت في بعض الحقوق، وهي:

1- تجبر الأسر اليهودية، التي تفقد ابنها المتزوج والمخلف لأرملة أو بياها بالعبرية أخوه بالزواج من أرملة أخيه بما يعرف بزواج اليوم تطبيقاً "لوصية" الليفرا "وذلك من أجل رعاية أبناء أخيه المتوفى والحفاظ عليهم ليستمر نسل أخيه ، وحتى ولو لم تنجب من زوجها المتوفى ولم تحمل منه فإنه يتم تزويجها من أخيه، وأول طفل تلده يتم نسبه إلى زوجها المتوفى ويسمى باسمه من أجل الإبقاء على سلالة إبنهم المتوفى².

تظهر بعض الحالات الاستثنائية عند الأسر اليهودية، خصوصاً عندما يرفض أخ الزوج المتوفى الزواج من أرملة أخيه، وهو أمر يعتبر طبيعياً لدى البعض. في هذه الحالة يُمارس طقس خاص، حيث يُلقب الأخ الراض بـ"الحاليساه" و"بيت مخلوع النعل"، ثم تتوجه الأرملة إلى مكان يجلس فيه الشيوخ وتصدر عتبة مجلسهم صارخةً: "رفض أخ زوجي أن يخلد لأخيه اسماً في بني إسرائيل ولم يشأ أن يقوم نحوي بواجب أخ الزوج"، ثم تخلع حذاءه وتبصغه في وجهه قائلة: "هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبقى بيت

¹- Mercier : Les Juifs de Mzab et Esraiel, Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes, T. XIX, 1er-2e semestres universitaire d'Alger, 1960, p. 128.

² - حاييم زعفراني: مصدر سابق، ص 80. وينظر الميسري: مرجع سابق، ص 76. وينظر جوتيان: مرجع سابق، ص 204.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أخيه"¹، قد يحظى هذا الطقس بتأييد بعض الأسر، بينما هناك أسر أخرى تلتزم بتعاليم الدين وتطبق وصية "الليفرا"، فلا يعني رفض أحد أفراد الأسرة الزواج من الأرملة خروجها من بيت زوجها، بل تتدخل الأسر لمحاولة إقناع أحد أفرادها للزواج منها حتى ولو كان أصغر سنًا. الغرض من ذلك هو تنفيذ وصية الليفرا وضمن رعاية أبناء المتوفى²، إذ تسمح الشريعة للأرملة بأخذ أطفالها معها لتوفير الحماية والرعاية الأسرية لهم³.

ويمكن تفسير رفض اليهودي الزواج من أرملة أخيه يعود للدافع النفسي وهو الاحترام لاختية المتوفى أو خجلا من زوجته أو ضغط من زوجته التي رفضت وجود ضرة .

2-رعايتها من الناحية المالية، وذلك بإجبار أسرة المتوفى على الانفاق على الأرملة من مال زوجها بقيمة الكوتباه والمقدرة بالثلثين لمدة ثلاثة أشهر من تاريخ وفاته ، و تستفيد في حالة إذا كانت الأرملة فيسمح لها بالاستفادة ، و يتم انفاقها عليها طيلة وجود هذه القيمة و بمجرد انتهائها تخرج الأرملة من بيتها إلى بيت أهلها⁴.

ط-المرأة اليهودية والميراث:

تقسيم التركة بين الورثة كما نصت الشريعة و قبل حادثة بنات صلفحاد المشهورة عند اليهود كانت المرأة محرومة من الميراث لأنها ستنتقل ماترته إلى أسرة زوجها فيستفدون منها،ولكن بعد هذه الحادثة والمتمثلة في حادثة متعلقة بأخوات يهوديات توفى والدهم ،ولم يكن لهم أخ ذكر يرث ماخلفه والدهم ،ومند هذه الحادثة سمحت الشريعة للمرأة بالميراث بشرط أن يكون الزوج من قبيلتها⁵،لأن

¹ -عبد الرحمان بشير: مرجع سابق، ص117 وينظر: فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص121.

² -فاطمة بوعمامة:مرجع سابق، ص121 وينظر: عبد الرحمان بشير:مرجع سابق ، ص 117 .

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 181-169-163، وينظر: حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص 20.

⁴ - نجوى طوبال: المرجع السابق، ص 107، محمد شكري سرور: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، 1978م-1979م، ص ص 57-60. وينظر: إسمهان قصور: المرأة وحقوقها السياسية في الفقه الإسلامي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 26. وينظر: أبو زكي علي السيد أبو غضة: مرجع سابق، ص 208. وينظر: سوزان سعيد يوسف: مرجع سابق، ص ص 91-141. وينظر: ليلي إبراهيم أبو مجد: المرأة بين اليهودية والإسلام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م، ص 56.

⁵ -سوزان السعيد يوسف:مرجع سابق،ص141.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الشريعة اليهودية منحت الرجل حق وراثة كل تركة زوجته بمفرده، ولكن تم تعديله بالسماح للأطفال بوراثة أمهم أيضا ، وإذا كانت زوجته وحيدة والدها وتوفي ، فان تركة الوالد تنتقل مباشرة لزوجها ، ولا يحق لأقاربها أو أبنائها المطالبة بذلك¹، ولكن شريعة التوشايم إستمرت في حرمان المرأة من الميراث في حالة وجود ورثة ذكور ويسمح لها في حالة إنعدامهم ،ولكن في مدينة الجزائر وجد بأن أغلب النساء اليهوديات قد حصلن على الميراث، وهذا ما لحظ بعد وفاة اليهودي شلومين موشي بن داوود كوهين ،الذي ورثته زوجته مع ولديها² وسلطانة بنت الدمي يعقوب ،التي ورثت كل تركة والدها³.

ثانيا -وضعية المرأة المسيحية الحرة الاجتماعية في مدينة الجزائر :

ترواح وجود النساء المسيحيات بين امرأة جاءت للمدينة رفقة زوجها وبين مسيحية وقعت في الأسر ثم عتقت .

أ-مكانتها في مجتمع مدينة الجزائر :

وجد في مدينة الجزائر بعض النساء المسيحيات اللاتي قدمن رفقة أزواجهن، وخصوصاً القنصل، فوجد القنصل الإنجليزي كان مقيماً مع أسرته في المدينة، وعند انتشار خبر حملة اللورد إكسموث على الجزائر والخوف من نتائجها، وخصوصاً احتمال قبض على القنصل، قامت نساؤه بالهرب من البيت متنكرات بزى بحارة بريطانيين، مرافقات طفلاً صغيراً، حتى لا يكتشف أمرهن ويتعرضن لمصير مجهول قد يصل إلى الأسر. وأما عن يوميات النساء المسيحيات في الجزائر، فقد تمتعت بحرية التنقل في المدينة، واحتفظن بعاداتهن الأوربية دون احترام عرف سكان المدينة الذي يمنع مقابلة المرأة للرجل الأجنبي أو الجلوس معه في ضيافته. فقد استقبلت أسرة القنصل الإنجليزي براوتون الرئيس حميدو في بيتهن، برفقة

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 180، وينظر: حاييم الزعفراني: مصدر سابق، ص ص 208-209، وينظر: سوزان سعيد يوسف: مرجع سابق، ص 91.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 107، وينظر: محمد شكري سرور: مرجع سابق، ص ص 57-60، وينظر: إسمهان قصور: المرأة وحقوقها السياسية في الفقه الإسلامي، جصور للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 26، وينظر: أبو زكي علي السيد أبو غضة: مرجع سابق، ص 208، وينظر: سوزان سعيد يوسف: مرجع سابق، ص 91، وينظر: ليلي إبراهيم أبو مجد: مرجع سابق، ص 56.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 155.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

زوجته وابنته، الذين أعجبوا بقوته الجسدية وأخلاقه، والتي كانت نابعة من الالتزام بتعاليم دينه الإسلامي. تقول مسز براوتون، ابنة القنصل: "قائد ممتاز جدًا، وهو من أجمل الرجال الذين رأيتهم في حياتي، وكان جريئًا مثل الأسود الذين يعيشون في وطنه"¹، وتضيف أنه رغم الالتزام وامتناعه عن شرب الخمر، إلا أنه شربه عندما قدم له حتى لا يخرج ضيوفه، مما زاد إعجابهم به.

ب- الترفيه بالتجول في المدينة الجزائر :

تمتعت المرأة المسيحية في مدينة الجزائر بكامل حريتها فيإلى جانب السماح لها بالحفاظ على عاداتها وتقاليدها فقد سمح لها بالتجول في المدينة ، و أحيانا برفقة نساء يهوديات ،اللواتي كن يطلبن منهن دعوتهن لمرافقتهم في التجول²فالمسيحيات نقلوا ماكانوا يتمتعون به من حرية في التجول والتنقل في الشارع من أوروبا إلى الجزائر يذكر محمد أفندي ،الذي زار باريس سنة 1721م : ".....وترى أعداد هائلة من الناس في الأزقة لأن النساء لايمكنهن المكوث في بيوتهن ويقضين الوقت كله في التنقل من بيت إلى بيت وهذا الخليط (الاختلاط) بين الرجال والنساء في الأزقة ..."³، ولم يتعرضوا للمضايقات .

ج- المخاطر التي تعرضت لها نساء المسيحيات في المدينة:

تورد بعض المصادر بأن بعض النساء المسيحيات تعرضن إلى بعض المخاطر تتمثل في تعرض أطفالهن للاختطاف مثلما حدث في سنة 1760م، حيث أختطف طفل مسيحي ربما من أجل بيعه للانكشارية ،الذين كانوا يمارسون اللواط على الاطفال المسيحيين الأسرى، فكانت ردة فعل الداى على هذا العمل قاسية إذا توعد كل من يقوم بعملية اختطاف الاطفال بالاعدام⁴ .

¹ -Mrs Broughton: Six Years Residence In Alger.Second Edition. Saunders And Otley Conduit Street London .1839.P200.

² -عيسى شنوف: مرجع سابق، ص45.

³ - محمد أفندي: جنة الكافر سفير عثماني في باريس سنة 1721م، سفارتنامه محمد أفندي، دراسة وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، تقدم خالد زيادة، ط1، منشورات دار أبي رقرق، الرباط، المغرب، 2017م، ص 45.

⁴ - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 84، وينظر. P312. Digo de Haedo: Topographie: op. cit..

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

ورغم الاختلاف الديني المتمثل في كون الطفل المسيحي إلا أنه دافع عليه ولم يسمح لأي جماعة سكانية باحداث فوضى بعدم إحترامها لظوابط المدينة والايالة بصفة عامة.

ومن المخاطر التي كانت تعاني منها المرأة المسيحية هي الإضطراب النفسي فقد كانت كثيرة القلق والاضطراب وخاصة إذا كانت من أسرة أحد القناصلة، فبمجرد سماعها لأي توتر بين الجزائر ودولتها فإنهن يسارعن للهروب من المدينة خوفا من مصير مجهول كما رأينا سابقا مع أسرة القنصل الانجليزي¹.

وفذلكة القول، فقد تمكّنت المرأة اليهودية بعد الإقامة الطويلة للأسر اليهودية بالمدينة وإحتكاكهم بمسلميها من تغير نظرهم للمرأة وتمكّنت من التحرر من القيود والاحتقار اللذان كانت تعاني منهما، كما نجد أن المرأة المسيحية الحرة لقيت حرية كبيرة في المدينة، وكانت تنتقل في شوارعها وإن تعرضت للبعض المخاطر، فذلك راجع إلى عوامل خارجية وإستثنائية حتمت ذلك .

¹-وليام شالر: مصدر سابق، ص 156.

المبحث الثاني : الواقع الإجتماعي والأسري للنساء المعتقات والإماء في مدينة الجزائر

عرفت مدينة الجزائر نسبة كبيرة من الإماء بفضل مجموعة من العوامل الخارجية أدت إلى أسر نساء المسيحيات وجلبهن إلى المدينة وتغير مصيرهن من حياة الحرية إلى حياة عبودية، وأمام هذا الوضع فضلت بعض الإماء إعتناق الاسلام للتخلص من حياة الأسر والاستعباد عرفن في المدينة بالمعتقات ومن هن من ظلت متشبثة بديانتها وفضلت الاستعباد على التحلي على دينها فكيف كانت وضعية المرأة المعتقة ووضعية الأسيرة الاجتماعية والأسرية؟.

أولا - واقع المرأة المعتقة الأسري والاجتماعي:

المعتقات هن النساء المسيحيات، اللواتي تمكن من الحصول على حريتهن بالعتق، ولقد شهدت مدينة الجزائر عتق نسبة كبيرة للأسرى بفضل ماجاء في الاسلام الذي خص بعض الذنوب في التكفير عنها يكون بتحرير أمة والمتمثلة في: القتل الخطأ والحث في اليمين والضهار والافطار في رمضان¹.

قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (91) ﴾ [سورة النساء، الآية 91] وقال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) ﴾ [سورة المجادلة، الآية 03] ، وقال الله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (91) ﴾ [سورة المائدة، الآية 91].

ولم تكن الذنوب وحدها سببا في عتق النساء بل هناك ماكان مرده في الرغبة في الحصول على التواب والأجر فنجد على سبيل المثال: زهراء بنت عبد الله الفهري بعد اشتداد مرضها وإستحالة

¹ - أحمد شفيق: الرق في الاسلام، ترجمة أحمد زكي، ط1، دار طيبة للطباعة، الجزيرة مصر، 2010م، ص ص 80-81.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

شفاءها كتبت وصية تمثلت في عتق كل عبيدها وإمائها،الذين اعتنقوا الاسلام، و عائشة بنت حمودة أوصت بعتق أمتها مباركة¹، وعائشة بنت عبد القادر أعتقت أمتها فاطمة وجعلت توابه لأمتها حليلة بنت محمد، و أسرة القايد سليمان أعتقت سترة من أجل الأجر والتواب لأبيهم، وكذلك فاطمة المداحة أوصت بعتق أمتها، ونفس الشيء عند عزيزة الضريرة بنت محمد القهواجي، التي أوصت بعتق أمتها بعد موتها، ولم تكتف بهذا بل أوصت بمنحها ثلث تركتها، وقامت فطيمة بنت عبد الله بعتق امتها فطيمة، وحتى لا يختلط عليهم الأمر فقد ذكرت مواصفاتها وهي "... نعتها حمرة اللون عربية اللسان وبرجلها إعوجاج ... " و استفادت الإماء من عتق الرجال لهن فنجد: سالم أعتق أمته جوقانة، وجعل تواب العتق على زوجته، وكذلك بالنسبة لأحمد بن الحاج محمد الفروي أعتق أمته فاطمة، وجعل تواب العتق على ابنه عبد الرحمان، وكذلك حسن باشا بن حسين أعتق أمته فاطمة وجعل توابها على أحمد الخزناجي وغيره².

ومن أسباب انتشار ظاهرة عتق الاماء عند الرجال أيضا هي تحريم المذهب المالكي لزواج السيد من أمته إلا بعد عتقها : " لايجل لاحد أن يتزوج مملوكته قبل أن يعتقها ولا امرأة تتزوج بمملوكها قبل أن تعتقه فان أعتقته جازلهما التناكح إذا ترضايا كالأجنبي ولا فرق وهذا لاخلاف فيه من أحد "³.

أ-مكانة المرأة المعتقة :

¹ - ع 141، م 1، ق 14، سنة 1027هـ، وينظر: م ش ع 47/59، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 760. ونقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 181.

² - ينظر الوثائق التالية: ع 59، م 1، ق 19، سنة 1243هـ؛ وينظر ع 4 س 11 و 241؛ وينظر ع 4 س 11 و 190؛ وينظر ع 4 س 11 و 216؛ م ش ع 37 و 45؛ وينظر م ش ع 52 و 103؛ وينظر م ش ع 52 و 124؛ وينظر م ش ع 53 و 268؛ وينظر ع 4 س 11 و 241؛ وينظر ع 4 س 229 و 11؛ وينظر ع 4 س 216 و 11؛ وينظر ع 4 س 190 و 11؛ وينظر م ش ع 3 و 87؛ وينظر م ش ع 53 و 302؛ وينظر م ش ع 3 و 62؛ وينظر م ش ع 37/1، وثيقة رقم 45، م ش ع 3 و 63؛ وينظر ع 59، م 4، ق 46، سنة 1239هـ؛ وينظر م ش ع 37 و 45، م ش ع 31 و 58؛ وينظر م ش ع 52 و 124، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 762.

³ - عبد الإله بنمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 390.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أطلق على المعتقة لقب قادين "kadin" وهي لفظ تركي تعني المرأة، ولكن أصبح لفظا مرادفا للأسيرات، اللواتي عتقن من قبل أسيادهن من أجل الزواج بهن و إنجاب الاطفال¹، تمتعت المعتقة بباغلب حقوقها المدية والمعنوية ولعل أهمها السماح لها بالزواج وبناء أسرة كغيرها من النساء .

ب-المعتقة والزواج:

سمح لمعتقة في الزواج بمختلف الجماعات المشكلة لمدينة الجزائر بما فيها من أحرار و بعض البرانية والمعنوقين و أيضا بالعبيد كما سنرى لاحقا .

وألتزم بتطبيق أركان الزواج الاسلامي على المعتقة، والمتمثلة في الولي والشهود والصداق فالشريعة الاسلامية والمذهب المالكي خاصة قد كفل للمعتقة حقوقها الزوجية : "...وبأي وجه عتقت فانها تخير فان اختارت فراقه فلها ذلك وان اختارت ان تقرر عنده فلها ذلك...وعليها العدة في اختيار فراقه كعدة الطلاق ... فان أراد جميعا ان يتناكحا لم يجز إلا برضاها وباشهاد وصداق وولي ..."² ، فنجد:

1-الولي: عين قايد عبيد معتق الداوي كولي على المعتقات³، وقد يكون سيدها هووليها ويتولى أمر زواجها أثناء العقد، ولا يتم زواجها إلا بموافقة، ويعتبر باطلا عند البعض إن لم تأخذ موافقته⁴ .

2-الصداق : استفادات المعتقة من حقها في الصداق، فنجد:

فاطمة معتقة حسين باشا استفادت من صداق قدره 300 دينار جزائري خمسية العدد من زوجها محمد بن عدة بن سكران، واستفادت حفصة العلجية معتقة حسن باشا من صداق قدره 6000 دينار جزائري خمسينية. وقدم محمد سعيد الكباش لزوجته فاطمة بنت عبد الله معتقة مريم كباشة 808 دينار خمسينية، منها أربعة دنانير من سلف، ومائتا دينار ثنتان كالي صداقها عليه، ومائة دينار واحدة وخمسون

¹ - Mehmet Zeki Pakalim: Sozluk Dizisi Osmanli Tarih Deyinleri Ve Terimleri Sozlugu .M.E.B . Istanbul .1993.P126.

² - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، ج9، منشورات محمد علي بيضون، كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م/1425هـ، ص 345.

³ - م ش ع 108-109، و53، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج2، ص 542. وينظر: م ش ع 108-109، و60. بدران أبو العينين: مرجع سابق، ص 130. وينظر: م ش ع 108-109، و53، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج2، ص 542.

⁴ - ينظر: عبد الوهاب خلاف: مرجع سابق، ص59 وينظر عبد الاله بنمليح : مرجع سابق، ص280 .

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

دينار قيمة أمة واحدة جناوية من صداقها، وخمسون دينار قيمة قفطان حرير من صداقها. أما أخفض صداق فكان من نصيب السودانية عافية معتقة فاطمة بنت الحاج سليمان، والمقدر بخمسة دنانير فضية، والثيب خديجة معتقة إبراهيم شرشالي منحها زوجها قارة محمد معتق حسين باشا 18 ريال. ومنح سالم معتق حسين باشا زوجته فاطمة معتقة إبراهيم الخزناجي صداقاً قيمته 3 دنانير، وفاطمة معتقة القايد يوسف منحها زوجها معتق الحاج أحمد باي صداقاً قدره 8 دص، 1 د. 9 رص. وعافية معتقة الحاج عبد القادر كان كالي صداقها يبلغ 45 ريال، وعافية معتقة علي خوجة كان كالي صداقها قدره 34 ريال، ومباركة معتقة أحمد العليج 31 ريال، ومباركة معتقة الحسين الجواد تزوجت بالحاج أحمد بن محمد بصداق قيمته 300 د. وقفطان، ومعتقة أحمد الخزناجي كالي صداقها 27 ريال¹.

3- شروط المعتقة في عقد الزواج: من شروطها كغيرها من النساء المدينة، نذكر :

- 1- الموافقة على الإقامة معها في بيت سيدها أو سيدتها ،ومثل هذا الشرط ذكرته رحمة معتقة دادام التي اشترطت على زوجها معتق يحي أغا الإقامة معها في بيت سيدتها².
- 2- وتشترط على الرجل المطلق اذا خطبها بعدم إعادة زوجته الأولى إلى عصمته مثلما فعلت رحمة معتقة دادام مع زوجها محمود معتق يحي أغا³.

ج-المعتقات ضرات لنساء المدينة :

شكلت الإماء في الكثير من الأحيان خطراً على سيداتهن، فقد تصبح منافسة لهن أمام زوجهن، خاصة إن كانت ذات جمال، وهو عامل جذب للرجال أو قد يدفع الزوج للتفكير في التعدد بالزواج من

¹ - ع 38، م 4، ق 32، سنة 1023هـ، م ش ع 108-109 و 36 سنة 1246هـ، وينظر م ش ع 108-109 و 53، وينظر م ش ع 108-109 و 36، وينظر م ش ع 58 و 17، وينظر م ش ع 59 و 16، وينظر م ش ع 59 و 11، وينظر م ش ع 59 و 6، وينظر م ش ع 65-66-67 و 43، وينظر م ش ع 108-109 و 1. نقلا عن ليلي خيراني: مرجع سابق، صص 217-218، ونقلا عن محمد بوشناق: مرجع سابق، ص 540، ونقلا عن نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 159.

² - ع 59، م 4، ق 46، سنة 1239هـ، وينظر ع 3 س 8 و 173، وينظر ع 4 س 11 و 246، وينظر ع 4 س 11 و 223، وينظر ع 5 س 12 و 31، وينظر ع 4 س 11 و 229، وينظر م ش ع 59 و 11. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 335، ونقلا عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 185.

³ - ينظر م ش ع 59 و 11، وينظر ع 59، م 4، ق 46، سنة 1239هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، صص 440-452.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أُمته، التي يكون مهرها قليلاً مقارنة بصدّاق المرأة الحرة. وقد تسعى الأمة في التقرب من سيدها وإغرائه للزواج منها، وبالتالي تنال حريتها بالعتق، إذ يحرم المذهب المالكي زواج السيد بأُمته إلا بعد العتق: «لا يحل لأحد أن يتزوج مملوكته قبل أن يعتقها». فتنتقل من حياة العبودية إلى سيّدة وضرة لسيدتها السابقة، تشاركها في زوجها وبيتها، وخاصة بعد إنجابها للأطفال. حتى أن بعض الأسياد، مثل علجي، كان قد أكرم زوجته الأسيرة بمعاملتها كأنها ملكة تترعب على العرش. ومن هؤلاء المعتقات، ما حدث مع مباركة، التي اعتقها سيدها الفقيه الحاج محمد السعدي بن الحاج محمد ثم تزوجها لتصبح ضرة لسيدتها حسني، وتزوج الحاج محمد الدولاتي بن محمد بمعتقته خديجة، ولاندري هل كانت ضرة أو تزوجها بعد تطبيق زوجته الأولى أو بعد موت سيدتها، لأننا وجدنا في وثيقة وفقاً كان أوقفه عليها وعلى ولديه من زوجته السابقة¹.

د-تمازج المعتقات مع الجماعات السكانية في مدينة الجزائر:

1-تمازج المعتقات مع جماعة البرانية:

تمكّنت بعض المعتقات من نيل إعجاب بعض رجال البرانية، فتقربوا منهن وتزوجو بهن، ومن الأسباب الأخرى التي دفعت هؤلاء في الزواج بهن هو المصلحة المتمثلة في رغبتهم في التقرب من أسياد هؤلاء المعتقات، فيحضوا بمكانة تسمح لهم في الحصول على عمل عند هؤلاء الأسياد أو يستفدوا من وقف أو صدقة مالية، ومن الجماعات البرانية، الذين تزوجوا بالمعتقات نذكر: جماعة البسكرة والأغوطيون، فوجد سليمان البسكري تزوج بمسعودة معتقة إبراهيم شاوش بالحاج سليمان البسكري، وعامر بن عيسى الأغواطي تزوج بمعتقة إبراهيم خزناجي واللافت للانتباه أنه حتى من جماعة بنو مزاب رغم مذهبهم وعرفهم الخاص الذي يمنعهم من الزواج من غير بناتهم إلا أن هناك من تزوج بمعتقة مثلما فعل أيوب بن صالح المزابي، الذي تزوج بمعتقة حسن باشا، وتزوج محمد بن عدة بن

¹ - شريفة طيان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص166، ملحق 5. ع 119-120، م4، ق74، سنة 1156هـ، وينظر: ع119-120، م3، ق60، سنة 1088هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، صص 440-452. وينظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص149، وينظر: عبد الرحمان بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1385هـ/1965م، ج3، ص369.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

سكران بالثيب فطيمة معتقة حسن باشا، التي لما خطبها كانت حاملا فانتظر حتى إنجابها لطفلها ثم تزوجها، وتزوجت فطيمة معتقة محمد النايلي بالحاج عيسى الأغواطي، وتزوجت فاطمة معتقة مصطفى قايد الفحص بعبد السلام الكواش بن عبد السلام الزعطوشي¹، وتزوج الحاج إبراهيم المعروف بابن داداه بمعتقته مسعودة والتي أنجبت له زهراء² وتزوج محمد البنا بمباركة معتقة الحاج محمد بن أحمد ابن الحنفي³.

2- تمازج بين المعتقات والمعتوقين:

تزوجت بعض المعتقات من المعتوقين، فنجد فاطمة معتقة القايد يوسف تزوجت بقارة علي معتق الحاج أحمد باي، وتزوجت عائشة معتقة نفيسة بعبد الرزاق معتق أسيا، وتزوج سالم معتق محمد ولد قايد بمعتقة نفوسة، وتزوجت رحمة الثيب معتقة دارم بمعتق يحيي أغا، وتزوج سالم معتق السيد مصطفى باشا بمباركة معتقة الحاج صالح الجيجلي، وتزوجت رحمة معتقة حسين باشا بفراجي معتق حسين باشا، وتزوجت خديجة معتقة إبراهيم شرشالي الثيب بقارة محمد معتق حسين باشا. وأحياناً يجد هؤلاء المساعدة من أسيادهم فيتزوجوا بمن عاشوا معهم من المعتقات، وهذا ما حدث مع معتقات ومعتوقي علي بتشين، الذي قام بتزويجهم ببعضهم البعض⁴.

3 - تمازج المعتقات مع العبيد:

¹ - وينظر: م ش ع 2 و 9، وينظر: م ش ع 59، وينظر: ع 71 و 101، وينظر: م ش ع 80-81 و 14، وينظر: م ش ع 108-109 و 53، نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، صص 535-536. وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 362.

² - ع 148-149، م 1، ق 3، سنة 1090هـ، وينظر: م ش ع 80-81 و 33، ملف رقم 1، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 537.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات، مرجع سابق، ص 128.

⁴ - م ش ع 108-109 (96)، وينظر: م ش ع 59 (42)، وم ش ع 58 و 17، وم ش ع 59 و 16، وم ش ع 59 و 11، وم ش ع 59 و 6، وم ش ع 80-81 و 14، ملف رقم 1، وم ش ع 114-115 و 73، ونقلا عن منور مروش: مرجع سابق، ج 2، صص 269-273، وعبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 69، ونقلا عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 51، ونقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 535.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

تزوجت بعض المعتقات من العبيد مثلما حدث مع فاطمة معتقة محمد خوجة بنعالي التي تزوجت من عبد يدعى مرجان¹.

هـ-وضعية أبناء المعتقات:

لاحظنا سابقا بأن بعض الأتراك قد تزوجوا بمعتقاتهم، ومانح عن هذا الزواج من أطفال، فالذكور يتم تصنيفهم ضمن جماعة الكراغلة أما البنات فيتم تصنيفهم ضمن جماعة الحضر (الأهليات)، يرى أبو القاسم سعد الله فيؤكد بأن معاملة أطفالهم من المعتقة التي حضى أبناءها بالاهتمام والتقريب إليهم عكس أطفالهم من الجزائرية، الذين تم نبدهم وتهميشهم².

تتولى المعتقة تربية إبنها رفقة زوجها، وقد تتمكن من الاستفادة من نفقة من سيدها أو سيدتها لتنفقها على طفلها وخاصة كان أغلب المعتقين في المدينة ضمن الطبقة الفقيرة، ولهذا تشفق السيدة وربما عاطفة الامومة كانت أقوى فدفعتها على الاهتمام بمعتقتها وإبنها فتتولى رعايتهما بمنحها مبلغا ماليا تنفقه على ابنها، مثلما حدث مع زهيرة بنت السيد محمد الخلاطحي، التي تعهدت بتقديم نفقة قدرها 4ريالات لانفاقها على ابنة معتقتها مبروكة بنت خيرة بنت مبارك معتق السيد محمد بوركايب³، وقد تعجز المعتقة على رعاية إبنها بسبب صعوبة العيش أو طلاق فتقوم بتقديمه لسيدها أو سيدتها مثلما حدث مع مباركة الخادم المعتقة، التي قدمت ابنتها فاطمة لسيدها الحاج محمد البوقريدي ليتولى رعايتها وكفالتها⁴.

و-المعتقة و الطلاق: نتيجة لصعوبة استمرار العشرة الزوجية، فقد تنتهي بالطلاق ومن المعتقات اللواتي طلقن، نذكر:

¹ - م ش ع 2 و9.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص155.

³ - م ش ع 59، ص87؛ عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص69؛ نقلاً عن ليلى خيراني: مرجع سابق، ص51؛ محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص535.

⁴ - م ش ع 31، ص192؛ نقلاً عن ليلى خيراني: مرجع سابق، ص187.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

طلق فراحي معتق الداوي زوجته رحمة معتقة الداوي حسين باشا¹، وتطلقت زهرة معتقة أحمد من زوجها سالم معتق القائد حسين، وتطلقت زهرة معتقة دار سي حسين الإمام من زوجها مصطفى بن أحمد الشهير بن الحاجي، وتطلقت مسعودة معتقة قايد سعد المزوار من زوجها عبد القادر جلول، وتطلقت خديجة معتقة يحيي أغا من زوجها مسعود معتق القائد العياشي، وتطلقت زهراء معتقة دراسي حسين مصطفى بن أحمد الحنفي من محمد الانجشاري بن أحمد، وتطلقت فرحانة معتقة مصطفى من زوجها علي معتق محمد الكويكة، وكذلك زيد المال طلقها زوجها فراحي الضرير معتق الطيب، وطلق المملوك سالم علي بن دحمان زوجته مرجانة معتقة إبراهيم التركي، وغيرهن².

ز-واقع المعتقة بعد الطلاق :

استفادت المعتقة من مختلف الحقوق التي كفلها القضاء الجزائري للنساء الجزائريات بعد طلاقهن، فاستفادت من حق النفقة على أطفالها من طليقتها، مثلما حدث مع زهراء معتقة دار سي حسين بن مصطفى بن أحمد الحنفي، الذي ألزم القاضي طليقتها محمد الانجشاري بن أحمد بالنفقة عليها بمبلغ قدره 9 ريالات دراهم صغار حتى تضع حملها، واستفادت مباركة معتقة حسين باشا من طليقتها والد قارة علي بن فرحات بالنفقة على ابنها بمبلغ قدره 7.5 ريال في كل شهر³، واستفادت حليلة معتقة رحمة من طليقتها سالم معتق الحاج العربي بن دريس بالنفقة قدرها 15 ريال كل شهر على ابنه وحملها⁴. وهناك من المعتقات من تنازلت على حق النفقة على اطفالها خوفا من مطالبة طليقا لهم وأخذهم عليها إلى بيته ليتولى رعايتهم بنفسه في حالة مطالبتها بالنفقة عليهم مثلما حدث زهرة معتقة السيد أحمد سالم معتق القائد حسين ،التي تنازلت على حق النفقة على ابنتها أمنة شريطة بقائها معها⁵.

¹ - م ش ع 80-81، ص 14؛ نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 546-549.

² - م ش ع 80-81، ص 142؛ وينظر: ع 52، م 5، ق 159، سنة 1241هـ؛ وينظر م ش ع 44، ص 130؛ وينظر م ش ع 45، ص 195؛ وينظر ع 52، م 5، ق 159، سنة 1241هـ؛ وينظر م ش ع 79، ص 174؛ وينظر م ش ع 80-81، ص 2؛ وينظر م ش ع 80-81، ص 8؛ وينظر ع 52، م 5، ق 158، سنة 1243هـ.

³ - ع 44، م 3، ق 56، سنة 1243هـ، وينظر م ش ع 130 و 46.

⁴ - ع 59، م 3، ق 38، سنة 1243هـ، وينظر م ش ع 108-109 و 14.

⁵ - ع 52، م 5، ق 159، سنة 1241هـ نقلاً خليفة حماش: مرجع سابق، ص 216.

ج-المعتقة والمسكن:

اشتركت المعتقات مع أزواجهن في توفير المسكن بمنح زوجها بعض ماتملكه من مال مثلما فعلت المعتقة مباركة، التي اشتركت مع زوجها حسين الاطراف السمسار بالبادستان من أجل شراء دويرة تقع قرب زندانة مراد رأس¹، وهناك معتقات استفدن من المسكن عن طريق الوقف، الذي أوقفه عليها بعض سكان مدينة مثلما حدث مع معتقة عثمان بن عبد الله، التي إستفادت من مسكن عن طريق وقف أوقفه عليها علي شريف بن أغا، و إستفاد زوجين معتقين مصطفى الخياط وزوجته خديجة من وقف تمثل في ريع دار بحومة جامع القشاش وكذلك حسين بن عبد الله وزوجته راضية إستفاد من مسكن أوقفه عليهما الدولاتي علي بتشين² واستفادت المعتقة زهراء بنت عبد الله وذريتها من وقف تمثل في علوي قرب مسيد دالية من إبراهيم الخزناجي بدار الامارة³، واستفادت سترة من وقف تمثل في مسكن يقع بحومة العزارة أوقفته عليها سيدتها فاطمة بنت السيد⁴.

ط-الحرية المالية للمعتقة :

1-إمتلاكها للثروة :

كفل للمعتقة حقها المالي وسمح لها بجمع الثروة كغيرها من نساء المدينة، ولهذا شهدت مدينة الجزائر ظهور معتقات ثريات فنجد: عائشة معتقة خديجة ابنة زوج الحاج باشا، التي كانت تملك عددا كبيرا من العبيد والاماء⁵ ومعتقة القهواجي بعد وفاتها خلفت ثروة قدرها 11300 ريال، و شوشانية خلفت

¹ - ع1/19، م1، ق22، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص596.

² - ع1/1/101؛ وينظر ع32/3/35؛ وينظر ع124-125/3/56.

³ - ع89: 2: 26 نقلاً عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص 612.

⁴ - 1/9 سنة 1201هـ / 1786م نقلاً عن ليلي خيراني، مرجع سابق، ص170.

⁵ - م ش ع 53، م 5 و 21، وينظر بيت المال دفتر 4، ص 56، وينظر بيت المال دفتر 5، ص 43، وينظر بيت المال ع 4، ص 11، ص 175، وينظر ع 3، ص 8، ص 173، وينظر ع 3، ص 8، ص 84، وينظر ع 3، ص 8، ص 68، وينظر ع 4، ص 11، ص 209، وينظر ع 4، ص 11، ص 240. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 564. ويلي خيراني: ص ص 88-97، 127، 154. وينظر فتيحة الواليش: فئة المعتقين بمدينة الجزائر نهاية القرن العشر إلى منتصف التاسع عشر من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 2002م، العدد الخامس والعشرون، ص 190.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

تركة قدرها 5542 ريال، وهناك معتقات كانت لهن ثروة قليلة فنجد: معتقة ميمي زوجة حسين بعد وفاتها خلفت مبلغا قدره 880 ريال، وخلفت فاطمة معتقة منزل أولغا مبلغا قدره 236 ريال ونجد أمة معتوقة بنت قايد الشوارع خلفت مالا قدره 165 ريال وخلفت معتقة ميمي حيث بلغ 100 ريال و أقل مبلغ مالي نجده عند مسعودة معتقة السيد أحمد بن رجب الشرشالي بمبلغ قدره 67 ريال¹. وقد تتعرض المعتقة لأزمة مالية أو دين فتعجز عن تسديده فتتجه إلى قايد العبيد، الذي عينه الداي ليتولى رعاية شؤون العبيد نساء وتخبزه بمشاكلتها فيتولى بنفسه تسديد دينها مثلما فعل: سليمان معتق حسن باشا الذي سدد دين معتقة².

2-المعتقة والقرض المالي:

ان امتلاك المعتقة للمال يجعلها أحيانا مقصد الناس، الذين يحتجون للمال من أجل عمل معين فيلتجؤون إلى المعتقات من أجل الاقتراض منهن فنجد على سبيل المثال: مسعودة معتقة العالم محمد القاضي الحنفية، أقرضت سالم معتق عبد الله بن داود التلمساني الذي لجأ إليها مستعينا وطالبا لقرض مالي فأقرضته وغيرها من المعتقات³.

ي-المعتقة والكراء:

إمتلك المعتقة مجموعة من الاملاك جعلتها تؤجرها لمن طلب الايجار فنجد: سترة معتقة المرحوم مصطفى وكلت محمد خوجة وكيل الحرمين الشريفين ليتولى عملية كراء ممتلكاتها⁴.

ك-المعتقة والوقف:

¹ - نفسه.

² - م ش ع 53، م 5 و 21، وينظر بيت المال دفتر 4، ص 56، وينظر بيت المال دفتر 5، ص 43، وينظر بيت المال ع 4، ص 11، ص 175، وينظر ع 3، ص 8، ص 173، وينظر ع 3، ص 8، ص 84، وينظر ع 3، ص 8، ص 68، وينظر ع 4، ص 11، ص 209، وينظر ع 4، ص 11، ص 240. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 564. وليلى خيراني: ص 88-97، 53، 127، 154. وينظر فتيحة الواليش: فئة المعتقين بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 190.

³ - م ش ع 79 و 106. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 564. وليلى خيراني: ص 88-97، 53، 127، 154. وخليفة حماش: ص 452.

⁴ - م ش ع 45 و 161. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 564. وليلى خيراني: ص 88-97، 53، 127، 154. وخليفة حماش: ص 452.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

استفادت خديجة المعتقة من وقف تمثل في مسكن قرب ضريح سيدي علي الفاسي أوقفه عليها زوجها الحاج محمد الدولاتي بن محمد بعد زواجها منه الى جانب ولديه من زوجته السابقة¹، واستفادت معتقة من بعض الممتلكات أوقفها عليها سيدها أغا علي الشريف². واستفادت المعتقة عزيزة بوقف أحمد أمين الجاقماقجية تتمثل دار تقع بسباط القايد قاسم بعد زواجه منها³، وأوقفت أمنة بنت خليفة جنة تملكها بواد براق على نفسها ثم ينتقل الوقف إلى معتقتها أمنة وبعد وفاتها ينتقل إلى أولادها وماتناسلوا⁴.

ل-المعتقات وقضية العبيد :

شهدت مدينة الجزائر نشاطا مكثفا لتحرير العبيد ، فنجد ثلاثة معتقات رغم قلة ماهن، الذي تراوح ما بين 55 إلى 91 ريال ورغم أن تجارة العبيد خلال هذه الفترة كانت مربحة إلا أنهن فضلن عتق عبيدهن على بيعهن مثل ما حدث مع معتقة كانت تملك مالا قدره 55 ريال فقط وقامت بعتق عبيدها ، ومعتقة أخرى كانت تملك 66 ريال قامت بعتق عبيدها ، و معتقة حسن باشا كانت تملك 91 ريال قامت بعتق عبيدا لها ، ونجد معتقة يحي أغا تملك 605 ريالا وقامت بعتق عبيدها وحنيفة معتقة خداج بنت حسن بعتق عبيدها سالم ومبروكة معتقة فاطمة بنت معلمة حمام سركاجي قامت بعتق أمتها زيد المال⁵.

م-المعتقة والمعاملات التجارية:

لم تُهَمَّشِ المرأةُ المعتقةُ في المجال التجاري، بل لقيت معاملةً مساويةً لنساء المدينة، فانخرطت في نشاط البيع والشراء اعتماداً على ما تملكه من مال أو سلع، وتفاعلت تجارياً مع مختلف فئات المجتمع. فقد اشتركت مباركة معتقة حسين باشا مع حسين خوجة بيت المالجي بن عبد الله حلبة في شراء حانوت بزنفة الحاشية من عند الحاج خليل خوجة ومباركة، كما اشترت فاطمة معتقة السيدة زهرة بنت بن كيوان

¹ - ع 119-120، م 3، ق 60، سنة 1088هـ. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 452.

² - 1/9 رقم 2، سنة 1169هـ / 1755م. نقلاً عن بوزيد صليحة: مرجع سابق، ص 203.

³ - فتيحة الواليش: مرجع سابق، ص 204. وينظر: ع 1/48، رقم 45، سنة 1137هـ / 1782م.

⁴ - م ش ع 124-125. نقلاً عن بوزيد صليحة: مرجع سابق، ص 203.

⁵ - م ش ع 59 و 169. وينظر م ش ع 59 و 260. نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 55.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

كامل جلسة الكوشة الخاصة بصناعة الخبز قرب مسجد السيد علي باشا من عند الحاجة شريفة بنت الحاج شريف¹.

ن-المهن التي مارستها المعتقات: من الأعمال التي مارستها بها المعتقات نذكر معلمة حمام فنجد: مبروكة معلمة حمام سركاجي معتقة فاطمة بنت باي وغيره من المهن². وقد تمكنت المرأة المعتقة من نيل مختلف حقوقها وتصرف في مختلف ممتلكاتها ولم تلق أية معارضة اجتماعية.

ثانيا- الأسيرات المسيحيات في مدينة الجزائر :

أ-إحصائيات حول أسيرات المدينة:

شهدت مدينة الجزائر وجود نسبة معتبرة من الأسيرات قُدّرت بنحو 10٪، غير أنّ الأرقام المفصّلة التي وصلت إلينا تُظهر تبايناً لافتاً في أعدادهن عبر الفترات. فبحسب إحصائيات دان Dan، تتراوح عدد الأسيرات بين 1000 و1200 امرأة، بينما بلغ عددهن في ثلاثينيات القرن السابع عشر نحو 1000 أسيرة، قبل أن يشهد انخفاضاً كبيراً في النصف الثاني من القرن نفسه، إذ لم يتجاوز العدد 100 امرأة سنة 1111هـ/ 1669م. أمّا المستشرقان جون بول وولف (Jean-Paul Wolf) و بنسر (Bennassar) فيؤكدان أن عدد الأسيرات كان منخفضاً مقارنة بالرجال، ويُرجع بنسر سبب ذلك إلى كون النساء لا يحملن السلاح، ولا يتواجدن على متن السفن إلا بغرض السفر، مما يجعل فرص أسرهن أقل بكثير من الرجال خلال المواجهات البحرية³.

أما الباحثة ليلي خيراني وبعد عودتها للوثائق الأرشيفية، فتقدر بأن نسبة الأسيرات في المدينة قدر ب 18.4% في الفترة الممتدة (1214هـ / 1799م - 1233هـ / 1817م)⁴.

¹ - م ش ع 74/75، وثيقة 64، وينظر ع 2/14، م 5، ق 10، سنة 1105هـ. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 717.

² - ع 59، م 1، ق 25، سنة 1246هـ. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 129.

³ - Bartolome Luciel Bennasser : Opcit P289 .

⁴ - ليلي خيراني : ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830)، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق، ص 45-44 وينظر جون بول وولف: مرجع سابق، ص 207.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

ب-أسباب وجود الأسيرات في مدينة الجزائر:

وتعود أسباب كثرة الأسيرات بمدينة الجزائر إلى مجموعة من العوامل، لعل من أهمها :

1- عن طريق الإختطاف :

تعرضت نساء مسيحيات يقمن على السواحل في دولهن أو وجدن بها للاختطاف من طرف القراصنة الذين كانوا يياغثونهن بين الحين والآخر. وحسب بعض المؤرخين، فإن القراصنة في عمليات الاختطاف لم يفرقوا بين المرأة الملتزمة بدينها وغير الملتزمة، أو بين الأم وابنتها، بل شملت عمليات الاختطاف كل النساء بلا استثناء. ويرى بعض المؤرخين أن أغلب النساء اللواتي تم أسرهن ينتمين إلى الأسر التي كانت تمارس النشاط الفلاحي في المناطق الساحلية الخصبة ووفرة المياه، وهو ما جعلهن أكثر عرضة للاختطاف. ومن النساء المسيحيات اللواتي أُختطفن، نجد أنجليكا التي أُسرت مع ابنتها سنة 1571م، وكادت جيوليا (Giulia Gonzaga) أن تتعرض للأسر على يد خير الدين بربروس. ويذكر أحد الكتاب الأوروبيين أنه عندما قام خير الدين بربروس بحملة على السواحل الإيطالية سنة 1534م، رأى جيوليا (Giulia Gonzaga)، التي وصفوها بأنها ذات جمال فائق فتنت كل من رآها، فقرر خطفها، لكنها تمكنت من الفرار والنجاة من الأسر¹.

لو كان ما ذُكر صحيحًا وأنها وقعت في يد خير الدين لتمكّن من الحصول عليها وأمر جنوده بملاحقتها والقبض عليها، ولهذا فالرواية في نظري مستبعدة. وتمكن درغوت باشا بأسر نسبة لا بأس بها من النساء عندما قام بحملة على جزيرة كورسيكا، وكذلك مراد رابيس عندما قام بحملة على أرخبيل الكناري سنة 993هـ / 1585م، وأسر كل من فيها بما في ذلك نساء الطبقة الحاكمة المتمثلة في الأم

Daniel Panzac: Barbary Corsairs, The End Of A Legend 1800-1820. Tr Victoria Hobson. Leiden: Brill. 2005.P16.. Plyfair R.L, Scourage Of Christendom, Annals Of British Relations With Algiers Prior To The French Conquest, London. Smith Elder & Co., 1840.P53 Et Bartolomé Lucile Bennassar :Les Chrétiens D'allah L'histoire Esctraordinaire Des Renegatsxvi-Xvii Siecle.Edition Perrin.France.2001.P289. Robert.

C. Devis: Cristian Slave, Muslum Masters, White Slavery In The Mediterranean, The Barbary Coast And Italy, P.Algrave Macmillan, 2003.P314.

¹ - Joann Esra:The Shaping Of West Barbary The Relconstruction Of Identity And West Country Barbary Captivity.Phd.University Of Esceter Uk.P 124 Nabl Matar :Turksmoors And Englishmen In The Age Of Discovery Columbia University.Press.1999.Pp7.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وزوجة وابنة حاكم الجزيرة، فأسروا نسبة معتبرة من رجالها ونسائها. وفي سنة 1035هـ / 1625م هاجم مجاهدو البحر الجزائريون جزيرة ماونت باي (Mount Bay) في كورنوال (Cornwall) الإنجليزية، فأسروا امرأة وطفلاً و60 رجلاً¹.

2- السفر :

تعرضت بعض النساء المسيحيات للأسر عن طريق تنقلها في السفن عبر بحار بالرغم أنهن كن يتخوفن من السفر عبر البحر خوفاً من تعرضهن إلى الأسر وبالتالي المصير المجهول، وخاصة وأن البحار خلال هذه الفترة كانت تعج بالقراصنة، الذين يسطون على أغلب السفن المارة به إلا أن نساء الطبقة الثرية ممرن به فتعرضن للأسر².

ومن هؤلاء، نذكر ما حدث للمرأة المسيحية الهولندية في سنة 1144هـ / 1731م، عندما قررت السفر مع زوجها عبر البحر من إسبانيا نحو هولندا، وبينما كانوا في البحر رأوا سفينة تركية، فهلعت وفزعت المرأة الهولندية وعمّ عليها الحزن لأنها خشيت مهاجمة السفينة لهم وأسرههم. استعد طاقم السفينة لمواجهةها، ثم تراجعوا وأوقفوا السفر، ففرحت كثيراً لنجاتهم وعدم تعرضهم للأذى. لكن الظروف أجبرتهم على السفر مرة ثانية عبر البحر، وأثناء الرحلة رأوا سفينتين مغربيتين. وحسب ما ذكرت الأسيرة، فإنهما سفينتان جزائريتان بحسب اعتراف قبطان أحد هذين السفينتين، الذي أخبرهما بأنه تركي (Turk). وتصف الهولندية حالتها النفسية عند وقوعها في الأسر: "...توقف قلبي عن النبض لأنه كانتا كما رأيت حينها أنهما مغربيتان حسب ما ذكره المترجم، وفي الرواية الأصلية Turk. " وبعد المواجهة بين سفينتهم والسفينتين وعجزهم عن المقاومة، تم إنزال قارب لإنقاذ بعض الركاب والنجاة بأنفسهم، فركب فيه بعض البحارة، وذكرت أن زوجها طلب منها الفرار معهم والنجاة بنفسها، لكنها رفضت

¹ - Ibid.

ينظر: مولاي بالحيمسي، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، الجزائر، يناير 1968م، ص 15-20-21-26-29.

² - Fernand Braudel : Méditerranée Et Le Monde Méditerranéen A L'époque Du Philippe II. Armand Colin Ed. Paris. 1982. T2. P247 Salvatore Bono : E Corsari Barbareschi Turin 1964.

مولاي بالحيمسي : الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر ، مرجع سابق، ص 16-18 وينظر منور مروش: مرجع سابق ج2، ص 146-432.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وأصرت على البقاء مع زوجها ومساندته، لاعتقادها أن البقاء معه أفضل حتى بعد الأسر. تمكنت السفينتان من الانتصار عليهم، فأُسرَت مع كل ركابها وأُقيّدوا إلى سجون الأسيرات¹. وقد يكون تحطم سفينة السفر بالقرب من إحدى السواحل الجزائرية سببًا في وقوع النساء المسيحيات في الأسر، كما حدث مع سفينة أوروبية تحطمت قرب بجاية، مما جعل ركابها يتعرضون للأسر. كما تحطمت سفينة أخرى عند سواحل تنس، فأُسرَ ركابها من طرف قراصنة جزائريين، ومن الذين كانوا على متنها وتعرضوا للأسر كانت ابنة بورك (Burke) وماريا مارتين (Maria Martin) الإنجليزية².

3- عن طريق الحملات :

عددت وتكررت الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر، ورغم خطورتها، إلا أن الأوروبيين جلبوا النساء في حملاتهم، مثل حملة شارلكان (Charles V) على الجزائر سنة 948هـ / 1541م، وكان على متن هذه السفن الإسبانية نساء وأطفال، تمكن الجزائريون من أسرهم بعد إنهمامهم³، ولا ندرى أسباب مجيء النساء والأطفال في هذه الحملة.

4 - هدايا البايات إلى الدايات :

شكّلت الأسيرات جزءا من هدايا البايات للدايات، فلقد تمكن الدايات من الحصول على الكثير من الاماء والعبيد عن طريق هدايا البايات إلى جانب هدايا أخرى مثلما فعل باي قسنطينة⁴.

ج- الاقامة الأولى للاسيرات في مدينة الجزائر :

بعد إلقاء القبض على النساء المسيحيات وأسرن يتم إحضارهن إلى المدينة، تصف إحدى الأسيرات الإنجليزيات حالتهم وهم مقتادون إلى أماكن إقامتهم الجديدة بعد الأسر: " لقد أنزلونا (الجزائريون) على

¹ - ماريا تيرميتلين : إثنا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب (1731م-1743م) ،ترجمة: وتقدم بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، الامارات العربية، د.ت، ص ص 25-26-27-28.

² - ماريا تيرميتلين : نفسه ، ص ص 25-26-27-28.

³ - مولاي بالحيمسي: غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (1541م-948هـ) بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية، في مجلة الاصاله، السنة الثانية، العدد الثامن، الجزائر، ربيع الثاني /جمادى الأولى 1392هـ/ماي-جوان 1972م ، ص 108.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ،تقدم وتحقيق محمد بن عبد الكريم ،ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1981م ،ص 41 .

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

ساحل رملي... مغطا بآلاف الجزائريين، الذين كانوا يصرخون ويهتفون... مشينا حوالي ميل في الرمال، وأمamana فرقة موسيقية تعزف... وفي الطريق تشوشنا بصراخ النساء (زغاريد) من على أسطح البيوت، اللاتي فاجأني كثيرا، حتى طريقة للتعبير عن الفرح بقدوم النساء المسيحيات"¹.

يتم نقل الأسيرات إلى الإقامة التي خصصت لهن وعين شيخ لبلد للاشراف عليها فيتولى رعايتهن ويحرص على راحتهن ،ويوفر لهن كل ما يحتاجونه من أغذية وألبسة وغيره ،وهذا ماتؤكدده الأسيرة الهولندية يقولها: "حظيت بعناية قبطان السفينة، التي وقعت في أسرها " ، تبقى الأسيرات في إقامتهن في إنتظار عملية إفتداءهن من قبل دولهن ،وبعد تأخر عملية الافتداء أو تماطل دولهن يتم توجيههن إلى سوق الأسرى من أجل البيع"².

د-الأسيرات في سوق العبيد:

يتم نقل الأسيرات إلى سوق الأسرى، الذي يتميز بساحته المستطيلة محاطة بسياج وبه مجموعة من الحوانيت خصص بعضها للبيع الأسيرات ،اللواتي لم يفرق بين إنتماءتهن الطبقية سواء فقراء أو أغنياء إلى جانبهم حوانيت أخرى مخصصة لبيع مختلف الحيوانات، مثل: الجمال والبغال والحمير والمعز وغيره"³.

كما شكّلت هذه الأسواق قبلة الكثير من الجزائريين ،الذين يتجهون إليها من أجل شراء أسيرة أو بعض الأسيرات ،لتسخيرهن للقيام بالواجبات المنزلية ومساعدة سيدتها ربة البيت في مختلف الأمور،وبالتالي تحافظ السيدة على سلامتها الجسدية والنفسية ،وذلك بابتعادها عن مختلف الواجبات

¹- Khalid Beukkaoui: Whit Wemen Captives In North African Narratives Of Enslavement(1735-1830)Wk.Palgrave Macmillan .2010. P02 .De Tassy. Laugier : Histoire D'alger Et Du Bombardement De Cette Ville En 1816. Deusceme Edition .Piltan Librairie.Paris.1830. 228-229

وينظر: ماريا تيرميتلين: مصدر سابق، ص34.

² - De Tassy. Laugier:Histoire D'Alger Et Du Bombardement De Cette Ville En 1816. Deusceme Edition .Piltan Librairie.Paris.1830 . 228-229 .

وينظر: ماريا تيرميتلين: مصدر سابق، ص34

³ - Fernand Braudel:Méditerne Et Le Monde Mediterranée A Lépoque Du Phillippe.T2.P247 ، Tyler Royall :Calebe Crain The Algerin Captive Or The Life And Adventures Of Doctor P Updika .Underhill Sisc Years A Prisoner Among The Algerines New York Modern Library .2001.P117-118.

وينظر : منور مروش:مرجع سابق ، ج2، ص146-432.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الأسرية التي تتولى خادمتها القيام بها ، وقد يتم شراء الأسيرة من أجل التسري كما سنرى لاحقا أو غيره من الأمور¹.

وحسب ما ذكره الأب بيار دان والأسير الانجليزي جوزيف بيتز، بأنه في أثناء عملية شراء الأسيرة فإنها تتعرض لبعض الاهانات الجسدية من طرف المشتري، الذي كان يقوم بإجراء بعض الملاحظات على جسدها قبل شراءها" يتفحصون الأتداء والأيدي والحدود والجهة والأسنان"²، ويذكر الأسير الانجليزي جوزيف بيتز " بأن التجار ربما يدخلون أصابعهم في فم المرأة وأحيانا يضغطون على ثديها ويتأكدون من عذريتها"³.

إختلفت أسعار الأسيرات باختلاف المعايير فلكل معيار تتميز به الأسرة سعر خاص تمثلت هذه المعايير فيما يلي: العدرية ، الحرفة التي تتقنها ثم المعيار الاخير وهو الجمال ، الذي بدوره خصص له مجموعة من المعايير تمثلت في : لون البشرة ، الوزن ، فالأسيرة السمينة حدد ثمنها 150 دولار إسباني أي ما يعادل 32 جنيه إسترليني ، والأسيرة ذات البشرة البيضاء حدد سعرها 86 دولار أي ما يعادل 18 إسترليني وأحيانا يقدر ب 357 دولار أي ما يعادل 75 إسترليني⁴.

أما الزنجية (ذات البشرة السوداء)، فقد حدد بحوالي 500 بوجو⁵، وفي القرن 18م تراوح سعر الاماء ما بين 208 ريال في سنة 1202هـ / 1787م إلى 403 ريال في سنة 1207هـ / 1792م⁶.

¹ - وينظر منور مروش: مرجع سابق ، ج2 ص 253. وينظر:

Fisher Sir Godfrey: Légende Barbaresque : Guerre, Commerce Et Piraterie En Afrique Du Nord De 1445 A 1830, Trad. Et Annoté Par Farrida Hallal, Office Des Publications Universitaires, Alger - 1991, P153.

² - عبد اللطيف بالطيب : أمير البحر مراد رابيس الأصغر الجزائري من الجزائر إلى إيرلندا ، دار النعمان للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2014م ، ص 158.

³ - عبد اللطيف بالطيب ، مرجع سابق ، ص 158

⁴ - نفسه ، ص 160.

⁵ - M.Rozet: Voyage Dans La Regence De Alger.Op. cit. P138 Et Pierre Boyer La Vie Quotdienne : Op. cit. P166

⁶ - سجل مخلفات ، رقم 2 نقلا بوردريعة : مرجع سابق ، ص ص 80-74.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

ما يلاحظ في سوق الأسيرات بأن أهم معيار حدد هو معيار العدرية ثم حرفة اليدين وأخروا معيار الجمال، لأن أغلب الجزائريون كانوا يسارعون إلى شراء الأسيرة التي تتقن حرفة معينة، ولهذا فقد كان ثمنها باهظا مقارنة بسعر الاخريات¹.

إن إنسانية تاجر الأسرى الجزائري وشفقته عليها، جعلته يحرص على بيع أفراد العائلة المأسورة مجتمعين، وخاصة الأم الأسيرة مع أطفالها، لإدراكه عمق ما ستعانيه من فراق لأبنائها أو الاطفال الصغار بعد فراق أمهم، وكل هذا راجع إلى تشبع تاجر الأسرى بالقيم والاخلاق الاسلامية، فلقد ورد في الشريعة الاسلامية قصة الأسيرة وطفلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فيها : أتى أبو أُسَيْدٍ الأنصاري بسبي من البحرين فَصُفُّوا، فقام رسول الله فنظر إليهم؛ فإذا امرأة تبكي؛ فقال: "ما يُبْكِيكَ؟" فقالت: بيع ابني في بني عبس؛ فقال رسول الله لأبي أُسَيْدٍ: "لَتَرْكَبَنَّ فَلَ تَجِيَنَّ بِهِ". فركب أبو أُسَيْدٍ فجاء به².

ولهذا كان التاجر حريصاً على بيع الأمهات الأسيرات مع أطفالهن، ومن أبرز الأمثلة ما حدث مع الأسيرة ماري إيمويت (Mary Emmett) ، التي تم بيعها مع ولديها، وبريجيث راندال (Bridget Randall)، التي بيعت مع ولدها. وأحياناً تُباع الأسيرة مع زوجها لشخص واحد، كما حدث مع الأسيرة فيبرا (Fibra) وزوجها جوزيف (Joseph) ، اللذين اشتراها محمد شلي معاً. لكن بعض الأوربيين أنكروا هذه الممارسات، قائلين: "عادة ما كان يُفصل الولد عن أمه وعائلته، وهو ما يظهر قسوة الذهنية الإسلامية آنذاك وتشبعها بكرهية الآخر ولو على حساب الإنسانية". ويذكر دان (Dan) عن أسيرات بالتي مور في الجزائر: "فتيات صغيرات فُصلن عن أمهاتهن وهن يضرخن، ورجال يقاومون بلا جدوى أثناء بيع نسائهم لرجال آخرين"³.

ويمكن أن نبرر هذه التصرفات، وهي حالات إستثنائية بالقدرة الشرائية للبعض الجزائريين الذين لم يتمكنوا من شراء الأسيران معا أو شراء المشتري للأسيرة وحدها هو من أجل تقديمها لخطيبته مع

¹ - عبد اللطيف باطيب :مرجع سابق ،ص158.

² - الحاكم (6193)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ورواه سعيد بن منصور في سننه (2654).

³ - عبد اللطيف باطيب:مرجع سابق، ص157.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الصدّاق، فنحن نعلم أن من أساسيات الصدّاق هو تقديم أمة لخدمة العروس وغيره من الأسباب، وليس بسبب حقد ديني كما زعم صاحب الرواية .

هـ- الأسيرات وعملية الافتداء:

ظهرت في مدينة الجزائر مجموعة من منظمات أوروبية لإفئداء الأسرى، رجالاً ونساءً، حيث تتولى هذه المنظمات عملية الافئداء وتكون وسيطاً بين أسرة الأسير، التي توفر مال الافئداء، ومالك الأسير. وما يلاحظ أن سعر الأسيرة كان مرتفعاً مقارنةً بسعر الأسير، ويعود ذلك إلى رغبة الأسرة في إعجاز نفسها على تحريرها، خاصة وأن الإقبال على شرائها كان كبيراً نظراً للمهام التي تؤديها، مثل خدمة الحرم أو الاستغلال في الإنجاب، خصوصاً عند الامتناع عن التعداد كما ذكرنا سابقاً، الذي يكون ممنوعاً. ورغم توفير مال الفدية، هناك أسيرات رفض سيدهن تحريرهن، مثلما حدث مع الأسيرة الإسبانية دورتي (Dorothea)، التي وقعت في الأسر لدى أحد البحارة الجزائريين سنة 988هـ / 1580م، فباعها في سوق الأسرى، فكانت من نصيب أحد اليولداش، الذي فتن بجمالها ورفض منحها حريتها رغم إصرار عائلتها على المطالبة بها، مما أدى إلى مشاكل واضطرابات كبيرة بين الطرفين. وفي المدن المجاورة لمدينة الجزائر، مثل بجاية وعنابة، تمكنت بعض الأسيرات من الوصول إلى قنصله دولهن وطلب تحريرهن¹. ففي سنة 1132هـ / 1719م، لجأت ابنة السيدة بورك، التي أسرت في بجاية بعد تحطم السفينة التي كانت على متنها وأسر من كان فيها من الركاب، إلى القنصل طالبةً منه التحرير، فقام القنصل بالاتصال بالداي لاستعطافه لإصدار قرار بمنح الأسيرة حريتها، فقام الداي بالاتصال بأحد مرابطي بجاية وصاحب السلطة الروحية في المنطقة، فلبى المرابط طلب الداي ومنحها حريتها. وكذلك بالنسبة لماريا مارتين

¹ مولاي بالحيمسي: الجزائر والغزو البحري، مرجع سابق، ص 18 Heather Dugmor: the white salves of Africa

heatherdugmoure.co za et Acha. B, Remarkable shipwrecks or a collection of interesting accounts of naval disasters, with many particulars of the extraordinary adventures and sufferings of the crews of vessels wrecked at Sea, and of their treatment on distant shores, together with an account of the deliverance of subibors, Hartford, published by Andrus and Starr, 1823, pp.16-23-24

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

(Maria Martin) الإنجليزية، التي أسرت بعد تحطم السفينة قرب سواحل تنس، فسارع القنصل إلى تحريرها¹.

و- مكانة الأسيرة عند الأسرة الجزائرية :

قبل التطرق لوضعية الأسيرة في مدينة الجزائر، لا بأس بذكر مجموعة من الأحاديث النبوية، التي سعت لصون وحفظ كرامة الأسيرة، وخاصة وأن مجتمع مدينة الجزائر خلال هذه الفترة مجتمع محافظ متشبث بتعاليم الدين الاسلامي وحريص على تطبيقها .

ولأن الإسلام حث المسلمين على ضرورة الحرص على سلامة الأسرى نساء ورجالا، فألزم كل سيد على توفير ظروبيات الحياة لعبده أوامته من أكل وشرب ولباس ومسكن والتعليم وغيره²، وحرّم عليه أذية عبده أو أمته كأن يقوم بتشويهها أو ضربها حتى تصاب بعاهة جسدية كما حرم عليه قتلها³، وسنحاول أن نرى مدى التزام أرباب الأسرى بمدينة الجزائر بما جاء في السنة النبوية من تعاليم في حق الاماء .

ما حظيت الأمة في مدينة الجزائر بمختلف حقوقها الطبيعية، وتمتعت بنفس الحقوق التي تتمتع بها المرأة الحرة، ولم تختلف عنها إلا في كون الأولى كانت أسيرة والثانية حرة، فعاملتها الأسرة الجزائرية معاملة إنسانية، وصُيّن شرفها رغم الاختلاف الديني، إذ التزمت بضوابط المجتمع والأسرة التي تقيم عندها، مطيعة لأوامر سيدها، ولم تُجبر على التخلي عن دينها. وربما كانت هذه المعاملة شاهداً للأوربيين الذين

¹ -مولاي بالحميسي :الجزائر والغزو البحري، مرجع سابق، ص18 وينظر : Heather Dugmor: the white salves of Africa heatherdugmoure.co za et Acba. B, Remarkable shipwrecks or a collection of interesting accounts of naval disasters, with many particulars of the extraordinary adventures and sufferings of the crews of vessels wrecked at Sea, and of their treatment on distant shores, together with an account of the deliverance ..of subibors, Hartford, published by Andrus and Starr, 1823, pp.16- 23-24

² - أرزقي العربي أبرياش:مرجع سابق ، ص278.

³ - نفسه.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وجدوا في المدينة ونقلوها إلى مجتمعاتهم الأوروبية، مثلما فعل فيلهام شيمبر (Vilhelm Schimper) ، الذي تحدث عن أسيرة سويدية "عاشت في الجزائر مكرمة ومبجلة"¹ .

ولهذا لم تتعرض أغلب الأسيرات بعد عملية الافتداء وعودتها إلى أوطانهم إلى التهميش والاحتقار بل عاملوهن وكأنهن لم يتعرضن للأسر وتم دمجهن من جديد في المجتمع ،ومن شدة الثقة في شرفهن يتقدمون للزواج منها حتى من طرف أبناء الطبقة الراقية في المجتمع² .

ويمكن القول بأن الأسيرات المسيحيات حظين بمختلف الحقوق، وإن عوقبن فذلك نتيجة تمردهن على أسيادهن فوضعتهن كانت أحسن حالا من وضعية الأسيرة الجزائرية في البلاد الأوروبية³ كما سنرى لاحقا.

إن أغلب الأسيرات المسيحيات أعجبن بالمعاملة الإنسانية التي حظين بها، مما دفعهن إلى اعتناق الإسلام والبقاء للعيش في مدينة الجزائر بدل العودة إلى بلادهن، حتى لو تمكن من الحصول على أموال لافتداء أنفسهن أو استفدن منها عن طريق أسرهن أو منظمات الافتداء، وخاصة بعد الإقامة الطويلة في المدينة واندماجهن مع ثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده. ففضلن الزواج بأحد رجال المدينة على العودة بعد اعتناقهن للإسلام حتى تحظين بحقوقهن الزوجية، مثلما جاء في قصة زوجين أسيرين عاشا في مدينة الجزائر، وهما فيبرا (Fibra) وزوجها جوزيف (Joseph). وأهم ما جاء فيها: أن جوزيف (Joseph)، الزوج الأسير، تمكن من افتداء نفسه ونيل حريته وعاد إلى وطنه من أجل جلب المال لافتداء زوجته أيضًا، ولما عاد من أجل تحريرها رفضت الذهاب معه وأصررت على البقاء مع سيدها محمد

¹ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص 228 ، وينظر: عبد اللطيف بالطيب: مرجع سابق، ص 129، وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 99-100-101. وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م-1830م) ، مرجع سابق ، ص 68. وينظر أبو العيد دودو: الجزائر في عيون الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 9. وينظر:

W.Shaler: Esquisse De Letat Dalger W Shaler, Esquisse De L'état d'Alger, Considéré Sous Les Rapports Politiques Historique Et Civil, Librairie L'advocat, Palis Royal, Paris 1830. Parker Kenneth: Reading Barbary In Early Modern England, 1550-1685. The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004.P95.

² نفسه.

³ - Bennassar Bartolome:Op. cit. P289

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الشلي، معتقدة بالإعجاب وحب سيدها واعتناق الإسلام. وقد فسر بعض المؤرخين رفضها العودة مع زوجها بأنه نتيجة الصدمة بعد رحيل زوجها، أو نتيجة التأثير العاطفي الذي شكّله لها سيدها، أو لأن سيدها قد وقع في حبها بعد رحيل زوجها فأعجبت به وأعلنت البقاء واعتناق الإسلام ربما من أجل الزواج به¹.

ولعل مانفسره ببقاء أحد الزوجين الأسيران معا في المدينة وفضل الزوج البحت والعمل في المدينة من أجل جمع مال ينفقه على أسرته²، بدلا من جمع المال لافتداء نفسه والرحيل إلى بلده ربما خوفا من مصيرهم المجهول بعد رحيله أو تغير الأحوال بعد تركهم بمفردهم حتى ولو كان لجمع المال وتحريرهم . حظيت الأسيرات الأوربيات في مدينة الجزائر بإهتمام رجال مدينة الجزائر، وخاصة رجال الطبقة الحاكمة، حتى أنه تم تصنيفهن ضمن الطبقة الأولى في طبقات الأسرى، وذلك بفضل ماتمتعن به من جمال وإنتمائهن للجنس الأوربي، الذي كان يفتخر بنفسه ويعتبر بأنه رمز التحضر، ففي مقولة لمجلان سنة 928هـ / 1521م إلى زعيم الفلبين : "نحن العرق الأبيض أصحاب حضارة"³.

وعلى النقيض من ذلك، نجد الأسيرات الزنجيات اللواتي إحتلين طبقة الدنيا مقارنة بهن ، ولكن هذا لاينفي أن بعض أفراد الطبقة الحاكمة من فضل الأسيرات الزنجيات ،ففي رسالة لعبد الله صندوقي بأزمير لأحد موظفي الجزائر يطلب منه أن يشتري له أمتين زنجيتين يحسنان اللغة العربية وتعهد له بأنه سيدفع المبلغ مهما كان ثمنهما⁴.

¹ - Op. cit.P365et Bennisser Bartlome:Op. cit. P289 ; Khalid Beukkaoui Et Henry Barnby :The Sack Of Baltimore Cork Historical And Archeological Society July –December.Vol Xxiv .No22 . 1969 . P122.

² -H.G.Barnby :The Prisoners Of Algiers An Account Of The For Gotten American Algerian War 1785-1797.London Oxford University Press –New York Toronto .1966 .Pp8-10 .

³ -ينظر مجموعة 3198 قسم 287 .

Aurélia Martin Casares: Esclavage Féminin : Femme Maghrébine À Grenada Au Xviiième Siècle, In, Colloque Histoire Des Femmes Au Maghreb, Culture Matérielle Et Vie Quotidienne, Ed. Centre De Publication Universitaire, Tunis, 2000, P P. 77-87.

وينظر: محمد السيد أشرف صالح: أصول التاريخ الاوربي الحديث، ط1، دار واتا للنشر والتوزيع، د.ب، 2009م، ص 83.

⁴ -ينظر مجموعة 3198 قسم 287 .

Aurélia Martin Casares: Esclavage Féminin : Femme Maghrébine À Grenada Au Xviiième Siècle, In, Colloque Histoire Des Femmes Au Maghreb, Culture Matérielle Et Vie Quotidienne, Ed. Centre De Publication Universitaire, Tunis, 2000, P P. 77-87.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أما من الناحية الدينية ، فقد سمح لها بالبقاء على دينها مع محاولات في ترغيبها على إعتناق الاسلام، ولكن أغلب الأسيرات فضلت التثبت بدينها، مثلما ذكرت الأسيرة الهولندية ،التي تعهدت بتثبيتها بدينها المسيحي والموت عليه بدلا من الارتداد وإعتناق الاسلام: "الموت أهون علي من أن أصير مسلمة... وكانت لدي رغبة كبيرة في أن أسلم للموت كشهيدة في سبيل الايمان بالهننا المسيح"¹.

ز-لباس الإماء :

تمثل لباس الأسيرات الأوروبيات سواء كبيرة أو صغيرة في ملابس شبيهة بملابس التركيات ربما هي بعض الألبسة التي قدمتها لها سيدتها ، و في الغالب عبارة قديمة لم تعد بحاجة إليها وتخلصت منها عن طريق منحها لآمتها، أما الامة الزنجية في قميص له أكمام عريضة وسروال يصل إلى منتصف الساقين وتغطي أسفل الجسم بفوطة مخططة و تزين أذنيها ويدها بمجموعة من الحلبي النحاسية أو حديدية من الخواتم وقلادات وأساور أما الحذاء فهو بوشا بسيط وكان لباسها في الشارع عبارة عن حايك ذو لون أزرق مثل زرق السماء مزين بمربعات أو أشرطة ، ولكن رغم حصول الامة على ملابس من سيدتها إلا أنها لم تمنع من حقها في شراء ملابس جديدة والاهتمام بمظهرها،ولهذا عثر على أمة أنفقت ما قيمته 1094 ريال من أجل إقتناء أجمل وأفخر الملابس،وهذا يدل على الحرية المالية التي تمتعت بها الأمة كما نلاحظ بأن بعض الاماء أنفقن مالا باهضا من أجل أناقتهن على عكس بعض نساء الحرفيين أو البرانيات أولم يكثرن بالانفاق على الملابس لاعتقادهم بأنها تعد من الكماليات التي لا حاجة لهن بها².

ج-نشاطهم داخل البيوت الجزائرية:

وينظر: محمد السيد أشرف صالح: أصول التاريخ الاوروي الحديث، ط1، دار وانا للنشر والتوزيع،د.ب، 2009م، ص 83.

¹ - ماريا تيرميتلين: مصدر سابق، ص 48-49.

² - شريفة طيان: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الاثار، جامعة الجزائر، 1990م-1991م، ص166.

Robert .C.Davis:Esclaves Chrétiens Maitres Musulmans (L'esclavage Blance En Méditerranée 1500-1800) Traduit De L 'Anglais (États-Unis). Par M Anuel Tricoteaux. Editions Jacqueline Chambón 2006.P178.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

تميزت الإماء الزنجيات اللواتي كان يتم جلبهن في الغالب من السودان في إتقان بعضهن اللغة العربية، ولعل أهم ميزة تميزت بها هؤلاء الاماء والتي دفعت الأسر الجزائرية على شرائهم، هي الصفات الخلقية التي كانوا يتميزون بها الأمانة والاحلاص وعدم إفشاء أسرار البيوت والوفاء لاسيادهم فرغم عتقهن كانوا لا يقطعون صلتهم بأسيادهم حتى ولو رحلوا من بيت سيدهم او سيدتهم¹.

وهذا ماجعل بعض الجزائريين يسمح لأمتة بارضاع طفله، يضاف إلى هذا ماتميزوا به من صفات جسدية تمثلت في القدرة الحركية والنشاط أثناء اداء الواجبات المنزلية وماتميزو به من لباقة عند مناداتها لسيدتها والترحيب بالضيوف ويقتصر نشاطها داخل بيت سيدتها بل شمله إلى خدمة سيدتها حتى خارج بيتها وذلك بالتوجه إلى الاسواق وإقتناء حاجيات لها أو مرافقتها إلى الحمام لخدمتها بداخله². ورغم فقدان الامة لحريتها ورغم الاختلاف الديني وتشبث بعضهن بدينهن على إعتناق الاسلام إلا أن القضاء الجزائري كفل لها حقوقها التي أقرتها الشريعة الإسلامية وسمح لها بمقاضاة سيدها.

ط-مقاضاة الأسيرة لسيدها:

حرصت أغلب الأسر الجزائرية على تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية إتجاهها إماءهم وعبيدهم ولهذا كما ذكرنا سابقا حضيت أغلب الأسيرات بالمعاملة الانسانية "...فالنساء في الغالب لا يتم ضربهن أو جلدهن .."، ولكن ظهرت حالات إستثنائية من طرف بعض الأسياد، الذين قاموا بمعاقبة أسيراتهم بأعنف وأشد العقوبات رغم بساطة الأخطاء المرتكبة من طرفهن و التي لا تستحق العقاب، فسمح لها بالدفاع عن نفسها وذلك بمقاضاة سيدها برفع شكواى ضده إلى المحكمة، وكان القاضي يصغي للطرفين بدون تمييز في كونها أمة ضد سيدها بل كان ينصت لهما بكل موضوعية، فینصت لها مثل بقيت النساء اللواتي يتمتعن بحريتهن، وإن تأكد من صحة إدعائها وظلمه لها، فإنه ينصفها و يسترجع لها حقوقها، وفي أغلب الأحيان كان القاضي يلزم سيدها بظرورة عتقها في حالة تأكده من تعرضها

¹ - سعود تركي بنیان: مرجع سابق، ص 236. وينظر: Pierre Boyer La Vie Quotdienne: Op. cit P167.

² - عبد الإله بنمليح: مرجع سابق، ص 375-376. وينظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص

33. وينظر: م ش ع 3 و 94. وينظر: سعود تركي بنیان، مرجع سابق، ص 236.

Pierre Boyer La Vie Quotdienne: Op. cit P167. Et. C.A.Rozet: Voyage Dans La Regence D'Alger . Op. cit.P138

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

لعنف جسدي أدى إلى ظهور آثار على جسدها، وإذا ثبت عكس ماذكرته وكانت إتهاماتها باطلة لسيدها أو لم تتلزم بأوامر سيدها وتمردت عليه فكانت أمة عاصية في هذه الحالة تتعرض لأشد العقوبات مثلما حدث مع الأسيرة ماري فالنات، التي تصف طريقة تعذيبها بعد صدور قرار التعذيب من الباشا في حقها، وربما تكون قد إرتكبت خطأ كبيرا استحق هذا الجزاء تذكر " .. بعد وصولي إلى غرفة التعذيب، وجدت أربعة أتراك تم اختيارهم، لتنفيذ أوامر الباشا، قاموا بتجريدي كليًا من ملابسي واحد من هؤلاء الوحوش أمسكني من شعري، وفي نفس الوقت أمسكني آخر من رجلي، وقاما بطرحي على الأرض فوق آلة مرعبة، تحتوي رماح أو مسامير، بعدها بقليل اخترقت جلدي حتى ظهرت العظام...¹ وتضيف أيضا " .. لقد كان يتم إجبارنا مرارا على نزع ملابسنا من أجل أخطاء صغيرة، ومن ثم الوقوف داخل نار متأججة، حتى تتفرح أجسادنا بالكامل تقريبا، وفي مرات أخرى يتم إجبارنا على الوقوف فوق الجمر"².

هذه بعض أنواع العقوبات التي تتعرضت لها المرأة الأسيرة المسيحية في حالة عصيانها للأوامر.

ي- الأسيرة والزواج :

اعتقدت بعض الأوروبيات أنهن بوقعهن في الأسر عند القراصنة، فأنهن يتعرضن للاغتصاب، ولهذا كانت تفضل الموت على الأسر³ ولكن الواقع فند توهماتهن.

¹ - عبد الجليل التميمي: عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بإيالة تونس، من الحياة الاقتصادية للولايات . العربية ومصادر وثائقها بالعهد العثماني، الجزء 1، الجزء 2، تونس، 1986، ص 592 وينظر :

Bennassar Bartolome :Op. cit.P290 Daniel Panzac: Barbary Corsairs, The End Of A Legend 1800-1820. Tr Victoria Hobson. LEIDEN: Brill. 2005., P.16 Et Mary Velnet: An Affecting History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs . Mary Velnet, An Italian Lady, Who Was Seven Years A Slave In Tripoli, NY: Alden Spooner 1806.Pp22-55et Maria Martin : A History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs. Maria Martin Who Was Six Years A Slave In Algiers, P.Hiladelphia: Rakestraw, 1809, P.86 .

² - عبد الجليل التميمي: عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بإيالة تونس، من الحياة الاقتصادية للولايات . العربية ومصادر وثائقها بالعهد العثماني، الجزء 1، الجزء 2، تونس، 1986، ص 592 وينظر :

Bennassar Bartolome :Op. cit.P290 Daniel Panzac: Op. cit, P.16 Et Mary Velnet: An Affecting History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs . Mary Velnet, An Italian Lady, Who Was Seven Years A Slave In Tripoli, NY: Alden Spooner 1806.Pp22-55et Maria Martin : A History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs. Maria Martin Who Was Six Years A Slave In Algiers, P.Hiladelphia: Rakestraw, 1809, P.86..

³ - ماريا تيرميتلين: مصدر سابق، ص29-31.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

إن وقوع المرأة المسيحية في الأسر وفقدانها لحريتها حتى أصبحت عصمتها بيد سيدها لم يجرمها حق الزواج وتكوين أسرة ، فالشريعة الاسلامية كفلت لها حقها بحق للامة الزواج ، ومنحتها مختلف حقوقها التي تترتب عن الزواج .

1-1- مراسم الزواج الأمة :

ألزمت الأمة في مدينة الجزائر على تتبع أركان الزواج الاسلامي الصحيح ، ولهذا نجد :

1-1-1- الولي :

يتم خطبة الأمة من وليها، الذي حددته السلطة الجزائرية بسيدها ، لأنها أصبحت مملوكة عصمتها بيده ، ولا يسمح لها بالزواج إلا بموافقة حتى أن بعض الفقهاء من إعتبر زواجها باطلا إذا لم يوافق سيدها على زواجها "لانكاح لعبد ولا أمة إلا بإذن السيد" .

وبعد الموافقة يتولى سيدها إستلام المهر من الخطيب وتجهيزها للعرس ، ليعقد قرانها وفق العقد الشرعي في المحكمة، فنتيجة لغياب وليها وأقربائها بسبب وقوعها في الأسر وفقدانها لحريةها في بلد غير بلدها فقد حدد وليها بسيدها¹ .

1-2-2- الصداق :

استفادت الامة كغيرها من النساء من حقها في الصداق، فنجد على سبيل المثال كالي صداق أمة قدر ب68 ريال وأمة أخرى قدر كالي صداقها 50 ريال وأمة أخرى قدر كالي صداقها 45 ريال وأمة أخرى كان كالي صداقها 40 ريال وأمة أخرى كان كالي صداقها 39 ريال ونجد كالي صداق أمة قد قدر ب27 ريال وقل كالي صداق أمة قد قدر ب18 ريال وغيرهن² .

¹ - محمد الأمين الشنقيطي: نظام الرق في الإسلام، قدمه وعلّق عليه الشيخ عطية بن محمد سالم، دار الصفا، مكتبة الأوس، الزقّائق، المدينة المنورة، ص 39-40. وينظر: محمد بوشنافي، مرجع سابق، ص 536؛ م ش ع 108-109 و60؛ م ش ع 108-109 و53 نقلاً عن محمد بوشنافي، مرجع سابق، ج2، ص 542. وينظر: عبد الإله بنمليح، مرجع سابق، ص 278-280-282؛ عبد الوهاب خلاف، مرجع سابق، ص 59 و130؛ بدران أبو العينين، مرجع سابق، ص 130.

² - الوثيقة 134 والوثيقة ص 121. وينظر: الوثيقة رقم 46، والوثيقة 189، والوثيقة رقم 110، والوثيقة رقم 79. وينظر: الوثيقة 133، والوثيقة 92. وينظر: ع3 س8 و192، وع4 س11 و229، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، صص 184-185.

² - بنبان سعود تركي: مهن وحرف الرقيق في شرقي افريقيا (1806م-1897) مجلة دراسات أثرية، العدد 02، الجزائر، 2008م، ص 239.

3- الجماعات المتمازجة مع الاماء:

إن الجماعات ،التي تتصاهرت معها الأمة فكانت جماعة العبيد فقط،وكان في بعض الاحيان يتولى أحد الأسياد تزويج عبيده بإمائه حتى يضمن بقاء إمائه وعبيده عنده خاضعين لسلطته¹ وربما للاكثار من نسبة العبيد عنده ومن هؤلاء نذكر: زواج مهدي مملوك نعمان خوجة ،الذي تزوج بالمبملوكة فاطمة أمة زوجة النعمان ، التي وكلت الحاج محمد في الولاية على أمتها والاشراف على تزويجها من مملوك زوجها وتم عقد قرانهما ومراسم زواجهما ليظلا مقيمان بعد زواجهما في بيت سيدهما² ، كما كفلت للاماء حقوقها الأخرى من نفقة والطلاق إذا صعب عليها إستمرار العشرة الزوجية³.

4- طلاق الامة :

رغم فقدان الامة لحريتها وخضوعها لسلطة سيدها ،ولكن بمجرد زواجها لا يحق لسيدها أن يطلقها من زوجها أو يأمر زوجها العبد بتطليقها إلا برضاها ، فلقد جاء في المذهب المالكي : " الطلاق بيد العبد دون السيد ... " وايضا " ...لا ينبغي اذا زوج الرجل جاريتة عبده أن يطأها لان الطلاق والفرقة بيد العبد إذا زوجه مولاه وليس لمولاه أن يفرق بينهما"⁴.

وكغيرها من النساء قد يصعب على الزوجان إستمرار العشرة الزوجية بينهما ، فنتهي علاقتهم بطلاق ومن هؤلاء نذكر: سعادة مملوكة نفسة بنت الصباغ التي طلقها زوجها مبارك معتق العربي الغسال⁵.

5- نكاح الأسياد للجواري :

ويمكن للسيد أن ينكح أمته إذا أعجب بها أو أراد التعدد وبدون عقد زواج فهي مملوكته ويحق له أن ينكحها ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ

¹ - بنيان سعود تركي: المرجع نفسه، ص 239

² - م ش ع 108-109 و60. نقلا عن نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ /1710م-1830م) ،مرجع سابق، ص127.

³ - Helgason, Thorstein: Historical Narrative As Collective Therapy: The Case Of The Turkish Raid In Iceland Scandinavian.Journal Of History. Vol.22. 1997.P283

⁴ - عبد الاله بنمليح : مرجع سابق،ص289.

⁵ - ع52، م5، ق158، سنة 1243هـ، وينظر: ع2/20، م5، ق30، سنة 1243هـ، وينظر: م ش ع 20 و237. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 205.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

النِّسَاءِ مَثْنِي وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ إِلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾
[سورة النساء الآية 3]

و قوله عز وجل ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُرُونَهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُّسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ [سورة النساء الآية 25]، وقوله عز وجل: ﴿إِنْ حِفْتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النَّسَاءِ مَثْنِي وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ حِفْتُمْ إِلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [سورة النساء الآية 03].

ولهذا قام الكثير من الرجال أصحاب المناصب الهامة بمدينة الجزائر من عثمانيين وغيرهم، الذين لم يستطيعوا التعدد إلى نكاح الامة بعد موافقتها و لا تجبر على قبول نكاح سيدها رغم عصمتها بيده¹. من هؤلاء نذكر أنّ خير الدين بَرَبْرُوس قد تزوّج من أمته ماري دي غايتانو (Marie de Gaétano)؛ والتي نعتقد أنّها هي التي قصدها منور مَرُوش في كتابه عندما أخبرنا بأن خير الدين بَرَبْرُوس قد تزوّج من ابنة ديبغو غايتانو (Diego de Gaetano)، حاكم مدينة ريجيو الإسبانية؛ وكانت لحماها الخارق، وكهدية لزواجها كافأها بإطلاق سراح عائلتها؛ وكان محمد شريف قد تزوّج من أسيرته؛ ونجد أنّ أمة الحاجّ حُسَيْن قد تزوّجت بسالم، وسيدي هلال، والحاجّ حُسَيْن صالح، وبوعمامة، والبراق، وعبد بن الطالب².

ولكن بعض الأسيرات رأت في النكاح انتهاكاً لشرفها؛ مثلما حدث لابنة أوربان العاشر (UrbanX)، التي تُعدّ من نساء الطبقة الحاكمة في أوروبا وتتمتع بمكانة مرموقة؛ ولكن بعد الأسر

¹ جون بول وولف: مرجع سابق، ص ص 160-171. وينظر: Miriam Lapez Rodriguez : Maria Dolers .

American.Theatre. Carrion Women's Contribution Nineteenth.Century.2004.

² ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 58. وينظر: جون بول وولف: مرجع سابق، ص 228. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص

82. وينظر: منور مَرُوش: مرجع سابق، ج 2، ص 107. وينظر: بيت المال والباليليك، سجل رقم 19، نقلاً عن بودريعة: مرجع

سابق، ص 78.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

تحوّلت مكانتها إلى أمةٍ عند داي الجزائر، إذ اشتراها من تاجر الأسرى الإيطالي؛ وتعرّضت لِلوْطِءِ كما جاء في الذّكر: «وُضِعَت ابنةُ البابا، في سن الخامسة عشرة فقط، والتي في أقلّ من ثلاثة أشهر سقطت في الفقر والعبودية، واغتُصِبَتْ كلَّ يومٍ تقريباً»¹.

وبالرغم من المكانة التي تحظى بها الأمة بعد زواجها من سيّدها، إلّا أنّ أغلب الأسيرات - حسب أسيرٍ أوروبي يُدعى توماس (Thomas) - كنّ يُفضّلنّ الزواج من مسيحيين؛ ولهذا كنّ يُقِمْنَ علاقاتٍ غير شرعيةٍ مع هؤلاء رغم كونهنّ مُتزوّجات؛ ويؤكّد ذلك من خلال ما حدث له مع أسيرة ألمانية كانت زوجةً لأحد باشاوات الجزائر لم يذكر اسمه، إذ أقامت علاقةً غير شرعيةٍ معه، ويقول توماس: «.. أنجبت طفلة جميلة، بيضاء مثل البياض نفسه؛ كان يعتقد الرجلُ الممسّك أنّه أبوها...»؛ وهذا تصريحٌ منه بأنّ علاقتهما أدّت إلى ارتكابِ الزّنا².

وربما نُفسّر هذا التصرف في كونها كانت مجرد أمةٍ عند سيّدها، وأنّ نكاحه لها كان غصْبًا عنها أو كان بإرادتها للتخلّص من حياة العبودية؛ ويقول جون بول وولف (John Paul Wolf): «إنّ وقوع المرأة في الأسر يُؤدّي إلى انهيارها ووقوعها في سجنٍ مُرعب، سجنٍ نفسيٍّ مُرعب وسجنٍ قاسٍ»؛ ولهذا فقد قبلت بعضهنّ نكاح سيّدها لها من أجل تخليصها من العبودية، وذلك بأن تصبح مملوكةً خاصةً به؛ وهذا لا ينفى سعيها إلى التحرّر منه والعودة إلى وطنها، وهو ما دفعها إلى خيانتها مع المسيحي، لعلّها وجدته مُنجّى لها ويسعى إلى تحريرها من سيّدها بعد إنجابها طفلًا من المسيحي³.

ك-الإماء والتسري:

1-أسباب التسري بالاماء:

¹ -Judith Etucker: "She Would Rather Perish: Piracy And Gendered Violence In The Mediterranean", Journal Of Middle East Women's Studies, Vol.10, N°03, Fall 2014. P13-14 ET Kenneth Paker: Op. cit.

² - T. S: The Adventures of Mr. T. S., an English Merchant, Taken Prisoner by the Turks of Argiers, and Carried into the Inland Countries of Africa, with a Description of the Kingdom of Argiers, of All the Towns and Places of Note Thereabouts; Whereunto is Added a Relation of the Chief Commodities of the Countrey, and of the Actions and Manners of the People, London: Printed and are to be Sold by Moses Pitt at the White Hart in Little Britain, 1670, p. 15-24, 23-24.

³ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص ص 160-171.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

يُعتَبَرُ التَّسْرِي من الطُّرُق التي لجأ إليها بعض رجال المدينة من مختلف الجماعات، سواء حضر أو برانية، نتيجة مجموعة من الأسباب، ولعلّ من أهمّها:

1- رفض الزواج وتشكيل أسرة رغم وفرة المال، ربما لعجزهم عن تحمّل المسؤولية فيكتفون بالتسري؛
2- ولجوء بعض الأتراك الذين رُفِضَتْ زواجاتهم مَرَفَقَتْهُمْ إلى الجزائر، فيلجأون إلى التسري بالأماء، مثلما فعل الحاج إبراهيم بولكباشي، الذي تسرى بأُمته زيدي فأنجبت له طفلاً وبقيت معه إلى غاية وفاته؛
والحاجّ شاوش عسكر، الذي تسرى بأُمته زينب، وربّما كانت عقيماً لأنها لم تنجب، وبقيت معه إلى غاية وفاته؛ وكذلك الحال بالنسبة لمُحمّد أهجي باشي، الذي كان متسرّياً بأُمته مسعودة حتى توفّي¹.
ويمكن تفسير انتشار ظاهرة التسري بالأماء بأنها رغبة العثمانيين، وخاصة الانكشارية، في الحفاظ على مناصبهم وتلبية رغباتهم بالأماء، والامتناع عن الزواج بالنساء الجزائريات؛ أما كبار السن فلجؤهم للتسري بالأماء والمعتقات يكون في الغالب بعد فقدانهم لزواجهم، ولهذا يبحثون عن امرأة تقوم بأداء ما يحتاجه من أعمال منزلية وزوجية بالتسري دون الزواج، حتى لا يتعرض للإجبار على تلبية رغبة زوجته، التي إذا عجز عن ذلك تقاضيه، كما سنرى لاحقاً في أهم القضايا النسائية المطروحة في المحاكم؛ ومن هؤلاء نذكر: الحاجّ أحمد بن عمر الملقّب بوقرمودة، الذي بقي وحيداً بعد وفاة زوجته وزواج ابنته بحسن الانكشاري؛ اشترى أمةً سودانية من أجل أن تقوم بأداء الواجبات المنزلية ورغبته، وبعد نكاحه لها حملت وأنجبت له طفلاً سماه محمد².

2- إنّ دافع المتزوجين في التسري بالأماء مردّه تشدّد الزوجات، اللواتي حرمنهم من حقّ التعدّد إلى درجة أنّهن وضعنه كأحد شروطهن في عقد الزواج، منعاً للزوج من الزواج مرة ثانية مادامت على عصمته³؛ يشترى أمةً بدون علم زوجته ليتسري بها، مثلما فعل مُحمّد بن عمرو الزواوي، الذي منحته صهرته مالاً ليشترى لها ذهباً، ولكنه اشترى أمةً تسرى بها⁴.

1- نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 71.

2- نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، ص 101-100.

3- رأينا هذا سابقاً في شروط المرأة الجزائرية في العقد.

4- نجوى طوبال: مرجع السابق ص 73.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

3- ورغبة بعض الأزواج في إنجاب الأطفال أو الإكثار منهم عن طريق التّسرّي بجاريتته بدل الزواج¹، مثلما فعل علي البلاغجي ابن عطية المستغامي، الذي تسرّى بأُمته بسعادة فأنجبت له الأولاد²، وما فعله الرئيس أحمد التلمساني، الذي تسرّى بأُمته أمنة فأنجبت له أولاده³.

2- مراسم التّسرّي:

إنّ طقوس التّسرّي شبيهة بطقوس الزواج، وتختلف عنه في فقدانها للأركان الزوجية؛ وتكون بداية التّسرّي في إخبار السيّد لأُمته برغبته في التّسرّي بها، فتسارع للتهيؤ نفسها مثل العروس، مثلما حدث لعلجية، إذ أراد سيدها مُحمّد بن علي أمين الجيجلي التّسرّي بها بعدما اشتراها، فقامت والدته بتهيئتها له مثل العروس، وأقامت له مراسم زواج، وكأنّه تزوّج لأول مرة⁴.

ولا ندري دوافع الأُمّ على القيام بهذا، وربما مردّها عقم زوجة ابنها وأرادت له الإنجاب عن طريق جاريتته، أو تعرّض زوجته للمرض وعجزها عن تلبية رغبات زوجها؛ ولقد اختلف في التّسرّي بين الجوّاري البيض والزنجيات، فنجد:

2-1- التسرّي بإماء بيض :

شكّلت الإماء البيض نسبةً هامة في عملية التّسرّي، وذلك من خلال إقبال رجال المدينة الذين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة في المجتمع، الذين فضّلوا التّسرّي بالجوّاري البيض، وخاصة العلجيات منهن؛ فنجد: حُسَيْن باشا ميزومورطو تسرّى بعلجية فأنجبت له ابنته فاطمة؛ وتسرّى مُحمّد بلكباشي بن محمد برحمة؛ وكذلك الحاجّ عثمان خوجه بن إلياس التركي، الذي كان تسرّى بالعلجة فاطمة؛ ومن الأندلسيين

¹ - وينظر: خليفة حمّاش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 449. وينظر: خليفة حمّاش: نسبة الذكور والإناث في مدينة الجزائر في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، السنة 34،

العدد 126، ص 96. وينظر: Dan Le Père : Op Cit, P 274 Et Rozet:Op. cit, P 71.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 71.

³ - نفسه .

⁴ - ع 123، م 3، ق 59، سنة 1107 هـ؛ نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 453.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

أبو يزيد الحاج عبد الرحمن بن أحمد زروق الأندلسي، الذي تسرى بالعلجة رقية فأنجبت له ولدًا؛ ونجد صالح خوجة بن رضوان التركي كان متسرّيًا بقامير العلجة¹.

ما يُلاحظ على هذه الجماعات أهن فضلن في التسري بالعلجيات على غيرهن من الإماء الأوريات المسيحيات؛ وربما كان ذلك تطبيقًا لما جاء في الآية التالية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)﴾ [سورة البقرة الآية 221]

ونجد حسين الحداد بن محمد تسرى بمباركة؛ ونجد أبو الحسن علي بن محمد المنتصر الخطيب كان متسرّيًا بأمتين هما: منصور، التي أنجبت له أربعة ذكور، وعوفية، التي أنجبت له ذكرًا وأنثى؛ وما يُلاحظ عليه أنه كان متسرّيًا بأمتيه لمدة طويلة وسمح لهما بالإنجاب رغم كونه متزوجًا من ختاتة، التي كانت قد أنجبت له ولدًا وابنة؛ ولكن يمكن تبرير عملية التسري التي قام بها بأن سببها مرض زوجته وعجزها عن الإنجاب أو كبرها، ولهذا تسرى بأمتين من أجل الإكثار من نسله²؛ ونفس الشيء نجده عند عبد الرحمن أمين الصفاريين بن محمد ين مهرا، الذي كان متسرّيًا بأمته سعادة فأنجبت له ابنته دومة، بالرغم من كونه متزوجًا بزوجتين: رقية وعائشة³ ونجد محمد شاوش عسكر بن سليمان كان متسرّيًا بأمته مسعودة فأنجبت له ولدًا⁴.

ومن جماعة البرانية نذكر، على سبيل المثال، من جماعة المستغامية: نجد قدور ابن الحاج عبد القادر المستغامي قد تسرى بزويدي؛ وعلي البلاغي ابن عطية المستغامي كان متسرّيًا بسعادة، التي أنجبت له

¹ - ع 2/22: 2: 6:5. وينظر: ع 150، م 2، ق 10، سنة 1094 هـ. وينظر: ع 122، م 4، ق 90، سنة 1098 هـ.

وينظر: ع 72-73، م 3، ق 33، سنة 1179 هـ؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، صص 451-454-455-456.

² - ع 1/16، م 1، ق 5، سنة 1234 هـ وينظر ع 2/22، م 5، ق 6، سنة 1026 هـ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 451

³ - ع 52، م 3، ق 73، سنة 1223 هـ؛ نقلاً عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 71.

⁴ - ع 65-67، م 3، ق 59، سنة 1244 هـ؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 456.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الأولاد رغم كونه متزوجاً من خديجة بنت الحاج قاسم¹ ونجد الرئيس أحمد التلمساني كان متسرياً بأمته أمنة بنت عبد الله، وكانت أنجبت له أولاده².

2-2-التسري بإماء زنجيات:

ورغم الإقبال الكبير في التسري بالأماء البيض، إلا أن بعضهن فضّل التسري بالزنجيات؛ ومن هؤلاء نذكر: محمد بلكباشي تزوج بالزنجية رحمة «كبديّة اللون»، وأنجبت له طفلاً؛ وتزوج محمد شاويش العسكر بن سليمان بأمة زنجية مسعودة «كبديّة اللون»، وأنجبت له طفلاً³.

2-3-المزابي وظاهرة التسري بمدينة الجزائر:

ورغم الاختلاف المذهبي الذي يميّز به سكان مزاب عن بقية الجماعات المشكلة للإيالة، إلا أنه سُمح للمزابي الذي اضطر للإقامة في مدينة الجزائر أن يتزوج بإحدى بناتها؛ ولكن في حالة رغبته في العودة، فإنه ملزم بأن يُجبر زوجته على اتباع المذهب الإباضي والتخلي عن مذهبها: «وقرروا تسليط عقوبة على كل من يدخل المدينة مالكية ويحمل معها إحدى قواعد المالكية»⁴.

إنّ هذه السياسة، التي أُجبر بها المجتمع الإباضي الشباب الذين يتزوجون بغير إباضية، جعلت الأغلبية يمتنعون عن العودة إلى بلادهم⁵ بعدما عجزوا عن إقناع من تزوجوا بها بالتخلي عن مذهبها؛ ولكن بعضهم لجأ إلى التسري تجنّباً لمشاكل الزواج بغير إباضية، مثلما قام محمد ابن بكير المزابي، أحد أفراد جماعة البرانية، فتسرى بعافية، وهي أمة زنجية، فأنجبت له ولداً، فكانت مكافأتها بعقتها⁶.

¹ - ع 32، م 4، ق 55، سنة 1184 هـ؛ نقلاً عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 71.

² - نفسه، ص 71.

³ - ع 72-73، م 3، ق 33، سنة 1179 هـ. وينظر: ع 65-67، م 3، ق 59، سنة 1244 هـ. وينظر: ع 53، م 6، ق 24، سنة 1239 هـ؛ نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 456.

⁴ - ناصر بلحاج: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر والخامس عشر والتاسع عشر ميلاديين)، رسالة دكتوراه في العلوم التاريخية الحديثة والمعاصرة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1433 هـ / 1434 هـ - 2013 م / 2014 م، ص ص 144-145.

⁵ - نفسه: صص 145-146.

⁶ - ع 53، م 6، ق 24، سنة 1239 هـ؛ نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، صص 454-455.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وما تجدر الإشارة إليه أن الأطفال المولدين من مزابين، يتم نسبهم إلى أمهاتهم من الناحية المذهبية ويتعلمون اللهجة العامية الخاصة بأهمهم¹.

2-4- موقف النساء من ظاهرة تسري أزواجهن بالاماء :

اختلفت مواقف النساء من ظاهرة التَّسْرِي؛ فمنهنّ من منعت زوجها من التَّسْرِي، وذلك بوضعه كشرط من شروطها في عقد الزواج: «في حالة تسريه بأمة، فإنّ الأمة تنال حريتها»، فوافق عليه، مثلما فعلت رقية بنت العالم أبي عبد الله محمد المقرئ، التي وضعت كشرط على زوجها الفقيه عبد الرحمن بن أحمد الشريف المرتضى: «إنّهُ إذا تزوّج عليها فالمرأة الثانية طالق، وإذا تسرى بأمة فإنّ الأمة تنال حريتها»²؛ أما الإجراء الثاني الذي قامت به النساء فتمثّل في شراء الإماء اللواتي يمتلكنّ زوجها ويهددن حياتها الزوجية، أو تعتقد أنّ محلّ اهتمامه، حتى يصبحن خاضعات لسلطتها، مثلما فعلت موني بنت إبراهيم، التي اشترت فاطمة، أمة زوجها مُحمّد يولداش، بمبلغ قدره 200 ريال، وحدّرتها من الاقتراب من زوجها والحديث معه³.

2-5- مصير الأمة المتسرى بها :

رغم الإجراءات الاحترازية، إلا أنّ بعض الرجال كانوا أكثر دهاءً، ولم تتمكّن الزوجة من منعه من تنفيذ رغبته في التَّسْرِي، مثلما فعل حسن الانكشاري النجاري، الذي تسرى بأمته مباركة دون علم زوجته؛ ولما حملت خاف من اكتشاف زوجته للأمر والعواقب التي سيجنيها من جراء هذا التهور المنافي لرغبة زوجته، فقرر إبعادها عن بيته، وذلك ببيعها لأخته حتى تحظى أمته وطفلها بالرعاية؛ فباعها، وبعد مرور وقت توفيت أخته، فأراد صهره، زوج أخته، بيع الأمة؛ فتدخل ومنعه من البيع، ومع إصرار الصهر على البيع رفع شكوى للقاضي ليمنعه من ذلك، ثم اعترف بأن الطفلة فاطمة، التي أنجبها أمته مباركة، هي ابنته؛ فحكم القاضي لصالحه⁴.

¹ - ينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 165. وينظر: الناصر بلحاج: مرجع سابق، صص 144-145.

² - عبد الاله بنمليح: مرجع سابق، ص 401.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 73.

⁴ - نفسه، ص 73.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

وقد تتعرض الأمة للوقف كغيرها من الممتلكات، مثلما حدث مع أمة مُحَمَّد كاتب يحيي أغا الصبايحية، التي قام بوقفها مع جميع ممتلكاته¹.

ل-الوضعية الأسرية والاجتماعية لأبناء الأمة:

لقد تطرقت الشريعة الإسلامية إلى ما يتعلق بالإماء، خاصة الجوانب الاجتماعية من زواج وطلاق وحتى مصير أطفالها؛ فنجد: «لا يُسْتَرَق الرجل الحرّ من المرأة الأمة»²، «لا عبودية بالولادة»؛ ويذكر ابن رشد أنّ الطفل الذي تنجبه الأمة من سيدها يحصل على حريته بالعتق، وخاصة بعد وفاة سيدها³، وألزمت الشريعة السيّد بضرورة منح طفله، الذي من أمّته، اسمًا: «حق التسمية باسم أبيه وليس باسم السيدة»⁴.

لم يلقَ ابن الأمة، الذي أنجبته من سيدها، احتقارًا من والده، بل حرص بعض الآباء على الاهتمام بهم ورعايتهم؛ فلم يفرّقوا بين أبنائهم الذين من زوجاتهم وأبنائهم الذين من جواريتهم، بل إنّ إيجاب الأمة للأطفال من سيدها يؤدي إلى سعادة أغلب الأسياد، خاصة الذين هدفوا من التّسرّي الإكثار من نسلهم، فيتكفّل برعايتهم ويسجّلهم في عقد حتى يؤكد انتسابهم له، مثلما فعل التاجر قدور بن الحاج عبد القادر المستغامي، الذي تسرّى بأمّته زيدي، فأنجبت له طفلًا، ولم ينكره، بل توجّه إلى القاضي الحنفي وسجّله في عقد، واعترف بأنّه ابنه من صلبه⁵.

وكما رأينا سابقًا، حسن الانكشاري النجار، الذي تسرّى بأمّته مباركة، فأنجبت له ابنته فاطمة؛ ولأنه قد باع أمّته لأخته، التي وضعت عندها حملها، فطالب بابنته، فانصفه القاضي: «فاطمة ابنته من أمّته ومن جملة أولاده ترثه ويرثها...»⁶؛ وهناك من أوصى أحد أقربائه الذكور، أخيه أو بن عمه، على رعاية أبنائه

¹ - ع19 / 2، م4، ق19، سنة 1238هـ . نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 758.

² - أرزقي العربي أبرياش: مرجع سابق، ص 277-278.

³ - نفسه: ص 277-278.

⁴ - نفسه: ص 278.

⁵ - ع52، م6، ق169، سنة 1245هـ . نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 454

⁶ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 73.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

الذين من جاريته، مثلما فعل أحمد، الذي أوصى ابن عمه محمد الخزار بالإشراف على تربية ورعاية أطفاله الذين أنجبهم من أمته بعد وفاته¹.

كما تمكن أبناء الجارية من الاستفادة من بيوت عن طريق وقف أوقفه عليهم أبائهم لضمان حياة مستقرة مع أمهاتهم، مثلما فعل السيد الحاج بن عمر بوقرمودة، الذي أوقف على ابنه، الذي أنجبه من جاريته مباركة، مع إخوته من زوجته الحرة، جزءاً من دار تقع بجومة الجامع الأعظم؛ واستفادت فاطمة، ابنة الأمة سعادة، من والدها علي البلاغجي بن عطية المستغامي، مع إخوتها من الزوجة الحرة، وفقاً تمثل في دار تقع بأعلى بئر الجباح².

واستفادت الأمة رحمة هي وابنها من سيدها محمد بلكباشي بن محمد، والد الطفل، من وقف تمثل في العلوي الذي يملكه في أعلى جامع علي بجيني اللصيف بدار النقاش³.

واستفادت مباركة مع أسرته من سيدها الحسين الحداد بن محمد، الذي تسري بها قلت حانوت يقع خارج باب عزون⁴.

ورغم ما لاحظناه من اهتمام بعض الأسياد بأبنائهم من جواريتهم، سواء من حيث الاعتراف بانتمائهم لهم ورعايتهم، إلا أنّ بعض الأسياد يتخلّى عنهم ويتركهم مع والدتهم، التي يجزئها وضعهم وتعجز عن رعايتهم، وهو ما دفعها إلى تقديمهم إلى سيدتها حتى يلقوا الرعاية الكافية، مثلما فعلت الأمة مباركة، التي قدّمت ابنتها فاطمة إلى يمونة، التي تعهدت لها بكفالة الطفلة ورعايتها، ووثقت هذا في عقد عند القاضي، الذي أقسمت عنده مباركة بعدم التراجع عن قرارها والمطالبة بابنتها⁵.

وهناك أسياد يأخذون عن جارياتهم أطفالها الذين أنجبهم منهم، ويقومون، كما ذكر الأسير الألماني سيمون بفايفر بمدينة الجزائر: «يبيعون أطفالهم الذين تلدهم لهم جواريتهم من الزنجيات عبيداً»⁶.

¹ - م ش ع 1/14، 175، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 552.

² - ع 32، م 4، ق 55، سنة 1232هـ، وينظر ع 116، م 9، ق 29، سنة 1184هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 454.

³ - ع 72-73، م 3، ق 33، سنة 1179هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 457.

⁴ - ع 119-120، م 2، ق 20، سنة 1198هـ، نقلاً عن خليفة حماش: المرجع نفسه، ص 458.

⁵ - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 312.

⁶ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 165.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

م- الأمة والوصية:

وهناك أسياد يأخذون عن جاريتهم أطفالها الذين أنجبتهم منهم، ويقومون، كما ذكر الأسير الألماني سيمون بفايفر (Simon Pfeiffer) بمدينة الجزائر: "يبيعون أطفالهم الذين تلدهم لهم جواريتهم من الزنجيات عبيداً"¹.

ولهذا لم ترث الجوارى شيئاً من أسيادهنّ، مثلما حدث مع أمة الحاج أحمد بن عمر، التي توفي عنها سيدها وكانت قد أنجبت منه طفلاً، وأمة أخرى أنجبت له بنتاً؛ وبعد موته لم يسمح لهما القاضي بوراثته، ولأنه لم يكن متزوجاً، فقد تم تقسيم تركته على والديه اللذين كانا على قيد الحياة؛ وكذلك الحال بالنسبة لأمة سعادة، التي لم تتمكن من وراثتها سيدها الحاج عبد الرحمن أمين الصفارين، الذي كان متزوجاً من امرأتين، اللتين ورثتا بعد وفاته، أما جاريتته فاستفادت من العتق فقط².

ولكن الإسلام لم يحرمها من الاستفادة من الوصية، ولهذا نجد بعض الأسياد والسيدات من أشفق على أمته أمّ الولد فأوصى لها ببعض ممتلكاته، مثل الأمة زيدي، التي استفادت بوصية من سيدها الحاج قدور التاجر بن الحاج عبد القادر، الذي أوصى لها ببعض الحلبي تمثل في زوج مناجيش (أقراط)، ومقفول ستة أفراد وأربعة فردات مساييس من الذهب، وكل ما ترتديه من مجوهرات، والصندوق الذي عندها ملكاً لها؛ واستفادت المعتقة عايشة من سيدها عويشة بنت الرديس محمد من ثلث التركة، واستفادت مباركة، معتقة الولية حنيفة بنت إبراهيم رديس، من ثلث التركة، وكذلك الحال بالنسبة لمبروكة، معتقة الحاجة عايشة بنت علي، من ثلث التركة³.

ن- إماء ثريات في مدينة الجزائر :

بعد العودة إلى الإحصائيات التي قامت بها الباحثة ليلي خيراني، فقد عُثر على حوالي 25 أمة بلغت تركتها 9345، وفي دراسة أخرى أظهرت أن ثروة هؤلاء تراوحت ما بين 1000 إلى 5000.

¹ - عبد الاله بنمليح: مرجع سابق، ص 306-327.

² - ع32، م4، ق55، سنة 1232هـ نقلا عن نجوى طوبال : الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م)، مرجع سابق ص 271.

³ - ع52، م6، ق269، وينظر م ش ع 53 و244، وينظر م ش ع (37) و45، وينظر م ش ع (74-75) و40، نقلاً عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 271.

الفصل الثاني : واقع النساء الذميات والمعتقات في مدينة الجزائر العثمانية

ريال، ما عدا أربعة إماء تجاوزت ثروتهنّ هذا الحدّ، ووصلت إلى 9009 ريال دراهم، حتى أنّ بعضهنّ قد قمن بعنق عبيدهنّ كما رأينا سابقاً¹.

ويمكن القول إنّ بعضهنّ تمكّن من جمع الثروة عن طريق عملهنّ كخادמות عند أسر ثرية؛ فنجد أمة كانت خادمة عند بيت المالجي، خلفت ثروة قدرها 6467 ريالاً، ونجد ابنة يماني الإسلامية، ونعتقد أنّها يهودية لأن لفظ "الإسلامية" خلال هذه الفترة كان خاصاً بطائفة اليهود الذين يعتنقون الإسلام؛ فابنة اليماني اشتغلت خادمة عند قايد الفحص، فتمكنت من جمع ثروة قدرها 1178 ريالاً²، وهناك أمة خلفت مبلغاً قدره 4293 ريالاً، وأخرى مبلغاً قدره 1398 ريالاً، وأمة الحاج حسين خلفت تركة قدرها 1332 ريالاً³ ونجد الأمة مباركة بنت الطيب خلفت ثروة قدرها 91 ريالاً⁴.

س- تركة الأمة المتوفاة :

وقد تموت الأمة مخلفة ثروة ولم تخلف وريثاً كالابن، ولم يُعرف لها نسب أو البلد القادمة منه، فيقوم سيدها أو السلطة بتحويل مالها إلى بيت المال، استناداً للفتوى التي تركها أبو حنيفة في قضية الميراث، خاصة ما تعلق بمثل هذه الحالات، جاء فيها: "ميراث من لا وارث له مصروف في الفقراء، خاصة صدقة على الميت"⁵.

¹ ع5، س12، و6، وينظر بيت المال سجل رقم 2، وينظر بيت المال سجل رقم 19، وسجل رقم 4، نقلاً عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 564، وينظر: رقية شارف: مرجع سابق، ص 121 و564، وينظر: عائشة غطاس: الوافدون البرانية على مدينة الجزائر 1778م-1830م بين التهميش والإدماج، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 2002، العدد 25، ص 171، وينظر: ليلي خيراني: واقع النساء في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 54.

² - بيت المال سجل رقم 2، نقلاً عن بودريعة: مرجع سابق، ص 224.

³ - بيت المال دفتر 5 و44، بيت المال دفتر 5 و46، نقلاً عن بودريعة: مرجع سابق، ص 224.

⁴ - ع5، س12، و6؛ وينظر بيت المال، سجل رقم 2، وسجل رقم 19، وسجل رقم 4؛ نقلاً عن: محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 564؛ نقلاً عن: بودريعة: مرجع سابق، ص 76؛ وينظر: رقية شارف: مرجع سابق، ص 121، 564؛ وينظر: عائشة غطاس: الوافدون البرانية على مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 171.

⁵ - ليلي خيراني : واقع النساء في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 54 وينظر: عبده الساهي : موسوعة أحكام الموارث ط2، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ص 117-118.

وختلاصة القول:

شهدت مدينة الجزائر العديد من النساء الذميات مابين يهودية ومسيحية حرة وأسيرة، كما تمتعت المرأة المسيحية بمختلف حقوقها ولم تتعرض للإعتداءات إلا في بعض الأحيان. إلى جانب ذلك تمكنت المرأة اليهودية التي كانت تعاني من الاحتقار من الحصول على مكانة إجتماعية وأسرية ونوع من التحرر، وحصلت الامة على مختلف حقوقها الانسانية، وسمح لها بالزواج والطلاق وغيره.

الفصل الثالث

دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني
في مدينة الجزائر العثمانية

المبحث الأول: دور المرأة في المجال الصحي.

المبحث الثاني: المرأة والثقافة بمدينة الجزائر العثمانية.

المبحث الثالث: المرأة والوازع الديني في مدينة الجزائر

العثمانية.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر العثمانية

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر العثمانية:

- تمهيد:

لم تكن المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني امرأة غير مؤثرة في مجتمعها كما توهم الكثير من الباحثين الذين اعتقدوا بأن المرأة خلال هذه الفترة كانت مأكثة في البيت، ولم تكن لها تفاعلات مع مجتمعها فلقد أكدت وأثبتت أغلب الدراسات العربية والأوربية دور المرأة خلال هذه الفترة في المجال الثقافي والصحي وكذلك السياسي والاقتصادي
كما تعددت أدوار المرأة في مدينة الجزائر ومساهماتها في مختلف المجالات، سواء صحية بإتخاذ الاجراءات اللازمة الوقائية أو العلاجية، بالاضافة إلى مساهمتها في المجال الثقافي وذلك بتطويره عن طريق ماتقدمه من وقف إلى جانب اهتمامها بالجانب الديني باعتبارها مرأة مسلمة وجب عليها الالتزام بتعاليم الشريعة الاسلامية.

المبحث الأول: دور المرأة في المجال الصحي

أولاً: المرأة المسلمة والصحة:

أ)-التدابير الوقائية المستعملة من قبل المرأة الجزائرية :

شهدت مدينة الجزائر كما رأينا سابقا الكثير من الأمراض والأوبئة الفتاكة التي أدت إلى هلاك الكثير من الناس رجالا ونساء¹، ولهذا سعت المرأة الجزائرية على اتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية للحفاظ على أسرتها من هذه الأوبئة نذكر منها :

1- تقوم بتعطير (تبخير) منزلها بمجموعة من الأعشاب، مثل :وَرْدُ الرَّنْدِ والكافورِ والجاوي، لتطهير هواء منزلها بهذه الروائح، التي تعمل على القضاء على الهواء المرضي.

¹ -عبد الرزاق بن حمادوش: رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، مصدر سابق

ص84 وينظر : Shuval Tell : Op. cit P45

H.Klein : Les Rues De L'ancien Et Du Nouvel Alger .Feuillets D'el- Djazair, Imprimerie Orientales Fontana Frères, Alger1913.P51-5-6-26-25.

2- تعليق التمام، رغم تحريمها في الشريعة الإسلامية، فعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه مرفوعاً :
(مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أُمَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ) وهذا لفظ ابن وهب.

3- التفنن في طبخ مجموعة من الأغذية الصحية المقاومة للأمراض وللحفاظا على سلامة أفراد عائلتها من الامراض الناجمة عن سوء التغذية، والزامهم على شرب المياه المعدنية¹.

ب) - طرق التداوي عند المرأة الجزائرية:

إستعملت المرأة الجزائرية مجموعة من الطرق العلاجية، نذكر منها:

1- التداوي بالأعشاب الطبية:

إستعملت نساء المدينة بعض الأعشاب الطبية المتوفرة في علاج بعض الأمراض مثل: نبتة قلوبيلاريا وفريتكوزا وجدور البوكوكا².

2- التداوي بالمعادن (ضرب الخفيف):

ومن الطرق العلاجية التي استعملتها نساء المدينة لعلاج بعض الامراض، التي ربطتها بالسحر والارواح الشريرة مثل: العنوسة وغيره من المشاكل النفسية، التي تعاني منها النساء ومن الطقوس المستعملة في هذا العلاج هي ضرورة الالتزام بالايام المحددة لاستعمال هذا النوع من العلاج وهي يوم: الأحد والخميس والجمعة فقط وتتم العملية العلاجية بصهر أحد المعادن ووضعها أمام الفتاة المريضة ثم يفتح حزامها وبهذا يتم القضاء على الحسد والسحر اللذان أصابا الفتاة³.

3- زيارة أضرحة الأولياء الصالحين:

جعلت بعض نساء المدينة قبور الأولياء الصالحين وسيلةً علاجيةً لبعض الأمراض التي تتعرض لها، خاصة النساء العانسات أو المطلقات، اللواتي كن ينشغلن في تقصّي والبحث بين النساء عن أخبار ضريح له قدرة على تزويج الفتيات العوانس أو النساء المطلقات، فيسارعن إلى زيارته ولو كان خارج

¹ - عبد الرزاق بن حمادوش: لسان المقال في النبأ والنسب، مصدر سابق، ص 84. وانظر. H.Klein :Op. cit.Pp51-128.

² - Thomas Show:Op. cit.Pp82-87.

³ - Deparmet:Op. cit.P147 .

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

المدينة، ولهذا كانت تُكثَّف زيارتها لهذه الأضرحة، سواء الموجودة في المدينة أو خارجها، مثل: ضريح الولي الصالح سيدي أكبر بن يوسف الملياني، وضريح سيدي الكبير، وغيرهما كما سنرى لاحقاً، ومن شدة إيمانها بنجاعة هذه الأضرحة في علاجها وشفائها، جعلت بعض النساء زيارة الأضرحة أحد شروطها في عقد الزواج، وبوصولهن إليه، ينطلقن في القيام بطقوسهن الخاصة بالضريح، مثل: إشعال الشموع أو المصابيح ووضعها عند الضريح، ثم تعطير الضريح بالبخور، ورش الحنة عليه من أجل طرد الأرواح الشريرة والشياطين، ثم الانتقال إلى الصلاة والدعاء واستعطافه بالبكاء، راجياتٍ منه استعجال شفاءهن من الداء والمشاكل التي يعانين منها، كالحصول على بعض الحقوق من الزوج أو إبعاد سوء الحظ وجلب الحظ السعيد لهن، وفي الأخير تختم زيارتها بإطلاق زغرودة، كأنها تعبيرٌ عن فرحتها بأن دعوتها قد استجبت¹.

وسنحاول فيما يأتي ذكر أهم أضرحة الأولياء الصالحين التي لقيت إقبالا من سكان المدينة:

3-1- سيدي فليج :

أحد أضرحة المدينة يقع قرب ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ويعتبر من أهم الأضرحة التي تتوجه إليها الفتيات العازبات اللواتي تأخر زواجهن، حتى يحل عقدتهن ويفك رباطهن ويسهّل زواجهن، وذلك بالقيام ببعض الطقوس داخله، تمثلت في الطواف على الضريح وهن يرددن: "سيدي فليج... سيدي فليج... أعطني زوج وأعطيك عشرة سوري"².

3-2- سيدي الكبير:

من الأضرحة الموجودة خارج المدينة، حيث يوجد بالبليدة، وكان محل إقبال نساء المدينة خاصة العوانس والمطلقات، فقد انتشرت أخباره بأن له القدرة على فك رباط كل عانس ومطلقة، وكل من زارته تزوجت، وذلك بعد قيامها ببعض الطقوس قرب ضريحه، والمتمثلة في: شراء جرة جديدة من حانوت بابه متجهة إلى القبلة، وإحضارها إلى الضريح فوراً بعد الشراء إذ يشترط أن لا يمضي على شرائها وقت

¹ - بي مهدية: مرجع سابق، ص 35. وينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4، ص 19-20. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 105. وينظر: عائشة غطاس: الوضع الصحي للجزائر، مرجع سابق، ص 125. نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 201.

² - E. Dermenghem: Le Culte des Saints dans l' Islam Maghrébin, Gallimard, 1954, pp. 109-125.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر العثمانية

طويل، ثم تملأها ماءً يتم صبه على المرأة ثلاث مرات، ثم تقف عند الضريح وتقدم له نذرًا تفي به عند تحقق زواجها¹.

3-3- سيدي يعقوب الاندلسي :

من الأضرحة التي إعتقدت نساء المدينة بأنه يعالج الكثير من الأمراض حتى مرض فقدان العقل ، و أن كل من زاره مريضاً إلا وخرج معافى ، فانتشرت أخباره في المدينة مما جعل بعض يهود المدينة يسارعون إلى زيارته للاستفادة من علاجه².

3-4- علي الزواوي:

ولي صالح يعتقد سكان مدينة الجزائر بأنه يعالج العديد من الأمراض الجسدية والنفسية خاصة الأمراض والمشاكل النسائية كداء العقم والمشاكل كمشكلة الطلاق بالنسبة للمتزوجات والعنوسة غير متزوجات ، كما يساعدها في الحفاظ على إستقرار أسرتها، ولهذا كان محل تقديس عند نساء المدينة³. ونتيجة لكثرة أضرحة الأولياء الصالحين في مدينة الجزائر التي يعتقدون أنها الشافية لكل الأمراض، فقد خصص لكل ضريح يوم لزيارة، وهي كالاتي:

1- يوم الإثنين :خصص لزيارة ضريح سيدي يعقوب الموجود بباب الواد، و زيارة قبر سيدي بنور الموجود ببوزريعة .

2- يوم الخميس: خصص لزيارة الأضرحة التالية: سيدي بتقا وسيدي عبد العزيز، وسيدي عبد العباس الموجود عند باب عزون، وخاصة ضريح سيدي علي الزواوي، الذي حظي بإقبال كبير من طرف نساء المدينة، خاصة اللواتي يعانين من داء العقم، واللواتي اعتقدن بأن ماءه سيسفهن من داء العقم، أما بقية

¹ Desparmet.Op. cit .148

² - فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518م-1871م)، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت.، ص 306 وينظر:

Moulay Belhamissi: Femmes d'Alger Autrefois, S.M.E/SD/N.P. Et M. Rozet: op. cit., p. 141. Et Haedo: Topographie, op. cit., p. 119. Et J.F. Aumérat: La Propriété Urbaine et Bureau de Bienfaisance Musulman d'Alger, Alger, Adolphe-Jordan, 1900. Et E. Dermenghem: Le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin, Gallimard, 1954, p. 125.

³ - Digo Haëdo: Topographie, op. cit., p. 119. Et J.F. Aumérat: La Propriété Urbaine à Alger, in Revue Africaine, Année 1897-1898, No 41-42, p. 198

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

النساء فوجدن في ماءه شفاءً للكثير من الأمراض التي تصيب النساء، ويحفظ الأولاد من مختلف الأمراض كمرض الحمى، ويقضي على المشاكل الزوجية¹.

3-5- ضريح سيدي مجبر :

يعتبر من أهم الأضرحة التي حظيت بالزيارة اليومية لنساء المدينة خاصة المطلقات، للتبرك بمياهه معتقدين بأنها يساعدن على الزواج مرة ثانية².

3-6- ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي :

خصصت الجمعة يوما لزيارته وخاصة النساء اللواتي يعانين من المشاكل صحية أو أسرية، فيترجوهن لعلاجهم و مساعدتهم في حل مشاكلهم³.

ما يلاحظ في الايام التي خصصتها النساء لزيارة الاضرحة كانت الايام المباركة في الإسلام، وهي الجمعة والخميس والاثنين فلقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُعْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا".

ولهذا فإن اختيارهن لهذه الايام كان هدفهن هو التضرع لله سبحانه وتعالى و التقرب إليه عبواسطة أحد الأولياء الصالحين من أجل إستجابة الدعاء سريعا رغم كون هذا شركا ولكن نتيجة إنتشار الجهل بين أغلب نساء المدينة فكن يعتقدن بأنه لاينافي الشريعة الاسلامية .

أما الطقوس التي تمارسها عند الأضرحة، فكما ذكرنا سابقا هي إشعال الشموع أو المصابيح ووضع بعض البخور والحنة على الضريح ثم تقدم بعض الأطعمة التي أحضرتها معها، مثل الخبز والعنب الجاف

¹ - فلة موساوي القشاعي: مرجع سابق، ص ص 204-30، أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 270، وينظر صالح فركوس: مرجع سابق، ص 585

Haedo Topographie.Op. cit.P119-225

² -A.Bertherand:Oiou Skhakhna .Eaux Minérales De L'algerie.J.B.Baillièrè.1856.P5.

³ - Beraud.: La Mosquée De Sidi Abder Rhaman, Alger, 1891, P 6.H ; H.Klein :Op. cit .Pp4-161-162. Rozet:Op. cit .P128 Et A.Bertherand: Op. cit .P5

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

إلى زوار الضريح ثم تعود إلى الضريح فترشه ببعض الزيوت وتعطره بالبخور وتضع عنده بعض النقود، ومنهن من تقوم بالذبح شاة أو غيره عند القبر¹.

ونختم كلامنا عن الزيارات بأن أغلب النساء المدينة كانت تفضل يوم الجمعة بإعتباره عيداً عند المسلمين احتفالي لهن يذهبن فيه لزيارة والالتقاء بهؤلاء المرابطين المشرفين على هذه القبور في المصلى².

4-التوجه عند النساء الراقيات:

ظهرت في مدينة الجزائر نساء مارسن الرقية، التي تعتبر من طرق العلاجية، التي أقرها الإسلام، والتي تعتمد على قراءة بعض السور والمعودات و الأحاديث النبوية، ولقد مارست نساء المدينة الرقية في مقابل مبلغ مالي يتقاضينه، ولقد عثر على امرأة راقية خلفت مبلغاً مالياً قدره 795 ريال³.

5-زيارة النساء الصالحات:

ظهرت بمدينة الجزائر نساء عرفن بالصالح و معالجة الأمراض النسائية خاصة العقم ولهذا كانت قبلة النساء، اللواتي يأسن من الشفاء بمختلف الأدوية لعلهن يجدن عندهن علاجاً، بالإضافة إلى الرغبة في الترك وطلب الدعاء لهن وخاصة وأن صلاحن ربما يجعلهن مستجابات الدعاء ومن هؤلاء النساء نذكر:

5-1- لالة تمسكيدة: امرأة صالحة يعتقد نساء المدينة بانه لديها القدرة على علاجهم من داء العقم⁴.

¹ حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص36. وينظر فلة موساوي القشاعي: مرجع سابق، ص301 وينظر: فوزي سعد الله: قصة الجزائر الذاكرة الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص103.

Haèdo: Topographie .Op. cit.P204 Et H.Klen: Op. cit..P51

² - Lauger De Tassy:Op. cit.Pp 123-124.

³ - سجل بيت المال رقم 23، نقلاً عن بودريعة: مرجع سابق، ص236. وينظر: خالد بن عبد الرحمان الجرسى: الرقية الشرعية من القرآن والسنة، ط9، مكتبة الملك فهد الوطنية رياض 1434هـ /2013م، ص ص 22-23.

⁴ - آدموند دوتي: الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م، ص111

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

5-2- لالة تسعديت : إحدى نساء القبائل إشتهرت بصلاحها وحضيت بمكانة هامة في مدينة الجزائر

، ولما توفيت تم دفنها في باب عزون وإتخذ قبرها ضريحاً للزيارة¹.

ويمكن القول إهتمام سكان المدينة وخاصة نساءها وتقديسهم لها راجع للأعمال التي كانت تقوم

بها، سواء علاجية أو توعوية.

5-3- لالة إماحوا: إمراة زنجية كانت تشرف على تسيير عين تقع عند قبة سيدي بلال قدسها الزوج

فكانوا يزورونها في شهر ماي من كل عام للاحتفال بعيد الفول².

6- الذهاب عند المشعوذات:

مارست بعض نساء المدينة الشعوذة، ومن هؤلاء نذكر: الزهرة بنت حسن رايس، والتي بعد موتها

خلفت مبلغاً قدره 233 ريال³ أقل من المبلغ الذي خلفته الراقية كما ذكرنا سابقاً، والذي قدر

ب795 ريال ، وهذا يدل على الوازع الديني الكبير لدا بعض النساء المدينة أو انها لم تكن محل اقبالهن

لعجزها عن شفائهن كما كان مرجوا منها.

7- التقرب من الدراويش والمنجمين والاستعانة بهم:

حوالت بعض نساء المدينة في التقرب من هؤلاء لاعتقادهن بأن لديهم القدرة على حل مشاكلهن⁴.

8- الاستعانة بالشعوذة:

شهدت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني انتشار طريقة جديدة للتداوي بين نساءها، جاء بها

الأفارقة خاصة العبيد السودانيون، وتمثلت في الشعوذة، التي أوهموا سكان المدينة بأنها تشفي من كل

الأمراض، ومالقي ترحيباً واستقطاباً من النساء، خاصة اللواتي يعانين من ضغوطات وأمراض عجزن عن

¹ - ينظر: آدموند دوتي، مرجع سابق، ص 111. وينظر: مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص 101.

Devoux: Les Edifices Reiligeux De L'ancien Alger .Bastide.Alger.1870..P131

² - آدموند دوتي: مرجع سابق ، ص111.

³ - بيت المال سجل 2، نقلاً عن بودريعة: مرجع سابق، ص 236.

⁴ - محمد سي يوسف: المرأة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 181 .

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

حلها أو الشفاء منها، كالعقم أو أمراض نفسية مثل: المس أو الجنون، أو مشاكل أسرية كالعنف المسلط عليهن من زوجهن وغيره من المشاكل الاجتماعية، لأن المرأة تميزت بحرصها الكبير في الحفاظ على استقرار حياتها الزوجية وبيتها، ولهذا فهي تبحث عن وسائل مساعدة على ذلك، وبمجرد سماعها للطريقة طبقتها، حتى ولو كانت منافية لشريعة الإسلام، ولكن جهلها لهذا اضطرها لتصديقها، ولهذا، بمجرد انتشار الشعوذة والسحر، سارعت للتداوي به، حتى أنها أصبحت تؤمن به كثيراً بأن للساحر قدرة على حل مشاكلها جميعها، ولقد استغرب حسن الوزان من تصرفات النساء وإيمانهن بهذه الخرافة، حتى أنه نعتهن بالبلهاء: "يثق الكثير من البلهاء بهؤلاء العرافين لدرجة أنهم ينفقون عندهم أموالاً طائلة"¹.

8-1- أهم أدوية المشعوذين للنساء:

اختلفت أدوية المشعوذ للمرأة باختلاف الداء أو المشكلة التي تعاني منها، فإذا كان عنف أسري مسلطاً عليها من طرف زوجها، فإنه يمنحها تيممة تعلقها على رقبتها تقيها غضبه، وهي تحتوي الطلاسم والتعازيم، كتبت بمادة سائلة سامة، مزيج من أظفار الذئب والضفادع وغيرها من الحشرات². ولم يقتصر هذا العلاج على نفسها، بل استعملته أيضاً في معالجة أطفالها من الحسد، وذلك عندما يقوم المشعوذ بمنح أم الطفل تيممة تحتوي طلاسماً مكتوبة بمادة سامة، خليط من أظفار الذئب والضفادع والقردة، على قطعة قماشية تعلقها على رقبة طفلها³.

هذا بالنسبة للبعض الأدوية، التي وصفها المشعوذون للنساء أما عن الأماكن، التي كانت تمارس فيها طقوس الشعوذة، فنذكر من أهمها:

8-2- السبع عيون أو عين الجنون:

¹ - حسن الوزان: مصدر سابق، ج1، ص 264. وينظر: زينب فراح: الزيارة النسوية للأضرحة، مقارنة أنثروبولوجية لضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر، السنة الجامعية 2010-2011م، ص 109. وينظر: مالك شبل: مرجع سابق، ص 88. فوزي سعد الله: قصة الجزائر: الذاكرة، الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص 103. وينظر:

Et Bonfont: Pérégrinations En Algérie 1830-1842 Histoire Ethnographique Anecdotes .Challaml Ainé.1884.P41et .Digo De Haèdo: Topographie. Pp 119

² - Digo De Haèdo: Topographie. Pp 119 -121

³ - Ibid P. 121

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

تعتبر من الأماكن التي قدّستها بعض نساء المدينة، خاصة الحضريات والسودانيات، موجودة قرب ضريح الولي الصالح سيدي يعقوب، ويحتوي على حنفيات تعرف بسبع عيون أو عين الجنون، وهي: العين الكحلة، والعين البيضاء، والعين الخضراء، العين الصفراء، العين الحمراء، عين لون الغول، عين أولاد سرغو، وهذه الأخيرة مخصصة للمسيحيين. كانت تتجه إليها النساء كل صباح يوم الأربعاء للقيام بالطقوس العلاجية عندها، وتمثل في ذبح مجموعة من الدجاج وترك دمائها مسفوحة في الموضع لكي يتناولها الجن المعروف بابا موسى أو سيدنا الباهان ذو الأصول المالية أو النيجيرية، الذي يأتي كل ليل¹ لشرب الماء المسفوح أو كما يسمى بماء النشرة²، أما الدجاجة أو الديك المدبوح فيتم بسطه على نافخ يحتوي على بخور الجاوي، ثم تُنقل إلى المريض ويتم تحريكها عليه في شكل دوراني سبع مرات فوق رأس المريض، ثم على صدره وظهره، وفي الأخير تقديم مجموعة من الهدايا والتبريكات للمشرف على هذه العين، وأحياناً يطلب من المريض الاغتسال وشرب ماءها³.

8-3- لالة إماحلولة: إسم جنية البحيرة، الموجودة قرب نافورة السبع عيون الموجودة عند باب الواد

إنتشر ذكرها بين سكان المدينة الجزائر خاصة النساء اللواتي كن يزورها كل يوم أربعاء⁴.

8-4- عين سيدي محمد الشريف: تعتبر من العيون، التي قدستها نساء لاعتقادهم أنها مياها

تعالج مختلف أمراضهم كداء العقم⁵.

8-5- عين الهاجل: تقع في حومة حمام المالح، وهي من العيون المقدسة عند المطلقات اللواتي يزرنها

للتبرك بماءها ويتزوجن للمرة الثانية⁶.

¹ - فوزي سعد الله: قصبة الجزائر: الذاكرة، الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص 103.

² - نفسه، ص ص 103-104.

³ - نفسه، ص 103.

⁴ - آدموند دوتي: مرجع سابق، ص 111.

⁵ - فلة موساوي: مرجع سابق، ص 310، وينظر: Moulay Belhamissi: Femmes d'Alger.Op. cit

⁶ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 205.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

8-6-عين مائية : حدى العيون المقدسة عند نساء المدينة العربيات واليهوديات اللواتي يذهبن إليها للعلاج، يشرف على تسييرها شيخ زنجي مسن، وتقام عندها بعض الطقوس المتمثلة في ذبح دجاجة أو حمامة يوم الأربعاء، وتُقدَّم كقربان للجن¹ لكي يتولى معالجتهم .

9-العلاج بالموسيقى:

9-1-حفلة النذور أو الدردية : من الطرق العلاجية التي استعملتها بعض نساء المدينة، وخاصة الحضريات، وتشرف عليها نساء زنجيات يساعدهن بعض الرجال الزوج، أما الطقوس العلاجية فهي تتمثل في الطلب من المريض تقديم مبلغ مالي يشترطون به أضحية، وعندما يتم جمع إثنتي عشرة نعجة وأربعة عجول وثورين كبيرين، ينطلقون في القيام بالطقوس العلاجية المتمثلة في ضرب الطبول لترقص عليها الزنجيات المحيطات بكرسي سيدتهن المشرفة على معالجة المرضى، وعند ضرب الطبل يتجه المريض نحوها فتستقبله مع أضحيته، ثم يقبل يديها، فتقوم بقراءة بعض التتمات والتعويدات على أضحيته، ثم تطعمها بمعلقة أرز مطبوخ، ليتم نقلها إلى مكان الذبح على صوت صراخات الزوج، وبعد ذبحها وجفاف دمها، تعود الزنجيات للرقص مرة أخرى على نعجات القراقب وهي تزغرد لتبلغ الحاضرين على انتهاء حفل الدردية، ودعوة الحاضرين لتناول الطعام الذي تم طهيته².

9-2-الحضرة: لجأت المرأة إلى استعمال بعض أنواع الموسيقى كضرب الدف لمعالجة أمراضها، خاصة الأمراض النفسية، وتكون باجتماع مجموعة من النساء لضرب الدف، وتؤمر المريضة بالرقص على وقع الطبل. ولقد حُددت أوقات معينة للقيام بالحضرة، ويشترط معها ضرورة سفك دم أضحية حسب إمكانيات المريض، ولأن معتقد نجاح الحضرة في علاج مختلف الأمراض النسائية أصبح راسخًا في ذهنهن، جعلت بعضهن قيام الحضرة أو الذهاب إليها شرطًا من شروطها في عقد الزواج، ويجب أن

¹ - بلبروت بن عتو: مرجع سابق، ص ص 426-427.

² - نفسه ، ص ص 426-427.

يوافق عليه، مثلما فعلت نفيسة بنت محمد قفالجى، التي اشترطت على زوجها السيد علي بن الحاج أحمد الموافقة على القيام بالحضرة في كل عام¹.

ولم يقتصر اعتماد النساء على الموسيقى والمشعوذين في العلاج، بل تعداه إلى تقديس بعض الموجودات، وكل هذا بسبب الجهل الذي كانت تعاني منه، مما جعلها تصدق كل ما يُنشر في المدينة ويساعدها على الشفاء، بما في ذلك لجوءها إلى الأشجار والتبرك بها.

10-التبرك بالأشجار:

ظهرت في مدينة الجزائر مجموعة من الأشجار قدّستها نساء المدينة بسبب جهلهنّ واعتقادهنّ بأن بها روحًا يتبركن بها لتعالجهنّ من مختلف الأمراض، فيقومن بتعليق المسامير، ويعتقدن بأنهنّ بهذا العمل يحصلن على الشفاء. ومن الأشجار التي قدّستها النساء نذكر: سيدي علي الزواوي، والتي خصص يوم خميس لزيارتها، وشجرة الزيتون المعروفة "بما زينب" أو "ماما زينب"، وهي عبارة عن شجرة ضخمة ذات الأغصان المتشابكة تقع في صحن الولي الصالح سيدي مجبر ببوزريعة، والنخلة الموجودة عند قبر الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، التي تُقام عندها بعض الطقوس المتمثلة في تعليق قطعة قماشية عليها، فُرات عليها بعض التعازيم التي استحضرتها معها، وتبخيرها بالجاوي، ثم يطوفون عليها، وبعد الانتهاء يتم تقبيل جدع الشجرة، ثم يمسحون يدهم عليها، ثم مسحها مرة أخرى على جبينهم، وبعد الانتهاء من طقوسهم يقفن في مقابلة الشجرة وينظرن إليها متوسلات، طالبات منها منحهنّ بركتها وعلاجهنّ من الأمراض أو مشاكلهنّ مثل العزوبية وغيرها².

وقدست مياه الأمطار واستعملتها في علاج بعض الأمراض، مثل: ألأم الرأس وفي القضاء على العنوسة باتباع الطقوس التالية : يجمع مياه الأمطار المجتمعة بين الاحجار من سبعة أماكن ثم يستحمون بها والطقس الثاني يتمثل في ملأ سبعة قارورات من سبعة ينابيع ثم يستمحمون بها وبهذا يقضون على السحر، أما بالنسبة للحيوانات فقد منعو الأطفال من رؤية بعض الطيور وقت المغرب

¹ - Desparmet.Op. cit.P147

² - فوزي سعد الله: قصبة الجزائر: الذاكرة، الحاضر والخاطر، مرجع سابق، ص 105-106.

كالخفاش لانه يؤدي إلى مرضه،ولهذا تسعى أغلب الامهات إلى منع أطفالهن رؤيته ، أما الاسنان التي تسقط من الطفل فان الام تقوم برمي السن في الصباح الباكر من الخلف في بيت قدم¹.

11-ارتداء التمام:

من الوسائل التي اعتمدت عليها النساء في العلاج، فנסاء المدينة كن يؤمنن بالقوى غير الطبيعية وعالم الأرواح والجن، وما ينجر عليهن من حسد وسحر وتأخر في الزواج، فلجان للتمائم كعلاج يقيهن شر هذه الأمراض. فتقوم المرأة القبائلية التي تأخر زواجها بتعليق تميمة في قلادة تحتوي شكل عين، وأحياناً تضع تعازيم في شكل كتاب تحضرها من عند المرابط، الذي ينصحها بارتدائها للقضاء على المشاكل الزوجية التي تعاني منها. فتشتري الشركة، وهي قلادة ذهبية، تستعملها المرأة في إخفاء الطلاسم التي يقدمها لها المشعوذ، ثم ترتديها في رقبته. كما كن يسارعن لارتداء مختلف الملابس التي تحتوي على تمائم، اتخذت شكل يدٍ رسمت على سترات والشاشية، وتلبس أطفالها كذلك شاشيات تحتوي على يد ممدودة خامسة لتقيهم من عين الحسود، لاعتقادهن أنها تدفع عنهن الشر والحسد، بالرغم من التحذيرات الإسلامية، لذلك جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "من علق تميمة لا تم الله له ذلك"، ومع هذا فقد كان هناك تهافت وإقبال كبيرين على هذا النوع من الملابس².

إن لجوء بعض نساء مدينة الجزائر لهذا النوع من العلاج راجعٌ لسياسة التجهيل التي مورست عليهن، فالأمية والجهل وعدم دخولهن المدرسة هو ما جعلهن ساذجات يؤمنن بالقوة الغيبية لهؤلاء في علاج الأمراض، وهذا ما دفعهن للقيام بذلك دون إدراكهن بأنه يتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية³.

¹ - شهيرة بوحنوف: طقس انزار في منطقة خراطة (بجاية: مقاربة انتولوجية)، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 22-26، 23-25، 57-70.

² - شريفة طيان ساجد: الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 238. شهيرة بوحنوف: مرجع سابق، ص 22-26، 23-25، 57-70.

³ - أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519م-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005-2006م، ص 287.

ويمكن تفسير لجوء بعض النساء إلى السحر وممارسة هذه الطقوس بما فسره بعض الأخصائيين، الذين رأوا بأن لجوءهنّ لمثل هذه الأعمال هو ضعفهنّ وعجزهنّ عن مواجهة مشاكلهنّ والضعف والاضغوطات الاجتماعية وعدم استطاعتهنّ القضاء عليها. ولهذا فترى بعض النساء في السحر "حماية إيمانية"، فهو الوسيلة الناجحة لبقائهنّ مستمرات في هذه الحياة، ويساعدهنّ على تخطي كل الضغوطات التي قد تعترضهنّ، ويسترجع لهنّ مكانتهنّ داخل المجتمع والأسرة. كما تعتبره بعض النساء وسيلة تساعدنّ في القضاء على هيمنة وتسلط الرجل عليهنّ، فكلما زاد حصار الرجل للمرأة لجأت إلى السحر كسلطة خفية، فالسحر هو صفة مقاومة للهيمنة الذكورية. وحسب عبد الرحمن بن خلدون، فإن اللواتي يلجأن للسحر هنّ "أكثر منتحلي السحر منهنّ النساء العواتق"¹.

12-الذهاب إلى الحمام: تعتبر الحمامات من الطرق العلاجية التي استعملتها المرأة ولهذا كانت كثيرة التردد عليها لعلاج بعض الأمراض خاصة مرض الدملة².

ج- العلاج عند الأطباء :

لاحظنا سابقا مدى حرص الرجل على حرمة نساءه ، فيمنعها من الكشف عن وجهها والخروج المتكرر، ولم يقتصر على هذا بل قام ببناء مسكنه وفق طابع هندسي يصون حرمة نساءه كما رأينا سابقا، ولكن إذا تعرضت المرأة إلى المرض ونحن نعلم بأنه لا توجد نساء متخصصات في المجال الطبي فهل يسمح لها بالذهاب إلى طبيب والعلاج عنده؟.

سُمح للمرأة إذا اشتدّ عليها المرض بالذهاب والعلاج عنده أو باستدعاء طبيب إلى بيتها، ويكون العلاج عنده بدون الكشف عن وجهها. ومن هؤلاء نذكر مثلاً رئيسة البغاء بمدينة الجزائر، التي كانت قد أصيبت بجروح أقدعتها الفراش حتى عجزت عن الذهاب إلى المستشفى، فتمّ استدعاء الطبيب سيمون بفايفر (Simon Pfeiffer) إلى بيتها للإشراف على علاجها داخله. ولكن حسب سيمون

¹ - عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1421هـ / 2000م ، ج6، ص288.

² - Joao Mascarenhas:Op. cit.P77.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

بفايفر، فإن بعض نساء المدينة قد كُشفن عن وجوههنّ، وهنّ اللواتي فقدن الأمل في الحياة، مثلما حدث مع إحدى سيدات المدينة التي قامت باستدعاء الطبيب بفايفر لعلاجها، فكتشفت له عن وجهها لاعتقادها بأن شفاءها مستحيل وسيؤدي إلى هلاكها، وقالت له: "أبعدي العجار عني الآن، إنّ الطبيب لن ينظر إليّ، أنا المرأة الميتة، ولم يُغضه أن يراني بذلك"¹.

د-مراكز الأمراض العقلية النسائية :

ولعلاج الأمراض العقلية النسائية أنشأت ملاجئ خاصة بمن فقد خصص لهن ملجأ سيدي عبد القادر بشارع المارستان².

هـ-المساهمة في تطوير المجال الصحي للمدينة:

اهتمّت بعض نساء المدينة بالقطاع الصحي، وذلك بإنشاء حوانيت خاصة بالطب. فكما رأينا سابقاً، أن بعض حوانيت المدينة خصصت للطب المحلي، سواء للتداوي أو لإجراء العمليات الجراحية أو لبيع الأدوية. من نساء المدينة اللواتي كنّ يمتلكن محلات صحية، كريمة بنت إبراهيم، التي قررت بيع جلسة حانوت معدة للطب لحوا بنت عمر حلبي³.

و-الوفيات في فئة نساء المدينة:

لم تكن نسبة الوفيات عند النساء كبيرة، فبعد العودة إلى الإحصائيات التي قامت بها عائشة غطاس رحمها الله في كتابها "الحرف والحرفيون" حول عدد الوفيات لدى جماعة البرانية، نلاحظ أن عدد وفيات النساء قليل مقارنة بعدد وفيات الرجال. فمثلاً، في الفترة الممتدة من سنة 1197هـ / 1782-1202هـ 1787م، نجد وفاة امرأة واحدة عند جماعة الجيجليون، وكذلك عند جماعة البساكرة نجد وفاة امرأة، وعند جماعة الأغواطيون امرأتان، وعند جماعة القبائل نجد خمسة نساء متوفيات، أما جماعة العباسيون والمزناطيون فلا وجود لوفيات في جنس الإناث. وظل عدد الوفيات على حاله، وفي الفترة

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 89-90-91.

² - Ahmed Bouderbah : Réflexions Sur La Colonie d'Alger: Sur Les Moyens Nécessaires A Employer Pour La Prospérité De Cette Colonie". In R.A N° 57 .P101.

³ - ع 132-133: 4:77، سنة 1176هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 181.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

الممتدة من سنة 1214هـ / 1799م إلى غاية 1218هـ / 1803م نجد وفاة امرأة واحدة عند جماعة القبائل وأخرى عند جماعة البساكرة، بينما تنعدم لدى جماعة العباسيون والزناتيون. لكن ما يلاحظ خلال هذه الفترة هو تزايد عدد الوفيات عند الأسيرات، الذي بلغ عدده 30 امرأة متوفاة. وما يلاحظ أن عدد وفيات الإناث ظل منخفضاً مقارنة بعدد وفيات الذكور، وذلك فضل الإجراءات الوقائية التي قامت بها النساء للحفاظ على صحتهن وسلامتهن من الأمراض، كما رأينا سابقاً¹.

ولكن، رغم الإجراءات الوقائية التي قامت بها النساء، إلا أن هناك أسباباً أخرى أدت إلى وفاة النساء، والمتمثلة في بعض الحوادث التي كانت تشهدها مدينة الجزائر، مثل حادثة انفجار البارود الموجود في دهليز القصبية، والذي أدى حسب دان إلى تحطم 500 مسكن. والأکید أن هناك خسائر بشرية تمثلت في سقوط عدد من القتلى في كلا الجنسين، الذكور والإناث².

ز - المرأة المسلمة والأوبئة:

رغم الإجراءات الوقائية التي كانت تقوم بها المرأة الجزائرية، إلا أنها تعرضت لبعض الأمراض والأوبئة، وأحياناً كانت سبباً في انتقال العدوى إليها. فطبيعة عاطفتها الجياشة جعلتها تصاب بالمرض المعدى أو الوباء بملامسة أحد أقاربها الذين يتعرضون لمرض معدٍ، فتقارب منه للإشراف على معالجته، فتؤدي خلال هذه الفترة دور الطيبية، ناسية أو متناسية التدابير الوقائية المفروض القيام بها، خاصة مع الأمراض المعدية أو عند وفاة المصاب، حيث تسارع إلى ملامسته والندب على جثته، وهو ما يؤدي إلى انتقال العدوى إليها بكل سهولة وبدون شعورها³. كما تعرضت المرأة، كغيرها من سكان المدينة، إلى

¹ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 37.

² - Dan Pierre :Op. cit..P113

³ - فلة موساوي القشاعي: مرجع سابق، ص 426 وينظر:

Memoires Congregation De La Mission .Ala Maision .Principale De La Gongregation De La Mission .1864.T3.Pp451-452.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

الأوبئة عن طريق استنشاق الهواء الوبائي المتعفن، الذي كان يدخل البيوت التي تميزت أفنيته بانعدام السقوف، مما يؤدي إلى إصابتهم¹.

ثانيا - النساء الذميات والصحة:

أ- طرق التداوي عند المرأة اليهودية:

اعتبرت المرأة اليهودية أن الحسد من العوامل التي تؤدي إلى مرضها أو مرض أحد أفراد عائلتها، ولهذا، فمن أجل القضاء على الحسد، أو كما تسميه بالعين الشريرة، وكذلك لمعالجة الوسواس، كانت ترتدي يدا مصنوعة من الذهب².

ب- الأسيرة والعلاج:

يقول كوكو فيتسوف واصفا وضعية الأسرى بمدينة الجزائر: " الكل في حالة جيدة يلبسون جيدا ويأكلون جيدا وسكان الجزائر يعاملونهم بإنسانية ويعالجونهم"³.

وبالجملة، فإن وضعية الأسيرات كانت تتم معاملتهن معاملة إنسانية، فاستفدن من مختلف حقوقهن كحق الصحة، وحظين بالرعاية الصحية، وتمت معالجهن عندما يتعرضن للمرض كغيرهن من نساء المدينة⁴.

وقد حاولت المرأة الجزائرية المسلمة والذمية المساهمة بما تمتلكه من طرق علاجية في الوقاية وعلاج مختلف الأمراض والأوبئة، فمنها ما اعتمد على ما وجدته في الطبيعة من أعشاب ومياه وغيره، أو بالاستعانة بالقوى الغيبية عن طريق زيارة الأولياء الصالحين، أو بالاستعانة بالسحرة.

¹ Pierre Bourgin : Contribution A L'étude De L'albuminurie Dans La Variole, Éditeur Impér. Nouvelle Lyon, 1885.P47.

² - إميلي مالكا: مرجع سابق، ص66.

³ - Marcel Emrit:Description De Alger.Op. cit .P213.

⁴ - Marcel Emrit:Description De Alger.Op. cit .P213.

المبحث الثاني: المرأة والثقافة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

إن مستوى الثقافي لمجتمع من المجتمعات يحدد مدى تحضره فكل ما كان هناك إهتمام بالجانب الثقافي دل على رقيه ولهذا رأينا سابقا بأن المجتمع الجزائري أولى عناية هامة بالتعليم وانتشرت مؤسساته التعليمية في مختلف أحيائه ولكن هل شمل التعليم المرأة أو إقتصر على الذكور وما دور المرأة ثقافيا؟.

أولا - المرأة والتعليم:

أ- المرأة الجزائرية المسلمة و التعليم:

يعتبر التعليم من ضروريات الحياة، و لا يمكن للإنسان العيش بسهولة في حياة تتطلب العلم، ولهذا فالاسلام حرص على سعادة المسلمين ، ففرض العلم على كلا الجنسين ذكورا وإناثا قال تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق الآية 1-2-3-4-5]، فهذه الآيات جاءت شاملة لكلا الجنسين ولم يخصّص لجنس دون آخر. والإشكال المطروح هل حظيت نساء المدينة بالتعليم وماموقف العلماء من تعليم المرأة؟.

1- موقف العلماء والسلطة من تعليم المرأة :

ترواحت آراء علماء المدينة حول تعليم المرأة بين مؤيد ومعارض، و من العلماء الذين أيدوا تعليم المرأة نجد الشيخ أحمد بن يوسف ونتيجة لموقفه فقد تعرض لبعض الانتقادات من بعض العلماء مثل أبو عبد الله محمد الخروبي، الذي طلب منه التوقف على حث الأسر على ضرورة تعليم المرأة "كان الشيخ أحمد بن يوسف كثير التلقين فقال له أبو عبد الله محمد الخروبي أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء، فقال له دعونا الخلق إلى الله فأبوا فقلنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر" ¹.

¹ - نور الدين عبد القادر: صفحات، مرجع سابق، ص 59.

ومن المؤيدين لتعليم المرأة بعض شيوخ الزوايا ، الذين رؤوا ضرورة تعليمها خاصة العلوم الدينية حتى أن أحد شيوخ الزاوية الرحمانية وهو محمد بن عبد الرحمان قام بمراسلة الداى طالبا منه إصدار قرارة يحث على إجبر الأسر على ضرورة تعليم بناتهم¹. ولهذا دعى بعض حكام مدينة الجزائر و شجعوا على تعليم نساء فنجد باشا الجزائر لما عين حسين باي خلفا للباي محمد أمره بضرورة تعليم النساء " ...تتقيف نساءه"².

وبعضهم من قام بتعليم إبنته حتى تقتدي به الأسر وتسمح لبناتها بالتعلم ،ومن أجل تسخيرها لتعليم النساء بعد أن تفوقت وأصبحت معلمة أو كما سميت بالقارية ، لادراكه أن سبب رفض بعض الأسر لتعلم البنات مرده رفضهم تعلمها عند رجل،ومن هؤلاء نذكر : الشيخ سيدي أحمد بن يوسف ،التي تولت حفيدته تعليم البنات³.

2- الأسر الجزائرية وتعليم المرأة:

قبل الحديث عن النساء المتعلمات في مدينة الجزائر رجعنا إلى كتب التاريخ الإجتماعي للأندلس، فوجدنا بأن الأسر الأندلسية، سواء الثرية أو البسيطة كانت تسمح للبناتها بمزاولة الدراسة حتى أنهم شجعوا على تعليم الجوارى،ولهذا فالمرأة الأندلسية حظيت بالتأييد والتشجيع من أسرتها التي كانت تكفل إبنتها حتى تتمكن من حفظ القرآن الكريم، وذلك بوضع قنديل منير عند بيتها كمكافأة لها وإخبار سكان الحي بذلك ،ولم يقتصر على هذا بل شجعتهها للمواصلة طلب العلم ، فبرزن في مختلف العلوم الدينية كالفقه والعلوم الطبيعية والأدبية من الشعر والنثر⁴.

¹ - فوزي سعد الله، يهود الجزائر مجالس الغناء والطرب، دار قرطبة، الجزائر 1430هـ/2010م، ص85، وانظر: أحمد مريوش، مرجع سابق، ص138، وانظر: صلاح مؤيد العقي، مرجع سابق، ص155-156.

² - ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830)،دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق،ص90.

³ -نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر ،مرجع سابق، ص174.

⁴ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص274-285، وانظر: وليام شالر، مرجع سابق، ص82، وانظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص162، وانظر: أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي، مرجع سابق،

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

وكما ذكرنا سابقا أن مدينة الجزائر خلال هذه الفترة استقبلت أعداد كبيرة من الأسر الأندلسية، فلماذا لم تبرز النساء الأندلسيات في مجال العلوم أم تأثرن بالعرف السائد بمجتمع المدينة، ولكن كما ذكرت كتب التاريخ والأدباء بأن هناك نساء أندلسيات قد تمردن على العرف الاجتماعي السائد عندهن وعن السلطة الرجولية أم أفل نجم هؤلاء النساء في مدينة ببروز العنصر الرجالي الذي تحكم في الوضع وسيرورة الحياة الاجتماعية بها وأين دور الاسر الاندلسية التي كانت حريصة على تعليم النساء.

وأغلب الأسر التي وفدت إلى المدينة تنتمي إلى الأسر الفقيرة، التي كانت فرضت على المرأة الإلتزام بالكوث بالبيت والاكتفاء بقيامها بأعمالها المنزلية ومساعدة الرجل في أعماله، ولكن كانت هناك أسر فقيرة سمحت لهن بالتعلم أو راجع لسياسة الانطواء والتحفظ التي طبقتها هذه الاسر بالمدينة ورفضهم للاختلاط بالمجتمع الجزائري أو أغفل الكتاب خلال هذه الفترة عن الحديث عن النساء الأندلسيات المثقافات ويظل السؤال مطروحا؟.

ولكن حسب بعض المؤرخين ظهرت في المدينة مدارس دينية لتعليم البنات القراءة والكتابة وحفظ القرآن ومختلف العلوم الدينية، بالإضافة إلى دروس خاصة بالسلوكيات متعلقة بالبنات، وهو ما دفع بعض الأسر في السماح لبناتها بالدراسة بهذه المدارس، وخاصة وأن التعليم فيها يتم بمعزل عن الذكور وتشرف على تسيورها بعض القاريات، وهن لمعلمات ولقبن بالقاريات، وذلك لتفوقهن وبراعتهم واتقانهن للقراءة، ومن هؤلاء نذكر: القارية عايشة بنت حسن بن غليونجي، والقارية حفيدة الشيخ

ج1، ص140-141، ص272-338، وانظر: زوليخة سماعلي المولودة علواش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، ط1، الطباعة العصرية، الجزائر، 2013م، ص32، وانظر: حميدة بن سالم، مرجع سابق، ص36، وانظر: نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ/1710م-1830م)، مرجع سابق، ص174، وانظر: سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس عصر ملوك الطوائف (422هـ-479هـ/1031م-1086م)، ط1، دار العربية للعلوم والفنون، بيروت، 1435هـ/2014م، ص72-84، وانظر: صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م، ص90-91، وانظر: علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، ط2، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1976م، ص102، وانظر: محمد جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ط1، دار النشر للجامعيين، 1962م، ص240-241، وانظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص162.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

سيدي أحمد بن يوسف¹، وكريمة الحاج بن إبراهيم بن جيار "موني" وأم حسن القارئة بنت رجب بلكباشي².

ولهذا نجد بعض النساء من وضعت شرط السماح لها بزيارة مجالس الذكر في عقد زواجهما³، وهذا يؤكد على وجود مجالس علمية خاصة بالنساء، ويمكن أن نؤكد على بروز نساء متعلمات مارسن الافتاء، مثل عزيزة ابنة سعيد قدورة، التي تولت الافتاء على المذهب المالكي⁴، وأخريات مارسن الرقية الشرعية، التي تعتمد على حفظ القرآن والأحاديث النبوية، ولا يكون الانسان راقيا إلا إذا كان ملما بذلك⁵، وأيضا ما ذكره فاغمر، الذي تحدث عنهن بأنهن كن يتقن أسلوب النقاش ويبدعن فيه خاصة في المحاكم وأمام القاضي الذي كان منبها بأسلوبهن، ولم يكن يمل من الاستماع لهن "... وكثيرا ماتكون هذه المرافعات شيقة حتى بالنسبة لأولئك الذين لهم إلمام باللغة العربية أو لامعرفة لهم بها على الاطلاق

1 - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 274-285، وانظر: وليام شالر، مصدر سابق، ص 82، وانظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 162، وانظر: أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 140-141، ص 272-338، وانظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 162، وانظر: زوليخة سماعيل المولودة علوش، مرجع سابق، ص 32، وانظر: حميدة بن سالم، مرجع سابق، ص 36، وانظر: نجوى طوبال، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 174، وانظر: سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس عصر ملوك الطوائف (422هـ-479هـ / 1031م-1086م)، ط 1، دار العربية للعلوم والفنون، بيروت، 1435هـ/2014م، ص 72-84، وانظر: صلاح خالص، إشيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م، ص 90-91، وانظر: علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، ط 2، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1976م، ص 102، وانظر: محمد جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، ط 1، دار النشر للجامعيين، 1962م، ص 240-241، وانظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 162.

2 - عائشة غطاس: إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 1986م، العدد 85-86، 1997م، ص 119.

3 - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 201. وينظر: Rozet M: Voyage.Op. cit.P76

4 - عائشة غطاس: إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1986م، العدد 85-86، 1997م، ص 119.

5 - خالد بن عبد الرحمان الجرسى: الرقية الشرعية من القرآن والسنة، ط 9، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1434هـ/2013م، ص ص 22-23، وينظر بيت المال سجل رقم 23.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

خاصة حين يكون النساء طرفا في النزاع وبراعتهم في الحديث والحركات... وهدوء القاضي الذي يترك المتخاصمين يتراشقا بالكلمات دون أن يبدي حركة تدل على سأم أو ملل...¹.

والدليل الثاني كيف نفسّر الثقافة الدينية لبعض نساء المدينة ، وذلك عندما توجهت امرأة مالكية عند المفتي الحنفي وعرض قضيتها عليه بعد إدراكها بأن فتواه المناسبة لها على عكس فتوى المذهب المالكي ، وكانت قضيتها حول عقار خاص بها تتمثل في رغبتها في تغيير دارها بسبعة أثمان من دار أخرى تملكها "...فهل يسوغ لها ما أرادت به على المذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ..."فكان الرد "الحمد لله إذا ثبت ما ذكر فقد أجاب سراج الدين بما نصه والاستبدال إذا تعين بأن كان الموقوف لا يشفع به وتم من يرغب به فيه ويعطي بدله أرضا أو دارا به وتم من يرغب به فيه ويعطي بدله أرضا أو دارا"².

أما بالنسبة للأسر الغنية والأسر العريقة والميسورة الحال رغم رفضها خروج بناتها من المنزل إلا أنها لم تحرمها من التعلم بل كانت تجلب لها شيوخا إشتهروا بالصلاح والتقوى لتعليم بناتهم في البيت مثلما فعل وكيل الخرج ، الذي خصّص لابنته شيخا يعلمها اللغة العربية والقراءة والكتابة والعلوم الدينية و حفظ للقرآن فحفظت ثلثه وعمرها لم يتجاوز 14 سنة ، ولم تكتف الأسر بتلقين بناتها العلوم بل كذلك التدابير المنزلية كغيرها من البنات من طبخ و النسيج وطرز متمثل في طرز الحايك بالخياط الذهبية³.

¹ - أبو العيد دودو: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية ربيع الثاني جمادى الاولى 1392هـ /ماي جوان 1972م ، مجلة لاصالة، السنة الثانية، العدد 8 ،ص39.

² - و.م.ش. ع 38 و10.

³ - وكيل الخرج: هو بمثابة وزير البحرية، من مهامه الإشراف على كل الشؤون الجزائرية المتعلقة بالبحر، بالإضافة إلى تسيير العلاقات الخارجية الجزائرية مع الدولة العثمانية، كما كلف بحساب العتاد ومراقبة أشغال الترسانة، وانظر: بلبروت بن عتو، مرجع سابق، ج1، ص360، وانظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص80، وانظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص338، وانظر: وليام شالر، مصدر سابق، ص82، وانظر: M. Rozet, Voyage, op. cit., p76.

ولكن هناك أسر رفضت رفضاً قاطعاً خروج المرأة من البيت، ووجدت تأييداً من بعض علماء المدينة الذين رفضوا تعليم البنات، وسيطروا بأفكارهم على عقول الجزائريين، ومنعوه من السماح لبناتهم بالتعلم. أما أحمد مريوش فقد برر عدم تعليم الأسر لبناتهنّ بأن الأسر الجزائرية خلال هذه الفترة كانت محافظة، ويؤيده الرأي حميد بن سالم الذي أرجع سبب أمية المرأة خلال هذه الفترة إلى العادات التي انتشرت في مجتمع مدينة الجزائر، والتي حالت دون تعليم البنات وفتح مدارس خاصة بهنّ، واكتفت بإبقائهن في البيوت، وفقاً للعرف السائد آنذاك، والذي ينص على بقاء البنت البالغة من العمر تسع سنوات في البيت، ومنعها من الجلوس مع النساء الضيوف حتى ولو كنّ أقاربها، حتى لا يتمكنوا من النظر إليها. ولهذا، كانت رؤيتها تتم فقط في الحمامات أو الأعراس أو خلسة بعد زيارة بيتها¹.

الهدف من إجبارها على المكوث في البيت بدل السماح لها بالدراسة هو تحضيرها للحياة الزوجية، وذلك بتلقينها دروساً في الواجبات المنزلية، مثل: الطبخ، والتنظيف، والغسل، والطرز، وغيره، وكيفية الاهتمام بشؤون زوجها وعلاقتها معه المتمثلة في الاحترام والخضوع لسلطته باعتباره رب الأسرة، الذي وجب طاعة أوامره، بالإضافة إلى كيفية تربية المولود والرضاعة والحضانة، كما تلقن دروساً في احترام الحماة لتحظى برضاها ورضى زوجها².

إن منع بعض الأسر للبنات على التعلم أدى إلى ظهور نساء أميات و جاهلات كما ذكرى أحد الفرنسيين نقلا عن جوبول بول وولف³.

وكما رأينا سابقا في حديثنا عن الطرق العلاجية كيف أن جهلهم جعلهم يصدقن كل ما ذكرهن من طرق علاجية حتى ولو كانت مخالفة للدين الاسلامي ومحرمه، و ما ذكره توماس إسماعيل أوريان الذي عاش أوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر أهمية إنشاء مدارس للناث فالنساء الاهليات

¹ - Desparmet: Op. cit.P148

² - حسن عبد الحميد أحمد رشوان: مرجع سابق، ص48 وينظر: باسمه كيال: مرجع سابق، ص60 وينظر: محمد رشيد رضا: حقوق النساء في الاسلام، تعليق محمد ناصر الالباني، الكتب الاسلامي، بيروت، 1404هـ /1984م، ص43، وينظر لامية بويدي: مرجع سابق، ص170 وينظر: C.P.H.Valliere: Op. cit. P27

³ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص169.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

مستعدات للخياطة ولديهم رغبة كبيرة في القراءة والكتابة وهذا التقدم المادي سيحرر المرأة الاهلية من الأعمال الجد المتعبة في بيتها وهن سعيدات بهذا التحول الذي يجعلهن كغيرهن وأبنائهن¹.

أما بالنسبة المدن المجاورة لمدينة الجزائر، فقد برزت نساء متعلمات فنجد في بلاد القبائل لالة خديجة زوجة علي بن عيسى المغربي شيخ زاوية الرحمانية، تولت تسير الزاوية بعد وفاة زوجها وهذا دليل على تفقها في الدين مما جعلها تحمل على عاتقها ضرورة استكمال مشوار الزاوية² وفاطمة عمة الولي الصالح محمد بن علي السنوسي بمستغانم، التي أشرفت على رعاية إبنها بعد وفاة والده، وسعت على تعليمه العلوم الدينية خاصة العقائدية والتوحيد³، وأيضا عودة بنت محمد بن علي أهلول، وهي إحدى أشهر نساء مجاجة، وهي منطقة تقع قرب الشلف، واصلت دراستها وتفقها في العلوم الدينية مما أهلها أن تكون معلمة في زاوية أبيها بمجاجة، والمرجح أنها كلفت بتدريس النساء توفيت في البقاع المقدسة بعد أدائها مناسك الحج، تم رثاءها بالأبيات التالية:

لها في العمر نقط ضاد ونيفا ولا لها شغل فيه غير العبادة وصوامه قوامه طول ليلها ودأبها في الأوراد فيه عجوبة ثم يقول: وليس لها مثل سوى من تقدمت في ماضي السنين مثل العدوية⁴.

وفي المسيلة برزت عويشة بنت الشيخ سيدي عبد الله بن رحاب زوجة الورتيلاني، التي وصفها بقوله: " غاية في الأدب والفهم والفظانة تقرا نحو الربع من القرآن وتحفظ العقيدة الضغرى للشيخ السنوسي

¹ -مصطفى عبيد: الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان 1884-1812، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008م، ص ص 122-123.

² - عبد المنعم القاسمي الحسني: مرجع سابق، ص 248.

³ - نفسه، ص 337.

⁴ - عبد الرحمان بن محمد الخروب المجاجي: رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق: سعاد آل سيدي الشيخ، مراجعة وتقديم: قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، ط1، مركز جمعية ماجد للثقافة والتراث، دبي، 1439هـ/2017م، ص 171-172، وانظر: الحاج علي بن الحاج أحمد بنعشيط المجاجي: الأحرف الوهاجة في ذكر شرفاء مجاجة، مطبعة ميهوبي أولاد موسى، بومرداس، ماي 2004م، ص 19-23.

وبعض الرسالة لابن زيد القيرواني وكذا وظيفة الشيخ زروق البرنسي من الأذكار وكذا أختها فاطمة لاتقل عنها قدرا"¹ .

وهناك من النساء من امتلكت مكتبة، مثل السيدة خديجة بنت حسين التي تبرعت بمكتبتها لحسين بن عثمان في سنة 1233هـ / 1817م²، وهذا يدل على ان هناك من النساء من استهوتها المطالعة فاقتنت كتبها شكلت بها مكتبة أو أن هذه المكتبة ملكا لاحد أفراد عائلتها فرأت التبرع بها للاستفادة الغير منها.

وفي إيالة تونس برزت إمراة في المجال العلمي، وهي عزيزة بنت أحمد بن محمد بن عثمان باشا التي عاشت في القرن الحادي عشر هجري / السابع عشر ميلادي ، فرغم كونها كانت ابنة حاكم تونس إلا أنها لم تمنع من التعلم ، وخاصة العلوم الدينية : حفظ للقرآن الكريم والفقهاء والعلوم الأدبية كما تعلمت أصول التربية وكيفية القيام بواجباتها المنزلية كغيرها من البنات المقبلات³ .

وفي ختام حديثنا عن المرأة والتعليم، نقول إن قلة النساء المتعلمات وعدم بروز المثقفات راجع إلى مجموعة من الأسباب لعل أهمها الطابع الأسري المحافظ وهميشهم للمرأة من الناحية العلمية أما المؤرخ أبو القاسم سعد الله فيرجع ذلك إلى عدم إهتمام السلطة العثمانية بتعليم المرأة : " إن من سيئات العهد العثماني عدم إعطاء المرأة نصيبا من التعليم، وذلك كأنها غائبة طيلة العهد⁴ .

3- مساهمة المرأة في تطوير التعليم بمدينة الجزائر :

إن قلة النساء المتعلمات بسبب الحرمان من التعليم لم يمنعها في المساهمة في نشره وتطويره وذلك من خلال دعمها للمؤسسات التعليمية عن طريق الوقف، فمن النساء من أوصت بعد وفاتها بمنح ثلث ممتلكاتها لطلبة العلم، وقامت أمينة بنت السيد الحاج محمد بوشمايم بوقف دويرتها على

¹ - الحسن الورتيلاني: مصدر سابق، ج3، ص112، وينظر ابو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص395.

² - فتيحة الواليش: النساء والسلطة القضائية من خلال عقود الأعباس في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 و18 م، مجلة سيرتا، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسنطينة، مارس 2000م، صص26-27.

³ - عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج3، صص280-281.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص236.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

نفسها ثم على الولية الزهرا بنت السيد الحاج علي بن عطية وبعد وفاة الاخيرة يتم نقل الحبس إلى طلبة القرآن الذين يقرأون الحزب في الجامع الاعظم : " على حزابين الحلقة بالجامع الأعظم ونصف الآخر يقسم بين مسجد الوالي الصالح سيدي رمضان " ¹.

ونجد عزيزة بنت الحاج الصادق، التي يمكن القول إنها كانت على ثقافة واسعة في العلوم الفقهية، والدليل أنها سخرت وقتاً تمثل في مخزن تملكه يقع أسفل باب الحديد على كل من يقرأ كتاب "تنبيه الأنام" لمحمد الجازولي على ضريح محمد الشريف الزهار، فذكرها للعنوان الكتاب دليل على ذلك، ولعل تخصيصها لهذا الضريح ربما كان معلمها أشرف على تدريسها لهذا الكتاب، لأننا نعلم أنه خلال هذه الفترة تتم إجازة طلبة العلم بالتعمق في كتاب معين. وكذلك أمنة بنت مراد قورصو، التي قامت بوقف كوشتها على كل من يقرأ حزبا من القرآن الكريم على قبر زوجها محمد جلي المدفون بالقرب من ضريح عمر التنسي في وقت الزوال، وحزب آخر بعد العصر، واشترطت ضرورة حضور السيد محمد وكيل زاوية الشيخ ليشرف عليهم. ومنهن من اهتمت بالمؤسسات التعليمية كالمساجد، فأوقفت عليها جزءاً من ممتلكاتها، ومن هؤلاء نذكر السيدة مريم الأندلسية من أسرة بن نكرو، التي أشرفت على بناء مسجد ستنا مريم في القرن 11هـ/17م، وتولت العناية به من ترميم وغيره، حتى أنها أوقفت عليه بعض ممتلكاتها العقارية، تمثلت في ثلاثة منازل وأربعة عشر دكناً ².

¹ - م ش ع 2/14 و73، م ش ع 21، وانظر: م ش ع علبة 33، وثيقة 13، وانظر: م ش ع 132-133، وانظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ومؤسساتها، مرجع سابق، ص261-265، وانظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص93، وانظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص163-236، وانظر: صالح فركوس: مرجع سابق، ص556، وانظر: فتيحة الواليش: النساء والسلطة القضائية من خلال عقود الاحباس في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 و18م، مرجع سابق، ص26-27.

² - م ش ع 2/14 و73، م ش ع 21، وانظر: م ش ع علبة 33، وثيقة 13، وانظر: م ش ع 132-133، وانظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية ومؤسساتها، مرجع سابق، ص261-265، وانظر: بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص93، وانظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص163-236، وانظر: صالح فركوس: مرجع سابق، ص556، وانظر: فتيحة الواليش: النساء والسلطة القضائية من خلال عقود الاحباس في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 و18م، مرجع سابق، ص26-27.

إن ظاهرة وقف النساء لبعض ممتلكاتهن على من يقرأ القرآن كانت منتشرة في أغلب الإيالات، وهذا يؤكد على تفقه النساء في الدين وإدراكها لثواب قراءة القرآن بأنه يلحق صاحبه حتى بعد موته ،وهذا ماجعلهن يوقفن بعض ممتلكاتهن على قارئ القرآن الكريم، فبالإضافة إلى ما ذكرناه على نساء المدينة أيضا نجد في طرابلس الشرق أن امرأة أوقفت أجرة حانوت تمتلكه على ابن أختها محمد أغا المرقوم بشرط أن يقرأ عليها القرآن بعد موتها وعلى والديها : " وشرطت الواقفة شروطا منها إقامة ابن أختها محمد أغا المرقوم في وظيفة قراءة ماتيسر من القرآن الكريم ويهدي توابه إلى روح الواقفة وعينت له نظير ذلك جميع أجرة الحانوت الكاينة بالاسلكة مدى حياته ثم من بعده أولاده وإلى أمها وأبيها في كل يوم " ثم أوقفت كل مكونات الحانوت عليه بشرط أن يقرأ عليها أيضا سورة ياسين في كل صباح ويظل مستفيدا من الوقف مدى حياته ومن بعده أولاده وسلالته من يحسنون قراءة القرآن "مدة حياته ثم حتى بعده على أولاده وأنساله وأعقابه من يحسن القراءة"¹.

كما ساهمت من خلال تبرعها بما تمتلكه من كتب في بيتها لإحدى المؤسسات التعليمية مثلما فعلت السيدة خديجة بنت حسين، التي تبرعت بمكتبتها لحسين بن عثمان في سنة 1233هـ / 1817م²، وبعض الإماء من سخرت نفسها لخدمة المسجد حتى أنها طلبت من السلطات العثمانية السماح لها بالإقامة بالقرب منه للحرص على نظافته يوميا بتنظيف أرضيته وغسل أفرشته فسمح لها بذلك وظلت مقيمة بالقرب منه حتى توفيت³.

ب - الذميات والتعليم في مدينة الجزائر :

1- المرأة المسيحية والتعليم:

كانت أغلب النساء المسيحيات أميات وجاهلات، وهذا راجع إلى ديانتهم التي حرمتهم من حق التعلم، وإن أردن معرفة شيء ألزموا على طرحه على الرجل، الذي سمح له بالتعلم دون النساء، فيوجب

¹ - خالد زيادة: دراسات في الوثائق الشرعية، ط1، القاهرة، مصر، د.ت، صص 75-76.

² - فتيحة الواليش: النساء والسلطة القضائية، مرجع سابق، صص 26-27.

³ - ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، صص 58.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

عليهم سؤالهم. يقول رسولهم بولس (Paul): "لتصمت نساؤكم، ليس مأذونًا لهن أن يتكلمن...". وجاء على لسان مارتن لوثر (Martin Luther): "...المرأة يجب أن تُحرم من التعليم"، والسبب هو تخوفهم من تمرداها إذا تعلمت. ومع حلول أواخر القرن السادس الميلادي، سُمح لنساء الطبقة النبيلة بالتعلم، وحُرم منه نساء الطبقات الأخرى¹.

فبالرغم من العدد الهائل للمسيحيين المتواجدين بمدينة الجزائر، من أحرار وأسرى وخاصة رجال الدين الذين توافدوا بكثرة على المدينة من أجل رعاية شؤون المسيحيين، إلا أننا نجد أن اهتمامهم ارتكز على الجانب الصحي ببناء المستشفيات للحفاظ على سلامتهم الجسدية، والكنائس للحفاظ على عقيدتهم والتشبث بها بتلقيهم العلوم الدينية، وأهملوا العلوم الأخرى. ولهذا، فيمكن القول إن التعليم المسيحي بمدينة الجزائر ارتكز على العلوم الدينية فقط وللرجال دون النساء².

2- المرأة الأسيرة والتعليم:

إن بعض الجزائريين من أرباب الأسرى كانوا متسامحين مع مختلف الديانات، ولهذا سمحوا لإمائهم المسيحيات بالتوجه إلى الكنائس للحضور للدروس التي كانت تُقام في الكنائس، والتي كان يقدمها أحيانًا مياتر بيار (Maitre Pierre) في مدينة الجزائر من أجل تعلم أمور دينهنّ.

3- المرأة اليهودية والتعليم:

ظل اليهود بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، متشبثون بتعاليم دينهم، ولهذا فقد منعت المرأة اليهودية من التعلم لأن ديانتهم تحرم على الأسر تعليم بناتها جاء في التوراة: "كل ما يعلم ابنته التوراة

¹ - محمود عبد السميع شعلان: نظام الأسرة بين المسيحية والاسلام دراسة مقارنة، دار العلوم للطباعة والنشر، 1403هـ / 1983م، رياض، المملكة العربية السعودية، ج1، ص ص 185-186 وينظر: سعدية محمد أبو رزينة: مكانة المرأة بين المسيحية والاسلام، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة، جامعة أم القرى 1407هـ، ص ص 182-183، محمود عبد السميع شعلان: مرجع سابق، ص204.

² - عمر داود: الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أمموزجًا، مقارنة سوسيو تاريخية، دار نزهة الألباب، غرداية، د.ت، ص8-9، وانظر

Maury.G:L'eslamisme Et Le Christanisme En Afrique.Paris.Lib.Hachette.1906..Pp102-103.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

فكأنما يعلمها السخافة"¹، وسمحت لها بالذهاب إلى المعابد لأداء الصلاة في أماكن مخصصة لهن بعيدا عن الرجال².

حرمت المرأة اليهودية من التعليم بناءً على ما جاء في التوراة، ولهذا كانت أغلبهن لا يتقن القراءة ولا الكتابة مثل بنات أغلب الأسر الجزائرية التي رفضت تعليم بناتها. ولكن تغير موقف اليهود من تعليم المرأة بعد ظهور مدارس يهودية لتعليم البنات بمعزل عن الذكور، تشرف على تسييرها معلمات يهوديات ربما وفدن من المدن المجاورة للجزائر، فسمحوا لبناتهم بمزاولة التعليم بهذه المدارس. ومن النساء اليهوديات اللواتي برزن في المجال العلمي نذكر: عزيزة بنت جوزيف باكري (Aziza bint Joseph Bakri)، التي تعلمت اللغات وكانت تتقن الحديث بها وخاصة اللغة الفرنسية، ولهذا استخدمت عند احتلالهم للجزائر سنة 1246هـ / 1830م كمتريجة لهم³.

ولكن أغلب الأسر كانت حريصة اليهود على تعليم بناتها دروسا تتعلق بالواجبات المنزلية بدلا من العلوم التي تتلقاها في المدارس وهذا تحضيرا لهم للحياة الأسرية الجديدة الناجحة وخاصة وأنهن كن يتزوجن في سن مبكرة كما رأينا سابقا⁴.

ثانيا: المرأة والمناسبات الدينية .

تختلف طريقة إحتفال المرأة باختلاف المناسبات الدينية فخصصت لكل مناسبة طابعا إحتفاليا خاصا بها.

أ- المرأة الجزائرية المسلمة والمناسبات الدينية:

1- الإحتفال بشهر رمضان:

¹ - ضفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1972م، ص58، وانظر: مسعود كواتي: مرجع سابق، ص109، وانظر: حاتم زعفراني: مصدر سابق، ص70.

² -Esrael Abrahms : Op. cit.P281

³ - فوزي سعد الله: اليهود هؤلاء المجهولون، مرجع سابق، ص149-178، وانظر: قصص من التراث خداج العمياء، دار العلم للمعرفة والنشر، د.ت، ص5.

⁴ - مسعود كواتي: مرجع سابق، ص109، وانظر: حاتم زعفراني: مصدر سابق، ص70

تحتفل المرأة الجزائرية بشهر رمضان الفضيل عن طريق تفنّنها في تحضير مختلف الأطباق اللذيذة حتى تبهر أسرّتها بما جادت به أيديها. فرغم كون هذا الشهر للعبادة، إلا أن المرأة خلال هذا الشهر تكون محورًا أساسيًا فهي سيدة الطبخ، ملزمة على إتقان طبخها. فيمكن القول إن المرأة تحتفل بشهر رمضان الفضيل عن طريق تفنّنها في تحضير مختلف الأطباق اللذيذة حتى تبهر أسرّتها بما جادت به أيديها، لأن الرجل خلال هذا الشهر الفضيل يرغب في تناول أطعمة متميزة وقت إفطاره بعد صيام طويل، فيقضي على الجوع والتعب الذين أصاباه طيلة اليوم¹.

ويكون احتفالها بهذه المناسبة عن طريق السماح لها بتبادل الزيارات الليلية مع الأقارب والجيران، فتكثر في هذا الشهر عزائم الجارات لبعضهن البعض لقضاء سهرة رمضانوية. ويتم التنقل بين بعضهن البعض عن طريق السقوف، التي يصعدن إليها عبر سلم مسخرة لذلك، تجنّبًا للخروج إلى الشارع المليء أحيانًا بالمخاطر. ويجرّصن في هذه السهرة على دعوة كبيرات السن، فيعتبرنّ ضيفات شرف، وبعد تبادل مختلف الأخبار الاجتماعية، يترجّجن العجوز لتروي لهنّ بعض القصص والأساطير التي تحفظها، فيستمتعن بها بعد أن تسرح خيالهنّ إلى الماضي البعيد، وحوهن الأطفال يجمون أو يجلسون للانصات لهذه القصص².

ثم يتوجهون للتسلي بلعبة البوقالة، التي من شروطها وجود امرأة مسنة تقرأ البوقالة³ تجلس عند الطاولة المزينة بإبريق الشاي و بعض الحلويات و الفول السوداني وتلتف حولها النساء، وخاصة اللواتي يتلهفن لمعرفة حظهن ومايخبأه القدر لهن، فتقوم بوضع خاتمها بالابريق وربط جزء من ثوبها ثم تنوي

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص15-29، ص63، وانظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص60.

² - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص15-29، ص63، وانظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص60، وانظر: أحمد بحري: مرجع سابق، ص224، وانظر: Boyer: op. cit., p224، وانظر: رحيمة بن صغير: مرجع سابق، ص196-197.

³ - البوقالة: كلمة عربية وهناك من يرجح انها لاتنية وتنقسم إلى قسمين أب ومعناها صاحب وقلة وبالتالي معناها صاحب أو حامل القلة ينظر: فاطمة دبلمي: لعبة البوقالة، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ، العدد 7، 2009، ص31.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

إهداء هذه البوقالة إلى شخص معين¹، فخلال هذا الشهر يسمح للنساء بقضاء وقت طويل للسمر²، للإنصات للقصص ولعب البوقالات.

2-الاحتفال بالعيدين :

احتفلت المرأة الجزائرية بالاعياد الدينية كعيد الفطر و الأضحى، بطهي الحلويات و مختلف الاكلات الخاصة بالمناسبة كطبق الكسكس، الذي يتم طهيه باللحم ويقدم لأفراد العائلة المجتمعين في فناء البيت³، يضاف إليها بعض الأطباق، التي تحتوي على الزيوت⁴.
وفي مناسبة العيد يسمح للمرأة بالخروج من بيتها، والذهاب إلى أماكن التسلية وغيرها حتى تصبح شوارع المدينة مكتضة بالنساء اللواتي يستغلين هذه الفرصة في الترفيه عن انفسهن⁵.

3-الاحتفال بالمولد لنبي الشريف:

تحتفل المرأة بهذه المناسبة بالسماح لها بالذهاب إلى المقارب لزيارة موتها ثن الذهاب رفقة عائلتها في نزهة إلى إحدى المتنزهات الموجودة بالمدينة⁶.

ب-المرأة اليهودية والأعياد :

1-الاحتفال بيوم السبت :

يُعتبر يوم السبت من الأيام التي تحظى باحتفال الأسر اليهودية، ومن الأعمال التي كُلفت بها النساء بهذه المناسبة هي تنظيف المصاييح الموجودة بأعلى مائدة الطعام، وإشعال شموع السبت، وطهي طبق هُورغين، الذي يُعتبر الوجبة الرئيسية لليهود في هذا اليوم، بالإضافة إلى خبز الشعير بمقدار خبزتين لكل

¹ - أحمد بحري: مرجع سابق، ص224، و Boyer: op. cit., p224، وانظر: رحيمة بن صغير: مرجع سابق، ص196-197.

² -وليام سينسر:مرجع سابق، ص120.

³ - Digo Haedo:Topographie. Op. cit .Pp163-164.

⁴ - وليام سينسر: مرجع سابق، ص120، وانظر: أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص155-156، وانظر: منور مروش: مرجع سابق، ص115.

⁵ - أبو العيد دودو: الجزائر في عيون الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص118.

⁶ - وليام سينسر: مرجع سابق، ص120، وانظر: أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص155-156.

وجبة في الأوقات الثلاث، ويتم تناول الوجبات بكؤوس الخمر. أما بالنسبة لبقية الأعياد الدينية، فتمثل في قيامها بشعائر الطهارة وتحضير الأطباق الخاصة بهذه الأعياد¹.

2- الاحتفال بميلاد الطفل:

يتم الاحتفال بمولد طفل جديد بمجموعة من الطقوس تمثلت في قراءة الكتاب المقدس لمباركة المولد، ثم تحصينه من الحسد والأرواح الشريرة بالحُرُوز التي تحتوي على كتابات بالباحور والجاوي والفاسخ والكبريت، ويتم وضعه في فراشه أو تعلق على رقبته².

3- الإحتفال بختان الأطفال (بريت ميلام):

إن أهم المناسبات، التي تحتفل بها المرأة اليهودية هي: ختان طفلها، الذي يكون في اليوم الثامن من ولادته أو في اليوم السابع، حتى ولو مات الطفل في هذا اليوم فتتم تسميته بإبراهيم، وبهذه المناسبة يتم دعوة الأقارب والأصدقاء للمشاركة في الاحتفال، أما طقوس الختان فتمثلت في ارتداء الطفل ملابس دينية وتلقيبه بالوزير (ouzir)، ثم التوجه إلى البيعة، التي تعتبر مكاناً مقدساً عند اليهود لختان الطفل من طرف الموهيل، وهناك الأسر تكتف بختان ابنها في بيتها ثم تستدعى عشرة أشخاص لإقامة الصلوات الدينية الخاصة بالمناسبة وقراءة سفر حزقيال 16 ثم المزمور 128، وبعد ختان الطفل يقوم الجد بالجلوس على كرسي ويضع جنبه كرسي فارغ يسمى بكرسي "إياهو" الذي في معتقدهم هو صاحب العهد بين الإله وجماعة إسرائيل، وبعد الانتهاء يتجهون للاحتفال للاستمتاع بمجموعة من الأغاني الخاصة بالمناسبة مع زغاريد النساء وتناول أشهى الأطعمة خاصة طبق الكسكس، ثم إعطاء اسم للطفل³.

¹ -الميسري : مرجع سابق، ص 71 وينظر عطاعلي ربه : مرجع سابق، ص 115.

² -فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولين، مرجع سابق، ص 140.

³ - الميسري: مرجع سابق، ص 47، وانظر: حاييم الزعفراني: مصدر سابق، ص 54-55، وانظر: نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م-1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2008م، هامش رقم 1، ص 118، وانظر: مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مرجع سابق، ص 22-23.

ثالثا- المرأة والفنون:

أ-المرأة والموسيقى:

عرف مجتمع مدينة الجزائر رغم تحفظه ظهور مجموعة من الفرق الموسيقية النسوية التي عرفت بإسم "المسمعات" أو "المسامع"، أو المدحات يضرين الدف¹، وهذا لا يتنافى والشرعية الاسلامية التي اجازت للمسلمين استعمال هذه الالة في الأفراح جاء عن عامر بن سعد البجلي قال : (دخلتُ على قَرْظَةَ بنِ كَعْبٍ وأبي مسعودٍ، وجوارٍ يَضْرِبُ بالدُّفِّ وَيُعَنِّينَ، فقالوا: قد رُخِّصَ لنا في اللّهُو عند العُرسِ)². أما أغانيهم فكانت عبارة عن مواضيع من الحياة، سواء تجارب أو مشاكل اجتماعية... إلى آخره، مستوحاة من تجاربهم في الحياة³.

أما عن مضمون الأغاني التي كانت تغنيها النساء، فبعضها كانت عبارة عن مدائح دينية وبعضها عبارة عن أغاني مستوحاة من مشاكل الحياة، التي كانت تعاني منها أو ما سمعته أو شاهدته من قضايا في مجتمعا⁴ ومن هؤلاء المداحات نذكر: فاطمة المداحة بنت علي المحرزي والبجائية المسمعة، وزهرة المسمعة وبختة المداحة ونفيسة المسمعة وجوهرة المداحة معتوقة يمونة بنت الحاج محمد كرد علي والحاجة المسمعة، والمسمعة مريم والمسمعة بنت الحماسي، ومليسة المسمعة. ولكن ما يلاحظ على المبلغ الذي كن يتقاضينه كان بسيطاً لا يتجاوز 108 ريال، بالرغم من الدور الذي يقمن به في إضفاء الفرحة والسرور داخل بيت العرس، واستدعاؤهن للمشاركة في الاحتفالات الوطنية مثل الاحتفال بتنصيب البايات والدنوش، التي كان يستغرق الاحتفال بها يوماً كاملاً، ويستدعين أيضاً لضرب الدفوف في دار

¹ - الشريف الزهار: مصدر سابق ، ص58-36.

² - حديثٌ حسنٌ رواه النَّسَائِيُّ وغيره، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها، وفيه: (واضربوا عليه بالدُّفِّ).

³ - ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر (دار السلطن) ، مرجع سابق ، ص404.

⁴ - Lavion:L'Algérie Muslmane Dans Le Passé Leprésent Et.Challamel.1914.P158-P159-160

الإمارة. فنجد زهرة المسمعة خلفت مبلغاً قدره 14 ريال فقط، وأخرى 29 ريال، ونفيسة 31 ريال، ومسمعة أخرى خلفت مبلغاً 79 ريال¹.

ب- المرأة والرقص:

إن طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ ، ولكنه شهد بروز نساء أردن ممارسة الرقص مما جعل بعض علماء أمثال الورتيلاني يصدرن فتوى تمثلت في السماح للنساء بممارسة الرقص ولكن داخل بيوتهن ، ولم يسمح لهن بممارسته خارجه².

ولكن النساء مارسن الرقص خارج بيوتهن ، فبعضهن مارس الرقص الفلكلوري ، الذي كان أكثر إنتشارا ويتم إستدعاءهن من طرف الأسر في حفلاتهم الخاصة كالزواج وغيره ليضيفن البهجة وسرورا، وكانت بعض الحضريات تمارس الرقص داخل الحمام لتسلية النساء المستحلمات و بعضهن مارسن الرقص الإغرائي، الذي يكون في بعض المناسبات كالأعراس ، وهو عبارة عن حركات إغرائية تقوم بها النساء الراقصات ، حيث تقوم المرأة بإظهار براعتها في الرقص ويتمثل في نزول الراقصات من الأعلى عبر سلم إلى صحن الدار، وهن يتمايلن مظهرين مفاتنهن ، فتسارع كل واحدة منهن في تحريك جسمها بحركات رشيقة وحركات إهتزازية لأردافها و ذراعيها اللذان تحرك بهما شعرها الذي تميله يمينا ويسارا مع كامل جسمها، بالاضافة إلى بعض الغمزات والابتسامات المتوالية حتى تنال إعجاب المشاهدين الذين يعربون على اعجابهم بها بمنحها مبالغ مالية تراوحت ما بين فضية أو ذهبية ، وفي بعض

¹ - ع 8 م 4 ق 56 سنة 1068هـ، وانظر: بيت المال، سجل رقم 19، وبيت المال، سجل رقم 2، وبيت المال والبابلييك، سجل 21، وانظر: بيت المال، دفتر 5 و71، وانظر: بيت المال، دفتر 5 و144، وبيت المال، دفتر 5 و132، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 129، وبيت المال، دفتر 5 و20، وبيت المال، دفتر 5 و28، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 105-113، وانظر: شريف زهار: مصدر سابق، ص 39، وانظر: منور مروش: مرجع سابق، ص 351، وانظر: نورالدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 242، وانظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 182.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 437-439، ص 444-445.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

الاحيان تنل إعجاب أحد المشاهدين الذي في شباكها¹، مما يدفعه نحوها مقدما لها مبلغا ماليا تلصقه على وجهها بماء الورد أو اللعاب، وبعد انتهائها من الرقص يسارع صاحب العرس نحوها منتشلا منها ماجمعه من مال و ومنحها جزء منه فقط²، ومن الراقصات نذكر: فطومة بنت الحاج عبد الله الرقيصة، وأمنة بنت محمد الرقيصة، وفاطمة بنت يمينة³.

ورغم خروج المرأة وممارستها للرقص وتحديها لعرف المجتمع، ومع ذلك لم يتم تهميشهن في المجتمع بل تزوجن من شخصيات لها مكانة اجتماعية في المدينة كالحرفين وحتى بالفقهاء، وهذا يدل على أن هذه المهنة لم تلق معارضة شديدة، ومن هؤلاء نذكر: أمينة بنت محمد الرقيصة تزوجها الفقيه العدل محمد بن العدل محمد الماتجلاقي، وفطومة بنت الحاج عبد الله الرقاصة تزوجت بمعلم رمضان الصباغ بن الحاج عبد الله الصباغ⁴.

ج- الشعراء و المرأة الجزائرية:

كانت المرأة منذ القدم محل إلهام كثير من الشعراء،الذين نظمو قصائد كثيرة حولها من العصر الجاهلي والعصر الاموي فالعصر العباسي⁵.

ولكن ما يلاحظ على هذا النوع من الشعراء إختفى في المدينة خلال العهد العثماني فلم تذكر لنا المصادر العربية أو الأوروبية التاريخية شاعرا تغنى بالنساء ربما لكون المرأة خلال هذه الفترة كانت مقدسة ولا يسمح بأي حال من الأحوال الحديث عنها حتى أن أبو القاسم سعد الله أكد على عدم وجود شعراء بالمدينة تغزلوا

1 - وبلد ليسبور: مرجع سابق، اللوحة رقم 25، وانظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص177، وانظر: محمد سي يوسف: المرأة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص179-180، وانظر: وليام سينسر: مرجع سابق، ص115، وانظر: أبو القاسم سعد الله: التاريخ الجزائري الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص444-445، وانظر: مج 3190، ورقة 13-19-31. Haedo: Topgraphie.P131.

2 - أبو العيد دودو: مرجع سابق، ص121 وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص174.

3 - ع1/26، م1، ق11، سنة 1013هـ، وانظر: ع140، م4، ق76، سنة 1068هـ، وانظر: فوزي سعد الله: يهود الجزائر مجالس الغناء والطرب، مرجع سابق، ص104-105، وانظر: منور مروش: مرجع سابق، ص351، وانظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات شريف زهار، مرجع سابق، ص58، وانظر: ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص143.

4 - ع1/26، م1، ق11، سنة 1013هـ، وانظر: ع140، م4، ق76، سنة 1068هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص132.

5 - رشيد مرسي: رمزية المرأة في الشعر الجاهلي، مجلة فصل الخطاب، جامعة بن خلدون تيارت، العدد 3، ص190-193.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

بالنساء خلال هذه الفترة¹. ولكن بعد عودتنا لبعض الكتابات الأدبية خلال هذه الفترة وجدنا ذكرا لشعراء تغزلوا بالمرأة ونظموا قصائد حولها مثل : بن شاهد الذي وصف المرأة الجزائرية بقوله :

ضَيْبِي تَخَافُ الْأَسَدَ سَطْوَتَهُ لَحْظٌ وَلَكِنْ شَيْوُخُ السَّحَرِ تَخْشُرُ
رَشِيْقٌ قَدْ تَزَيَّنَ الْعُصْنَ قَامَتُهُ بَدِيْعٌ حَسَنٌ سَتَأْفَى الرَّاحَ عَيْنَاهُ².
وماكتبه الكبابي الذي كان قاضيا ثم مفتي من أشعار غزلية حول المرأة:
سَقَانِي مَدَامَ الْحَبِّ سَاحِرَ لِحْظَةً أَرَانِي وُزُودَ الرُّوضِ تَنْدِي بَجْدُهُ³.

وفي تلمسان، نجد الشاعر أبو عبد الله محمد بن سايب التلمساني، والذي نظم قصائد غزلية في نساء تلمسان حتى أنه كتب قصيدة غزلية في زوجة أحد حكام تلمسان الأتراك، الأمر الذي جعل هذا الحاكم يهدده بالقتل، ففر من بلاده نحو القرى المجاورة لاجئاً، طلباً منهم بجدته من القتل، جاء في إحدى قصائده:

يَا أَهْلَ اللَّهِ أَغِيثُوا الْمُهْوَفَ قَبْلَ أَنْ تَبْرُدَ نَارَ الْجَوْفِ
كَيْفَ يَهْنَأُ مَنْ سَكَنَهُ خَوْفٌ وَإِنْ هَمَرَ طَلَابُهُ لِحْقُوهُ⁴.

د- المرأة والألعاب البهلوانية :

رغم ما عُرفَ على نساء مدينة الجزائر خلال هذه الفترة بمختلف فئاتهن، وهو تميزهن بالمحافظة، إلا أن ويليام سبنسر (William Spencer) تحدث عن ظاهرة نسوية يمكن القول أنها غير قابلة للتصديق وقرىها من الخيال أبعد من الواقع، فسبنسر (Spencer) ذكر معلومة مجهولة ولم يحدد لنا الانتماء النسائي للواتي مارسنها، ولهذا يمكن استبعاد وجود مثل هذه الفرقة النسائية، تتمثلت في ظهور فرق نسوية جزائرية تمارس الألعاب البهلوانية في المناسبات، أما بالنسبة لألعابها البهلوانية فتمثلت في: " .. ظهور من 8 إلى 10 نساء لاعبات ينقسمن إلى ثنائيات وكل واحدة تقف إلى جنب صاحبتها، ثم يحملن الزيت ويسكبنه على أجسادهن حتى تصبح براقه، أما ملابسهن فكانت عبارة عن حبات جلدية مطلية بالزيت، ثم ينصرف كل ثنائي مع بعضهما البعض ويلعبن ..."⁵.

¹ - أبو القاسم سعد الله: التاريخ الجزائري الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص29

² - المرجع نفسه، ج2، ص29.

³ - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1830م-1954م) ط1، در الغرب الاسلامي، بيروت، ج8، ص292.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص406.

⁵ - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص ص 123-124.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر العثمانية

هـ- المرأة اليهودية والموسيقى:

شهدت مدينة الجزائر ظهور فرق نسوية يهودية يعزفن الموسيقى ويغنين في المناسبات خاصة في الأعراس ومن هؤلاء المغنيات نذكر: المغنية نفيسة المداحة، التي اشتهرت بضرب الدف، والألمجية فاطمة الكمنجة¹.

¹ - فوزي سعد الله : يهود الجزائر مجالس الغناء والطرب، مرجع سابق، ص ص 104-105.

المبحث الثالث : المرأة و الوازع الديني في مدينة الجزائر

تميز مجتمع مدينة الجزائر في كونه مجتمعا محافظا على تعاليم الدين الإسلامي وحرصه على تطبيق تعاليمه وظهر جاليا من خلال تصرفات حكام وسكان المدينة ولهذا حاولنا معرفة الوازع الديني عند المرأة الجزائرية .

أ- المرأة والايان :

إن إيمان المرأة كان متذبذبا بين إيمان صحيح وشرك بالله غير عمدا ، وذلك بسبب جهلها بعد لجوءها لأحد أضرحة الأولياء الصالحين ، الذين إعتبرتهم بمثابة وسيط بينها وبين الله طالبة منه النجدة والحل السريع لمرضها التي عجزت على إيجاد دواء له والشفاء منه أو مشكلتها إستعصى عليها حلها فهي تعتقد بأنه لاوجود لحجاب بين دعوته واستجابة الله له ، ولهذا تكثر من الزيارات كما رأينا سابقا وبهذا العمل تكون قد أشركت الشرك الأصغر ، والمتمثل في توجيهها لغير الله لقضاء حاجاتها¹ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة النحل الآية 20-21] وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية 194] .

ورغم الآيات التي تنهى عن ذلك وقوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ ابْنُ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [سورة المائدة الآية 72] .

ولكن هذا راجع إلى جهل الذي كان يعم نساء المدينة ، فشركهم لم يكن متعمدا .

ومن شدة اعتقاد المرأة الجزائرية بالمكانة المقدسة التي يحظى بها الولي الصالح عند الله ، فقد تركن وصية من أجل دفنهن بعد وفاتهن بالقرب من أحد أضرحة الأولياء الصالحين من أجل الحصول على

¹ -مبارك بن محمد الميلي :رسالة الشرك ومظاهره ،تحقيق وتعليق ابي عبد الرحمان محمد،ط1 ،دار الراجعية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 1422هـ /2001م ،ص ص 34-35.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

الحماية وهن في قبورهن ،فمنهن من أوصت بدفنها بالقرب من ضريح الولي الصلح سيدي رمضان وأوصت بنت قايد الباب بدفنها عند الولي الصالح سيدي عمر التنسي¹.

ونجد الأميرات فاطمة ونفيسة إبنتي حسن باشا دفنتا بالقرب من زاوية سيدي أحمد بن علي وكتب على قبر فاطمة العبارة التالية "عفر لها الله ولكافة المسلمين أمين أمين"².

ولكن نرجع هذه التصرفات التي قامت بها بعض نساء المدينة هو جهلن لذلك وخاصة وأن أغلبهن لم يلتحقن بالمدارس التي كانت حكرا على الرجال ،ولم يتفقهن في الدين.

ب- المرأة وتعاليم الدين الاسلامي :

هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تبين الجزاء والعقاب على المسلمين دون تمييز في جنس كقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل الآية 97].

رغم هذه الآيات هل التزمت المرأة في مدينة الجزائر بتعاليم الدين الاسلامي ؟ وهذا ما سنلاحظه في العناصر الآتية:

1- أداء الصلاة:

التزمت المرأة الجزائرية بأمر دينها خاصة الصلاة التي هي عمود الاسلام ،وحسب الأسير النرويجي أنهن كن يؤدين صلاتهن داخل بيوتهن ،ولم تكن لهن مساجد خاصة كالرجال³.

2- المرأة وأهوال القيامة :

أدى إيمان المرأة بعذاب القبر والحساب بعد الموت إلى التجائها للاحتماء بأحد بالأولياء الصالحين بترك وصية لورثتها بضرورة دفنها بالقرب من أحد قبور الأولياء الصالحين، مثلما فعلت بنت قايد الباب التي

¹ - م ش ع 78 (4/15) وينظر بيت المال والبايليك علة 16 سجل 100.

² - أحمد بن علي أحد رجال الافتاء وفق المذهب الحنفي بمدينة الجزائر (1150هـ-1169هـ) ينظر: عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ مرجع سابق، ص 226.

³ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103.

دُفنت في مقبرة الولي الصالح سيدي عمر، ومنهن من دُفنت عند ضريح سيدي رمضان، وكانت قبل موتها قد أوقفت له بيتاً، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل منهن من خصصت بعض ممتلكاتها على من يقرأ القرآن على قبرها بعد موتها، مثلما فعلت ميمي زوجة الداوي حسين، التي أوقفت حانوتها الواقع بالبوزة على كل من يقرأ القرآن على كل المدفونين في مقبرة باب الواد، وخصصت خدوجة بنت السيد علي أمين العطارين أرباح حانوتها وقفاً على مقبرة سماية الموجودة بالقرب من باب الواد، وأيضاً قامت سونة وموئي ابنتا إبراهيم الخزندار بدار الإمارة بوقف نصيهما من الحانوت على من يقرأ القرآن على قريهما¹.

3- المرأة وأداء مناسك الحج:

يعتبر الحج ركن من أركان الاسلام فرض على المسلمين ذكورا وإناثا فهل سمح للمرأة الجزائرية خلال العهد العثمانية من أداء فريضة الحج؟

إن أغلب المصادر اكتفت بذكر الحجاج بصفة عامة، وهذا ما يجعلنا نجزم بأن النساء كن ضمن ركب الحجيج، فلو لم يكن ضمن الركب لكان المؤرخون قد استثنوا النساء في ذلك، والمرجح أنهن ذهبن، فقد ورد في وثيقة طلاق تتعلق بالحاجة زهرة التي ذهبت لأداء مناسك الحج مع زوجها محمد، واستمرت في النفقة عليه طيلة سفرهما وأدائهما للمناسك، ونجد ابنة المجاجي عودة بنت محمد بن علي أبهلول، التي رافقت والدها لأداء مناسك الحج وبها توفيت ليتم دفنها بالبقيع، ونجد عويشة زوجة الوتيلاني التي توفيت في تونس طريق العودة من الحج² نساء بنو عامر اللواتي توجهن لأداء مناسك الحج رفقة عائلتهن أزواجهن أو أهليهن، ولكن لفت انتباه الورتيلاني أنهن كن غير ملتزمات باللباس الشرعي، الذي أوجبه

¹ - سجل بيت المال رقم 13: بيت المال عليه 16، سجل 100، وانظر: حمدان: المرأة، مصدر سابق، ص56، وانظر: سجل بيت المال رقم 13، نقلاً عن غطاس عائشة: مرجع سابق، ص124.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ/1710م-1830م)، مرجع سابق، ص307، وانظر: عبد الرحمان بن محمد بن الخروب المجاجي: مصدر سابق، ص171-172، وانظر: أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ج2، ص395.

الدين الإسلامي عليهن: "... فنساء بنو عامر يذهبن إلى الحج مكشوفات العورات، فييدن زينتهن لكل الناس بل يتزينن لذلك ليرتهن من فتن بهن"¹.

4- المرأة وزيارة القبور:

كانت المرأة إذا تعرضت لوفاة أحد أقاربها، فإنها ترتدي بعد وفاة أحد أقاربها لباسًا خاصًا تستقبل به المعزين في بيتها لمدة ثلاثة أيام، وتتجه لزيارة القبر كل يوم جمعة، فمنهن من تكتفي بالترحم عليهم، ومنهن من تجهش بالبكاء خاصة إذا كان المتوفى أحد والديها أو أفراد عائلتها².

5- المرأة والميراث:

كفل للمرأة حقها من الميراث، وفقًا لما جاء في الشريعة الإسلامية، ولهذا نجد أغلب نساء المدينة على اختلاف الجماعات السكانية، التي ينتمين إليها، حصلن على نصيبهن من الإرث، الذي كان يُقسَّم في المحاكم من طرف القاضي تجنُّبًا للشجارات العائلية واستحواذ بعض الذكور على نصيب البنات، فكانت المرأة تذهب للحصول على نصيبها من الإرث بنفسها، وأحيانًا تكلف زوجها بإحضاره. ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: قامير بنت الحاج مصطفى، التي تولَّى زوجها أحمد العطار استلام نصيبها من الإرث، الذي خلفه أبوها الحاج مصطفى والمقدّر بـ 343 ريال دراهم صغار، وورثت نفيسة عن أبيها محمد السمالي منزلا يقع قرب كوشة علي، وورثت زوجة الحاج أحمد الحمار الذي كلفته باستلام نصيبها من تركة أبيها المقدّرة بـ 950 ريال دراهم صغار³، ورثت أمينة عن أبيها مراد قورصو جناتان وطابقًا أرضيًا من منزله وفرنًا، ورثت عن زوجها القبطان شلي بتشين منزلا فخما⁴، ورثت أمينة بنت المرحوم الحاج مصطفى نصف التركة التي تركتها أمها، وأيضًا نجمة بنت إبراهيم الأندلسي التي

¹ -الورتيلاني: مصدر سابق، ص ص 539-540.

² - Venture De Paradis: Op. cit.P262et C.P.H.Valliere : Op. cit.P30.Et Chevqlier D'arveux : Mémoires Du Chevalier D'arvieux Mis En Ordre Par Le R.P.Jean Baptiste Labat .Delespine Le Fils.Paris.1735.T5 .P285 .

وينظر: أبو القاسم سعد الله التاريخ الثقافي:مرجع سابق ، ج 1 ص 161.

³ - ع2/24، م2، ق30، سنة 1148هـ، وع148-149، م1، ق6، سنة 1160هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص171-178، وانظر: صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص138.

⁴ - منور مروش:مرجع سابق ، ج2، ص287.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

ورثتها ابنتها وأختها، ونجد أمنة بنت محمد الأندلسي الخشاب ورثها زوجها وأخيها¹، وورثت خدوجة بنت أحمد عن زوجها 500 ريال، وورثت زوجة العليج خوجة خيل أكثر من 500 ريال، وورثت أمنة مع أولادها زوجها المتوفى علي التونسي².

لم يحرم حكام المدينة نسائهم من الميراث بل طبقوا الشريعة الإسلامية في تقسيم الميراث، ولهذا نجد زوجة الداوي أحمد قد ورثت ملايين من الدينارات³.

لاحظنا أنّ أغلب نساء المدينة حصلن على حقهنّ من الميراث، لكن بعض النساء القبائليات لم تتمكن من ذلك، وهذا راجع إلى العرف المطبق عند بعض القبائل. وحسب ما ذكر الرحالة الورتلاني (Wurtzelani) أن زوجة المتوفى يرثها أخوه مع ما ورثه من التركة: "إذا مات ورث أخوه ماله وزوجته كما كان في الجاهلية"⁴.

وأيضاً كانت المرأة تقسم تركتها مثل تركة الرجل، وفق ما حددته الشريعة الإسلامية، ولكن قد لا تترك المرأة ورثة كأبناء أو زوج أو والديها أو أشقائها، مما يجعل بعض الأقارب يتهافون للحصول على تركتها، مثلما حدث مع سلطانة، التي قام القاضي بتقسيم تركتها وفق ما حدده الشرع الإسلامي في نظام المواريث، بعدما حدث شجار بين بعض أقاربها بين ابن ابنة عمها وأبناء خالتها، وبعد تأكد القاضي من عدم وجود ورثة مقربون لها منح التركة لأبناء خالتها⁵.

وقد يتولى ناظر بيت المال الإشراف على تركتها فيبيعها، مثلما حدث مع الحاجة أمنة بنت أحمد الأندلسي، التي لم يكن لها ورثة، وبعد موتها خلفت تركة تتمثل في دار تقع بالقرب من جامع القايد

¹ - حنيفي هلايلي : أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي ، مرجع سابق ، ص ص 73-74 وينظر مهدية طيبي : مرجع سابق ، ص 186.

² - بيت المال: سجل رقم 2، وانظر: المجموعة 3203، الوثيقة رقم 21، وانظر: حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، ص 268، وانظر: المجموعة 3203، الوثيقة رقم 21.

³ - حليمي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، ص 268.

⁴ - الحسن بن محمد الورتلاني: زهرة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتيلانية، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 112.

⁵ - م ش ع 34 و 23، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 586.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

صفر سند الحبل، فقام ببيعها في المزاد بأربعة آلاف دينار جزائري خمسة العدد¹، وكذلك الزهرة بنت سعدون، التي خلفت تركة تتمثل في سبعة حوانيت تقع بحومة الوالي الصالح سيدي محمد شريف، ولم تترك ورثة، فقام ناظر بيت المال ببيعها في المزاد العلني بثلاثة آلاف دينار جزائري خمسينية العدد ومايتا دينار².

وقد تتوفى المرأة تاركةً ميراثاً بدون ملكية لضياع وثيقة العقد أو عدم توفرها، ومع ذلك لم تتعرض ممتلكاتها للنهب من الأقارب أو الجيران، بل كُفِلت حقوقها حتى بعد موتها، وذلك بمنحها عقد الملكية لممتلكاتها عن طريق شهود، مثلما حدث مع نجمة زوجة القهوجي محمد التريكي، التي توفيت مخلفة وراءها منزلاً في حومة حوانيت زيان، وربما ضاعت ملكية المنزل، ولما أرادوا اقتسام التركة لم يعثروا على الملكية التي وجب عليهم إحضارها حتى يتم تقسيمها، فلجأوا إلى شهود الذين أدلوا بشهادتهم بملكية المتوفاة للبيت³.

حاولت بعض نساء المدينة التحايل على القاضي بإخفاء جزء من التركة، خاصة إذا لم يترك المتوفى ورثة ذكور، وهذا يدل على أنهن كن ملمين بباب الموارث، وهو ما دفعهن للقيام بمثل هذا العمل، مثلما حدث مع فاطمة بنت عبد الله، التي بعد وفاة ابنها محمد بن مبارك، الذي لم يترك ورثة، قامت أمه بإخفاء تركته حتى لا يرثها عمه عبد الرحمن بن أحمد، ولأن العم كان على علم بممتلكات الابن، قام بمقاضاتها، فأنكرت وجود تركة خلفها ابنها، وأمام تعنت الأم جعل العم يجبرها على أداء اليمين بعدم وجود تركة خلف ابنها، فرفضت وتعهدت له بمنحه 60 ديناراً خمسينية في مقابل التراجع عن المطالبة بالتركة، فقبل عرضها⁴.

¹ - م ش ع 2/6 (6) (11)، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 643، وانظر: ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 180.

² - م ش ع 150 (31)، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 643، وانظر: ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 180.

³ - م ش ع 141 و 18، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 643.

⁴ - ع 29-30، م 1، ق 12، سنة 1005هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 632.

وأيضاً ميمي بنت الطيب، التي قامت بإخفاء تركة زوجها علال الانجشاري القرارط بن ابراهيم الذي لم يخلف ورثة من صلبه، وهو ما سيؤدي إلى انتقالها إلى شقيقتها، فقامت باخفاء جزء من تركته ولأن الشقيقتان كانا يعلمان بما يملكه أخوهما من أموال فطالبتها بالتصريح بكل التركة ولكنها رفضت، وهو مادفعهما لرفع شكوى ضدها عند القاضي الحنفي، فخافت الزوجة من عاقبة عملها مما جعلها ترجتهما في التوقف عن ذلك وإستعظفتها بالتنازل على كالي صداقها، الذي لا يزال دينا على زوجها المتوفى فوافقتا و انتهت القضية بالتراضي بينهما¹.

ج- المرأة والوقف:

إيماناً من المرأة وإدراكها لأهمية الصدقة الجارية، فقد لجأت إلى الوقف لتنال الأجر بعد وفاتها إستناداً لقوله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "².

إذا فالمرأة كانت حريصة على دينها وسعت للتقرب من الله عز وجل بمختلف الوسائل، وخاصة بالوقف رغبة في الحصول على رضوانه وجنة الخلد وكذلك دليل على حبها للخير، ولأن الوقف يعرف على أنه إنتقال ملكية بشكل دائم من الواقف إلى الموقوف عليه، فالمرأة بهذا العمل تنازلت على ماتملكه لصالح من أوقفت عليه وقفها³.

ولم تقتصر عملية الوقف على نساء جماعة معينة من الجماعات السكانية المشكلة لمدينة بل شملت كل الشرائح النسوية مثل: المرأة التركية والأندلسية والكرغلية وغيرهن وعلى اختلاف طباقتهن سواء الحاكمة أو عامة الناس⁴.

¹ - ع58، م1، ق21، سنة 1227هـ. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 632.

² - حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه.

³ - وللمزيد من الاطلاع على أوقاف النساء يرجى العودة إلى: صليحة بوزيد مرجع سابق و ينظر: فاطمة زهراء صاري وفتيحة بخاري: الوقف في الجزائر دراسة لعينة من عقود الوقف لرصيد المحاكم الشرعية خلال الفترة العثمانية 958هـ -1551م-1231هـ-

1816م، جزائر، 2012م وينظر: Emerit Mercel: Un Mémoire:Op. cit. P19.

⁴ - عائشة غطاس وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 290-291.

وحسب الباحثة فتيحة الواليش، فلقد شكّلت نساء الطبقة الحاكمة في المدينة النسبة الأكبر في عملية الوقف بفضل الثراء الذي كن يتمتعن به : " فان النساء تكاد تنحصرن بين الفئة العسكرية والادارية الحاكمة وتعني هذا إن بنات الحكام وأزواجهن وأمهاتهن يستفدن من المناصب الرجال ويرجع عليهن فيصرفن جزءا منه في الاوقاف .. " ¹، وكانت أكثر أحباس نساء الطبقة الحاكمة هي أحباس أمنة زوجة القبطان شلي بتشنين و إبنة مراد قورصو ².

وتمثل وقف النساء في بعض الأراضي و المساكن البساتين والمحلات وكان القاضي في تسجيله لعقد وقف المرأة بالعبارة التالية: " هذه الصدقة تمت برضاها دون ضغط أو إكراه من أحد وهي التي تصدقت في حال الرضى والرشد والطوع صدرت عنها من غير حشمة ولا إكراه قبل منها ذلك " ³، ويتولى شيخ البلد الاشراف وحراسة أوقاف النساء ⁴.

وسنحاول فيما يأتي الحديث عن مساهمة المرأة أو استفادتها من الوقف على حسب أنواعه :

1- مساهمة المرأة في الوقف الخيري :

هو الوقف الخيري هو الذي يقدمه الواقف لمؤسسة دينية أو خيرية ⁵، فنجد:

1-2- وقف النساء على الحرمين الشريفين :

أوقفت النساء بعض ممتلكاتها للحرمين الشريفين نظرا لقدسية هذا المكان، الذي فيه الأجر المضاعف ولقد ذكرت الباحثة عائشة غطاس رحمها الله بان أغلب وقف النساء المخصص لهذه المؤسسة الدينية موجود في السويقة و يبلغ عدده 12 وقيمة أي مايعادل 19.35 % من إجمالي الوقف الخاص بها ⁶، ومن هؤلاء النساء نذكر: فاطمة بنت محمد الشفسونسي، في سنة 1111هـ / 1622م

¹ - فتيحة الواليش : مرجع سابق، ص 29.

² - منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 287.

³ - م ش ع 142-143 و 56، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 555.

⁴ - A.Devoulx : Tachrifat.Op. cit .P23

⁵ - فنديلين شلوصر: مصدر سابق، ص 94.

⁶ - عائشة غطاس :الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، مرجع سابق ، ص 247.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

أوقفت بعض ممتلكاتها لصالح الحرمين الشريفين، وعائشة بنت حسن رئيس ، أوقفت نصيبها من الميراث لصالح هذه المؤسسة¹.

وأوقفت أمينة بنت المرحوم الحاج مصطفى جراد الاندلسي ثلث حانوتها على فقراء مكة والمدينة والاندلس²، وقامت قامير بنت السيد مصطفى بن الطبال الاندلسي نصف منزلها الواقع في أعلى حانوت باب السوق على فقراء الحرمين الشريفين³، وقامت عائشة بنت محمد قاسم سالم الاندلسي بحبس ثلث دارها الواقعة بخندق جاور على فقراء المدينة⁴.

1-3- أوقاف النساء للجامع الأعظم :

بعد العودة إلى الدراسة التي قامت بها الباحثة عائشة غطاس رحمها الله حول عدد أوقاف النساء، وجدنا أنها بلغت 138 وقفية، موزعة كالاتي: عدد المنازل حوالي 82 منزلاً، و 27 محلاً، و 19 بستاناً وأملاكاً عقارية أخرى وأحواش الرقعات، و 6 وقفيات البحيرات. وإذا عدنا لإحصائياتها حسب القرون، نجد أنه في القرن 16م / 10هـ كانت قليلة، قدرت بوقفيتين، لترتفع مع القرن 11هـ / 17م حيث بلغت إحدى عشر وقفية، وفي القرن 12هـ / 18م بلغ عددها 58 وقفية، وفي القرن 13هـ / 19م بلغت 67 وقفية. ومجمل الوقف النسائي عند أندري ريموند (André Raymond) هو 225 وقفية، وعدد أوقاف النساء هو 54 وقفية⁵.

¹ - عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 246.

² - م ش ع 34 (2)، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 555.

³ - م ش ع 125/124 (32)، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 555.

⁴ - م ش ع 89 (71)، محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 555.

⁵ - عائشة غطاس وأخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 291؛ ناصر الدين سعيدوني: الملكية والجباية في الجزائر، مرجع سابق، ص 66-67؛ وانظر: ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 238-239؛ وانظر: صليحة بوزيد، مرجع سابق، ص 134-135. وينظر:

André Raymond: Un Document Concernant Les Habous D'Alger, 1837; Faruk Bilici: Les Waqfs Constitués Par Les Femmes À Istanbul Dans La Première Moitié Du XVIe Siècle, in Awqaf, Sixth Year, Rabi 2 1427H / May 2006, No. 10, pp. 13-19

ومن النساء اللواتي كانت لهن أوقافا على الجامع الأعظم نذكر: وقف نفيسة بنت عبد المؤمن زوجة الداوي شعبان جنة على الحرمين الشريفين¹، وأسيا بنت محمد قامت بوقف منزلها أو كما ذكر في الوثيقة دويرتها إلى الجامع الأعظم، فاطمة بنت محمد الشنسوني في سنة 1032هـ / 1622م².
عائشة بنت حسن رئيس التي أوقفت جزءا من دارها "حبست الولية... جميع الربع الواحد من الدار الكائنة بباب السوق مع الربع أيضا من جميع العلوي والاسطبل المتخرجين منها..."³، وأوقفت فاطمة بنت قارة زوجة محمد يولداش العلوي الذي تملكه على المؤذنين بالجامع الأعظم والولية كلثوم بنت محمد قامت بوقف كوشتها الواقعة بمنطقة سند الجبل وقفا على المسجد الأعظم⁴، وأوقفت فاطمة بنت قارة بيتها الواقع قرب جامع خضر باشا على الجامع الأعظم⁵.

1-4-وقف النساء على مؤسسة سبل الخيرات:

تعتبر هذه المؤسسة من المؤسسات الخيرية الناشطة في مدينة، وركزت كثيرا على الوقف الذي يساعدها على نجاح عملياتها الخيرية، ولقد احتلت المرتبة الثالثة من إجمالي الوقف الموجود بالمدينة بعد مؤسسة الحرمين الشريفين والجامع الأعظم⁶.

ومن أوقاف نساء المدينة على هذه المؤسسة، نذكر: وقف ميمي بنت السيد حميدة زوجة السيد حسين باشا المتمثل في حانوت يقع في سوق الحاشية على هذه المؤسسة وأوقفت أمينة التركمانية بنت أسطا أحمد دارها بحارة سيدي محمد بن سالم وقفا خيريا أوقفت نفيسة بنت محمد الباي حانوتا وجزء من حانوت أخر يقعان بالقرب من زاوية سيدي محمد الشريف على هذه المؤسسة، وأوقفت مريم

¹ - م ش ع 33، وثيقة 13، نقلاً عن عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 127.

² - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 2-8؛ وانظر: عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 246-247.

³ - عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق ص 246.

⁴ - و.م.ش ع 38 و 24، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 124.

⁵ - و.م.ش.ع 38 و 23؛ وانظر و.م.ش.ع 38 و 37، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 23.

⁶ - عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص 260.

بنت محمد وقفها تمثل في نصف دار تملكها بحومة الغرارة فوق كوشة علي¹، وأوقفت فاطمة بنت محمد الصباغ حانوتها الواقع قرب زاوية محمد شريف، وأوقفت مريم بنت علي حانوتان موجودان قرب ضريح محمد الشريف الزهار².

وهناك نساء وزعت ممتلكاتها الموقوفة على مجموعة من المؤسسات الدينية، ولم يقتصر على مؤسسة على حساب أخرى مع إشتراطها تخصيص جزء من الوقف على أحد أقاربها مثلما فعلت أمنة بنت السيد الحاج محمد بوشايم، التي لم يقتصر وقفها على مؤسسة واحدة بل تعداه لمؤسسات دينية عديدة مع تخصيص حق الاستفادة من هذا الوقف لزهرة بنت السيد الحاج علي بن عطية حتى موتها³.

1-5-وقف المرأة على مساجد وزوايا المدينة :

خصّصت بعض النساء أوقافا على المسجد الجامع الصفر، بلغت 15 وقفية في السوقية، و3 وقفيات عند كوشة إسكندر⁴، أوقفت عزيزة ابنة محمد وقفها على الزاوية الاندلسية⁵ وأوقفت حنيفة بنت مصطفى خوجة على الزاوية التي بناها زوجها⁶، وأوقفت أخت حضر باشا قمر بنت القائد محمد باي على المسجد الذي بناه أخوها المتوفى⁷.

1-6-أوقاف النساء على العلماء و قبور الأولياء الصالحين بالمدينة:

نظرا للمكانة التي حضي بها الأولياء الصالحين إلى درجة التقديس خاصة عند النساء اللواتي يعتقدن بأن هؤلاء يقومون الصلحاء يقومون بدور الوسيط بينهم وبين الله، ومن النساء اللواتي قدمن وقفها، نذكر:

1 - عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 261-263.

2 - و.م.ش.ع 38 و1، عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ص 264-265.

3 - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 2-8.

4 - عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 264-265.

5 - م ش ع 96 / 97 (38) نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

6 - أبو القاسم سعد الله: التاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 236-237.

7 - - نفسه، ج 1، ص 236.

قايمة بنت عبد الله معتقة ماني، التي قامت بوقف منزل تملكه بسوق الجمعة على بوزيان علي و أحمد إبني الولي الصالح سيدي محمد علي ولم تحدد مدة الوقف بل خصّصته لهما ولأعقابهما حتى انقراض نسلهما فيتم توجيهه للضريح أبيهما ليستفيد منه¹.

وأوقفت شميسة بنت أحمد الأندلسي منزلها الواقع بسوق الجمعة على بوزيان وأخوه أحمد ابني الولي الصالح سيدي محمد علي وعلى أعقابهما وبظل عقد الوقف قائما إلى غاية انقراض سلالتهم²، وأوقفت رقية بنت أحمد دويرتها على إطعام فقراء والمساكين، الذين يزورون قبة عبد القادر الجيلاني في كل عام³، وأوقفت روزة بنت محمد الحزناجي بوسنة جزءا من دارها وجزء الاخر من دويرة أخرى وجزء من كل مخازنها الثلاث على ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي⁴، ونفس الضريح استفاد من وقف ست البنات ابنة مهدي الحسناوي التي أوقفت مع والدها مجموعة من العقارات يملكونها على الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وأعقابه وبعد انقراض سلالتهم يوجه الوقف إلى مؤسسة الحرمين والشريفين⁵، وكذلك ووقفت فاطمة بنت راجب ريس دار تملكها على نفس الضريح⁶.

وأوقفت دومة بنت أحمد مجموعة من الأواني النحاسية تمثلت في فزانات على نفس الضريح وتعهدت باصلاحها في حال تلفها من مدخول دكانها⁷، وأوقفت فاطمة بنت مصطفى بوقف جنتها عليه⁸، و أوقفت عليه زهراء بنت خليل جلسة حانوت تملكها⁹.

¹ - م ش ع 141 و 31. نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

² - م ش ع 141 و 31. نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

³ - م. ش. ع 133-2/134، نقلاً عن بورديعة، مرجع سابق، ص 335.

⁴ - ع 124-125 و 12/2.

⁵ - م. ش. ع 34 و 97. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 520.

⁶ - ع 119-120 و 63. حورية شريد: مرجع سابق، ص 273.

⁷ - ع 2/14 و 50. أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 236-237.

⁸ - ع 119-120 و 63. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

⁹ - ع 132-133 و 1. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

أما أمانة بنت الحاج محمد بوشمايم، فقد أوقفت دويرة تملكها عليه¹ أما فاطمة بنت علي بجنين فأوقفت حانوتها الواقع بسوق البادستان ودار لها بجومة مسيد الدالية على الفقيه العالم أبي زيد عبد الرحمان بن الوالي الصالح الشيخ بيبي محمد الفرجاني وعلى سلالته وبعد انقراضها يتحول للصالح فقراء الحرمين الشريفين².

1-7-وقف النساء على فقراء الأندلس :

لجأت جماعة الأندلسيين إلى مدينة الجزائر وغيره من المدن بعدما فقّدت وطنها، وأُجبروا على مغادرته إلى غيره من الأوطان، كما رأينا سابقاً؛ فمنهم من تمكّن من النجاة بمتلكاته، ومنهم من سُلّيت ممتلكاتهم، وأضحى فقيراً في بلاد المغرب الإسلامي عامة، والجزائر خاصة. هذه الوضعية الاجتماعية التي أصبح بعض الأندلسيين يتخبطون فيها أثرت في بعض نساء المدينة، وخاصة الأندلسيات اللواتي حاولن التضامن وتعاطف مع جماعتهم؛ فقدمن وقفاً لفقراء الأندلس وقفاً، فنجد: أوقفت عائشة بنت محمد بن قاسم سالم الأندلسي ثلث منزلها الواقع بخندق بن جاور على فقراء الأندلس³، وأوقفت امرأة تركية ثلث ثروتها للفقراء الأندلس⁴، وأوقفت خديجة بنت الحاج محمد الحجام حانوتان أحدهما بسوق الخضارين قرب شارع باب عزون و الثاني بباب الواد عليهم⁵، وأوقفت فاطمة وخديجة بنت السيد الحاج محمد بن بن الحاج قاسم حانوتها الموجود بسوق القبائل⁶.

2-وقف ذو أهداف مصلحية :

¹ - ع 33 و 13. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

² - ع 41، م 3، ق 55، سنة 1056 هـ. خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 645.

³ - م. ش. ع 89 (71)، وينظر: محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 510.

⁴ - و.م.ش. ع 106 و 20، نقلاً عن عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 58.

⁵ - م. ش. ع 2/16 (16)(1)، عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 58، وينظر: محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 513.

⁶ - م. ش. ع 2/9 (9)(21)، عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 58، وينظر: محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 513.

قتضت الضرورة إجبار بعض النساء على وقف بعض ممتلكاتهم من أجل تحقيق أهداف معينة، مثلما حدث مع امرأة في مدينة الجزائر، التي دفعته الحاجة إلى الماء، وبعد مسكنها عن مصادر المياه، إلى وقف محلها الذي يقع بجوار سوق الصفرين، بشرط أن يتم تزويد مسكنها الواقع في أعلى سوق الكتان بماء الحنفية، التي بناها أحد البشاوات¹.

3- الوقف الأهلي أو الذري²:

حظي الوقف الأهلي باهتمام نساء المدينة أكثر من الوقف الخيري، الذي سبق وأن تحدثنا عنه³ وإستعملت المرأة الوقف الأهلي لمساعدة أحد أقاربها دون تمييز بين الجنسين الأثني أو الذكر أو الإنتماء الطبقي، ولكنها وضعت معيار الإستحقاق هو أساسالوقف، فنجد:

3-1- وقف الرجل على النساء:

3-1-1- وقف على قريباته :

تَنَوُّعُ الْوَقْفِ الَّذِي خَصَّصَهُ الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ مِنْ مَسَاكِنَ إِلَى جَنَانٍ وَمَحَلَّاتٍ، فنجد:

وقف المساكن مثل: أوقف مصطفى باشا داره الواقعة قرب سباط الحوت على نفسه وأولاده حتى بناته⁴، وأوقف حسين البابونجي يياشي دارا على إبنته أمنة⁵، وأوقف حسين لكباشي دارا على زوجته قامير وعلى أطفاله ذكورا وإناثا⁶، وأوقف علي بتشين بن عبد الله بحبس داره على زوجته وابنته فاطمة

¹ - م. ش. ع 1/26 و 19، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 513.

² - الوقف الأهلي أو الذري هو: الوقف الذي خصص لشخص معين، يكون من الأقارب غالباً، من أجل الاستفادة منه، ويتم تقيده باستعماله وفقاً لما خصص له، ويمنع عليه غير ذلك. وفي المذهب الحنفي يسمح لصاحبه بالاستفادة منه، وكل من ذكر في عقد الوقف من أفراد العائلة أو أجنب عن العائلة، إلى غاية انقراض الأشخاص المذكورين فيه، ثم ينقل إلى آخر مؤسسة دينية وقف لها. أما المذهب المالكي، فإنه ينقل إلى المصلحة التي وقف لأجلها. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: الملكية والحماية في الجزائر أثناء العهد العثماني، مرجع سابق، ص 64-65. ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 232-233.

³ - أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 46.

⁴ - م. ش. ع 56 رقم 39، نقلاً عن صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 185.

⁵ - م. ش. ع 5-6، صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 185، وينظر: عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 58، وينظر: محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 513.

⁶ - كمال السيد أبو مصطفى: مرجع سابق، ص 147.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

وعقب إبنه¹، وأوقف نابي أغا بن إلياس التركي على زوجته فاطمة بنت سالم الأندلسي منزله وكل ما وجد به من تجهيزات من أثاث وغيره²، وأوقف محمد بن علي البوني الأندلسي كل بيته والمخزن والاسطبل الموجود في أعلى عين عبد الله العلني على زوجته وأولاده وماتكاثرو إلى إنقضاء نسلهم فيتم تحويله إلى فقراء المدينة³، وقف الحاج محمد الأنكشاري الصمار العلوي وإسطبل على نفسه ثم شقيقته خديجة ثم يعود الوقف على الجامع الأعظم⁴، وقام علي الأنكشاري الخياط دارا له في حارة أجنان على مريته في سنة 1147هـ/1734م⁵، وأوقف مصطفى خوجة بن عبد الله على زوجته وابنته وقفا تمثل في بيته الواقع قرب عين الحمرا⁶.

أما الجنان: أوقف الحاج رمضان منزل أغا جنينته على زوجته خديجة بنت محمد الصفار وعلى ربيته عزيزة⁷، و أوقف أحمد أمين الثقافية على زوجته عزيزة بنت محمد وزوجة حفيده أمنة بنت أحمد أحمد وعلى معتقة زوجته جنات بنت عبد الله⁸، وأوقف يوسف بلوك باشي بن عروج على زوجته وابنته جنة يمتلكها بفحص العناصر خارج باب عزون⁹، وأوقف قاسم الزباني بن محمد وزوجته رحمة بنت المحجوب بحبس جنة يمتلكها خارج باب الجديد عليهما وبعد وفاتهما يتم نقله إلى مؤدب الصبيان عبد القادر بن يوسف ثم يتحول إلى فقراء الحرمين الشريفين¹⁰.

¹ - منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 262.

² - م. ش. ع 118/117 (23)، وينظر: صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 30.

³ - م. ش. ع 1/13 (13)(32)، صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 205.

⁴ - ع 39، م 3، ق 34، سنة 1216 م، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 828.

⁵ - بوزيد صليحة: مرجع سابق، ص 205.

⁶ - م ش ع 15/1 (5) (27). نقلاً عن بوزيد صليحة: مرجع سابق، ص 30.

⁷ - ع 1/18، م 2، ق 36، سنة 1142 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 121.

⁸ - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد

العثماني، مرجع سابق، ص 8/2.

⁹ - المجموعة 3203 الوثيقة رقم 01.

¹⁰ - م. ش. ع 27 و 4، صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 185.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

أما المحلات، فنجد : أوقف مصطفى باشا حانوته الواقع في الجهة اليسرى لسوق السمن على أبنائه بما في ذلك البنات وحتى ابنته عائشة من زوجته الأولى وكذلك على زوجته عائشة التي ستتولى رعايتهم بعد وفاته¹، وأوقف محمد الانجشاري القنذاقجي دكانه على زوجته تستفيد منه بعد وفاته²، وأوقف العالم أحمد مفتي الحنفية بن حسين حانوته على زوجته³، وأوقف محمد السكاكري بن قدور بوقف حانوته على زوجته⁴، وأوقف الرايس حميدو بشراء دكان وحبسه على أخواته وأبنائهم⁵، ولم يقتصر الوقف الوقف على محل واحد فمن الأزواج من أوقف محلين على زوجته كما هو الحال بالنسبة لحسين خوجة وعلي قائد المرسى ومحمد التاجر بن علي قامو بوقف حانوتان على زوجاتهم⁶، أما وقف الأراضي فنجد: قام الحاج عبد الهادي الوزان بحبس أرضه على أولاده بما في ذلك بناته خدوجة وعائشة و نفوسة وابنها⁷.

عَرَفَت مدينة استفادة بعض النساء من كل ممتلكات زوجها عن طريق الوقف، ويمكن أن نفسر هذا العمل بتفسيران مختلفان: أحدهما ذكره خليفة حماش، الذي برر هذا التصرف بتحاييل الأزواج على بيت المال، التي كانت تستحوذ على جزء من التركة بعد وفاة الزوج، ولهذا فضل هؤلاء نقله عن طريق الوقف إلى زوجاتهم⁸؛ والتفسير الثاني في تخوف الأزواج من مصير نساءهم وأطفالهم بعد الوفاة وتقسيم التركة، وخاصة إذا لم يكن بالأسرة وريث ذكر، فيكون نصيبهم قليلاً، ولهذا لجأ البعض إلى تمليكها لهم عن طريق الوقف خوفاً من خسرتها وانتقالها إلى الأقارب كما يحدث عادة. فنجد: أوقف الفقيه الحاج محمد

¹ - م. ش. ع 28 و9، نقلاً عن صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 185.

² - ع 148-149، م 1، ق 5، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 188.

³ - ع 2/14، م 5، ق 8، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 188.

⁴ - ع 146-147، م 25، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 188.

⁵ - ينظر: منور مروش: مرجع سابق، ج 1، ص 227.

⁶ - ع 37، م 3، ق 25، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 188.

⁷ - المجموعة 3205 وثيقة 12. قسم المخطوطات المكتبة الوطنية.

⁸ - خليفة حماش: الاسرة في مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 184.

بن قريش داره على زوجته، وأوقف محمد شاوش، عسكري، والحاج محمد أوداباشي، وغيرهم قاموا بوقف منازلهم على زوجتهم¹.

3-1-2- وقف على المرأة المكفولة :

تَكَفَّلَت المرأة في حالة ضعفها وعجزها على تسيير شؤونها وبحاجة إلى رعاية بعد فقدها لمن يعينها بموت أو طلاق، فيتولى أحد أقاربها كفالتها، ويتولى الاهتمام بها مادياً عن طريق الوقف، المتمثل في الغالب في بعض العقار، خاصة المسكن الذي يمنحها راحة واستقراراً ويبعد عنها الظلمات، مثلما فعل قاسم بن أحمد البابوجي بوقف داره الواقعة عند حارة أجنان لمكفولته ديمومة، ووقف قاسم بن أحمد البابوجي ويونس بن أحمد بوقف دار يملكها قرب الباب الجديد على مكفولة قاسم، وأوقفت لالاهم بنت حسن جزءاً من دار تملكها قرب جامع خضر إلى مكفولتها فاطمة بنت والي محمد وذريتها، ومنحت فاطمة بنت عثمان وقفاً تمثل في بيت يقع بحومة سيدي محمد الشريف زهار إلى مكفولتها عزيزة بنت محمد وذريتها، وأوقفت فاطمة بنت محمد وقف دار تملكها في أعلى حومة السلاوي على مكفولتها الزهراء بنت رابح وبمونة بنت علي وذريتهما، ووقف الحاج يوسف خوجة مقاطعجي جنته الواقعة عند العيون الساخنة على مكفولته روضة².

3-2- حرمان المرأة من الوقف :

عَرَفَت المدينة حالاتٍ استثنائية لبعض الأسر التي رفضت وقف ممتلكاتها على النساء، ومن الأزواج من ألزم زوجته على توقيع عقد ينص على موافقتها على حرمانها من الوقف، مثلما فعل الحاج علي بن يوسف أغا، الذي أجبر زوجته حسنى على الإمضاء في عقد حرمانها من الوقف المتمثل في حانوت ودار، وأوقفهما على ابنته فاطمة وأولادها وما تناسلوا، وبعد انقراضهم ينتقل إلى الحرمين الشريفين،

¹ - م. ش. ع 38، م 3، ق 46، وينظر: م. ش. ع 57، م 1، ق 4، وينظر: م. ش. ع 9، م 4، ق 32، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 188.

² - م. ش. ع 42/2 و 26، وينظر: م. ش. ع 122 و 28، م. ش. ع 122، م 3، ق 74، م. ش. ع 101-102، م 5، ق 96، م. ش. ع 35، م 4، ق 64، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، صص 612-613.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

وكرم الحاج عبد الرحمن بن زروق زوجته يمونة بنت الحاج برميل من الوقف، تمثل في علوي واقع قرب مسجد سيدي عبد الرحمن، الذي أوقفه على نفسه ثم أولاده ما تناسلوا دون زوجته، لينتقل الوقف إلى الحرمين الشريفين، وكرم عبد الرحمن شابشاب التدلسي زوجاته الأربع من الوقف المتمثل في كل ممتلكاته، وأوقفها على أولاده، وبعد انقراض سلالتهم يرجع الوقف إلى الحرمين الشريفين، وكرم محمد بن علال بناته من وقف تمثل في أرضه الواقعة في بني مسوس، التي أوقفها على أولاده دون البنات: "... وما يتزايد له بقية عمره الذكور فقط دون البنات الموجودات وهن زهرا ومريم ونفوسة..."¹. وأيضا أم محمود بن علال حرمها زوجها من الوقف، ولكن أوقفه على ابنها تمثل في دار تقع ببيير الجياح سند الحبل².

ولكن هناك آباء تراجعوا عن حرمان البنات، خاصة اللواتي على عصمته، واكتفوا بمنع المتزوجات، مثلما فعل الحاج محمد خوجة، الذي أوقف داره الموجودة قرب جامع سيدي سليمان شريف على نفسه وأولاده الذين لا يزالون تحت عصمته ذكورا وإناثا، ومن سيولد، وكرم ابنته فاطمة المتزوجة من وقفه، وبعد انقراض سلالة هؤلاء يتم تحويل الوقف إلى الحرمين الشريفين³.

وسنحاول معرفة موقف المذهب المالكي والحنفي المذهب الرئيسين في المدينة في مسألة منع المرأة من الوقف، فنجد أن المذهب المالكي، ينص على "...تأثيم من وقف على بنيه دون بناته"⁴ ولكن المذهب الحنفي لم يمانع من حرمان البنات من الوقف، ففي استفتاء لأحد العلماء الحنفيين لعالم حنفي آخر أكثر فقها حول مسألة حرمان البنات من التحسيس: "الحمد لله، سادتنا رضي الله عنكم، مسألة رجل حنفي المذهب رام تحسيس داره على نفسه مدة حياته، وبعد وفاته ترجع على أولاده الموجودين حينها دون البنت الكبرى المتزوجة، فإنها ليست داخلة في الحبس المذكور، وعلى أعقابهم

¹ - م. ش. ع 2/37، ق 32، وينظر: ع 1/28، م 1، ق 4، سنة 1077 هـ؛ ع 2/14، م 6، ق 15، سنة 1087 هـ؛ ع

1/27، م 2، ق 13، سنة 1066 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 832.

² - و.م.ش. ع 14 و 18، نقلاً عن عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 24.

³ - ع 142-143، م 2، ق 47، سنة 1109 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 836.

⁴ - محمد أبو زهرة: محاضرات الوقف، ط 2، دار الفكر العربي، د.ب، د.ت، صص 230-231.

وأعقاب أعقابهم، وبعد انقراض الجميع يرجع ذلك لفقراء الحرمين الشريفين مكة والمدينة..."، وكان جواب المفتي بصحة الوقف: "...فيسوغ له ما رام"¹.

إذاً، حرمان بعض الأسر للبنات من الوقف راجع إلى اتباعهم للمذهب الحنفي، الذي لم يعارض مسألة حرمان البنات من الوقف، وهو ما دفع الكثير من الرجال إلى اللجوء إلى هذا كما رأينا سابقاً.

3-3- موقف النساء من الحرمان من الوقف :

تَعَرَّضَتْ بعض نساء المدينة إلى الحرمان من الوقف كما رأينا سابقاً، وهو ما أدى إلى قيامهن بردود فعل مختلفة من امرأة إلى أخرى؛ فمنهن من لجأت إلى القضاء للمطالبة بحقوقها، مثلما فعلت عزيزة بنت عبد الرحمن التي حرّمها زوجها من الوقف واكتفى بمنحه لابنته، مما جعلها تطالب بإبطال هذا الوقف²، وغيرهن من النساء كما سنرى لاحقاً في القضايا التي طرحتها نساء على القضاة. ومنهن من تحايلت في منع تنفيذ ما ورد في عقد الوقف الذي تركه زوجها، وخاصة بعد موته، وذلك عن طريق إخفائها لوثيقة الوقف، مثلما فعلت فاطمة وزهراء ابنتا أحمد بن يوسف بن بادر، الذي أوقف "جميع بلاده الكائنة بوطن بني خليل" على أولاده وحرّمهما من الوقف، ولهذا بعد وفاته قامتا بإخفاء وثيقة الوقف حتى يتم إدراج ما تم وقفه ضمن التركة التي توزع شرعاً. ولكن والدهما كان قد كلف عاشور بن علي بن شيحة بالوصاية على أحد أبنائه، وكان على علم بقضية الوقف، والتي نعتقد أن الواقف كان قد أبلغه بها وتنفيذها، ولهذا طلب من البنّتين إظهار وثيقة الوقف، ولكنهما أصرتا على إخفاء الوثيقة، مما جعل الوصي يرفع ضدّهما شكوى للقاضي المالكي. فكلفتا محمد بن عبيد، زوج زهرة، لينوب عليهما في مواجهة الوصي في المحكمة، وبعد استماع القاضي للطرفين واستدعاء الشهود وتأكدّه من وجود عقد الوقف، تم إصدار قرار بضرورة تنفيذ الوقف كما جاء في العقد³.

¹ - ع 142-143، م 2، ق 47، سنة 1109 هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 833.

² - ع 1/28، م 1، ق 4، سنة 1048 هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 670.

³ - ع 2/24، م 4، ق 25، سنة 1206 هـ، نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 836.

ولكن بعضهن نتيجة لحرمانهن من الوقف فانهن بدورهن حرمن أزواجهن من الوقف كما حدث مع زهرة بنت التلمساني ونفوسة بنت السيد الحاج مصطفى وغيرهن كما سنرى لاحقا اللواتي حرمن أزواجهن من الوقف، ولكن هناك نساء فكرت في زوجها وساءها وضعه فقامت بوقف بعض ممتلكاتها عليه يستفيد منها ما لم يتزوج ويفسخ العقد مباشرة بعد زواجه¹، وأيضا أوقفت رقية بنت عواض الجزء الذي تملكه من بيت يقع قرب سيدي أبو قدور على نفسها وعلى زوجها حمزة شريف بن حسن²، وأوقفت آسيا بنت محمد بيت تملكه بعقبة الجرجري سند الحبل على نفسها وبعد موتها ينتقل الحبس إلى زوجها حسين الانكشاري سياشي ثم ينتقل إلى معتقتها زيد الملك³.

4-وقف المرأة على نفسها وأقربائها:

4-1-وقف النساء على أنفسهن وعائلتهن:

قامت بعض النساء بتحويل ممتلكاتها لنفسها ولعائلتها بالوقف، فنجد: أوقفت أمينة بنت السيد مسعود دارها الواقعة بحومة القصبة على نفسها وإبنها وأعقابهما، وبعد انقراض سلالتها يوجه لصالح الحرمين الشريفين، ولكنها تراجعت على الوقف وفسخت العقد، لأنها أرادت بيعه⁴، وأوقفت قامير بنت رجب جنينتها الموجودة ببيرماد راييس خارج باب عزون على إبنتها نفوسة وأخيها لينتقل الوقف بعد موتها إلى مسجد ضريح سيدي رمضان⁵، وأوقفت عيشوشة بنت الفقيه أمحيدة بن السيد محمد بن الحاج عيسى وبناتها عزيزة وأسيا وفاطمة بنات السيد محمد دار علوي ومخزن

¹ - م. ش. ع 10 و42، وينظر: صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 179.

² - م. ش. ع 6، م 2، ق 32، سنة 1200 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 609.

³ - م. ش. ع 39 و14، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 609.

⁴ - م. ش. ع 1/26 و4، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ج 2، ص 518.

⁵ - م. ش. ع 3 و18، نقلاً عن لطيفة حمصي: المجتمع والسلطة القضائية: المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1222 هـ-1246 هـ / 1710م-1830م، نموذجًا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2011-2012م، ص

يملكه يقع بعين الحمراء على أنفسهن وموت إحداهن تنتقل حصتها للاحداهن التي بقيت على قيد الحياة وبعد موتهن جميعهن يتم نقله إلى الحرمين الشريفين¹.

أوقفت خديجة بنت محمد بن فرميط دارها بحومة السوقية على نفسها وأولادها وأعقابهم ذكورا وإناثا ثم ينتقل الوقف بعد إنقراض النسل إلى مؤسسة الحرمين الشريفين²، وأوقفت عائشة بنت محمد جنتين على نفسها مدى حياتهما وبعد موتهما ينتقل الوقف لابنتها سونة وزوجها محمد التركي البونباجي³ وأوقفت حنفية بنت الحاج سعيد مجموعة من المجوهرات : صارمة فضية وأربعة فردات مساييس وسلسلة وقلادة وستة فردات مقفولة وأربعة أوناييس مصاغ من ذهب و مجموعة من الأثاث الموجودة داخل بيتها وأغطية على ابنها دحمان البحار وعلى أبنائه وأحفاده إلى انتهاء سلالته⁴، وأوقفت الزهراء بنت التلمساني دارها الواقعة قرب حومة السوقية على نفسها ثم أولادها وأعقابهم وبعد إنقراضهم يتم تحويل الوقف لأبناء خالها سي محمد وأولاده وأعقابهم وبعد إنقراض نسله يتم تحويله إلى مؤسسة الحرمين الشريفين⁵، وأوقفت حليلة بنت علي شجرة مثمرة كانت قد ورثتها عن أبيها على أولاد عمها وأعقابهم⁶.

4-1-1-وقف النساء على المربية:

إن المربية هي تلك المرأة التي سعت إلى تربية الطفل تربية جسدية وخلقية حتى يكبر وهو في أحسن الأحوال سواء عن طريق مساعدة والدته التي أنجبتة أو بمفردها، ولهذا قام الأطفال بعد كبرهم على شكرها سواء معنويا أو ماديا عن طريق الوقف، مثلما فعلت ديدومة بنت عثمان خوجة، التي أوقفت على مربيته رقية بنت السيسنو وذريتها دارا تقع قرب مسيد الغولة وأوقف الحاج حسين منزل أولغا

¹ - م ش ع 22 و 5.

² - م.ش. ع 26-52.

³ - المجموعة 3203 الوثيقة رقم 32.

⁴ - م. ش. ع. غلبة 101، نقلاً عن عائشة غطاس: مرجع سابق، ص 124.

⁵ - م. ش. ع 52 (137)، وينظر: ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 170.

⁶ - م. ش. ع 52 (172)، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 170.

دويرة على مريته ، وأوقفت يمونة بنت إبراهيم الشريف على نفسها ومريتها وأطفالها وأعقابها بعض ممتلكاتها¹.

4-1-2-وقف المرأة على جماعة المعتقين:

تميزت بعض نساء المدينة بالرحمة والشفقة على معتقيها وحرصا منها على ضمان حياة سعيدة وهناء بعد العتق، فقد منحتهم وقفا كان في الغالب عبارة عن مسكن لكي يؤيهم بعد رحيلهم من بيت أسيادهم فنجد راضية بنت قارا محمد أوقفت دار لها أسفل العين المزوفة على معتقها الشاب قارة علي ويظل مستفيدا منه إلى غاية وفاته²، وأوقفت بنت سليمان لجينة لها بفحص بئر مراد رابيس على معتقها بلال في سنة³.

وأوقفت خديجة بنت محمد جنة لها بجيدرة لمعتقها⁴، وأوقفت طيطومة بنت الحاج عثمان توته على على معتقها رقية وفاطمة ومحمد وأولاد معتقها مسعود ومرجانة ودريتهم دارين إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة تقع بجومة سيدي عبد الرحمان⁵.

4-1-3-وقف النساء على المكفول:

ذكرنا سابقا بأن المكفولة إستفادات من عقارات كانت في الغالب عبارة عن مسكن يؤيها ونفس الشيء كان مع المكفول الذي استفاد من وقف النساء خاصة ،فنجد زهراء بنت محمد القزادري قامت بوقف نصف بيت تملكه يقع بأعلى سيدي شعيب على مكفولها محمد بن علي، وأوقفت عزيزة بنت الحاج محمد دار تملكها قرب القهوة الكبيرة على مكفولها محمد بن مصطفى وذريته⁶، وقامت فاطمة

¹ - م ش ع 89 م 3 و 56، م ش ع 26 م 1 ق 7، م ش ع 37 / 2، و 15. نقلا عن خليفة حماش، مرجع سابق، ص 612.

² - م ش ع 151-152، م 1، ق 24. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 612.

³ - م. ش. ع 3 و 45، نقلاً عن صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 203.

⁴ - م. ش. ع 54 و 23، نقلاً عن صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 203.

⁵ - م ش ع ع 89 م 1 ق 14. نقلا خليفة حماش: مرجع سابق، ص 612.

⁶ - م ش ع 39 م 2 ق 21. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 612.

بنت محمد بوقف جنة تملكها على مكفولها في سنة 1174هـ / 1789م، وقامت خدوجة بنت حسن بمنح مكفولها حسن بن عثمان بأواني منزلية¹.

د- المرأة والوصية:

الوصية هي قيام الانسان بترك وصية تتمثل في منحه عقارا أو مالا تملكا إلى ما بعد موته ، أو يوصيه بالاعتناء بأطفاله بعد موته².

ولقد حاولنا التعرف على علاقة المرأة بالوصية التي تراوحت ما بين مستفيدة من الوصية إلى موصية، ومن اللواتي إستفدن منها نذكر : أخت علي بتشين ، التي منحها أخوها باقي ثروته مع أسرة خوجة بيري³، وقام الحاج محمد بن العربي أوصى بثلاث ممتلكاته لاخته من الأب⁴، ونفس الشيء أوصت خديجة خديجة بنت العربي بثلت تركتها لأخيها من الأب محمد⁵، وأوصت الزهرة بنت محمد الصباحي بثلت خلفاتها للسيد محمد بن القايد إبراهيم قهواجي⁶.

وأوصى أحمد العطار بثلت تركته لابنته أخيه لونة بنت يوسف⁷ ولكن اللافت للانتباه رغم دخول الزوج ضمن الورثة الا اننا وجدنا بعض النساء تركن وصية يستفيد منها أزواجهن مثلما فعلت الحاجة زينب التي أوصت بثلت تركتها المقدره ب 1437 ريال لزوجها ونفس الشيء بالنسبة عايشة بنت عدول، التي أوصت بثلت تركتها المقدره ب 5429 ريال إلى زوجها⁸ كما كان للريبة حظ من الوصية

¹ - م ش ع 31 و 134. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 612.

² - ميادة بنت كامل آل ماضي: الوصية، دار الوطن للنشر، د. ب، ص 6.

³ - منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 262.

⁴ - م ش ع 16 م 1 ق 2 سنة 1208 نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 863.

⁵ - م ش ع 16 م 1 ق 2 سنة 1207 هـ نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 862 .

⁶ - م ش ع 2 م 44. نقلا عن لطيفة حمصي: مرجع سابق، ص 114.

⁷ - م ش ع 10 م 1 ق 17 سنة 1147 هـ نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 864.

⁸ - ع 3 س 8 و 163 وينظر ع 4 س 11 و 241. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 864.

مثلما فعلت فاطمة بنت الحاج أحمد زوجة بكير خوجة ،التي أوصت قبل وفاتها بثلت ممتلكاتها على ريبتها مريم ابنت زوجها وعلى ابني أختها¹.

1-وصية النساء لجماعة المعتقين :

ذكرنا سابقا بأن بعض جماعة المعتقين إستفدن من الوقف فنجد بعضهن إستفدن من الوصية فنجد: أوصت نجمة بنت عبد الله أمين الاندلس ثلت تركتها لمعتقها محمد بن عبد الله² وأوصت الولية بنت باية ثلت تركتها المقدرة ب370 ريال إلى معتقتها وأوصت مسعودة أم ولد سيد محمد أهجي باش بثلت تركتها لفطيمة معتقة السيد أحمد القروي³.

2-وصية النساء للإماء:

استفادات بعض الاماء من تركة سيداتهن عن طريق الوصية بثلت ،فوجد عائشة بنت علي أوصت بثلت تركتها لأمتها مبروكة ،وأوصت عزيزة الضريبة بنت محمد القهواجي بثلت تركتها لامتها وأوصت فاطمة بنت محمد ثلت تركتها لأمتها ،وقامت عائشة بنت محمد خوجة بمنح ثلت تركتها لامتها زيد المال⁴.

ه-المرأة والهبة:

إستفادات المرأة من الهبة، التي تنوعت ما بين أراضي إلى مجوهرات وغيرها كما كانت بدوها موهبة لبعض أقاربها لمن رأت حاجتهم لذلك.

1-هبات الرجل للمرأة :

¹ - م ش ع 27 / 2 م 5 ق 8 سنة 1173هـ؛ نقلا عن خليفة حماش:مرجع سابق، ص863.

² - م. ش. ع 2/24 (24)(15)، ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 174.

³ - ع 3، س 8 و97، وينظر: م. ش. ع 31 و58، ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 174.

⁴ - م. ش. ع 37 و45، وينظر: م. ش. ع 53 و268، وم. ش. ع 53 و174، وينظر: م. ش. ع 83 و113، ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 174.

قام العالم الفقيه الحاج النيار مفتي الحنفية قبل وفاته قام بتقديم هبة لابنه تقدر 14 سهم ووهب زوجته 3 أسهم وإبنته 7 أسهم¹، ووهب أحمد السكاكري بن الحاج محمد اللمداني ابنته باية سبعون دينارا ذهباً سلطانية سكة قديمة، ووهب حمدان بن خلدنم زوجته مويني بنت بوزيد أمة²، وقامت الحاجة خدوجة بنت محمد بن أحمد بوهب الربيع الفكاه بن علي مجموعة من المجوهرات تمثلت في مساييس وذهب ووزويجة ونائيس³.

ووهب السيد حسن التركي الجراح باسنى ابنته مجموعة من الحلبي والمجوهرات تمثلت في أربعة فردات مساييس ذهب قيمتهم 22 دينار ذهب سلطانية وزوجين مقفولين قيمتهم ثمانية دنانير ذهب بالإضافة إلى عشرون دينارا ذهبية⁴، وإستفادات زهراء بنت الصادق المقاييسي بهبة من زوجها يوسف بن إبراهيم تمثلت في مجموعة من الحلبي الذهبية⁵.

2- هبة المرأة لأقاربها:

مثلما إستفادات المرأة من الهبة نجدها كانت واهبة وهذا دليل على استقلاليتها المالية فنجد: خدوجة بنت إبراهيم بن بحرية تنازلت على صداقها المؤخر لزوجها إبراهيم بن ناسي وأعتبرته بمثابة هبة لزوجها⁶، ووهبت زوجة حسين الانكشاري البلكباشي العلوي لزوجها، ووهبت أمة الله فاطمة مسعودة زوجها بالعيد بن المصراوي بستانا⁷، ووهبت خديجة بنت عبدي ثلت حوشها الواقع بوطن بني موسى لعمها الشاب مصطفى الإنكشاري⁸، ووهبت خدوجة بنت حسن مكفولها حسن بن عثمان قزان

¹ - عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 8/4.

² - م. ش. ع 31، م 1، ق 1، سنة 1242 هـ، وينظر: م. ش. ع 31 و 130، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 711.

³ - م ش ع 52 و 82. ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 174.

⁴ - م ش ع 83-79 نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 174.

⁵ - م ش ع 31، م 6، ق 186، سنة 1207 هـ.

⁶ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 153.

⁷ - م. ش. ع 2/13، رقم 4، وينظر: م. ش. ع 31 و 133، نقلاً عن صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 37.

⁸ - م. ش. ع 2/26 و 3، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 566.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

وصحفة ودبسي النحاس وصارمة¹، ووهبت فاطمة بنت علي التدلسي إبنها الصغيرة التي لازالت في حجرها نفوسة من زوجها محمد البليدي مجموعة من الأشياء تمثلت في :

المجوهرات وهي: ثلاث وسطت مع أربعة فردات مساييس ذهبية مع خمسة خواتم ذهبية بالإضافة إلى زويجة مناجس كبيرة أيضا ذهبية، بالإضافة إلى زويجة مقياس حسكة ذهبية بالإضافة إلى ستة فردات مقفول كبار عنبر مع صارمة فضة والمقفول الذي دخلت به البنت وغيره²، وبعض الأثاث تمثلت في إزار للأركان بالحواشي وإزارين من الشاش بالحواشي مع مخدتين مطرزين³ بالإضافة إلى ملابس تمثلت في قفطان أخضر من الكيخة وأدوات خاصة بالحمام تمثلت في محسين للحمام كبير وصغير مع تنشيقه مطروزة⁴.

ولم تقتصر هيبتها على إبنها فقط بل وهبت والدتها بدرة بنت محمد الصاريفة مصوغة الذهب وحايك أبيض بالحية مع زريبتين عمل القلعة⁵، وأيضا هبت نفوسة بنت بيرم حفيدتها نفوسة بنت محمد بلكباشي غرفة تقع في مقابل الصاعد من الدرج مع الجقلبية من دارها⁶، ووهبت عائشة بنت بلقاسم ممتلكاتها لأحفادها من إبنها ووهبت امرأة أخرى ابن ضرتها دار أو غرفة⁷، ووهبت امرأة حفيدتها أبناء إبنها⁸، قامت نفيسة بنت مصطفى وزوجها محمد بلكباشي بتقديم هبة لابنتهما أمية تمثلت في جنة تقع قرب مرج مولاي حسن خارج باب جديد⁹.

3- هبة المرأة لجماعة المعتوقين :

¹ - م. ش. ع 31-191، نقلاً عن ليلى خيراني: مرجع سابق، ص 173.

² - عائشة غطاس: مجلة إنسانيات، ص 8/5. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 566.

³ - عائشة غطاس سجلات المحاكم الشرعية، مرجع سابق، ص 78.

⁴ - نفسه، ص 566.

⁵ - نفسه، ص 5-8.

⁶ - م. ش. ع 134-135، م 3، ق 50، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 612.

⁷ - المجموعة 2316 وثيقة 57 قسم المخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية.

⁸ - المجموعة 2316 وثيقة 57 قسم المخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية.

⁹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص 274.

من نساء المدينة اللواتي قدمن هبة للمعتقيهم نذكر الزهرا، التي وهبت معتقتها فاطمة مجموعة من المجوهرات والحلي تمثلت في صارمة فضية ومسايس ووناييس¹.

و- المرأة والعلاقات غير شرعية :

إن العلاقات غير شرعية محرمة في الدين الاسلامي ،وعقابها عقاب عسير وقد توعد الله سبحانه وتعالى الزاني والزانية في قوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النور الآية 06]

إلا أن مدينة الجزائر شهدت الكثير من حالات الانحلال الخلقي في فئة النساء، سواء طوعية أو عمدا، ولكن أغلبهم مدفوعين بأسباب أهمها:

1-الضعف والحرمان العاطفي، سواء بسبب جفاء العائلة أو غيره، فتسعى في البحث عنه في مصدر آخر في الزوج، ونتيجة لتأخر زواجها وإستعجالها، فإنها تنجر نحو أهوائها في إقامة علاقات غير شرعية مع بعض شباب مجتمع مدينة الجزائر.

2-الحالة النفسية، التي تصاب بها المرأة بعد طلاقها، واضطهاد بعض سكان المدينة لها، حتى ولو كان طلاقها بسبب العنف الأسري الذي سلط عليها زوجها²، فتلجأ إلى الانحراف للهروب من الواقع المر الذي تعيشه أما الأسير النرويجي فيفسر لجوء المطلقات لهذه العلاقات بقوله "إذا لم تجد حلا عليها أن تعمل بائعة هوى لدى الجنود الأتراك حيث تصبح مجبرة على الخضوع لنزواتهم"³.

3- رغبة بعضهن في الاستزاق والحصول على الأموال لمساعدة عائلتها الفقيرة، وذلك بتجارة الرذيلة ، ولقد أكد على هذا سيمون بفايفر بأن أغلبهن ينتمين إلى أسرة فقيرة دفعهن اليأس للممارسة

¹ - م. ش. ع 52/59، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 178.

² - سيمون بفايفر: مرجع سابق، ص 179.

³ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182 وينظر نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

العلاقات غير شرعية¹، ولكن بعد العودة إلى التركة المالية التي خلفتها إحدى هؤلاء النساء بعد موته بنجدها بسيطة تمثلت في : 20 ريال و 68 ريال وكأ أكبر مبلغ نجد 70 ريال².

ومن أجل كبح هذه الظاهرة ومنعها من الانتشار في وما قد ينجر عنها من إنعكاسات خطيرة قامت سلطات مدينة الجزائر بتقييدها بمجموعة من الضوابط، تمثلت في تعيين موظفين يشرفون على تسييرها ومراقبة هؤلاء النساء الباغيات، وهم: المزوار وكاهية الحزناجي وقول آغا³.

ويرجع بعض المؤرخين تساهل السلطة مع الباغيات والسماح لهن بهذا النشاط إلى قلة النساء مقارنة بعدد الذكور، وهو مآدى إلى بناء مراكز للدعارة يشرف عليها المزوار⁴، ولعل المقصود بقلة النساء التركيات مقارنة بعدد الرجال الأتراك وكما رأينا سابقا بأنه لايسمح للانكشاري بالزواج من جزائرية وإلا سيحرم من بعض الامتيازات.

يشرف المزوار على حي كبير به باب يفتح ويغلق وفقا لأوامره، يمكن القول أنه مثل السجن، ولكن عندما تولى علي باشا سنة 1232هـ / 1816م حكم الجزائر سارع إلى تخطيطه ونفي المموسات إلى مدينة شرشال ليعود نشاطهم من جديد بتولي الداى حسين الحكم عن طريق بناءه دارا خاصة بالمموسات سميت بدار الحمراء. أما شريف الزهار فيطلق عليها إسم قنطرة الزنا أو حارة المموسات : " وأول أعماله الخسيسية... أنه بنى قنطرة الزنا... وأباحها لأبناء جنسه " ⁵.

1 - نفسه.

2 - بيت المال سجل رقم 2 .

3 - المزوار، أو كما يسميه بيتي دولاكروا بفارس الترقب، أحد موظفي الحكومة، يساعده في أداء مهامه المتمثلة في التحول ليلاً ونهاراً في المدينة رفقة ثلاثة من الحرس، وسركاجي، وقائد الفحص، وبعض الأعوان من المرسى لمراقبة تحركات سكان المدينة والنساء البغايا، وبعد الانتهاء اليومي ينجز تقريراً مفصلاً يقدمه للداى، فيه ذكر للمخالفات التي قام بها هؤلاء، وليام شارل: مصدر سابق، ص 77. ناصر الدين سعيديوني: ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 243.

4 - عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، ص 266.

5 - بيت المال، دفتر 5 و75، وينظر: بودريعة: مرجع سابق، ص 228. وينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات شريف الزهار، مصدر سابق، ص 130. وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 85-99-100-110. وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 288. وينظر: برادي: مرجع سابق، العدد 41، صص 108-110. وينظر: ناصر الدين سعيديوني والمهدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص 101.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

وبالموازاة مع هذه الحارات، هناك بيوت دعارة أنشأها اليهود، وكانت محل إقبال بعض الانكشارية. أما عن الجماعات التي تنتمي لها هؤلاء النساء، فحسب روزات (Rozat)، بعضهن من جماعة الحضرة والعرب، وبعضهن زنجيات، اللواتي تراوح عددهن بين 80 إلى 90 زنجية، يخضعن لسلطة قايد الوصفان الذي سمح لهن بممارسة هذا العمل في مقابل ضريبة يقدمونها له قدرت بـ15 بوجو. ويضيف إليهن سيمون بفايفر النساء اليهوديات اللواتي وصفهن بالحمول ويفضلن بيع أجسادهن على ممارسة أعمال أخرى، ولكن دوشسن (Duchesne) ينفي وجود يهوديات مارسن هذا العمل، ويؤكد أنه لم يمنح لهن تصريحاً لممارسة هذا العمل. والمعتقدات والجواري، وهناك من أضاف إليهن المورسكيات، ولم تذكر امرأة تركية مارسن هذا العمل. ولقد بلغ عدد هؤلاء النسوة قبل الحملة الفرنسية على الجزائر، حسب ما ذكره روزات (Rozat)، ستة آلاف مومس، وأحياناً يحدد عددهن بثلاثة آلاف مومس، ويوافقه الرأي دوشسن (Duchesne) الذي حدد عددهن بثلاثة آلاف، أما بوير فيرى بأن عددهن كان مرتفعاً، وهو ما أدى إلى انخفاض أسعارهن¹.

رغم سعي السلطة لضبط نشاط المومسات بإحصائهن وتشديد الحراسة عليهن، إلا أن بعضهن تمكن من التمرد على قوانين المزوار، ومارسن الرذيلة خفية عنه في أماكن لا يعرفها، حتى يتقاضين أجر عملهن كاملاً دون تقديم نصيب للمزوار. ومن الأماكن التي نشطت بها المومسات نذكر: بير الرمان، وبير الدباج، وغيرهما².

¹ - بيت المال، دفتر 5 و75، وينظر: بودريعة: مرجع سابق، ص 228. وينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات شريف الزهار، مصدر سابق، ص 130. وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 85-99-100-110. وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 288. وينظر: برادي: مرجع سابق، العدد 41، صص 108-110. وينظر: ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص 101.

E.A. Duchesne: De la Prostitution dans la Ville d'Alger, Paris, 1853, pp. 21, 135, 144. Rozat: Voyage, pp. 113-114, et Boyer: Op. cit., pp. 227-228. Venture de Paradis: Op. cit., pp. 108-110, et Boyer: Op. cit., p. 229, et Rezat: Op. cit., pp. 113-114.

² - E.A. Duchesne: Op. cit., pp. 139-144, et Leauger de Tassy: Op. cit., p. 243.

وينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات شريف زهار، مصدر سابق، صص 172 244 .

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر العثمانية

يعود تاريخ انتشار هذه الظاهرة في مدينة الجزائر إلى القرن 10 / 16م حسب هايدو وامانويل درنادا، ويضبطه هايدو بسنة 1082هـ / 1671م، ونتيجة لكثرت عدد الموسسات خلال هذه الفترة جعلت بعض الاوربيون يصفون كل النساء الجزائريات بالعاهرات " ..بالرغم من انه لاتسامح ... لا يوجد إمراة من الجزائر لاتمارس البغاء ... دون خوف من الموت فقد يرمى بهم في البحر كالعادة " أما ميشال أبار فيرى أن هذه الظاهرة إنتشرت بكثرة في بلاد المغرب ، وذلك عندما قام باجراء مقارنة بين المجتمع الجزائري والمغربي في هذا المجال فرأى " .. أن نساء المدينة الجزائر كن أقل شهوانية وإباحية من المغربيات ... ظاهرة الاباحية لدى نساء الجزائر أقل من المغربيات .. " ¹.

1- القوانين المطبقة على المرأة العاهرة:

تتوجه المرأة الراغبة في ممارسة البغاء إلى المزوار وتصرح له بذلك ويقوم بتسجيلها في دفتره ويؤمرها بالالتزام بالقوانين التي حددتها السلطة، وهي كالآتي :

أن تقطع صلتها بأهلها وإن كانت من جماعة البرانية فتقطع علاقتها أيضا بسكان بلدتها ، وأن توافق على تسخيرها للجنود ².

2- خطوات ممارسة البغاء :

يتجه الرجل الراغب في ممارسة الرذيلة مع إحدى الموسسات وبعد توفيره للمال اللازم إلى المزوار الذي يستلم منه الطلب المتضمن مجموعة من المعلومات أهمها:

السعر المتفق عليه ، تاريخ استقباله في المركز ، وبعد الاتفاق يقوم المزوار بتوفير له المرأة والغرفة في ذات الفندق الذي كان مقسما وفقا للانتماءات الطبقية للعاهرات فجزء خاص بموسسات إماء ، والجزء الآخر خاص بالموسسات الحضريات ³.

¹ - Et Haedo Digo: Topographie, Op. cit., p. 38, et A.A. Duchesne: Op. cit., p. 20.

وينظر: ميشال أبار : مرجع سابق، ص 52.

² -; Le Roy: Op. cit., pp. 64-65, et Venture de Paradis: Alger au 18e siècle, Op. cit., pp. 77, 189, 225.

³ - Venture de Paradis: Alger au 18e siècle, Op. cit., pp. 77, 189, 225, et Le Roy: Op. cit., pp. 64-65.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

بعد انتهاء العملية، يقدم الرجل المبلغ للمرأة نفسها، فتأخذ جزءاً منه، وتقدم الباقي للمزوار، أي ما يعادل من 5 إلى 10 بوجو في كل شهر، ومنهن من تقدم له 2000 قرش في كل شهرين. أما روزات (Rozat) فيذكر بأنها شهرين في كل سنة، في حين حددها بـ 24 ألف فرنك في كل سنة: "... الدعارة قائمة في الجزائر تخضع لقواعد طغاة المزوار ...". وهذا المبلغ الذي يتقاضاه المزوار هو بمثابة ضريبة مفروضة عليهن، مثل مختلف المهن التي فرضت عليها الضرائب، لأن السلطات أدرجت البغاء ضمن مهن المدينة، ولهذا يتولى المزوار إرسال هذه الضريبة، المقدرة بـ 2000 ريال سنوياً، إلى الداى، وفي مصدر آخر فقد 2000 بياستر. أما روزات (Rozat) فيفسر إرسال المزوار هذا المبلغ للداى بأنه نضير موافقته على هذا العمل الدخيل على المجتمع الإسلامي، الذي يرفض وجوده، ولكن فُرض عليهم بأمر وقوة السلطة، فتقبله المجتمع¹.

قد ترفض المموس تقديم المبلغ أو الهدية إلى المزوار عن طريق إخفائها، فإنها تتعرض لعقوبة قاسية تتمثل في الضرب بالفلقة من 500 أو 600 ضربة حسب سيمون بفايفر تؤدي في الغالب إلى موتها أو تتعرض لعقوبة الشنق أو الرمي في البحر².

ولكن ما لوحظ عن المزوار أنه كان متحيزاً إلى جماعة الأتراك، الذين منحهم امتيازات عديدة، أهمها عدم مطالبة المموس بنصيبه من المبلغ في حالة ممارستها البغاء مع تركي، ويسمح لها بمرافقة تركي إلى بيته وممارسة البغاء عنده. ففي حادثة للمزوار، ذهبت مع تركي إلى بيته، ذكرها الأسير النرويجي (Nilsen Nelson)، الذي كان شاهداً على الحادثة، بأن إحدى المموسات كانت سبباً في وقوع شجار بين تركي وعلجي، وذلك عندما قام التركي باستئجارها وأحضرها إلى غرفته، وخلال فترة غيابه رآها علجي، فأعجب بها، وبعد تبادل الحديث ذهبت معه إلى غرفته. ولما سمع التركي بهذا، سارع نحو

صالح عباد: مرجع سابق، ص 313

¹ - وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182، وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 99-100، وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 288، وينظر: ناصر الدين سعيدوني: وثائق جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 240. PP108-110. Op. cit. Venture De Paradis: Alger Au 18.

² - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 179. وينظر: Shaw:op. cit.p377

العلاجي من أجل استرجاعها، وأخذ في توبيخه على عدم احترامه ودخوله غرفته بدون إذنه، ثم أمره بإعادة المموس له، لكن العجيج رفض تسليم المرأة، مما جعل التركي يتوعده بالقتل. وإذا مارست المموس مع رجل من الجماعات المشكلة للمدينة من غير التركي، فإنها ملزمة بدفع الضريبة كل شهر¹. ولم يقتصر ممارسة البغاء مع الأتراك وبقية الجماعات الأخرى، بل كانت أيضا مقصدا للأسرى الذين كانوا يتهافتون عليها ولقد استنكر أروندا وهو أحد أسرى المدينة تصرفاتهم بقوله: "الأسرى يجمعون المال الكثير لكن يصرفونه على لخمور والنساء"². ويمكن تفسير لجوء الانكشارية لهذه المراكز وتسهيلات المزوار لهم إلى عدة أسباب .

3-أسباب لجوء الانكشارية إلى بيوت المموسات:

1- سَهَّل بعض حكام الجزائر نشاط المموسات لتلبية رغبات الجيش الانكشاري، الذي كان يأتي أعزبًا ومحرّمًا من الزواج بالجزائريات إلا بشروط كما رأينا سابقًا، ولهذا سمح لهم باللجوء إلى بيوت الدعارة، حتى أنهم شجعوا الشباب التركي على المجيء إلى مدينة الجزائر للاستمتاع بالدعارة التي لا توجد بتركيا، وأنهم سيحضين بمموسات خصصن لتلبية رغباتهن. ولكن يكون توجه أحد جنود الداوي، تركي أو عجيجي، لهذه البيوت بترخيص، فيستأجرون المموسات أحيانًا إلى بيوتهم: "...وكان بعض الأتراك يستأجرون امرأة شهريًا..."، ويؤيده دوشسن (Duchesne): "... إنهم عاشوا عزبًا يقضون نصف وقتهم في الانحراف والفجور، كانوا مدمنين على الشذوذ الجنسي..."³.

¹ - وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 99-100، وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 288، وينظر: برادي: مرجع سابق، العدد 41، صص 108-110، وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182، وينظر: نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق،

صص 112-113، وينظر: Boyer:Op. cit.P229 Et Rezat:Op. cit. P114.

²- Emanuel Darend: Relation De La Captivité Du Sieur Emanuel d'Arenda Jadis Esclave A Alger, Jean Mommart Editeur ,Bruxelle1662 ., pp. 23-237.

³ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، صص 103. وينظر عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، مرجع سابق، صص 266، وينظر Ae.Duchesne : Op. cit. P21.

وإن حاول أحدهم ممارسة الزنا مع مموس خلسة بدون إعلامهم فإنه يتعرض للضرب بالفلقة ويعزل من منصبه بقرار من الداى¹.

2- لجوء بعض الجنود إلى ممارسة الفاحشة نتيجة لضغوطهم الغريزية التي منع من تلبيتها عن طريق الزواج، بسبب السياسة التشددية التي طبقتها السلطة العثمانية، التي تمنع زواج الأتراك من الجزائريات، رغم قلة النساء التركيات اللواتي في سن الزواج بالمدينة، إن لم نقل إنعدامهن كما أشرنا سابقاً، والمتمثلة في إنزالهم من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية. ومن الانكشارية من طغت عليه صفة الاستعلاء، ففضل ممارسة الفاحشة على الزواج من بنات بقية الفئات الموجودة بالمدينة، ويستحيل على الرجل البقاء بدون زواج. ومن الذين كانوا يترددون على هذه الأماكن نذكر على سبيل المثال: أميرال القوداس إبراهيم كولاري (Ibrahim Collari) في فترة شبابه، وحسب بعض المصادر الأوروبية، خاصة لوجي دوتاسي (Loge Dottasi)، يذكر بأن هناك دايا كان يمارس الرذيلة وهو الداى إبراهيم ، الذي حسب ما ذكر كان مصاباً بالشذوذ الجنسي، ولهذا كان يستدعي النساء الجميلات إلى قصره. وحسب ذات المصدر، أن هؤلاء النساء كن متزوجات، واللواتي كن ينتظرن خروج أزواجهن، فيذهبن إليه رفقة مجموعة من جنوده الذين كلفوا باقتيادهن إليه، وإذا أفشى أحدهم السر فإنه يُقتل².

وفي اعتقادي، هذه الرواية غير صحيحة، ومجرد تهكم على الداى وعلى نساء الجزائر المتزوجات. فكيف لامرأة متزوجة أن تتمرد على أخلاقها وتُقدم على خيانة زوجها، وخاصة وأن عواقب هذا وخيمة قد تتسبب في إعدامهن؟ ولهذا، إذا صححت الرواية، فنعتقد أنهن مموسات يتم جلبهن إليه.

¹ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103، وينظر: عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر: نشأتها وتطورها قبل 1830م، ص 266، وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، صص 99-100، وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 288، وينظر: برادي: مرجع سابق، العدد 41، صص 108-110، وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 182، وينظر: نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، صص 112-113.

Boyer :Op. cit.P229 Et Rezat :Op. cit .P114 Ae.Duchesne : Op. cit. P21.

² - شريف الزهار: مصدر سابق، ص 144، وينظر: أحمد بحري: مرجع سابق، ص 108، وينظر: جون بول وولف: مرجع سابق، ص 162، وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 55، منور مروش: مرجع سابق، ص 298، جون بول وولف: مرجع سابق، ص 162، ناصر الدين سعيدوني: الجزائر في التاريخ، مرجع سابق، صص 92-93.

Lauger De Tassy : Op. cit.Pp 79-80-131et P.Boyer:Op. cit.Pp227-228.

3- وهناك تفسير غريب تمثل فيما ذكره سيمون بفايفر الذي رأى بأن الحرارة المرتفعة ،هي التي دفعت بالانكشارية في التوجه إلى بيوت الدعارة¹، وهذا السبب في إعتقادي غير منطقي .

4-مصير النساء المومسات :

يمكن القول أن مصير المومسات في الغالب كانت مأساوي ، ولعل ما قصده الباحثة ليلي خيراني في ذكرها نساء مجهولات تقصد بمن المومسات اللواتي فضلن حياة البغاء على البقاء مع عائلتهن، فنجد إحداهن أمة تم العثور عليها مرمية في صندوق في أحد الحوانيت، ولم يتفطن لموتها إلا بعد صدور رائحة جثتها المتعفنة فأكشفت الجثة².

إن هذه الموتة الشنيعة التي تعرّضت لها هذه المرأة تجعلنا نجزم بأنها من هؤلاء النسوة، وربما كان صاحب المحل قد مارس معها الزنا، مما جعله يقتلها حتى لا يُفضح أمره. وربما هذا العمل هو الذي دفع الداوي علي باشا إلى توعّد التجار الذين يبقون في حوانيتهم بعد الأذان: "من يبقى في دكانه بعد الأذان فلا يلومن إلا نفسه"، بعقوبات قاسية. ولعل إصدار هذا القرار راجع إلى أخبار وصلتته عن ممارسة بعض التجار للزنا داخل الحوانيت، وكل هذا من أجل القضاء على فاحشة الزنا³.

وإمرأة بقيت تعيش وحيدة فقيرة وبائسة حتى وافتها المنية⁴، ولعل أخلاقها السيئة أبعدت سكان المدينة عنها ولم يتعاطفوا معها.

ولكن المومسات توقفن عن ممارسة الرذيلة والتوبة، وذلك بالتوجه إلى أحد فقهاء المدينة لكي تستفتر على شروط قبول توبتها ثم الإعلان على ذلك ، ويروي بن حمادوش قصة امرأة مموس أعلنت توبتها بعدما أخبرته عن أنها كانت عاهرة تمارس الرذيلة وقد أعلنت توبتها فقبل الفقيه توبتها "...أنها تائبة من ذلك توبة صادقة .." وصادر الفقيه لهذا الحكم استنادا لاية القرانية التالية قال الله تعالى ﴿قُلْ يُعْبَادِي

1 - سيمون بفايفر:مصدر سابق، ص 187

2 - ليلي خيراني : واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر ، مرجع سابق، ص62.

3 - أحمد توفيق المدني :مذكرات شريف الزهار :مصدر سابق،ص136-130، وينظر ليلي خيراني : واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1800م-1817م) مرجع سابق، ص62، وينظر :صالح فركوس: مرجع سابق، ص 491 .

4 - ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1800م-1817م)، مرجع سابق، ص 62.

الفصل الثالث : دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

العثمانية

الذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ
(50) ﴿ سورة الزمر الآية 50 ﴾.

ثم تتجه عند المزوار وتخبره عن إعتزالها لهذه العمل ، فيوافق على إعتزالها ولم يعارضه بل كان يتولى عملية إرجاعه إلى بيتها¹.

ولم تُكُن ظاهرة المومسات خاصة بإيالة الجزائر فقط، بل شهدت إيالة مصر هذه الظاهرة أيضاً. ويصف لنا جوزيف بتس (Joseph Bets)، الذي كان قد زارها، بأن ظاهرة البغاء منتشرة في مصر، وخصّصت لهم أحياء وبيوت لممارسة هذه الرذيلة. ولكن الاختلاف بين نشاط هؤلاء المومسات ومومسات الجزائر يكمن في أن المومسات المصريات يجلسن عند بيوت الدعارة وهنّ بملابس سافرة لافتة للانتباه، ومنهن من ارتدت قمصاناً داخلية مع سراويل حريرية وعباءات شبيهة بعباءات الرجال مصنوعة من الحرير، مربوطة عند الخصر بحزام حريري، ويغطين رؤوسهن بقطعة من القضيصة مزينة بالآليء الثمينة أو الحلبي اللامعة، حتى يُعَرَّ الرجال²، فإذاً، المومسات المصريات كنّ أكثر تحرراً من مومسات الجزائر اللواتي كنّ يسجن داخل بيوت الدعارة.

¹ - ينظر: عبد الرزاق بن حمادوش: رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، مصدر

سابق، صص 251-252،. وينظر J.P Peyssonel: Op. cit.P239.

² - جوزيف بتس: مصدر سابق ، ص36.

الفصل الرابع:

مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية
وعلاقتها بالسلطة القضائية

المبحث الأول: دور المرأة في النشاط الاقتصادي.

المبحث الثاني: المرأة والقضايا السياسية والعسكرية في

مدينة الجزائر العثمانية

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة

القضائية :

- تمهيد:

رغم سيطرة الرجل في مدينة الجزائر على مختلف الأنشطة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، إلا أن بعض نساء المدينة برزت في هذه المجالات، وذلك عن طريق الصناعات الحرفية التي كنّ يتقنها، بالإضافة إلى امتلاكهن للمحلات التجارية. أما في المجال السياسي، فقد كان دورهن غير مباشر، من خلال محاولتهن التأثير في بعض القضايا السياسية، كما سمح لنساء المدينة بالتوجه إلى المحاكم والمطالبة بحقوقهن.

المبحث الأول : دور المرأة في النشاط الاقتصادي:

إن مساهمة المرأة بمدينة الجزائر في المجال الاقتصادي كان نوعا ما ضئيلا، ومع ذلك حاولت بعضهن تلبية حاجيات السوق الجزائرية بما تتقنه من صناعات غذائية ونسيجية كما سنرى.

أولا: دور المرأة الجزائرية المسلمة في الصناعات والحرف:

(أ)-أسباب إنخفاض مساهمة المرأة في الاقتصاد الجزائري :

كانت مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية ضئيلة، وذلك راجع إلى عدة أسباب يمكن ذكرها في النقاط الآتية:

1- السياسة التي مارسها أغلب رجال المدينة على نساءهم والمتمثلة في إجبارهم في المكوث في البيت لتربية الأطفال ورعايتهم، ويتكفل الرجل في تلبية مطالبها، كما رأينا سابقا.

2-إن أغلب نساء الطبقة الحاكمة والغنية كن يفضلن الحفاظ على جمالهن وراحتهن، وتبادل الأخبار والسمر، وهو ما جعلهم يعزفون على العمل وإصابتهم بالحمول¹.

3-تفضيل بعض النساء اليهوديات الحمول والتهاون، والجلوس في الشارع لمراقبة المارة بدلا من ممارسة حرفة معينة، كما رأينا سابقا.

¹ - Alfred D'appier:Op. cit.P17.

وكل هذه الاسباب كنا قد تطرقنا اليها سابقا عند حديثنا عن مكانة المرأة الجزائرية اجتماعيا.

ولكن هذا لم يمنع من ظهور نساء مارسن النشاط الحرفي وأتقنه فكان منتوجهم ذو جودة عالية والسبب الذي دفعتهن للممارسة العمل هو حاجتهن الماسة للمال¹، وخاصة وأن الصناعة الحرفية خلال هذه الفترة كانت مزدهرة،مارست هؤلاء النسوة حرفتهن داخل بيوتهن².

ب - النشاطات الصناعية والحرفية التي مارستها المرأة :

1-صناعة الخبز:

تُعتبر من الصناعات الغذائية التي حظيت باهتمام المرأة، رغم ما رأيناه سابقاً أن هناك جماعات سكانية اقتصت بهذه الصناعة، إلا أن بعض النساء قررن إثبات وجودهن في سوق الخبازة، واشتهرن باسم الخبازات. وقبل مزاولتهن لهذه المهنة، كان لزاماً عليهن الحصول على الموافقة من أمين جماعة الكواشين، والاتفاق معه، فيسمح لهن بممارسة هذه الحرفة، وعليه تبدأ عملهن. فمنهن من تلتحق مباشرة بالعمل داخل الأفران، ومنهن من اكتفت بصناعتها في بيتها ثم ترسلها إلى أحد الكواشين كانت قد اتفقت معه ليبيع لها، ثم يرسل لها السعر المتفق عليه، ومنهن من تتولى بيعه بنفسها بالذهاب إلى السوق. وهؤلاء في الغالب كنّ إمء زنجيات ويهوديات، والمعتقات اللواتي، حسب الباحثة عائشة غطاس رحمها الله ، كنّ أشهر النساء مختصات في طهي الخبز، ويتخذن مكاناً لهن في السوق بمعزل عن بقية التجار، فيتربعن أمامهن ما جلبن من خبز للسوق: "...الخبازات أمتع الشوارع يتهاود في الجملا ويتراضوا في نصف عاشورة..."³، وهناك من فسّر لجوء المرأة لهذه الصناعة هو حاجتها الضرورية للمال⁴.

¹ -أرزقي شويتام: فعاليات المجتمع، مرجع سابق، ص318. وينظر وليام سبنسر: مرجع سابق، ص ص 91-92.

² - أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 193 .

³ - عبد الله بن محمد الشويهد: مصدر سابق، ص 61 .

⁴ - منور مروش: مرجع سابق، ص 351، وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، صص 249-

254، هابنبرش: مصدر سابق، صص 79-80، وينظر: عبد الله بن محمد الشويهد: مصدر سابق، ص 61.

2- صناعة المربي :

من الصناعات الغذائية التي انتشرت في مدينة الجزائر، وخاصةً مربّي المشمش والتين، التي اختصت في صناعته النساء الأندلسيات¹.

3- الحرفة التجميلية:

تعتبر هذه الحرفة من اختصاصات المرأة واقتصرت عليها، لأنها محرمة على الرجل القيام بها. مارستها المرأة داخل بيتها، وتمثلت في تمشيط شعر العروس وتزيينها بمختلف أنواع طلاء الوجه، فتزين لها عينيها وشفاهها، حتى تظهر في يوم عرسها في أبهى حلة لها. ونتيجة كثرة إقبال النساء على هذه الحرفة، فقد تسبب ذلك في زيادة عدد النسوة اللاتي مارسنها²، وخاصةً وأنها تدر عليهن أموالاً طائلة؛ فقد عُثِر على امرأة ماشطة خلفت ثروة قدرت بـ 1424 ريال. ومن حلاقات مدينة الجزائر نذكر: موني وماشطة أخرى يقع بيتها بحومة الخندق قرب حوانيت سيدي عبد الله³.

4- حرفة الحلاقة:

امتلكت بعض نساء مدينة الجزائر محلات لمزاولة مهنة الحلاقة والتجميل، ومن بينهن خيرة بنت مصطفى شاوش، التي كانت تملك محلاً خاصاً بصناعة الحفّافين، وكذلك طومة الماشطة، التي خلّفت بعد وفاتها ثروة مالية بلغت 313 ريالاً. ونظرًا لانتشار هذه الحرفة وشهرتها داخل المجتمع المحلي، صارت بعض الأماكن تُعرّف اعتمادًا على مواقع محلات الماشطات، مثل ما ورد في وصف أحد الدور: "دار ملكها الداوي مصطفى في أعلى سوق الجمعة، وهذه الدار مجاورة لدار الماشطة " ومع ذلك، فإن بعض الماشطات لم تتمكن من تحقيق عائد مالي كافٍ، مما دفعهن إلى الاقتراض، كما هو الحال مع موني

¹ - نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني: إمارة المقرانيين في القرن العاشر هـ - السادس عشر م، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص 41.

² - بيت المال، دفتر 4 و 81-82، نقلًا عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 120، وينظر: نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 146. D'Alonso Cano :op. cit.175 et Desparmet op. cit p158.

³ - ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 144. وعائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254. ونجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 182.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

الماشطة بنت إسماعيل، التي قصدت المكرم همت باش شارشش العسكر للاقتراض منه مبلغًا ماليًا قدره 52 دينارًا سلطانيًا، بقيمة 1.9 ريال الديوان السلطاني¹.

5- صناعة المواد التجميلية :

اختصت النساء القبائليات ببعض الصناعات التجميلية وتوارثتها فيما بينهن، ولكن المصادر وحتى المراجع لم تتحدث عنهن، ولكن نعتقد أنهن جلبنها معهن ومارسناها، ولانتشارها خلال هذه الفترة وكثرة الطلب عليها، تمثلت هذه الصناعة في صناعة السَّخَابِ، الذي يُعتبر من أساسيات التزيّن عند النساء، فهو عقد ذو رائحة زكية ترتديه المرأة في يوم عرسها خاصة، ويتم صنعه بالفول السوداني وعروق نبات الطيب. وصناعة الحُرْقُوسِ الأسود الذي تستعمل في صناعته النبات الشوكي المسمّى بأزْرُو، وصناعة السَّوَالِكِ الذي استعملن في صناعته قشور الجوز، وأيضًا صناعة الكُحْلِ الذي تزيّن به المرأة عيناها وتعتمد في صناعته على أحجار بلورية سوداء، كما صنعن ماء الورد والصابون، الذي استعملت لصناعته رماد الدفلة².

6- صناعة العطور :

يُعتبر العِطْرُ مادةً ضروريةً للزينة سواءً للنساء أو الرجال، خاصةً في المناسبات، فحاجة الناس إليه دفعت ببعض النساء لصناعته، وذلك باستعمال بعض المواد الطبيعية المتوفرة مثل القَرْنُفُلِ والمِسْكِ والعَنْبَرِ والوَرْدِ واليَاسْمِينِ³.

7-صناعة ماء الورد :

عتبر من الحِرْفِ التي مورست من قبل نساء المدينة، مستعملةً مادةً الوَرْدِ المتوفرة في المدينة سواءً بشرائها أو إنتاجها في بستانها الخاص، مثلما فعلت نفسة بنت أَوْسَطًا مُحَمَّدَ البَجَّاجِ، والتي كانت بعد موتها خلفت تركة تمثلت في إحدى عشر قارورةً مليئةً بماء الوَرْدِ مع مستلزمات عملية التقطير من قطارة

¹ - ع 10، م 4، ق 7، وينظر بيت المال سجل رقم 2، و.م.ش.ع 9-13. وينظر م ش ع 37 و 41. نقلاً عن عبد الرحمن نواصر، مرجع سابق، ص 72.

² - نبيل بومولة: مرجع سابق، ص ص 42-43.

³ - نفيسة لخرش: تطور لباس المرأة الجزائرية، الجزائر، 2007م، ص 128-131. وينظر: أبو العيد دودو: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، العدد 8، ص 41.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وزجاجات فارغة. أما عن المادة الأولية لحرفتها والمتمثلة في الوُزْد، وتفادياً لشراءه، فقد خصصت بستانها الموجود بفحص تقصرين لإنتاجه¹.

8-الصناعة النسيجية:

شكّلت نسبة النساء في حرفة الخياطة نسبةً قليلة، فبعد عودتنا لبعض المصادر والمراجع التي تحدّثت عن الحِرْفِ في المدينة، وخاصة الصناعة النسيجية التي كانت تُسمّى بالحَاكَةِ²، لم نجد ذكراً لنساء مارسن هذه الحرفة: "والسيدات لا يعرفن على العموم أعمال الإبرة والخياطة والغزل، ولقد كان الزوج يفصل لهن ثيابهن عند الخياط"³ عكس الرجال. ولأن هذه الحرفة لقيت انتشاراً وازدهاراً واسعاً خلال هذه الفترة، حيث بلغ عدد الحرفين 1200 خياط و3000 نَسَاج و600 مرب لدودة القز و200 حايك للحريز، جعلها محل تهافت التجار الأجانب الذين جاءوا إلى الجزائر لاقتنائها، خاصة المنسوجات الصوفية مثل: البُرْتُوس والحايك والزَّرَائِي والشالات... وساد الترف العظيم كل مكان وصار الناس يبحثون عن الملابس الصوفية ذات الألوان⁴، والصناعة الحريرية، وما نتج عنها من منتوجات مثل: الأحزمة الحريرية وغيرها⁵.

ولهذا عُرفت هذه الصناعة إقبال بعض نساء المدينة، اللواتي ساهمن في غزل الصوف والخياطة وحياسة وصناعة البُرْتُوس والجَلَّابَةِ⁶، وخاصة النساء البُرْتُيَّات، مثل: العربيات اللواتي قدمن من المناطق الداخلية والمنتميات إلى عائلات فقيرة، هن اللواتي مارسن هذه الحرفة، فقد أجبرن من قبل أزواجهن على ممارستها

¹ - بيت المال سجل رقم 01 سنة 1111هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 131.

² - E. Lecuyer: Les Métiers Constantinois à l'époque des Beys. In Revue IBLA, Tunis, 1950, No 13, p. 344.

³ - بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 30. وينظر: نجاة عروة: من وحي التراث المعماري والحرفي في الجزائر، دار دحلب، الجزائر، د.ت، ص 93. وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 176. وينظر: عبد القادر نورالدين: مرجع سابق، ص 281.

⁴ - نفسه.

⁵ - غطاس عائشة: الحِرْفِ والحِرْفِيُّون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 278-279 - الهامش رقم 2، ص 229. وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 93. وينظر: أمين محرز: مرجع سابق، ص 189.

Et Pananti F.: Op. cit., p. 361. et Venture De Paradis (Venture de Paradis): Alger et Tunis, Op. cit., p. 123

⁶ - Boyer: Op. cit.P187 Et M. Rezet:Op. cit..Pp19-20..Et Shaw: Voyage Dans La Règence Dalger .Tr De Langlais.2ed .Tunis Bouslma.1980. . P111 .

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

طمعًا في المال والثراء، وخاصة وأنهن يمتلكن المادة الخام التي تدخل في هذه الصناعة. فسكان هذه المنطقة كانوا يمارسون الرعي، فتوفر عندهم الصوف، وهو ما جعلهم يلزمون نساءهم على الصناعة النسيجية لبيعها وجني أرباح طائلة، وخاصة وأنها كانت تحظى بإقبال كبير من المشترين. ومن المنتجات التي برعن في صنعها: الأغذية، البرانسُ الصوفية، والخيام، ومنهن من احترفت عملية الغزل، ومثل القبائليات اللواتي برعن في عملية الغزل والحياكة فصنعن الحايك¹.

وكذلك النساء البسكريات اللواتي برعن في هذه الصناعة بالاعتماد على المنسج وكذلك الخياطة فكن يخطن ملابسهن بانفسهن باستعمال الابرة والخيط²، وكذلك القسنطنيات كانت تخطى العباءة والمآزر والأغذية بنفسها³.

والنساء القبائليات مارسن الصناعة النسيجية، خاصةً صناعة الحَصِيرِ المستعمل كأفرشةٍ داخل البيوت والمساجد والمقاهي، ويعود فضل احترام وبراعة واتقان هؤلاء النسوة البرائيات للحرفة النسيجية إلى عائلاتهن، الذين كانوا يحرصون على تعليم بناتهن لهذه الصناعة لأنها تدخل ضمن الشروط التي تشرطها عائلة الخطيب على الفتاة عند خطبتها⁴.

كما مارست المرأة الاندلسية الصناعة النسيجية والتطريز خاصة الشبيكة المخمل "... يتعاطين تلك الصناعة بكل لياقة ومهارة"⁵.

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 148-167 وينظر

Rozet M.: Op. cit., p. 171-1920. et G. Laloe: Enquête sur le Travail des Femmes Indigènes à Alger, Alger, 1910, p. 37. P. Ricard: Les Arts et les Industries Indigènes du Nord de l'Afrique, Fès, 1918, p. 28. Digo de Haedo: Topographie, Op. cit., p. 58

وينظر حمدان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص 23

² - محمد العربي حرز الله: مرجع سابق، ص 313-317-316.

³ - ابن الفكون: مصدر سابق، ص 70.

⁴ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 145. وينظر: صالح عباد: مرجع سابق، ص 319. وينظر: ناصر الدين سعيدوني: الحياة

الريفية بإقليم مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 276

E.Violard: Les Industries D'art Indigènes En Alger.Imp Baldachino .Larende Vignier . 1902 .P34

⁵ - مهديّة طيبي: مرجع سابق، ص 32. وينظر: سعيدوني والمهدي البوعبدلي: مرجع سابق، ص 70. توفيق المدني: كتاب الجزائر،

ص 274. وينظر: وليام شالر: مصدر سابق، ص 94

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وبعض النساء اكتفت بغزل الصوف وبيعه للحواكة، الذين يتكفلون بنسجه¹، ولكن هذه الصناعة حسب بعض المصادر لم تصدر إلى خارج الجزائر وذلك لقلة الطلب عليها بسبب رداءة القماش ولهذا اكتفى أصحابها ببيعها محلية في الأرياف والمدن الجزائرية².

والأندلسيات اللواتي مارسن الصناعة الحريرية بتربية دودة القز والحرير وقمن بتعليمها لنساء المدينة من أجل توريث هذه الحرفة والحفاظ عليها من الاندثار، ولهذا أنشأن ورشات لتعليم هذه الصنعة لنساء المدينة³ كما أبدعت الأندلسيات في مجال الطرز على الحرير والجلود، مثل: طرازة الشبيكة، والمحمل، والنساء، والقفاطين، والسترات، والمحارم، والأكامم، والصدريات، وغيرها، وأصبحن يزاحمن الرجال في هذه الحرفة رغم بساطة الأدوات المستعملة في هذه العملية والمتمثلة في الإبرة، وكانت تُمارس داخل البيت⁴.

وحسب هايدو بعضهن مارسن هذه الحرفة داخل محلات خصصت لهذه الصناعة الحرفية⁵ ومن خياطات المدينة نذكر حفصة بنت سي محمد⁶، وبعض الجزائريات من إختصت في صناعة الخيم بشعر الماعز⁷.

¹ - صالح عباد: مرجع سابق، ص 338.

² - Allard(M):Considérations Sur La Difficulté De Coloniser La Règence d'Alger.Paris .1830 . P41 Et Haedo:Topographie. Op. cit .P203.

وينظر بلبروات بن عتو :مرجع سابق ، ج 1 ص 404

³ - Allard (M):Considérations Sur La Difficulté De Coloniser La Règence d'Alger.Paris . 1830 .P41 Et Haedo:Topographie.Op. cit .P203.

وينظر بلبروات بن عتو :مرجع سابق ، ج 1 ص 404-405.

⁴ - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 91-92. وينظر: نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 241. وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرثيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254. وينظر: مهدية طيبي: مرجع سابق، ص 33. وينظر: وليام سبنسر: مرجع سابق، ص 109. توفيق المدني: تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 274.

G .Marcais:Les Brderis Turques d'Alger.Reprinted From Ars Islamica.1937.Vol4..P146

⁵ - Haedo: Topographie.Op. cit.P146 Et Shouval P 148 Et Eudel P :L'orfeverrie Algerenne . Op. cit . Pp 168-214

⁶ - بيت المال سجل رقم 2، نقلاً عن بودريعة: مرجع سابق، ص 238.

⁷ - شريفة طيان: الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 145.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ومنهن من مارست حرفة القياطين بواسطة نول تستخدمه المرأة في ضَفْرِ خيوط فتجلس أمامه وتقوم بضَفْرِ خيوط قماشٍ حريريٍّ مُفْتُولٍ أو قطعٍ مستطيلة الشكل من اليمين إلى اليسار ومن الأعلى إلى الأسفل حتى يصبح شكلها مُضَفَّرًا يحتوي على زخارف¹ تتحصل في النهاية على ما يعرف ببيرم ذهبي في شكل نوبي يختلف طوله حسب رغبة المرأة. وتستعمل القياطين في تزيين الملابس² ويتم خياطتها بالذهب الخالص أو الفضة أو الحرير، أو مواد أخرى، ويتم وضعها في أماكن معينة من الملابس على الجيوب وعند رقبة القميص وعند حواف الملابس وعند الأماكن المرقعة³ كما كانت تُصنع أحزمة تزيينها بخيوط حريرية وغيرها⁴، حسب طبيعة اللباس والقدرة الشرائية، فالمرأة الجزائرية تراعي الإمكانيات المالية للمشتريات.

هناك من المؤرخين من يرجع فضل امتهان بعض نساء المدينة لهذه الحرفة، التي لم تكن تمارسها مثل: حرفة التطريز والصناعة الحريرية، والتي في الغالب كانت حكرًا على الرجال، إلى النساء الأندلسيات عن طريق الاحتكاك فتأثرن بهن، خاصة في مجال الصناعة الحرفية. فلم تبخل الأندلسيات في تعليمهن وخصصن لهن جناحًا في بيوتهن كورشات لتعليم نساء المدينة مختلف الصناعات النسيجية التي يحترفن صناعتها⁵.

وبهذا نجد أن المرأة الأندلسية اندمجت في المجتمع الجزائري، وفتحت بيتها لمختلف نساءه وهدفها هو ازدهار الاقتصاد الجزائري بنشر الصناعة الحرفية التي تتقنها، ولم تحتكر إنتاجها.

¹ النول: عبارة عن قطعتين خشبيتين، فالأولى مرفوعة على قائمتين موصولتين بعارضات لتكون طاولة صغيرة متينة على ارتفاع دراع، أما الثانية فهي مثبتة عموديًا على أطراف القطعة الأولى. وينظر: شريفة طيان: الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 145.

² -M. Ben Cheneb Op. cit P20et G.Laloe:Op. cit.Pp 45-46 Et A. Piegno :Costime Et Parure Dans Le Monde Arabe.I.M.A.1987..P22

³ - M .Ben Gheneb:Op. cit.P20

⁴ - Laloe G:Op. cit.P55

⁵ - ناصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، مرجع سابق، ص 32. وينظر: فوزي سعد الله: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، مرجع سابق، ص 116-117.

9- حرفة الدباغة :

تعتبر حرفة الدباغة من الحرف المنتشرة في مدينة الجزائر، وحظيت بإقبال النساء عليها، ومن هؤلاء نذكر: أمينة بنت محمد الرقيصة، التي اشترت حانوتاً خاصاً بحرفة الدباغة يقع خارج باب عزون عن محمد بلكباشي الدباغ¹.

10-الصناعة الشمعية :

تعتمد هذه الصناعة على الشهد، وهو مادة شمع العسل المصقى والزيتون المصقى²، وهي من الحرف المنتشرة في المدينة، وبفضل جودتها كانت تصدر إلى الدول الأوروبية، خاصة إيطاليا وإنجلترا والمغرب. ولهذا أولته الدولة الجزائرية عناية فائقة وكلفت بعض الرجال بصناعتها وتطويرها، ونتيجة للأرباح التي كانت تدرّها هذه الحرفة دفعت ببعض النساء إلى الإقبال عليها رغم الضغوطات التي تعرّضن لها والتي حالت دون ممارستهن لهذه الحرفة. وهو ما جعل بعض النساء تلجأ إلى القاضي وتطالب بحقها في ممارسة هذه الحرفة، مثلما فعلت فاطمة التي توجهت للقاضي تشتكي احتكار الحرفيين لهذه الحرفة وعدم السماح لها بممارستها، فتمكنت من الحصول على موافقة القاضي على ممارستها لهذه الحرفة، والسماح لها بالحصول على مادة الشمع الخام وفقاً للمقدار الذي حدّده لها والمتمثل في نصف حصة من قسمة الشحم المعد للعمل الشحمي، بحضور شيخ الشماعين³. وهكذا ظهرت نساء اشتهرن في مدينة الجزائر بممارسة هذه الحرفة وعُرفن باسم الشماعات، ومن هؤلاء نذكر عويشة الشماعة وفاطمة العلجية بنت عبد الله التي اشترت حانوتين بسوق الشماعين⁴ وفاطمة العلجية بنت عبد الله التي اشترت حانوتان بسوق الشماعين، وهذا يدل على ان هذين لحيانيتين مخصصين للصناعة الشمعية أو بيع المنتجات الشمعية⁵، ولهذا تمكنت بعض الحرفيات من جمع ثروة طائلة قدرت ب 2404.2.387¹.

¹ - م ش ع 140، م 4، ق 74. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 181.

² - مزبان وشن: مجانة غاصمة إمارة المقرنين، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005م، ص 75.

³ - عائشة غطاس الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر مرجع سابق، الهامش رقم 156 ص 263 .

⁴ - ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1800م-1817م)، مرجع سابق، ص 120-175.

وينظر: أمين محرز: مرجع سابق، ص 197-200. وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254.

⁵ - ع 109-110، م 8، ق 31. وينظر بيت المال دفتر 4 و 91. نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 181.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وحتى الإماء الرُنْحِيَّاتُ مارَسْنَ هذه الحِرْفَةَ، وهذا ما لاحظناه في الأُمَّةِ الزُنْحِيَّةِ والأسير المسيحي تَيْدَنَا، التي كانت تلتقي به وتُسَاعِدُهُ في الحِرْفَةِ، والأَكِيدُ أَهَّا تَعَلَّمَتْهَا منه واشتغَلَتْ بها.²

11-الصناعة البابوجية :

تُعْتَبَرُ من الحِرْفِ التي حَظِيَتْ بإقبال بعض النساء عليها، مثل رابية بنت إبراهيم رئيس، التي اشْتَرَتْ حانوتًا خاصًا بهذه الحِرْفَةِ، ولم تُشِرِ الوثيقةُ إلى أَهَّا مارَسَتْ الحِرْفَةَ بنفسِها أو استأجَرَتْ حرفيَّين لممارستها.³

12-الصناعة الخزفية والفخارية :

تُعْتَبَرُ من الحِرْفِ التي مارَسَتْها نساءُ ريفِ مدينةِ الجزائر، نظرًا لتوفرِ المادةِ الأُولِيَّةِ بها. ولقد اعتمدنَ في صِنَاعَتِها على بعضِ الأدواتِ البسيطةِ المتوفرةِ لديهنَّ، والمتمثلةِ في الطين، الذي بعدَ عَجْنِه تُوَضَعُ في مكشاةٍ خشبيةٍ جدرانها مُصْقولةٌ على شكلِ حجريٍّ مستدير، ثم تُطَهَى. فصنَعْنَ به أواني فخارية خاصةً بالطبخ والأكل، من أوعيةٍ للماء والحليب إلى طناجير وصحونٍ وغيره، وأخرَجْنَهَا بزخارف، مثل الزخارف التي استعملتها النساء القبائليات، وهذا دليلٌ على احتكاكِ الحرفيات الجزائريات ببعضهنَّ بعض، وأيضًا صناعة الأواني الخزفية.⁴

13-صناعة السكاكين وترصيع الاسلحة :

تُعْتَبَرُ من الحِرْفِ ذات الاختصاص الرجالي، ونتيجة لكثرة الحرفيين في هذه الصنعة، فقد خصص لها حي عُرف بجي البَحَّاقِجِيَّةِ، ولم تكن حكرًا على الرجال، بل وُجِدَتْ نساء امتهنَّ هذه الحرفة، حيث عُثِرَ على

¹ - ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1800م-1817م)، مرجع سابق، ص 120-175، وينظر: أمين محرز: مرجع سابق، ص 197-200، وينظر: عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 254.

² - منور مروش: مرجع سابق، ص 351-352، وينظر: أمحيدة عميراوي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أمودجًا)، مصدر سابق، ص 66، وينظر: ليلي خيراني: مرجع سابق، هامش رقم 3، ص 145، وينظر: يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ العرب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ج 1، ص 524.

³ - ع 2/41 و 4 ق 8، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 181.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني : الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر، مرجع سابق ، ص ص 272- 273 وينظر شريفة طيان :الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني مرجع سابق، ص ص 74-77.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

امرأة في مدينة الجزائر سُمّيت بـجاقجية، وكانت تصنع السكاكين¹ كما مارست حرفة ترصيع الأسلحة والسيوف والبنادق والسروج وبعض الآلات الطرية، وحتى أبواب المنازل².

ج- إمتلاك النساء للمصانع:

لم تقتصر مساهمة المرأة في المجال الاقتصادي على العمل فقط، بل شملت امتلاكها لمصانع خاصة بالمواد الأولية، فنجد خديجة بنت عبد الله كانت شريكة لزوجها الحاج علال الرئيس السلاوي في ملكية مصنع للجير³ ما اشترت عائشة بنت الحاج أحمد من زوجها الحاج المدعو محمد بوعمامة حانوتًا للصناعة الفخارية⁴.

ثانيا-الذميات والصناعة الحرفية :

أ- النساء المسيحيات والصناعة الحرفية :

مارست النساء المسيحيات بمدينة الجزائر حرفة الخياطة وبرعن فيها، ولم يبخلن في تعليم النساء المسلمات اللواتي توجهن إليهن لتعلمها⁵، وربما كان سعي هذه الأخير لتعلم الخياطة يهدف إلى تفادي الذهاب المتكرر إلى الخياط وهدر المال على ذلك، خاصة وأنهن بإمكانهن تجنب ذلك من خلال اكتساب هذه الحرفة.

ب-النساء اليهوديات والصناعة الحرفية:

مارست بعض اليهوديات بعض الحرف مثل الخياطة والتطريز وأتقننها، ولم يكن يُمارسن هذه الحرف إلا عند حاجتهن للأموال. كنّ يتعلمن هذه الحرفة من النساء المسلمات اللواتي يستغلن وجودهن لديهن، فينظرن إليهن ويتعلمن منهن⁶، ومع ذلك، هناك مصادر أوروبية، خاصة سجناء أوروبيون، نفوا نفوا ممارسة المرأة اليهودية للصناعات الحرفية، معتبرين أن ذلك يعود إلى صفة الخمول والكسل التي

¹ - عائشة غطاس : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر ، مرجع سابق، ص 254.

² - أبو القاسم سعد الله : مرجع سابق، ص 193.

³ - م ش ع 18 / 2، م 3، ق 67، سنة 1119. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 545.

⁴ - م ش ع 16 / 1، م 1، ق 5، سنة 1184 هـ . نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 751.

⁵ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 176.

⁶ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 176-182.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

يتصفن بها. إلا أن الحاجة للمال قد تدفعهن إلى ذلك أحياناً، حتى لبيع جسدهن في مراكز البغاء. وبذلك، نجد أن الباحثة عائشة غطاس رحمها الله تقول: "لم يرد ذكر لمساهمة المرأة اليهودية في النشاطات الحرفية"¹، ولكن كما ذكرنا سابقاً، وجدنا يهوديات مارسن الصناعة الحرفية.

ثالثاً- دور المرأة في النشاط الزراعي :

امتلكت بعض نساء المدينة أراضي زراعية عن طريق الشراء، ومن بينهن: مريم بنت محمد، التي اشترت أرضاً زراعية عن عائشة ابنة أحمد بن كمخة بفحص مراد رايس خارج باب عزون؛ وأمنة بنت مراد قورصو بن عبد الله، التي اشترت بستاناً بتاجررات أعلى عين الربط؛ وعائشة بنت محمد بشراء جنة عن شعبان الانكشاري؛ وعائشة بنت حمودة، التي اشترت أرضاً بفحص مراد رايس؛ كما اشترت مريم بنت محمد أرضاً بهذه المنطقة من عند عائشة؛ ومريم بنت محمد أيضاً بشراء أرض لها بفحص مراد رايس؛ وتونس بنت سعيد بفحص مراد رايس؛ وحفنية بنت سعيد، التي اشترت جنة بفحص الحامة².

ما يلاحظ على هؤلاء النساء أن إقبالهن كان على امتلاك الأراضي الموجودة بمراد رايس، ربما لخصوبتها، وقد لا تمتلك بعضهن المبلغ الكافي لشراء أرض زراعية، فتلجأ لدفع ثمنها بالتجزئة، مثلما فعلت يمونة، التي اشترت أرضاً زراعية عن أحمد أوده باشي بسعر قدر بألف ومائتي ريال درهم صغار، ولأنها لم تكن تمتلك المبلغ كاملاً، اتفقت معه على دفعه على مراحل، وأيضاً أمينة بنت محمد موسى، التي اشترت مع زوجها جنة، وبعد موته تم تقسيم نصفها على الورثة، وربما لعجزها عن خدمتها بعد وفاة زوجها، فقامت ببيعها لإمام جامع القهوة بمدينة الجزائر³ كما سنرى لاحقاً.

¹ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 247.

² - م ش ع 3، م 1، ق 6. وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 176-182، عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 247. وينظر بيت المال والباليليك، سجل رقم 21، م ش ع 27، م 2، ق 21. وينظر: م ش ع 3 و 7، م ش ع 3 و 6، م ش ع 3، م 2، ق 31، م ش ع 11، م 1، ق 9، م ش ع 3، م 1، ق 6. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص ص 740-180-131، ونقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص ص 605-613-626.

³ - المجموعة 3203، الوثيقة 6 إلى غاية الوثيقة 14، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص ص 605-613-626.

م ش ع 1/26 و 6، نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 601.

وكانت تشرف على تسيير أرضها بالغرس والحراث، مثلما كانت تفعل أمنة بنت مخلوف، التي كانت تذهب إلى أرضها حتى أنها تعرضت للضغوط من جيرانها وأجبرتها على شكوى أمرها للقاضي، كما سنرى لاحقاً¹ ونفسه بنت أوسطا محمد، صانعة ماء الورد بمدينة الجزائر، التي عُثر ضمن تركتها على فؤوس وشاقور ومنجل ومنشار، وهي لوازم خاصة بالزراعة. وهناك من كلفت زوجها أو زوج ابنتها لخدمة أرضها² ولقد استهوى هذا النشاط بعض ثريات مدينة الجزائر مثل: زهراء بنت عبد الله الفهري، التي كانت تمتلك جنة وأبقار³.

رابعاً- المرأة والمعاملات التجارية:

تمتعت المرأة الجزائرية خلال هذه الفترة بالاستقلالية المالية وحرية التصرف بأموالها، فنجد المرأة في بايليك الشرق، على سبيل المثال لا الحصر، كانت تشرف بنفسها على المعاملات التجارية من بيع وشراء، ولم تكن تستعين بالرجل إلا نادراً، وربما هذا لضمان حقوقها بشكل كبير. فماذا عن المرأة في مدينة الجزائر، وما موقف العلماء من هذا؟.

1- موقف العلماء الحنفية من المعاملات التجارية النسوية :

نجد أن بعض علماء المذهب الحنفي في مدينة الجزائر سمحوا للمرأة بممارسة التجارة من بيع وشراء، وهذا ما نستنتجه من الوصية التي تركها الفقيه السيد الحاج النيار، أحد رجال الإفتاء الحنفي في مدينة الجزائر، والتي أوصى فيها زوجته بضرورة مواصلة عملية البيع والشراء ومختلف المعاملات التجارية بعد وفاته. وكذلك نجد أن آسيا بنت الفقيه أحمد المقبوعي كانت تمتلك محلاً في سوق القزازين⁴، فلو كان محظوراً لما تجرأ الفقيه النيار، وهو يمثل المذهب الحنفي، على السماح لزوجته بذلك، وما كان له أن

¹ - م ش ع 1/ 26 و 6. نقلا عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 601.

² - ع 1/ 14، م 1، ق 11، سنة 1181هـ، بيت المال سجل رقم 1 سنة 1111هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 131.

³ - م ش ع 141، م 1، ق 14، سنة 1028هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 130

⁴ - عائشة غطّاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 4-8.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

يعرض مكانته الفقهية للانتقادات والسخط. إذأ، فعلماء المدينة سمحوا وكفلوا للنساء حقهن في ممارسة التجارة كغيرهن من الرجال.

2- بنات الفقهاء والتجارة :

مارست بنات الفقهاء، كغيرهن من نساء المدينة، التجارة، وذلك بامتلاكهن محلات للبيع، مثل آسيا بنت الفقيه أحمد بن المقبوعي، التي امتلكت محلاً بسوق القزازين، وزوجة الفقيه سعيد بن أحمد الأندلسي، التي اشتركت مع زوجها في نصف حانوت بعد أن اشترته عليه، بشرط تقاسم الربح الذي يحققه الدكان بينهما¹.

3- المرأة والمعاملات التجارية:

3-1- المرأة والوكالة:

يحتاج الإنسان لتسيير ممتلكاته في بعض الأحيان إلى وكيل يتولى شؤونه، خاصة في حالة ضعفه أو عجزه عن التسيير، وبالأخص أن تسيير الممتلكات يحتاج لبعض الصفات مثل: الفطنة والخبرة والنشاط والصبر وقوة المواجهة. ورغم هذه الصفات الواجب توفرها في الوكيل ليكون العمل جيداً، نجد نساءً تولين هذا العمل وحملن على عاتقهن تسيير بعض الممتلكات. وفي الغالب نجد بنات لأصحاب الممتلكات، كلفن من طرف أولياءهن، خاصة من طرف أمهاتهن، ربما لثقتهن الكبرى بهؤلاء عن غيرهن. ومن هؤلاء نذكر:

حورية بنت السيد محمد الفينش ، التي وكلت إبتها عيشونة بنت السعيد المزوار بتسيير كل أمورها وأيضاً روضة بنت سليمان ، التي كلفتها والدتها فاطمة بنت إبراهيم بتولي تسيير شؤونها و، كذلك فاطمة بنت البشر وكلت إبتها سونة بنت أحمد الحرار لتسيير ممتلكاتها².

ولكن بعض النساء رأّت أفضلية توكيل الرجل في تسيير شؤونها على النساء، وكانت تفضل الاستعانة بأحد أقاربها، فنجد: زهرا بنت المكاحلي وكلت ابنها عمر بن حسن البلكباشي من أجل

¹ - م ش ع 7 و 23 بوزيد صليحة:مرجع سابق ، ص 116. منور مروش:مرجع سابق ، ج 2، ص 184.

² - م ش ع 6 و 37، وينظر م ش ع 65-66-67 و 64، وينظر م ش ع 82 و 4، وينظر م ش ع 83 و 98، وينظر عائشة غطاس: مجلة إنسانيات، مرجع سابق، ص 8/4.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

تسير شؤونها، ووكلت فاطمة بنت علي زوجها علي بن بعلية ليسر لها شؤونها، في حين نجد عائشة بنت السيد الحاج يوسف باشا وكلت قريبها محمود الحنفي السمار بن السيد العربي بن عيسى ليتولى تسير جميع أمورهما. وقد تتراجع المرأة وتسارع إلى إلغاء التوكيل عن موكلها وتعين مكانه شخصاً آخر في حال الشك في تصرفاته وسوء التسيير أو محاولة التحايل عليها أو لم يقيم لها بأعماله كما تريد، فتلغي عنه التوكيل وتعين شخصاً آخر بدلاً عنه، مثلما فعلت روضة بنت محمد بن الخزناحي، التي سحبت التوكيل عن السيد إبراهيم التاجر بن مصطفى شاوش وعينت مكانه معتقها مبارك ليتولى تسير أمورهما¹ ربما لم وجدته محل ثقة عندها.

3-2- المرأة والتجارة :

تتميز التجارة في كونها علاقة بين طرفين بائع ومشتري، فهل سمح للنساء على ممارسة التجارة ؟ ظهرت في مدينة الجزائر نساء وخاصة الحضريات مارسن التجارة² وتولت بنفسها المعاملات ولكن قد تكون هذه العملية المعقدة في بعض الاحيان ، ولهذا كلفت من ينوب عليها في عملية البيع والشراء، كالزوج أو الأخ أو شخص تثق به. وأحيانا اخرى تتولى بنفسها المعاملة، وهو ماسنلاحظه:

3-2-1- معاملات البيع :

3-2-1-1- المرأة الدلالة :

وهي إمراة مارست التجارة، تختلف مهنتها عن الرجل الدلال في كونها تبيع منتوجاتها داخل البيوت، فتتجه إلى مختلف أسر المدينة، وتعرض عليهم منتوجاتها الموجهة للنساء على الخصوص، والمتمثلة في ملابس وأقمشة حريرية ومصاغ، ويمكن القول أنها قربت السوق من المرأة، التي حرمت من الذهاب إليه واقتناء ما يعجبها ويناسبها. ومن النساء الدلالات نذكر ياسمينة التاجرة ونصيرة الدلالة³.

3-2-1-2- المرأة والمحلات التجارية :

¹ - م ش ع 6 و 37، وينظر م ش ع 90-91 و 3، وينظر م ش ع 82 و 51، وينظر م ش ع 130-131 و 71، وينظر م ش ع 28 و 24، وينظر عائشة غطاس: مجلة إنسانيات، مرجع سابق، ص 8.8/4.

² -Digo De Haedo:Op. cit.P49.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 255. وينظر: بيت المال، سجل 1 سنة 1111هـ، وينظر بيت المال، سجل 2، نقلا عن ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص 238، ونقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 129.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

إمتلك نساء المدينة محلات تجارية، سواء بمفردهن أو عن طريق المناصفة مع أحد الشركاء التجاريين المشهورين، وذلك بمنح الشريك مبلغاً مالياً واقتسام الأرباح فيما بينهما. ولقد تمكنت المرأة بهذه المحلات من تحقيق أرباح طائلة، ففي سنة 1217هـ / 1802م بلغت مداخيل حانوت زوجة ابن البحر حوالي 1554 ريال، وفي سنة 1218هـ / 1803م تمكنت دومة بنت قدور من تحقيق أرباح قدرت بـ 2500 ريال، وكذلك الحال بالنسبة لراضية التي بلغت مداخيل حانوتها في سنة 1224هـ 1809م بـ 3720 ريال. وحسب الباحثة ليلي خيراني، لم تكثف النساء بامتلاك محل واحد، بل هناك من امتلكت إثنين وسبعة محلات أحياناً، مثل الزهرة بنت سعدون التي امتلكت سبعة محلات بحومة الوالي الصالح سيدي محمد شريف، ودومة بنت محمد التي كانت تمتلك محلاً، وعائشة بنت عدول التي امتلكت حانوتاً¹ وأم العز بنت علي التي امتلكت نصف حانوت بسوق الخضارين لممارسة تجارة الخضار، وامتلكت حنيفة بنت السيد علي حانوتاً كان قد حبسه عليها خالها عبد الرحمان المكرم الحاج محمد زكور².

وإمتلكت زهراء وخدوجة ابنتا الحاج حسين جلسة حانوت بعطاري دار اللحم، وإمتلكت أمينة بنت محمد مع فاطمة بنت الحاج أحمد البابوجي الأندلسي حانوتاً يقع بالقرب من باب البحر، وامتلكت عائشة بنت يوسف يولدش حانوتاً يقع في البادستان كانت قد اشترته على أخيها محمد يوسفة بمائتي دينار جزائرية خمسينية³.

ولكن هناك بعض النساء من قررت بيع حانوتها ربما لعجزها عن تسيير هذه المحلات أو بسبب إفلاسها ومن هؤلاء نجد فاطمة العلجية بنت عبد الله ببيع حانوتين لها⁴، وقامت راضية بنت الحاج يوسف والزهرا بنت محمد العلي ببيع حانوتها لآحمد يولدش بـ 1500 ريال¹.

¹ - ينظر م ش ع 150 (30)، وينظر الوثيقة رقم 145، وينظر الوثيقة 277، وينظر ليلي خيراني: واقع النساء في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1800م-1817م)، مرجع سابق، ص 102-103-180-181-182..

² - م ش ع 9، م 1، ق 3، سنة 1086هـ، وينظر م ش ع 99-100 و 26، نقلاً عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 651.

³ - م ش ع 145، م 2، ق 25، سنة 1221هـ، وينظر م ش ع 55، 13، وينظر م ش ع 24، 77، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 181، وينظر عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 71.

⁴ - م ش ع 109-110، وينظر نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 77.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

أما محلات النساء التي كانت بالمناصفة، فنذكر: محل عويشة بنت قدور البربري، التي أقرضت ابن عمها حسين بن محمد البربري، والذي كان من أشهر تجار المدينة لتحقيقه أرباحاً طائلة، وربما تعرض للإفلاس فقد لجأ إلى ابنة عمه عويشة، التي كانت من ثريات المدينة، للاقتراض منها، فوافقت على إقراضه، واشترطت عليه عدم إرجاعه لها نقداً وإنما يستثمره في محله ويقتسم معها الأرباح بالنصف: "وما أفاء الله به من الربح بعد نهوض رأس المال يكون أنصافاً بينهما واعتدالاً"²، وأيضاً نفيسة بنت السيد عبد الرحمان الشوفي بإقامة شراكة تجارية مع التاجر مصطفى قزاز بعد أن أقرضته مبلغاً مالياً قدره مائتا ريال، كلها دورو قضية، وصرف كل ريال سبعة ريالات ونصف ريال دراهم صغار للنهوض بتجارته، وأشترطت عليه اقتسام الأرباح بالنصف بعد نهوض تجارته. وقامت قمورة بنت عبد الله بالاشتراك مع زوجها أحمد الحرار في شراء محل من عند أحد الحرارين، وكانت الملكية بينهما بالنصف³.

أما بالنسبة للأنشطة التجارية التي برزت فيها النساء، فنذكر:

3-2-1-3- تجارة الصوف:

تحضر النساء مادة الصوف بتنظيفها وغسلها حتى تصبح جاهزة للغزل ثم تبيعها إلى عمال الغزل الذين يقومون بتحويلها إلى مادة استهلاكية عن طريق الغزل⁴.

3-2-1-4- مبيعات أخرى (شورى وحلي):

تتعرض المرأة في بعض الأحيان للحاجة إلى المال أو ترغب في مساعدة زوجها مالياً، فتقوم ببيع مستلزماتها الخاصة مثل: الشورى والحلي وغيره، مثلما فعلت فاطمة بنت العالم عمر المانجلاني، التي

¹ - م ش ع 145، م 2، ق 25، سنة 1221هـ، وينظر م ش ع 55 و 13، م ش ع 24 و 77، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، 71، ونقلاً عن نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 77.

² - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

³ - م ش ع 99-100 و 46، وينظر نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، الفترة العثمانية (1122هـ-1246هـ / 1710م-1830م)، مرجع سابق، ص 77، وينظر عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

⁴ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256 وينظر:

Dan :Op. cit .Pp45-46. Desfontaines :Voyages Dans Les Régences De Tuniset D'aalger Publiés Par Dureau Belamall.Paris.Gide 1838 .T 2.P343.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وكلت زوجها العالم محمد بن العالم سيدي محمد أفوجيل لبيع شورتها المقدرة بـ 400 ريال دراهم صغار، وقامت أمينة بنت محمد، التي كلفت زوجها أحمد بلكباشي بن عثمان التركي، ببيع بعض مجوهراتها المقدرة بـ 241 دينارًا، وقفطانين أطلس بـ 116 دينارًا¹.

وما تجدر الإشارة إليه أن بعض الأرامل عجزت في إيجاد من يتكفل لها بمعاملات البيع، ولهذا لجأت للقاضي مثلما حدث مع زهرا بنت عبد القادر، التي إتجهت رفقة ابنها أحمد بن مخلوف إلى القاضي الحنفي تطلب منه التكفل بمعاملة بيع دار تملكها، فما كان من القاضي الاستجابة لمطلبها ومساعدتها فتولى معاملة البيع الخاصة بها وقام ببيعها بـ 400 دينار سلطانية².

3-2-1-5- تجارة العبيد:

تعتبر تجارة العبيد من إختصاصات الرجال، الذين يقومون بأسر الاشخاص ثم بيعهم، ولكن ظهرت نساء مارسن هذه التجارة حيث نجد امرأة أندلسية مارسست هذه التجارة وتمكنت من تحقيق أرباحا طائلة³ وما تجدر الإشارة إليه أن النساء كن يذكرن العيوب الموجودة في عبيدهن، مثلما فعلت خدوجة بنت محمد عندما قامت ببيع أمتها مبروكة لشعبان الانجشاري الزيتوني بـ 55 ديناراً ذهباً سلطانية قد ذكرت له عيوبها⁴ وباعت فاطمة المسمعة بنت محمد للحاج محمد المستغامي أمتها مباركة، وقامت زهرا بنت عاشور محمد ببيع أمتها للحاج محمد المستغامي بن عبد الله بـ 75 دص 1 د9 ر دص، وقامت روزة بنت مصطفى ببيع أمتها مباركة بـ 30 دحلولا و 8 كل شهر لخدوجة بنت إبراهيم، وباعت نفوسة بنت عبد الرحمان الشودي أمتين عنبر وفاطمة لمحمد الزياني القسنطيني⁵.

3-2-1-6- تجارة العقار:

¹ - م ش ع 138-139، م 1، ق 2، سنة 1090هـ، م ش ع 2/24، م 3، ق 1، سنة 1120هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 171.

² - م ش ع 38 و 3، نقلاً عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 24.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

⁴ - م ش ع 109-110، م 1، ق 8، سنة 1244هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 757.

⁵ - الوثيقة 17 (64)، وينظر م ش ع 1 و 17، وينظر م ش ع 17 و 103، وينظر م ش ع 31 و 25، وينظر م ش ع 90-91 و 97، ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 119.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

رغم صعوبة هذه التجارة، التي كانت تمارس من قبل الرجال، إلا أنه ظهرت نساء مارسن هذه التجارة، خاصة النساء الأندلسيات، والتي بفضلها تمكنّ من تحقيق أرباح طائلة، جعلتهن بعد الوفاة يخلفن ثروة كبيرة¹.

3-2-1-6-1-بيع المنازل :

تعتبر المساكن من التجارة التي حظيت باقبال المشتري خاصة في مدينة الجزائر بفضل كثرة الزائرين لهذه المدينة المهمة باعتبارها عاصمة الولاية ومن النساء اللواتي مارسن تجارة العقار نذكر : راضية بنت عبد الرحيم، التي قامت ببيع كل الجزء العلوي الموجود بالقرب من كوشة علي إلى أحمد أودة باشي رجب التركي بمبلغ قدر بسبعمائة ريال فضة مثمنا بدراهم صغار، وتولى زوجها بوزيد الحمار استلام المبلغ².

وباعت زهرا بنت عبد الله منزلها الواقع قرب سند الجبل للسيد الحاج المرحوم بكير وباعت خيرة بنت مصطفى شاوش دارها بزنقة بوعقاشة سند الجبل ب600 ريال كلها صحاح³ وباعت فاطمة بنت محمد بيت لها بحومة الجبلية لمصطفى بن الحاج محمد الاندلسي⁴.

وباعت عائشة بنت الحاج علي ثلث من نصف دار تملكها قرب العين الحمراء إلى أوداباشي بن حسن⁵، وقامت فاطمة بنت محمد الثغري ببيع دويرتها موجودة في باب عزون لزوجها محمد التركي بن بن إلياس⁶، وقامت بنت المغلي ببيع دارها الواقعة بحومة ريان إلى فاطمة بنت يحيى ب1300 ريال دراهم صغار فدفعت لها 1000 وبقيت 300 دينار⁷.

¹ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

² - منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 264.

³ - م.و.م.ش. ع 38 و52، وينظر م ش ع 109-110 و46، نقلا عن عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 27.

⁴ - م ش ع 116/137/2/136، وينظر عبد الرحمان نواصر: مرجع سابق، ص 27..

⁵ - م ش ع 5، م 1، ق 1، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 594.

⁶ - م ش ع 2/9 (9)(39)

⁷ - م ش ع 150، م 3، ق 45، سنة 1143هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 487.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

قامت فاطمة بنت أحمد ببيع بيت لأمنة بنت القائد إبراهيم¹ وقامت فاطمة بنت علي أغا وشريكاتها ببيع دار لهم بسوق الحدادين قرب باب عزون إلى محمد باش سايس بدار الامارة بن عمر ب4675 ريال فضية دراهم صغار²، وقامت خديجة وإبتها أمنة بتوكيل أحمد الانجشاري بن الحاج حماد زوج ابنتها أمنة بتولي معاملات بيع دارهم الواقعة بحومة بير الجماح لزهرة وحنفية وكريمة بمبلغ قدره تسعمائة ريال كلها فضية مثمانة دراهم صغار³.

وقد تقوم الأخوات ببيع نصيبهما دون الاستعانة باخيهما، مثلما حدث مع اختا أحمد المقفولجي اللتان باعتا نصيبهما من بيت قدر بالربع كانتا قد ورثته بثمان قدره 20 دينار ذهبية سلطانية دون إستشارة أخيهما، الذي كان يشاركهم البيت وهو ماجعله يرفع شكوى للقاضي يطالبه باحقية شراءه لنصيب أخته بدلا عن رجل آخر فمكان للقاضي إلى أن طلب منهما إعادة المبلغ للمشتري و إستلام الثمن من أخيهما الذي حدداه القاضي⁴.

3-2-1-6-2- بيع البساتين:

إمتلك بعض نساء المدينة جنات، ثم تخلت عنها أو احتاجت للمال عن طريق البيع، مثلما فعلت عزيزة وابنها إسماعيل الانكشاري ببيع جنتها لمصطفى باشا، وقامت خديجة بنت الشواشجي ببيع نصيبها من جنة بستة مئة وخمسة وعشرين درهماً صغاراً، وقامت أمنة بنت محمد بتكليف زوجها أحمد بلكباشي بن عثمان التركي على بيع جنتها بثمان قدره 250 دينار خمسينياً، وباعت أمنة رقية بنت البسكري جنتين لها بخمسمائة ريال دراهم صغار⁵.

وقامت عائشة ببيع جنتها الواقعة بفحص مراد ريس خارج باب عزون لمريم بنت محمد بمبلغ قدره 300 ريال، ثم قامت ببيعها لعبد الرحمان بن محمد بأربعمائة ريال، وبهذا تكون قد حققت ربحاً قدره

¹ - م ش ع 5، م 3، ق 2، سنة 1172هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 521.

² - م ش ع 9، م 3، ق 14، سنة 1178هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 536.

³ - م ش ع 99-100 و 19، نقلاً عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 621.

⁴ - م ش ع 1/26 و 20، نقلاً عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 632.

⁵ - م ش ع 2/47 و 11، وينظر الوثيقة 106-105/76، وينظر الوثيقة 104-105 و(116)، و 104-105 و 121، نقلاً

نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 171، ونقلاً عن ليلى خيراني: مرجع سابق، ص 118.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

100 ريال، وقامت يمونة ببيع جزء من أرضها لابنها محمد الانكشاري، وقامت قامير بنت يزيد زوجة الحاج بن صديق الخيار ببيع جنتها بأربعمائة ريال دراهم صغار، وقامت لالايم بنت أحمد ببيع جنة لها بفحص مجبر لفاطمة بنت الحاج موسى، وقامت مريم بنت مصطفى ببيع جنتها الواقعة بفحص تقصريين لخديجة، وباعت خديجة جنة لها لعبد الرحمان الصباغ بثلاثة وستين دينار ذهب، واتفق معها على أن يمنحها المبلغ بالتقسيم فقبلت، فمَنحها في الأول ثلاثة دنانير، ولقد كلفت أحاها بأن يتولى عملية استلام المبلغ من المشتري، وباعت يمونة ربع جنتها إلى ابنها محمد الانكشاري الخياط بمبلغ قدر بثلاثمائة ريال فضوية مئنة دراهم صغار¹.

3-2-6-3- امتلاك المقاهي :

إمتلك بعض نساء المدينة المقاهي، التي كانت خلال هذه الفترة تشكل محل استقطاب سكان المدينة مثل : خدوجة التي إمتلكت مقهى وكان زبائنها يتوافدون إليه².

3-2-6-4- معاملات النساء في الكراء :

3-2-6-1-4- المنازل :

إمتلك النساء منازلًا، فمنهن من أقامت بها، ومنهن من فضلت كراءها حتى تكون مصدر رزق من خلال ماتلقاهن من ثمن، وخاصة وأن مدينة خلال هذه الفترة كانت تشهد إقبال كبير من الناس سواء من المناطق المجاورة أو الدول الخارجية، فنجد فطومة بنت أحمد كانت كلفت زوجها يحي الكواش بن غانم بتولي عملية كراء بيتها وإستلام الأجرة من المستأجر³، و فاطمة وأختها مريم إبتتا علي الخياط أجزتا بيتهما الواقع بحومة حوانيت الرحبة لعلي بعل فاطمة بنت علي الخياط ب7 دنس في كل عام⁴، وأجزت نفوسة بنت محمد دويرتها الواقعة قرب قايد العيون ب13 دينار ذهبيا سلطانية صرف كل

¹ - المجموعة 3203، الوثيقة 57، المجموعة 3203، الوثائق 9 و14.

² - الوثيقة 48، وينظر ليلي خيراني : مرجع سابق، ص 196.

³ - م ش ع 34، م 4، ق 99، سنة 1064 هـ . نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 170.

⁴ - م ش ع 35، م 3، ق 46. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 598.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

دينر عشر ريبالات دراهم صغار لسيد خليل السكاكري لمدة سنة¹، ونجد نفوسة بنت محمد أجرت بيتها لخليل السكاكري ب13 ديناراً ذهباً سلطانياً صرف كل دينار 10 ريبالات، وإستاجر التاجر التركي الحاج خليل بن أحمد بيتاً من عند موني ب63 ريالاً للعام الواحد لمدة 17 سنة².

3-2-6-4-2- تأجير الكوشة :

تعتبر الكوشة في المدينة ذات إقبال كبير من السكان لاقتناء الخبز ولقد إمتلك بعض النساء إحدى كوشاتها ولعجزها أو رفضها لتسييرها فقد قامت بكراءها مقابل ثمن تتقاضاه مثلما فعلت حليلة بنت الحاج عمار الكواش، التي أجرت زوجها الحاج محمد الكواش كوشتها ب12 ريالاً لمدة سنة³.

4- المرأة المعاملات التجارية :

4-1- معاملات بيع المرأة مع المغاربة :

رغم كون المغاربة من الجماعات الوافدة على المدينة، فقد قامت النساء بالتعامل معهم تجارياً وغيره، مثلما فعلت نفوسة بنت السيد محمد فتيح، التي باعت ثلاثة أرباع حانوتها الواقع بسوق الملاحين بألف ريال واحد ومائتين وأربعين ريالاً فضيةً، كلها مثمنة بدراهم صغاراً للسيد الحاج مصطفى بن الحاج إبراهيم الجري، إلا أن عملية البيع لم تتم بسبب رفض زوجها لها، فقام بإبطالها. واشتركت الحاجة دومة بنت سيدي علي الزناني، نجل الوالي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، مع الحاج بن عمار المغربي في أرض زراعية بالنصف⁴.

4-2- المرأة ومعاملاتها التجارية مع السلطة الحاكمة:

لم تستهن السلطة الحاكمة بما في ذلك الوالي العام سواء كان باشا أو دايا أو غيرهم بالنساء ولم تستعمل قوتها ونفودها بالتسلط عليهم ونهبهم حقوقهم من الناحية التجارية، وخاصة في معاملات البيع، التي قاموا بها بعض النساء بل تعاملوا معهم كما يتعامل البائع والمشتري بمختلف شروط البيع

¹ - م ش ع 44 (90). وينظر ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 196.

² - م ش ع 44، م 3، ق 99. نقلاً عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 598.

³ - م ش ع 72-73 (94). وينظر ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 196.

⁴ - م ش ع 2/9م3و1.. وينظر م ش ع 90-91 و90. وينظر بوترة شهرزاد: مرجع سابق، ص 43.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

والشراء مثلما حدث بين مصطفى باشا الذي حكم الجزائر في الفترة الممتدة من سنة 1213هـ / 1798م-1220هـ / 1805م، وبعض نساء المدينة فنجد : مصطفى باشا من عند ابنة الرئيس محمد عليونجي ساقية ماء بمبلغ قدر ب100 محبوب¹، وقام بشراء 6 أدرع القرية من بستانه من عند عزيزة بمبلغ قدر بستون دينار سلطانية².

وقامت نفوسة ببيع جلسة حانوت إلى حسين باشا بخمسين دينار صرف كل دينار تسعة ريبالات دراهم صغار ، ولقد أوكلت إبراهيم الانجشاري ليتولى معاملات البيع معه³.
وقامت عزيزة زوجة أحمد أغا ببيع بيتها الواقع قرب باب الجزيرة إلى الداوي شعبان⁴ ونجد الحاج عبد القادر شرشالي وشقيقاته باعو حانوتهم برحبة الشعير للداوي حسين⁵ وباعت مريم بنت محمد خوجة جميع شطر الدار لاحمد الخزناجي ب1515 ريال كلها د.ص⁶.

5- النساء ومعاملات الشراء في مدينة الجزائر :

رأينا أن المرأة الجزائرية حظيت بحرية المعاملات التجارية، سواء من بيع العقارات أو البساتين بمفردها، أو بالاستعانة برجل من أقاربها عن طريق توكيل. كما سُمح لها بالقيام بمعاملات الشراء، فنجد:

5-1- شراء العقارات:

5-2- شراء الأراضي والمساكن:

بعد العودة إلى الوثائق المتعلقة بعقود النساء في شراء المساكن، نجد أن أغلب النساء اللواتي مارسن شراء الأراضي والمساكن بمدينة الجزائر كن نساء أندلسيات، وهذا دليل على رغبتهن في الاستقرار نهائيا بالمدينة بالإضافة إلى بعض العثمانيات والجزائريات فنجد:

¹ - منور مروش: مرجع سابق، ج1، ص 361.

² - م ش ع 2/47 و11. نقلاً عن بوشنافي محمد: مرجع سابق، ج2، ص 504.

³ - م ش ع 99-100 و46. نقلاً عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 621.

⁴ - م ش ع 61 و08. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 629.

⁵ - م ش ع 132-133 و54. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 629.

⁶ - م ش ع 71-72. محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 629.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

أرسلت إبنتي خير الدين بربروس اللتان كانتا مقيمتان باسطنبول طلبا لابيهماخير الدين بربروس الذي كان يقيم بالجزائر من أجل أن يشتري لهما بيتا يقع قرب ضريح سيدي عمر التنسي وبالقرب من الحمام المالح¹.

وإشترت أسية بنت محمد قامت بشراء جميع العلوي الكائن بزققة بن خوجة عن زوجها الحاج والي الشراقجي بن احمد، واشترت تركية بنت أحمد الاندلسي مع ولديها جميع العلوي الموجود برحبة الزرع من عند خليل الانكشاري بن أحمد التركي، واشترت فاطمة بنت إبراهيم الأندلسي دار تقع أسفل الجامع المعلق سند الجبل من عند الحاج علي الحرار بن علي كنعالي ب324 ريال كلها كبيرة الضرب، واشترت فاطمة بنت أحمد بيتا عن الحاج حسين الحلاطجي².

واشترت فاطمة بنت إبراهيم الأندلسي من بعْلِها الحاج علي الحرارين علي الأندلسي منزلاً يقع أسفل الجامع المعلق بسند الجبل. واشترت فاطمة ورَّحمة بنت محمد الثغري داراً موجودة في أعلى سير الجياح، أسفل القصبه الجديدة عند سند الجبل. واشترت نزهة بنت أحمد الأندلسي مع ابنتيها جنات وأمنة جميع العلوي والاصطبل الموجود برحبة الزرع من عند خليل الإنكشاري. واشترت فاطمة بنت محمد الأندلسي جميع العلوي الموجود بالقرب من القصبه الجديدة³.

ومن أشهر نساء مدينة الجزائر اللواتي اشتهرن في عالم العقارات، وكن يشتري العقارات في مدينة الجزائر، نذكر: يمونة بنت أحمد أغا، وكذلك فاطمة بنت رجب ريس، وخديجة بنت محمد⁴.

5-3- شراء البساتين :

سعت بعض نساء المدينة على امتلاك أراضي زراعي فتهافت على شراءها من عند أصحابها سواء رجالا أو نساءً ، فنجد :

¹ - بدر الدين بلقاضي ومصطفى بن حموش: مرجع سابق، ص 226.

² - م ش ع 2/14 و21، م ش ع 68 (33)، م ش ع 5، م3، ق2، سنة 1172 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 521، ونقلاً عن عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 58.

³ - م ش ع 38 و5، م ش ع 32 و8، م ش ع 2/133 و4/134، م ش ع 1/126 (126)(34)، م ش ع 109-110 و5. ينظر عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 40. وينظر محمد بوشناقي: مرجع سابق، ص 627.

⁴ - بوزيد صليحة بوزيد: مرجع سابق، ص 139.

عائشة بنت سعد الأندلسي، التي اشترت بستاناً من الباعين عثمان أودباشي بن عبد الله والمعلم بلقاسم الحوكي بمبلغ قدره 1500 دينار، واشترت أيضاً عائشة بنت سعد الأندلسي جنةً بفحص بيرطيلية بألف وخمسمائة دينار. وقامت عائشة بنت محمد بشراء جنة عن شعبان الإنكشاري، واشترت عائشة بنت حمودة جنةً الواقعة بفحص مراد من رئيس بن محمد القهواجي بن سعيد، بمبلغ 199 ريالاً دراهم صغار¹.

كما اشترت العليجية أمينة بنت مراد قورصو بن عبد الله بستاناً من عند علي أغا، وكيل والي داداه. واشترت يمونة بنت علي الواقعة بفحص الحامة من عند بيت المال، واشترت مريم بنت محمد جنتها الواقعة بمراد رئيس عن عائشة. كما اشترت تونس بنت سعيد جنتها الواقعة بفحص مراد رئيس عن عبد الرحمن بن محمد. ونجد أن حنفية بنت سعيد قامت بشراء جنتها بفحص الحامة عن علي البحار بن عمر. واشترت مريم بنت محمد جنتها الواقعة بمراد رئيس عن عائشة، وقامت تونس بنت سعيد بشراء جنة بفحص مراد رئيس عن عبد الرحمن الحرار بن محمد بمبلغ 445 ريال دراهم صغار. وكلفت عائشة بنت محمد صهرها حسن الإنكشاري بأن يشتري لها جنتين من عند ورثة محمد بن علي التونسي².

6- المعاملات التجارية لنساء الجزائريات مع أهل الدمة :

6-1- مع اليهود:

6-1-1- معاملات البيع :

تُعتبر طائفة اليهود من الجماعات المشكّلة لمدينة الجزائر، واشتهرن في المجال التجاري. وقد تعاملت معهم نساء الحكام، فعقدن اتفاقيات شراكة مع يهود، خاصة في مجال شراء المنازل. ومن هؤلاء نذكر أمينة بنت الداوي عبدي باشا، التي عقدت اتفاقية شراء منزل يقع قرب دار اللحم المعروفة بدار بن خدة مع سبعة يهود، وهم: دافيد شراخة، وموشي مزغبيش، وموشي بن مراد خاي بن المقدس، وموشي بن

¹ - م ش ع 3 و7، م ش ع 3 م 1 ق 4 سنة 1096 هـ، م ش ع 3 م 2 ق 31 سنة 1120 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 730. وينظر عبد القادر نور الدين: مرجع سابق، ص 255-263.

² - المجموعة 3203 الوثيقة 6 إلى غاية 14، المجموعة 3203 الوثيقة رقم 2، المجموعة 3203 النص 2 الوثيقة 32، م ش ع 104-105 و12، المجموعة 3203 الوثيقة رقم 3، م ش ع 4، م 1، ق 12، سنة 1107 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 730.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

شمويل ليفي، وشعت بن سحري شراخة، وموشي بن سخرية. وكان نصيبها من الدار هو تسعة حظوظ¹.

ولم تقتصر المعاملات البيع بين نساء الطبقة الحاكمة واليهود بل كذلك شمله إلى عامة النساء مثل نفسة بنت عبد الرحمان الثوي، التي إشترت ثلث حانوت بزقة الحاشية عن بعض اليهود²، و آسيا بنت محمد كانت قد أجرت بيتها اليهودي ب 27 ريال ثم قامت بوقفها على الحرمين الشريفين³.

6-1-2- معاملات الكراء :

قامت الزهرا بنت الحاج بكراء بيتها لليهودي عمار بن تخامي كهين شلال بمبلغ 324 فرنكًا فرنسيًا. وأيضًا استأجرت نساء جزائريات من عند اليهود بيوتًا، مثلما فعلت نفوسة وروزة ابنتا أحمد خوجة، اللتان استأجرتا دويرة لها من عند اليهودي موشي الزي بن يهودة بمبلغ 25 دينارًا، لمدة سنة، ص 119 رد ص. كما أجرت مريومة بنت حسن أفندي جميع جلسة حانوت بالشماعين لليهودي إبراهيم أسحت بن نحاس الشانطق بمبلغ 30 دس لمدة عام⁴.

6-2- مع المسيحيين :

6-2-1- معاملات الكراء بين الجزائريات والمسيحيين :

لم يمنع اختلاف الدين من تعامل النساء مع المسيحيين ورغم سياسة المجتمع المحافظ إلا انه سمح للمرأة بالتعامل مع هؤلاء عند الضرورة، وخاصة إذا تعلق الأمر بالسكن ومساعدة الوافدون من الدول الأوروبية إلى المدينة سواء لاقامة قصيرة من أجل تجارة أو غيره فيتحتّم عليهم إيجاد مكان يقيموا فيه، وفي الغالب كانت بيوت الإجار عند النساء ومن هؤلاء نذكر عزيزة وعزوزة ابنتا محمد الكواش أجرتا بيتهما الواقعة عند كوشة بولعبة إلى كادييو المير الفرنسي ب 180 ريال لمدة ثلاثة سنوات، وكذلك

¹ - م ش ع 28 و 10، نقلاً عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 629.

² - خليفة حمّاش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 181.

³ - م ش ع 16 و 36، نقلاً عن عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 46.

⁴ - م ش ع 16 و 264. وينظر م ش ع 71-72 و 85. وينظر م ش ع 132-133 و 46. وينظر عبد الرحمن نواصر: مرجع

سابق، ص 46.

بالنسبة للزهرا بنت زروق، التي قامت ببراء دارها إلى المسيحي كالمو ستييفي طلياني ب140 فرنك ضرب فرانكة¹.

6-3- المرأة اليهودية والتجارة :

م تسمح الشريعة اليهودية للمرأة بممارسة التجارة، حتى ما تعلق بممتلكاتها، لاستهانتها بقدراتها العقلية، حتى أنها شبهت بالقاصر أو الصبي أو المجنون. ولهذا لم تمتلك محلات تجارية، ولم تشرف على تسييرها إلا بعضهن ممن استغل غياب الزوج فتولت المعاملات التجارية. ومن اليهود من تأثر بالشريعة الإسلامية وسمح لهم بممارسة التجارة، واكتفوا بازواجية ملكية المحلات مع تجار يشرفون على تسيير هذه المحلات، ثم اقتسام الأرباح مع الرجل².

ومن اليهوديات من تولت بنفسها المعاملة العقارية، تمثلت في بيت باعته لأحد العثمانيين، مثلما فعلت الذمية سترة، التي قامت ببيع ربع دار تملكها بحومة الكبابطية إلى محمد بلكباشي بن مصطفى³، وقامت الذمية سمحاء ببيع نصف العشر من دار تملكها بزئقة البدرية إلى الحاج أحمد بن حسين⁴.

7- المعاملات المالية لنساء المدينة :

7-1- عقد الإتفاقيات التجارية:

سُمح للمرأة، خاصة الثرية، بإبرام الاتفاقيات التجارية مع الرجال، مثلما فعلت السيدة موني، التي كانت من ثريات مدينة الجزائر، وقامت بإبرام اتفاقيات تجارية عديدة مع حمدان خوجة، الذي كان من أشهر تجار المدينة⁵.

7-2- المرأة وتسيير الممتلكات:

¹ - م ش ع 72-73 و 47. وينظر عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 46.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، الفترة العثمانية (1122 هـ - 1246 هـ / 1710 م - 1830 م)، مرجع سابق، ص 167. وينظر مسعود كواقي: مرجع سابق، ص 109. وينظر جوتيان: مرجع سابق، ص 205.

³ - م ش ع 10، م 4، ق 1، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 594.

⁴ - م ش ع 10، م 4، ق 3، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 594.

⁵ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

هناك من نساء المدينة من فرضت نفسها في مجال التسيير العقاري، مما جعلها محل ثقة. وهذا ما جعل بعض الأزواج يكلفون زوجاتهم بتسيير ممتلكاتهم. فنجد خدوجة بنت أحمد قد كلفها زوجها الرئيس الحاج عبد الرحمن بن أبي الشريف بعد أن قرر السفر إلى البرتغال¹.

7-3- المرأة ودكان الحرمين الشريفين:

رأينا سابقاً أن دكان الحرمين الشريفين يُستعمل لإدخار أموال الناس، ولقد استفادت نساء المدينة منه، وذلك بوضع الأموال فيه لتكون في مأمن من السرقة أو الضياع أو النقصان، مثلما فعلت فاطمة بنت عبد القادر، التي أرسلت مع ابنها علي مشمماً بداخله خمسة وثلاثون ديناراً ذهبياً سلطانية لتودعها بهذا الدكان²، وكذا نفس الشيء بالنسبة لمريم بنت الحاج حسين بن زرناجي، التي كلفت زوجها علي خوجة رواني بأن يتولى معاملة إدخار مائة دينار وإثني عشر ديناراً بهذا البنك، وبعد مدة أضافت على المبلغ أربعة وستين ديناراً. وأيضاً وكلته بسحب ما تشاء من مالها الموضوع بهذه المؤسسة على مدى حياته، وبعد موته تتولى العملية بنفسها³.

7-4- المرأة والمقايضة :

من المعاملات التجارية التي مارستها النساء المقايضة، مثل أمانة بنت محمد، التي لجأ إليها محمد بن عبد الرحمن طالباً منها أن تمنحه نصف دار تقع بحومة البطحة كانت محبوسة عليها، في مقابل أن يمنحها حوشاً قدر ثمنه بـ 1800 ريال يقع بزمام الشراقة، ويحتوي على بناء وجنات التوت وبحائر ومياه ومرحة وبلاد معدة للحواتة. واللافت للانتباه، رغم مواصفات البيت الذي يملكه هذا الرجل، إلا أنه فضل بيت المرأة الذي ثمنه 575 ريالاً. ولا ندرى ما هي أسباب إجحاح الرجل على بيت هذه المرأة، ربما مشاكل تعرض لها هذا الرجل جعلته يسعى لتغيير بيته⁴.

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 258.

² - خليفة حماش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 708.

Venture De Paradis :Tunis Et Alger.Op. cit.P262

³ - سجلات بيت المال رقم 299 و23، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 710.

⁴ - م ش ع 124، م 4، ق 79، سنة 1234، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 604.

عقدت إتفاقيات تجارية مثلما فعلت السيدة موني التي كانت من ثريات مدينة الجزائر بابرام اتفاقيات تجارية مع حمدان خوجة الذي كان خلال هذه الفترة من أشهر تجار المدينة¹.

وتنازلت عيشوشة بنت الحاج علي أغا عن دارها الموجودة بقاع السور في الجهة الشرقية لمسيد محمد بن القاسم سليم والناسك الابن الحاج محمد بن عشير الاندلسي في مقابل منحها ملكية دار تقع بالبحرية وفي الوثيقة دار البحرية الموجودة بالقرب من الجامع الأعظم².

7-5-1- المرأة والقرض المالي:

إن امتلاك بعض نساء المدينة للمال جعلهن محل لجوء بعض ذوي الحاجة للمال سواء للشراء مسكن أو أرض زراعية أو تجارة واستجابة لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [سورة البقرة الآية 282]

إن القضاء الجزائري لم يفرق بين الذكر والأنثى فكان يسجل كل معاملة قرض ليكفل الحقوق حتى حقوق النساء ولو كانت مع قريب مثل الزوج أو الاخ ، وذلك لضمان حقوقها حتى بعد موته أو موتها، ويتم تسجيل عقد القرض كالاتي:

يتم التوجه إلى المحكمة وحضور الشهود، ويتضمن العقد، الذي تكون في طليعته العبارة التالية: "سلف إحسان وتوسيعه بذكره وإقراره لها بذلك الترتب التام، يؤدي لها جميع العدد المذكور برسم الحلول وحكمة لإبراءه له من ذلك إلا بالواجب شرعاً... " ثم يُذكر اسم المقرض، المرأة (زوجة أو أخت أو ابنة)، والمقترض (الزوج أو الأخ أو الجار)، وقيمة المبلغ المقرض³.

7-5-1-1- قرض المرأة لأقاربها :

7-5-1-1-1- لوالدها :

رغم العلاقة الكبيرة بين الأب وابنته وسعي الوالد إلى سعادة ابنته، فقد حرص بعض الآباء على أموال بناتهم، فلم يكن يأخذ مال ابنته عنوة، ولم يسلبها مالها، بل كان يقترض منها ويوثق ذلك القرض

¹ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

² - م ش ع 1/28 (28)(109) وينظر م ش ع 1/ 28 م 28 ق 109.

³ - ع 65، م 3، ق 68، سنة 1135 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 171.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ليضمن لها استرجاعه، مثلما حدث مع أمينة، التي أقرضت والدها، أحمد المقايسي بن محمد، مبلغاً قدره 320 ريال دراهم صغار، "...سلف إحسان..."¹.

7-5-1-1-2-لزوجها:

رغم الرابطة الزوجية التي تجمعهما إلا أن نساء المدينة كانت لا تمنح زوجها مالها بل تقرضه إياه وتسجل ذلك في عقد مثلما فعلت خيرة بنت السيد الحاج محمد، التي أقرضت زوجها الحاج علي المزوار مبلغاً مالياً قدره 300 ريال بوجه ص 1ر3 ردص، وأقرضت حليلة بنت محمد السباوي زوجها محمد التقري 43 ريال، وأقرضت دومة بنت تاوشيشت زوجها إسماعيل التركي 100 صرف كل دينار 9 ردص وأقرضت عايشة بنت محمد زوجها مهدي الانكشاري الخياط 60 دس و وأقرضت حنفية بنت إبراهيم زوجها محمد يولداش، وأقرضت أمينة بنت العربي بن يخلف زوجها محمد الكوكي²، ولقد تعددت أسباب إقتراض الأزواج من زوجاتهم نذكر منها : رغبته في إعادة بناء بيته مثلما فعل الحاج أحمد الصراج بن الحاج محمد الذي إقترض من زوجته زهراء بنت القليعي مبلغاً مالياً قدره 869.5 ريال دراهم صغار من أجل بناء بيته وأقرضت مريم بنت محمد بن الامين زوجها مبلغاً قدره 50 دينارا ذهبيا عينا سلطانية³.

أو من أجل شراء جنة ، مثلما فعلت أسية بنت مصطفى أغا، التي أقرضت زوجها محمد خوجة مبلغاً قدره 50 دينارا ذهبيا سلطانيا من أجل شراء جنة وغيره⁴.

أو من أجل شراء أبقار ، مثلما فعلت فاطمة بنت مصطفى أغا ، التي قامت بإقراض زوجها محمد أغا بن يوسف مبلغاً مالياً قدره 500 ريال دراهم صغار لشراء أبقار ربما ليتخدمهم مورد رزق ببيع حليبهم¹.

¹ - ع 124، م 1، ق 12، سنة 1148 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 715.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر، الفترة العثمانية، مرجع سابق، ص 266. وينظر م ش ع 28 و 28، وينظر م ش ع 46 و 358، وينظر م ش ع 90-91 و 1، وينظر م ش ع 31 و 37، وينظر م ش ع 82 و 64.

³ - خليفة حماش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 170. وينظر عائشة غطاس: ممتلكات المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 155.

⁴ - ع 2/42، م 4، ق 3، سنة 1149 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 170.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

من خلال ما سبق، يلاحظ أن الزوجة كانت تسعى لدعم زوجها ماليًا، ولم تبخل عليه بما لها، بل شجعتة على النهوض سواء مهنيًا بشراء أرض يستثمرها أو أبقارًا. كما يلاحظ أن الحقوق المالية للمرأة كانت مكفولة، حتى لو أقرضتها للرجل، فإنها لا تتعرض للاحتقار أو التجاهل أو السرقة، بل يتم تسديد دينها، سواء نقدًا أو بالتنازل لها عن بعض ممتلكاته. ومثلما حدث مع عائشة بنت أحمد بن بريم، التي بعد عجز زوجها مصطفى بن عبد الجبار، وكيل الحرج، عن تسديد ما عليه من دين لزوجته، لجأ إلى تملكها ربع دار يملكها أسفل باب الحديد، مقابل 200 ريال دراهم صغار كان قد اقترضها منها² وكذلك فاطمة بنت مصطفى أغا، التي استفادت من ملكية نصف بيت يقع قرب الحمامات و33 رأس من البقر من زوجها محمود أغا بن يوسف علي بعد عجزه على تسديد ما عليه لها من دين³ وان مات المقرض فيتولى ورثته تسديد ما عليه من دين للمرأة التي اقترض منها المال حتى ولو كانت زوجته أو احدى قريباته⁴.

7-5-1-1-3- لا بنائها:

رغم الرابطة الدموية بين الأم والأبناء إلا اننا نجد بعض نساء المدينة كن يمنحن أبناءهن مالا عن طريق قرض مالي وجب عليهم تسديده عند جمعه، وخاصة إذا كان المبلغ كبيرا و يسجل هذا القرض في عقد حتى تضمن إسترجاعه ، فمثلا نجد روضة أقرضت ابنتيها فاطمة و موني 200ريال كلها صرف ريال كل 3ردص⁵.

7-5-1-1-4- لإخوتها :

أقرضت خدوجة بنت الحاج محمد الزرناجي أخواها حسن بن أحمد البربري التاجر مبلغًا ماليًا قدره خمسة وستون وثمانمائة ألف ريال وستة أثمان ريال. وكان سبب إقراضه للمال منها إفلاسه، مما جعله

¹ - ع 151-152، م3، ق43، سنة 1097 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 170.

² - ع 138-139، م3، ق42، سنة 1119 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 175.

³ - ع 151-152، م3، ق43، سنة 1079 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 175.

⁴ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

⁵ - م ش ع 46 و233، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 158.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

يقترض منها مآلاً للنهوض بتجارته، فأقرضته المال المطلوب، واشترطت عليه اقتسام الربح معها بالتساوي عندما يحقق ذلك¹.

7-5-1-1-5-قرض النساء لأصهارهم :

لجأ بعض الرجال أحياناً إلى أصهارهم خاصة إذا كانوا يتمتعون بالثراء من أجل الاقتراض فهذا عثمان التركي القهوجي إقترض من صهرته نفيسة بنت محمد الدباغ 24 ريال دورو وسكة فرنسية ، ونفس الشيء بالنسبة لعبد الله يولداش إقترض من صهرته نفيسة بنت محمد مبلغاً قدره 900 ريال فضية مثمانة دراهم صغار².

7-5-1-1-6-قرض المرأة لأصحاب الحرف:

لجأ بعض حرفي المدينة إلى الاقتراض من النساء، وخاصة بعد تعرضهم للإفلاس والعجز على الحصول على المال والمادة الأولية، فيلجأون إليهن كحل لمشكلتهم. وكانت المرأة لا تتوانى عن إقراضهم للنهوض بالصناعة الحرفية. ومن هؤلاء نذكر نفيسة بنت عبد الرحمن الشوفي، التي أقرضت مصطفى القزاز مبلغاً مالياً قدره مائتا ريالين، كلها دراهم فضة، كل ريال يساوي سبعة ريال ونصف ريال دراهم صغار، للنهوض بحرفته، واشترطت عليه اقتسام الربح بينهما بالتساوي: "...وما أفاء الله به من الربح بعض نهوض رأس المال يكون أنصافاً بينهما سوية واعتدالاً..."³.

وأقرضت رحمة السيد محمد الفخار مبلغاً قدره 3.5 رداص وقامت أمينة بنت علي الزنكي باقراض العربي السكاكري بن حمدان ب 1350 رداص ، وقامت عزيزة باقراض محمد بلكباشي الجاقماقي مبلغاً قدره 100 رداص⁴.

ونجد أيضاً نساء السلطة الحاكمة ساهمن في المساعدة المالية للنهوض بإقتصاد الإيالة وذلك بدعمها للتجار وأصحاب الحرف مالياً عن طريق القرض، فمثلاً أمينة بنت الداوي عبدي باشا

¹ - م ش ع 80-81 و 34، سنة 1235 هـ، نقلاً عن ليلي خيراني: ص 158-160.

² - م ش ع 90-91 و 15، وينظر م ش ع 90-91 و 27. نقلاً عن ليلي خيراني: ص 158-160.

³ - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

⁴ - م ش ع 2/41، م 4، ق 1، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 717.

أقرضت علي بوكناش العطار مبلغا قدره 68 رقص ، ولكن السؤال المطروح كيف تمكن هذا العطار من الوصول إلى ابنة الداى ليطلب منها القرض¹.

7-5-1-1-8-قرض المرأة للتجار :

ولم يقتصر اقراض النساء لاصحاب الحرف بل شمله إلى التجار فنجد عويشة بنت قدور البربري قامت باقراض شقيقها التاجر عبد الرحمان مبلغ قدره 328 ريال فضية مثمانة دراهم صغار وقامت باقراض ابن عمها حسن بن محمد البربري أشهر تجار مدينة الجزائر مبلغا ماليا قدره 14000 ريال². وقامت مريومة بنت محمد رئيس والدة الرايس حميدو باقراض إبراهيم التركي الاطرف بن بكير مبلغا ماليا قدره 400 ريال بأعيانها صحاحا دورو صرف كل ريال 7.5 ريال دراهم صغارا³.

7-5-1-1-9-قرض النساء للنساء:

قامت مومنة بنت محمد بن تركية بإقراض راضية بنت والي ب14 دنس⁴، كما اتجهت الولية بنت دالي مصطفى البوجاقجي وطلبت قرضا من الولية مومنة بنت السيد محمد بن تركية مبلغا قدره أربعة عشر دينارا ذهبية سلطانية صرف كل دينار تسعة ريالات دراهم صغار وأقرضت روضة بنت مصطفى الولية خدوجة بنت إبراهيم مالا قدر بمائتان وإثنتا وإثني عشر دينار كلها سلطانية صرف كل دينار تسعة ريالات دراهم صغار⁵.

7-5-1-1-10-قرض المرأة لرجال المدينة:

يتعرض أحيانا الرجل إلى إفلاس أو حاجته للمال للقيام بعمل معين ولهذا يجعله يبحث عن من يقرضه وفي بعض الأحيان يجده في امرأة لا تتوانى عن رفض اقراضه بدافع الشفقة ولهذا نجد علي الملياني يلجأ إلى أمنة بنت علي الزناكي طالبا منها قرضا يقدر ب450 رقص فأقرضته المبلغ المطلوب

¹ - م ش ع 1/24، م2، ق39، سنة 1186 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 717.

² - م ش ع 90-91، م1، ق17، سنة 1233 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: ص 132، وعائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 256..

³ - م ش ع 53، م3، ق25، سنة 1231 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 132.

⁴ - م ش ع 17، م3، ق66، سنة 1231 هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 716.

⁵ - م ش ع 17 (23)، وينظر م ش ع 66/17، م ش ع 17 و102، نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 189.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

،وقامت فاطمة بنت محمد بن أحمد الدباغ باعارة عبد الرحمان الاصباحي بن مخلوف مبلغا قدره 900دينج ، ونجد عائشة بنت عمران أقرضت علي بن كيوان الكفيف مبلغا قدره 200دينج¹.

7-5-1-1-11-قرض الرجال للنساء :

رأينا سابقا بأن المرأة كانت المقرضة للرجال، وقد تكون المرأة هي المقرضة نتيجة حاجتها للمال واختلف الأشخاص الذين تلجأ إليهم باختلاف إمتلاكهم للمال فأحيانا يكونوا من الأقارب أو غيره، فنجد :

7-5-1-1-12-قرض الزوج لزوجته :

رغم رابطة الزوجية التي تجمعهما إلا أن الزوج كان يقرض زوجته مالا ويوثقه في عقد حتى ترجعه مثلما حدث مع حليلة بنت عمر السباوي، التي إقرضت من زوجها جلول بن محمد مالا، وزوجة إقرضت من زوجها إبراهيم الانكشاري البوبانجي مبلغا ماليا قدره 200دين.س (ص 1ر9ردس)².

7-5-1-1-13-الاقتراض من الأمة :

رغم فقدان الأمة لحريتها وخضوعها لسيطرة سيدها أو سيدتها ولكن هذا لايجعل منها السيطرة على مالها أيضا بل تمتعت الامة باستقلالية مالية، وكانت السيدة إذا احتاجت لمال من أمتها فإنها تقترضه منها ثم تعيده لها مثلما فعلت خدوجة بنت حسن، التي تركت وصية بأن عليها دينا لامتها حتى تضمن تسديده³.

7-6-المرأة وتسديد الديون:

يعتبر الدين من المشاكل، التي يعاني منها الفرد فتدخله في دوامة الأحزان والألام ويصاب بالهم والغم خاصة إذا كان المبلغ المقرض مرتفعا ولان المرأة الجزائرية عرف بتحليها بصفة الشفقة والرحمة والوقف إلى جانب الرجل في أحلك الايام وخاصة إذا كان زوجها فتساعده على رفع الغبن عليه

¹ - م ش ع 6، م 2، ق 24، سنة 1221هـ، وينظر م ش ع 32، م 1، ق 2، سنة 1077هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 717..

² - م ش ع 76 و79. وينظر م ش ع 67 و79. وينظر ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 189.

³ - م ش ع 6/59، م ش ع 17 (123) نقلاً عن ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 189.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وتسديد دينه، فوجد فطوم بنت بلعيد قامت بتسديد دين زوجها علي بن بلقاسم بن موهوب المقدر بخمسة وخمسين ريالاً كلها صحاح الضرب كفرة وثلاثة وثلاثين ريالاً من ذهب، الذي كان عليه للسيد أبي جمعة بن محمد من مالها الخاص¹.

وبالجملة، فقد حاولت المرأة المساهمة في النهوض بالاقتصاد الجزائري من خلال الصناعات الحرفية أو إمتلاك الاراضي الزراعي من أجل الانتاج الفلاحي أو القرض المالي لجماعة الحرفين والتجار فيمكن القول بأن المرأة كانت إحدى العوامل المساعدة في تطور الاقتصاد الجزائري ولو بنسبة قليلة .

¹ - م ش ع 6/59، م ش ع 17 (123) نقلا عن ليلي خيراني :مرجع سابق، ص188.

المبحث الثاني : المرأة والقضايا السياسية والعسكرية في مدينة الجزائر:

تميزت السلطة السياسية في إيالة الجزائر خلال هذه الفترة في كونها كانت بيد الرجال الذين تولو تسييرها ولم يسمح للنساء بتدخل في الامور السياسية، وذلك نظرا لطبيعة الوضع السياسي الذي كانت تتميز به الإيالة بصفة عامة ومدينة الجزائر خاصة من حدر شديد في ظل الاعتداءات الخارجية المتكررة عليها والاضطرابات الداخلية في بعض الأحيان ولكن لاينفي وجود نساء برزن بطريقة غير مباشرة في العمل السياسي، فنجد :

أولا : دور المرأة في القضايا العسكرية بمدينة الجزائر :

أ)- دور نساء البايليكات في القضايا السياسية:

وقبل التطرق لدور المرأة في المجال السياسي في مدينة الجزائر حاولنا الحديث عن بعض النساء الجزائريات، اللواتي برزن في المجال السياسي والعسكري في البايليكات الايالة وتمكن من تسيير شؤون السياسية للبايليك وقيادة جيوشه، ففي بايليك الشرق برزت الدايجة بنت محمد بن قانة زوجة الباي عبد الله، التي أثبتت ناجعتها في تسيير شؤون بلادها سياسيا، وذلك بمساندة زوجها الباي يقول العنتري "...وكان عبد الله بايا صاحب حرب وإقدام إلا أن إمرأته تشاركه في الأحكام وذلك أمر قبيح عند العرب والأعاجم..."¹.

ومن النساء في ذات البايليك، والتي لا تقل عنها شأنا وداع صيتها في إيالة الجزائر، أم هانئ، التي تميزت بالذكاء والفتنة، وهذا ما استغله والدها في خدمة مصالحه، والتي عجز عن تحقيقها بجيشه، كإجبار بعض القبائل العاصية على إعلان الولاء، وخاصة قبيلة بوعكاز، فأخضعها إلى سلطته عن طريق المصاهرة، وذلك بتزويجهم ابنته أم هانئ لقيدوم أخ شيخ العرب لهذه القبيلة، وحملها مسؤولية إخضاعهم لسلطته. تم الزواج، وأخذت المرأة في تخطيط لإخضاعها، وبعد وفاة زوجها تزوجت من شيخ العرب أحمد السخري في حد ذاته، وبزواجها منه تمكنت من تحويل العلاقة بين قبيلة بوعكاز وسلطة

¹ - صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة، الجزائر، 1999م، ص 51، أوجان فاسيات: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية (1517م-1837م)، ترجمة أحمد سيساوي، كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2019م، ص 211.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

أبيها من علاقة تمردية إلى علاقة ولاء وخضوع، وتمكنت من دعم سلطة والدها بقبيلة زوجها، أسرة بوعكاز، التي كان لها نفوذ وسيطرة على الصحراء الجزائرية¹.

ولكن أهم ما سعت إليه هذه المرأة بعد توطيد العلاقة بين قبيلة زوجها ووالدها هو الانفصال عن السلطة الحاكمة بمدينة الجزائر، وذلك بالتوقف عن دفع الدنوش والارتباط مباشرة بالباب العالي. ولكن باشا الجزائر، لما علم بهذا الانفصال، سارع إلى قتل والدها، فأصابها ألم كبير وحزن شديد على مقتل والدها، ولما لجأ إليها أخواها فار من القتل، قُتل في قبيلتها، فاعتقدت بأن زوجها هو من قتله فقامت بقتله بالسم. ولم تكتفِ بقتل زوجها، بل أبادت كل عائلته، ولم ينجُ منهم سوى شخص واحد. إن هذا العمل الشنيع دليل على قسوتها وقوتها، وبمقتل زوجها أعلنت زعامتها للقبيلة خلْقًا له، ولم يعارضها أحد، بل أعلنت الحروب على باي قسنطينة حسين بوقمية، وتمكنت من تحقيق انتصارات عديدة عليه نتيجة لتوالي هزائمه على يديها، وعجزه عن التصدي لحملاتها، فأعلن خضوعه وولائه لها. ولم يكتفِ بهذا، بل قرر التقرب منها عن طريق المصاهرة، وذلك بتزويج أحد أولاده بإحدى بناتها، فمَكَان منها سوى الموافقة، وخاصة وأنه لم يعد بمقدورها القيام بحروب وسفك الدماء بعد كبرها².

وفي بلاد القبائل نذكر لالة خديجة زوجة محمد بن عيسى، التي سعت إلى توطيد الحكم التركي في منطقة القبائل، وطلبت من قومها سكان جبال جرجرة على مساندة الأتراك، خاصة الإخوة بربروس في نشاطهم الجهادي، وعَلْجِيَّة بنت بوعزيز زعيم قبيلة الحنانشة، التي أثر فيها ما أصاب والدها من خسائر ومآسي حتى أنه أصبح عرضة للاضطهاد التركي، فأعلنت على استرجاع مكانة والدها وتحدي السلطة التركية، وذلك بعد جمعها لصديقاتها وقريباتها ولنساء قبيلتها المستعدات للقتال، ثم ارتدت أجمل ثيابها

¹ - صالح العنزي :مصدر سابق، ص 51 ، أوجان فاسيات :تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية (1517م-1837م)، ترجمة أحمد سيساوي ، كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع ،قسنطينة ،2019م،ص 211.

² -Mouloud Gaid :Chonique Des Bey De Constantine.Alger.OPU.S.D..Pp23 Etl. Feraud:Shara De Constine Et De Tunis .Larnolet Libraire .Editeur.Rue Du Palais Et Bastide Libraire Editeur Place Du Gouvernement Et Challamel Atnè Eduteur Alger.30 Rue Des Beaulaagers.Paris .1868.Pp100-101-102.Et C.Feraud Notes Historique Sur La Province De Constantine .Les Ben DJELLAB SULTANS DE Tougrt .In Revue Africane.1882.N° 26 Et Peyssonnel Et Desfontaines. Voyages Dans Les Régences De Tunis Et d'Alger, Publ. Par M. Dureau De La Malle .Paris.1838. .Pp101-102.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وامتطت حصانها معلنة قيادتها لهذا الجيش نسائي ضد الأتراك بعد تخلي رجال قبيلتها عن مساندة والدها والدفاع عنهم، امتطت النساء أحصنتهم وأعلنوا ولاءهم لقائدتهم عزيزة والحرب بدل الاستسلام والرضوخ لخطرسة الأتراك، فصاحت فيهن مخاطبة: "...مدام الرجال ليست لهن شجاعة الوقوف في وجه الأتراك، الذين سيأتون قريبا لانتهاك حرماننا تحت أنظارهم، فلنذهب نحن بأنفسنا لنبيع أرواحنا وشرفنا غاليا أفضل من أن نبقي إلى جانب هؤلاء الجبناء..." وقولها: "...يا أولاد ناصر من يريد أن يرضع من هذا الحليب ما عليه إلا أن يتبعني..." هذا الخطاب المدوي الذي أثر في نفوس الرجال وأحجلهم جعلهم يسارعون إلى الانضمام إلى شيخهم والجيش النسوي ويجوزون حربهم ضد الأتراك، وتمكنت هذه المرأة رفيقة جيشها من إلحاق الهزيمة بالجيش العثماني وتمكنت من استرجاع ممتلكات والدها¹.

جز والدها شيخ قبيلة الحنانشة في لم رجال قبيلته لنصرته، ولكن ابنته تمكنت في ظرف وجيز من جمعهم بخطاب مدوٍ أثر فيهم وقادتهم مناصعين غير مترددين لنصرة والدها وتصدي للأتراك، ومن النساء نذكر عزيزة جدة بن المفتي مؤلف كتاب تاريخ الباشوات، التي كانت عاصرت فتنة الحمايمي، وهي تمرد قام به مقصد ولما تمكنت الجيوش من إلقاء القبض عليه محتبئ في بيت هذه العجوز وأرادوا قتله ذبحا، ورغم ما قامت به هذه العجوز من إخفائها لمتهم في بيتها، ومع ذلك فقد تحدثت معهم مستعطفة إياهم عدم ذبحه في بيتها لأنه لجأ إليها، وهذا دليل على قوتها وشجاعتها أو المكانة التي كانت تحظى بها، ولكن الجنود تمكنوا من جره من بيتها وأعدموه ذبحا².

وفي بايليك الغرب نجد لالا بدرة ابنة أخ الباي محمد بلكبير، التي انبهرت بشخصية عمها وكيفية تسييره لشؤونه السياسية، مما جعلها كثيرة الإقبال والحضور ومشاهدة اجتماعات المجلس الأعلى أو

¹ - أوجان فاسيات: مرجع سابق، ص 120-121، عبد الرحمن الجيلالي: مرجع سابق، ص 223، وينظر: جميلة معاش: نماذج عن مكانة المرأة خلال العهد العثماني، مجلة التراث، نوفمبر 1995م، العدد 8، ص 23-25، صالح عباد: مرجع سابق، ص 155، شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس والجزائر والمغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب مزالي ومحمد مزالي والبشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، 1983م، ص 379، عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سابق، ص 80 وينظر: Peyssonnel : Op. cit.T1.P347

² - بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 83.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

اجتماع الوزراء والإداريين، لاكتساب خبرة سياسية وذلك بالاستفادة من نقاشاتهم ومواضيعهم، مما جعلها امرأة ذكية ذات حنكة سياسية، كما كانت لها خبرة عسكرية وذلك بتعلمها حمل السلاح وركوب الخيل، حتى أنها أضحت امرأة فارسة لا يفارقها مسدسها أينما حلت، ومن شدة اعتزازها بقوتها فقد كانت ترتدي الزي الرجالي أثناء عملية الصيد، لتتزوج بآخر بايات وهران وهو حسن باي¹. من خلال ماسبق يلاحظ بأن المرأة يمكن تقتدي لحل ما قد يعجز عنه الرجل وهذا ما أثبتته بعض نساء البايليك مثل عزيزة ابنة زعيم قبيلة الحنانشة وغيرهن.

ب)-أسباب الدور الضعيف للمرأة في القضايا السياسية والعسكرية :

هل كان لنساء مدينة الجزائر دور في المجال السياسي والعسكري كما رأينا سابقا مع نساء البايليكات؟.

لم تذكر مصادر أو الوثائق نساء كان لهن دور في هذا المجال ويمكن القول أن دورهن يكاد يكون مغيب إذا لم نقل لا وجود لدور بارز، ولا ندري هل فعلا لم يكن لهن دور أو تخوفت المصادر في الحديث عنهن وعن تأثيرهن في المجال السياسي، وإذا عدنا إلى مذكره وليام سبنسر، فإنه يؤكد على عدم وجود نساء جزائريات حملن السلاح وشاركن الرجال في المعارك:"... لم تكن هناك بطلات في درجة ديودو أو سفو أو الكاهنة... أنهم كانوا عبارة عن قعيدات الكانون اللواتي تدافع عنهن الأسلحة والسفن الجزائرية"²، ولكن يمكن تبرير عدم بروز نساء المدينة في المجال السياسي إلى ما يأتي :

- طبيعة العمل السياسي والعسكري، الذي يتنافى وطبيعة المرأة التي تتميز في الغالب بطغيان العاطفة عليها والتسامح واللين، وعجزها عن مواجهة الطوارئ والمستجدات بسهولة، وهو ما جعل الرجل يبعدها عن تسير شؤون البلاد، يقول محمد سي يوسف: "مدينة الجزائر كانت مدينة جهادية لا مكان للعاطفة

¹ - فاطمة بخاي : مرجع سابق، ص ص 36-40.

² - وليام سبنسر : مرجع سابق، ص ص 105-106.

بها... " ويفضلون رجالاً يتميزون بالتشدد والتسلط والغلظة، فمن صفات الداوي الجزائر حسب ما ذكر لنا بير بوير: "...عنيف...متعصب...غاشم"¹.

- طبيعة النظام في كونه نظاماً سياسياً خاضعاً للسلطة والجيش، فالأوضاع السائدة خلال هذه الفترة والمتمثلة في الحملات البحرية والاضطرابات الداخلية تتطلب قوة الرجال وحنكتهم²، ومع ذلك فقد ظهرت نساء فرضن أنفسهن في المجال السياسي بطرق غير مباشرة، وكذلك في المجال العسكري.

ج) - دور المرأة في القضايا العسكرية:

1- دور المرأة في توطيد العلاقة بين فئة الانكشارية وطائفة رياس البحر :

غم الصراعات الكثيرة التي كانت بين الجيشين البري والبحري، مما يتسبب في ظهور اضطرابات سياسية، وللتخلص من هذه المشاكل، فقد تم المحاولة في التقريب بينهما عن طريق المصاهرة، ولكن في الغالب كان زواجاً مصلحياً، فقد هدف بعض الانكشارية بهذا الزواج إلى الثراء بما تمتعت به طائفة رياس البحر خلال هذه الفترة، التي اشتهرت بالثراء الفاحش بفضل مداخيلها من الجهاد البحري، وخاصة أنهم كانوا يستحدون على 22٪ من الغنائم الموجودة بالسفن التي يستولون عليها، وهذا ما انعكس على عائلاتهم بما في ذلك بناتهم اللواتي اشتهرن بالثراء، فنجد على سبيل المثال ما خلفته خدوجة بنت الرايس من ثروة قدرت بـ 3790 ريال درهم صغار، وخدوج التي اشتهرت بالثراء سارع بعض الانكشارية للزواج بها، ونجد أحمد بلكباشي بن مصطفى تزوج بفاطمة بنت علي رئيس، ويوسف أياباشي بن عبد الله تزوج بفاطمة بنت محمد رئيس³.

2- المرأة الساحرة والتنبأ بالحملات الأوروبية:

¹ - محمد سي يوسف : المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي

للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، العدد 25، ص ص 63-65. منور مروش: مرجع سابق، ج 2، ص 361. وينظر:

Marcel Emerit : Le Voyage De La Condamné .Alger 1731.In R.A.1954.T98..P379.Et Pierre Boyer: Op. cit .P93

² - محمد سي يوسف : المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 66 وينظر : أبو القاسم سعد الله: تاريخ

الجزائر الثقافي(1500م-1830م)، ط1، دار الغرب الاسلامي، ج 1، ص 162-163-138-140-141. وليام سبنسر

:مرجع سابق، ص ص 105-106.

³ - حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر 1428 هـ /2007م، ص

127، ليلي خيراني: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 119.

شهدت مدينة الجزائر خلال هذه الفترة بروز امرأة عجوز ادعت التنبؤ بالمستقبل أو كانت لها بصيرة، ومن بين ما تنبأت به وأخبرت به سكان المدينة، هو خبر حملة إسبانية قادمة نحو مدينة الجزائر، ولكنها فاشلة: "...عجوز ساحرة تنبأت بهزيمة فيرا وغرق مونكاد وانهزام شنيع يلحق بأمر مسيحي ثالث..."¹ ولأن سكان المدينة شهدوا هذه الحملة وفشلها، فأصبحوا يصدقونها ويؤمنون بكل ما تقول، فاستغل الأتراك إقبال الجزائريين عليها، ودعواهم إلى جعلهم يعلنون الولاء لهم ويلتفون حولهم ويساندونهم في أعمالهم الجهادية¹.

3- الدعم المادي والمعنوي للجيش:

إن المرأة الجزائرية رغم سياسة التحفظ، التي مورست عليها إلا أنها لم تتوانى في مشاركة الرجل سواء كان أبوها أو أخوها أو زوجها في ساعة الخطوب، ويتجسد لنا دورها في فيما يلي :

للدعم المادي والمعنوي للجيش البري والبحري في حملاته، فمجرد تجهيز للقيام بالحملة، فتسارع النساء إلى أضرحة الأولياء الصالحين خاصة ضريح الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وهن محمّلات ببعض الصدقات والهدايا والأموال كقرايين لهذه الأضرحة، حتى يترجّين الولي الصالح أن يمدّ العون والقوة والنصرة لهؤلاء الجنود، وأن يحميهم في البحر ببركته ويعيدهم إلى بيوتهم سالمين² بالإضافة إلى دعم الجنود بشراء الأسلحة ومنحها لهم³.

ولما تعرضت مدينة الجزائر للحملة الفرنسية ونزولها بسواحل، حتى سارعت النساء إلى مرافقة أزواجهن في التصدي لهذه الحملة بإثارة الحماس لديهم، وتزويدهم بالطعام والشراب، وتضميد جراح المصابين، حتى أن هناك من تعرضت لضربات رصاص العدو "حتى النساء اللواتي رفقن الرجال إلى أرض المعركة أصبحن في حاجة إلى مساعدتي الطبية"⁴، مثلما حدث مع خيرة التي سارعت لنجدة زوجها حتى تعرضت لطلاقات نارية من أحد الجنود الفرنسيين أدت إلى مقتلها وحسب سيمون بفايفر حتى النساء

¹ - مارمول كاربخال: إفريقيا، ترجمه محمد وأخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1408هـ، 1409هـ / 1988م - 1989م، ج2، ص 367.

² - P.Dan:Op. cit.p 30

³ - Ibid.P30.

⁴ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 88-91، 127.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

المومسات توجهن إلى ساحة المعركة لمساندة الرجال وحسب سيمون أن هدفهن هو الاستشهاد¹، لتكفير عن ذنوبهن والفوز بالجنة التي وعد الله بها عباده الشهداء .

4- مصير النساء في النزاعات المسلحة :

كانت الدولة الجزائرية حريصة على سلامة النساء والأطفال، ولهذا كُنَّ يمتنعن من الخروج من بيوتهن في فترة قدوم الانكشارية لجمع الضرائب، تجنباً لتعرضهن للاعتداءات، سواء من الانكشارية أو وقوع مواجهة بينهم وبين سكان القرية، وخاصة وأن هؤلاء الجنود خلال هذه الفترة غائبون عن الوعي فيتعرضن للقتل أو اعتداءات، ولهذا كلفت براح عندما يعلم بقدوم هؤلاء الانكشارية أن يسارع إلى إخبار سكان القرية بضرورة إجبار النساء والأطفال على المكوث ببيوتهن ومنعهن من الخروج حتى لا يتصادفن بالجنود الانكشارية².

إن الحملات التي كانت تتعرض لها المدن الجزائرية كانت تؤدي في بعض الاحيان إلى أسر بعض سكانها مثلما حدث في وهران عندما تعرضت إلى حملة إسبانية فتم أسر بعض نساءها ورجالها و نقلهم إلى قائد الجيش الأعلى بوهران، ليختار أسيران رجل وامرأة ويترك الباقي عندهم³.

ولهذا اتخذت السلطة في مدينة الجزائر عند تعرضها لحملات أوروبية إجراءات وقائية للحفاظ على النساء والأطفال، فكان الدايات بمجرد سماعهم بخبر حملة قادمة باتجاه المدينة يصدرون أوامر بضرورة إبعاد الأطفال والنساء من المدينة، مثلما حدث في مدينة الجزائر في عهد الداوي محمد بن عثمان خوجة عندما تعرضت إلى قصف بارشيليو يوم 4 رمضان 1197هـ الموافق ل 2 أوت 1783م، فأصدر أوامره بضرورة تهجير الأطفال والنساء من المدينة لتأمين حياتهم⁴.

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 90.

² - أبو القاسم سعد الله التاريخ الجزائري الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 162.

³ - أحمد بن محمد بن علي الراشدي بن سحنون: مصدر سابق، ص 36.

⁴ - عبد القادر فكايير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910هـ - 1206هـ / 1505م - 1792م)، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هوم، الجزائر، د.ت، ص 281.

Charles Feraud :Op. cit .P307.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ولكن ما تجدر الإشارة إليه ، هو أن الأعداء لم يتجرأوا على قتل النساء ، وهذا نستشفه من خلال ما قام به بعض أفراد جماعة بنو مزاب الذين أرادوا مدهمة حضن إسباني فارتدوا ملابس نسائية تمثلت في الحايك ، وتظاهروا بأنهم نساء مظطهدات من طرف السلطة الحاكمة ولجأن إليهم ليحظو بحمايتهم فكان من الحامية الإسبانية إلا فتح أبوابها لاعتقادهم أنهم نسوة ونجحت عملية المدهمة المزابية بالزي النسائي¹ .

إن أخطر هجوم تعرضت له مدينة الجزائر، والذي أدى إلى سقوطها هو الاحتلال الفرنسي، فما مصير النساء بعد اجتياح القوات الفرنسية للمدينة والسيطرة عليها ؟ إن نساء المدينة اللواتي كن في بساتيهن بمجرد سماعها خبر السقوط حتى سارعت في ترك مزرعتها والعودة إلى المدينة ومن شدة الهلع الذي أصابهم وانظمين إلى الرجال ليعرفن مامصيرهن "... إن المرأة كانت في وسط الرجال وهي لا تشعر بنفسها ..."² .

وحسب بعض الروايات أنه بعد استشهاد بعض الرجال أو عجزهم عن مواجهة المستدمر الفرنسي تركوا النساء وحدهن يتخبطن في مواجهة مصيرهن، وهذا ما دفع بأحمد باي، الذي أثر فيه حال النساء المدينة الكئيبات البائسات واللواتي افزعنهن الوضع في عرض عليهم نقلهم إلى قسنطينة حتى يحضين بحمايته فوافقن على الرحيل معه، وقد بلغ عدد النساء اللواتي ذهبن معه حوالي 500 امرأة مع بعض الضعفاء والعجزة والرجال والعساكر، الذين فضلوا الانسحاب على المواجهة الفاشلة³ .

ومنهن من اكتفت بالتزام البقاء بالبيت مع أسرتهما إستجابة لقرارات السلطات، التي أمرتهم بالمكوث داخل بيوتهن ولا يوجهن الجيش الفرنسي، أما بعض النساء وخاصة الثريات فقد تركزن بيوتهن وكل ما يمتلكه فارين بأنفسهن نحوى زواية سيدي عبد الرحمان الثعالبي، الذي اتخذنه محباً لهن، وللاحتماء به

¹ - Rene Lespes :Quelques Document Sur La Corporation Des Mozabites D'alger Dans Les Premiers Temps De La Conquête 1830-1838. R.A.1925.N^o66. PP198-199.

وينظر: سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص164.

² - شريف زهار: مصدر سابق، ص172.

³ - حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص 221، وينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص 172.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

من جنود الاحتلال¹، و يتولى الدفاع عنهن بما يمتلكه من قوة، وربما هذا راجع إلى تلك المعتقدات التي مازالت راسخة في عقولهن والمتمثلة في قوة الخارقة التي يمتلكها الأولياء الصالحين في رد الاعتداءات وحمايتهن .

ومن شدة هلع بعض النساء الثريات أن إحداهن، وهي هاربة من منزلها حاملة معها كيساً مملوءاً بالحلي والذهب، وفي أثناء طريقها ومن شدة الخوف، لما رأت بعض جنود العدو يلاحقونها، اعتقدت أنهم اكتشفوا أمر الكيس وما يحتويه، فرمت لهم الكيس لنجاة بنفسها من القتل، وفرت مسرعة نحو مخبأ لجأ إليه غيرها من النساء، وأعتقد أن هذا يتعلق بالنساء اللواتي استشهد رجالهن أو لم يعلمن مكان تواجد رجالهن، فلا يمكن تصديق رجل مسلم يترك نساءه يتخبطن في مصيرهن وحدثن أمام الاعتداء الأجنبي².

أما مصير بعض نساء السلطة، فعندما تعرضت مدينة الجزائر إلى الاحتلال الفرنسي وما نتج عنه من اضطرابات وفوضى، تعرضن للتهديد، فمثلاً أرملة أغا يحيى تعرضت لتهديد من أحد سكان المدينة من جماعة الدخلاء، الذي قام برمي مجموعة من الأسلحة—سيوف ومسدسات—في فناء بيتها، ثم ادعى أنه جندي فرنسي واتهمها بأنها تخفي أسلحة، وحتى لا يخبر السلطة الفرنسية طلب منها منحه مبلغاً مالياً قدره أربعون ألف دينار أو سيكون مصيرها الموت المحتم إذا أخبرت السلطة بذلك، وأمام هذه الأزمة التي تعرضت لها تمكنت من اكتشاف أنه يهودي حاول استغلال الوضع للحصول على المال، فتظاهرت بعدم اكتشافها لحقيقته وأوهمته بأنها لا تمتلك المبلغ وأنها ستحاول جمعه وطلبت منه أن يمهلهما بعض الوقت فوافق على ذلك، ولما ذهب سارعت إلى إرسال ابنها ليخبر الجنرال الفرنسي بهذا التآمر الواقع ضدها من أحد اليهود، فقام بإرسال جنود لإلقاء القبض عليه ولكنهم لم يعثروا عليه³.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص 221، وينظر: أحمد توفيق المدني: مذكرات شريف الزهار، مصدر سابق، ص 172، وينظر: مصطفى بن خوجة: تنوير الأذهان، وينظر عبد الجليل التميمي: ثلاث رسائل من الحاج أحمد باي قسنطينة إلى الباب العالي، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، 1 يونيو 1970م، الجزائر، العدد 9، ص 18، وينظر: شريف زهار، مصدر سابق، ص 175.

² - Paul Chaudru de Raynal: L'expédition d'Alger (1830-1930) France.S.D .pp99

³ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 103.

أما النساء الكبيرات السن ،فحسب أحد ضباط الحملة الفرنسية أديل بأنهن رفضن ترك بيوتهن وبقين في منازلهن صامدات أمام جنود العدو¹، ربما فضلن الاستشهاد على الاستسلام أو الهروب.

5- موقف السلطة والمجتمع من الأسيرات الجزائريات في الأراضي المسيحية:

قبل التطرق لموقف السلطة والمجتمع من الجزائريات من وقوع الجزائريات أسرى في الأراضي المسيحية لا بأس من التطرق إلى مصيرهن بتلك الديار .

5-1- بيع الجزائريات في أسواق الأسرى الأوروبية:

تعتبر ظاهرة القرصنة أو الجهاد البحري من أخطر الظواهر التي شهدتها حوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في الفترة الحديثة، فقد تسببت في الكثير من الأحيان بتغيير مصير كل من لج البحر، فتغير حياته من حياة الحرية إلى حياة العبودية، فيتغرب عن وطنه، ويفقد أهله، وتُهان كرامته ببيعه في سوق العبيد وما ينجر عنه من مخاطر. ولهذا، فكل من مر بهذا البحر فإنه يتوقع ذلك، والإشكال المطروح: هل تعرضت المرأة الجزائرية للأسر من طرف القرصنة، وما مصيرها؟.

تعرضت المرأة الجزائرية إلى القرصنة وتم أسرها، وتم اقتيادها إلى سوق العبيد مثلما يحدث مع الأسيرة الأوروبية في مدينة الجزائر، ثم يتم بيعها هناك، ففي سنة 1019هـ / 1610م تمكن قرصنة فرنسيون من أسر سفينة جزائرية كان على متنها امرأتان جزائريتان، فتم اقتيادهما من طرف قبطان السفينة إلى سوق الأسرى بطلون وبيعهما هناك. وأيضاً، قرصنة إسبانيا فقد كانوا يهاجمون السفن الجزائرية فيأسرون ركبها رجالا ونساءً، فيتم نقل النساء مباشرة إلى سوق العبيد لبيعهن، ولقد شكلت نسبة النساء الجزائريات الأسيرات، وخاصة اللواتي من مدينة الجزائر، ما يقارب 21 امرأة تراوحت أعمارهن ما بين 15 إلى 30 سنة².

5-2- الأسيرة الجزائرية و التعميد:

¹ - جميلة معاش: نماذج عن مكانة المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص58 وينظر:

Paul Chaudru De Raynal:Op. cit.Pp99

² - Gomez Pocio Periañez: La Esclavitud En Extramadura (Siglos 16-18) Tesis Doctoral, Departaminió De Historia, Universidad De Extremadura Cacers, 2008. .P148. Et Khalid Bekkaoui : White Women Captives In North Africa, Narratives Of Enslavement, 1735-1830, UK: Palgrave Macmillan, 2010.P67.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

أُجبرت المرأة الجزائرية المسلمة الأسيرة في الدول الأوروبية على اعتناق المسيحية، ويتم ذلك بتعميدها، وبعد عملية التعميد يتم وشمها بقطعة حديدية بحرف (S) في أجسامهن، ربما تمييزاً لهن عن غيرهن من الأسيرات من دول أخرى الموجودات في ذات الدولة، أو عن النساء الأوربيات، حتى يتمكنوا من تمييزهن بعد مرور الزمن، فالوشم بطبعه لا يختفي، والتعميد سيحولهن إلى نساء مسيحيات بأسماء أوروبية وربما ملابس أوروبية أيضاً.

وبعد العودة إلى الدراسة التي أنجزها الباحث إبراهيم سعيود حول الأسرى الإيطاليين خلال القرن 11هـ / 17م، فقد عثرنا على إحصائيات لنساء جزائريات تم أسرهن من قبل قراصنة إيطاليين وتم تعميدهن، بلغ عددهن في هذا القرن حوالي 93 امرأة، وفي القرن 12هـ / 18م انخفض إلى حوالي 22 معمدة. وربما يمكن تفسير هذا الانخفاض بامتناع أو منع العائلات الجزائرية للنساء من التنقل أو السفر عبر البحر خوفاً من هذا المصير، ولكن هذا الرقم يبقى نسبياً، ربما هناك نساء تم إخفاؤهن ولم يتم إدراجهن ضمن العملية الإحصائية للمعمدات¹.

ومن خلال نفس الدراسة، نجد أن عدد نساء اللواتي هن من مدينة الجزائر وتم تعميدهن هو خمسة وكانت أعمارهن أقل من سن الثلاثين²، وهم كآآتي:

مباركة بنت علي، البالغة من العمر 19 سنة، تم تعميدها يوم 10 ذو الحجة 1072هـ / 1662/07/26م، ثم مُنحت اسم قسطنطينا دي أنطونيو، ومنحت لبتروس أنطونيو وكولومنا ابنة بومبي لتولي الإشراف عليها. وفاطمة بنت محمد، البالغة من العمر 25 سنة، تم أسرها مع زوجها وابنتهما مريم، البالغة من العمر ستة سنوات، ولقد تم تعميدهن أولاً يوم 24 محرم 1139هـ الموافق ل 1726/09/20م، ومنحت اسم مريا دي سانكتيس، ولكن الباحث إبراهيم سعيود لم يذكر لنا اسم الوصي، ربما لأنه غير مسجل في وثيقة التعميد. أما والديها فقد تم تعميدهما في نفس اليوم 13 ربيع الثاني 1139هـ الموافق ل 1726/12/07م، وأصبح اسم فاطمة قسطنطينا ماري دنشين، وتم منحها

¹ - إبراهيم سعيود : علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين 17-18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1999م، ص 125.

² - نفسه، ص 152.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

للكاردينال ملكيور دي بوليناك لتولي الوصاية عليها. ورشيده، البالغة من العمر سبعة سنوات، بعد تعميدها مُنحت اسم ماريا تيريزا دنشين، ونعتقد أنها أخت لمريم وابنة لفاطمة وعبد الرحمان، لأن تاريخ تعميدها هذه الفتاة هو نفسه تاريخ تعميده الزوجين فاطمة وعبد الرحمان، ونجد أن الذي تولى الوصاية عليها هو نفسه الذي تولى الوصاية عليهما، وتم تسمية رشيده بعد تعميدها ماريا تيريزا دنشين¹.

وأمة الله، وهي امرأة من مدينة الجزائر، ويمكن تفسير هذا الاسم برفضها البوح بمعلوماتها، فالمرأة المسلمة كانت خلال هذه الفترة محافظة وترفض ذكر معلوماتها لغيرها من الأجانب لأنها تعتبر هذا انتهاكاً لحرمتها وسمعتها وسمعة عائلتها، فاكتفت بذكر اسم أمة الله، وهو اسم يشمل كل نساء المسلمين. أمة الله تبلغ من العمر 18 سنة، تم تعميدها يوم 21 صفر 1145 هـ الموافق ل 1732/08/12 م، ومنحت بعد عملية التعميد اسم إيناتا (Inata)، وتولى الوصاية عليها أغسطس منتالو (Augustin Montalto)².

5-3- مصير نساء مدينة الجزائر بعد عملية التعميد:

بعد عملية التعميد، يتم نقلهن إلى مكان إقامتهن الجديد في دير خاص، وهو بمثابة مدرسة يسمى (Oratorio Monstero) أو (Casa Monastero) تابع لأحد الكنائس الإيطالية، وتشرف على تسييره مجموعة من الراهبات عُرفن باسم أخوات القديس دومينيك لتعليم المتعمدات تعاليم الدين المسيحي. وبعد إتمامهن للدراسة، يتم توزيعهن كالأتي: يتم إرسال بعضهن للعمل في الكنيسة حتى الوفاة،

¹ - إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص 240-143.

² - إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص 144. وينظر إبراهيم سعيود: الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1430 هـ-1431 هـ-2009 م-2010 م، ص 241.

3- إبراهيم سعيود: المرجع السابق، ص 200-121.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وبعضهن يُرسل للعمل في إحدى المؤسسات الإيطالية أو على متن السفن¹ وبعضهن يُرسل أو يُبعن للعمل داخل بيوت الأسر الإيطالية، خاصة الأسر الغنية، وبعضهن يُتخذن كخليات².

أما المعاملة التي تعرضت لها الأسيرات من أسيادهن، فكانت قاسية ووحشية يصعب على الإنسان تحملها، مثلما حدث مع فيكتوريا سبنيولا (Victoria Spagnola)، التي تعرضت لأبشع أنواع العذاب من طرف سيدها جسدياً ونفسياً. ولكن هناك أسيرات دافعن عن أنفسهن وتمردن على غطرسة سيدهن بعد عجزهن عن تحمل العذاب والبطش المسلط عليهن، فاستغلن وجودهن بالكنيسة ووجود المتعبدات قائلة: "...إله المسيحيين ليس إلهها مادمتُ في الأسر والعبودية وتلاقي شتى ألوان العذاب، كما وصفت سيدتها بأنها خنزيرة لا تصلح أن تكون من جنس البشر..."³.

يمكن القول إن هذه المعاملة القاسية التي تعرضت لها نساء الجزائريات الأسيرات في المدن الأوروبية راجع إلى الحقد الديني عليهن فهذا بن جبير في كتابه الرحلة يصف حالة بعض النساء المسلمات في أسواق الأسرى الأوروبية قائلاً: "...والأسيرات المسلمات كذلك في أسواقهم خلاخيل الحديد فتتفطر لهم الافئدة ولا يغني الاشفاق عنهم شيئاً..."⁴.

ولكن لا ينفي وجود أسيرات الجزائريات تمكن من تحرير أنفسهن من سيطرة أسيادهن عن طريق الزواج بأسرى مسلمين، فهناك أسيرة جزائرية تزوجت بأسير مغاربي، ومنهن من بقيت مع زوجها وتم تعميدهما معا مثلما حدث مع زوجان جزائريان حملا إسم أنطونيو وماري⁵، وربما حافظا على دينهما الاسلامي سرا .

¹ إبراهيم سعيود: المرجع السابق، ص ص 121-200 .

² - إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص 200، وينظر: مولاي بالحيمسي: إرشاد الحيران في أمر الداوي شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 1، 1986م، صص 43-46.

Ariel Salzman, "Migrants In Chains: On The Enslavement Of Muslims In Renaissance And Enlightenment Europe", Religions, Sept 2013, Vol. 03. P.392

³ - Bennasser Bartolom : Op. cit.P1 ; Aurélia Martin Casares: Esclavage Féminin : Femme Maghrébine A Grenada Au Xviiième Siècle, In, Colloque Histoire Des Femmes Au Maghreb, Culture Matérielle Et Vie Quotidienne, Ed. Centre De Publication Universitaire, Tunis, 2000.Pp77-87.

⁴ - إبراهيم سعيود : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العد العثماني، مرجع سابق ، ص 230.

⁵ - Aurélia Martin Casares : Op. cit.P77.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ويمكن القول إن أغلب الأسيرات الجزائريات، اللواتي وقعن في الأسر كن متشبثات بدينهن ورفضن عملية التعميد وقاومن ذلك وإن عجزن فإنهن يتظاهرن بإعتناق المسيحية للبقاء أحياء ويستمرن في دينهن الاسلامي سرا¹.

ونختم كلامنا على الأسيرات المسلمات بالبلاد الأوروبية ما ذكره الباحث إبراهيم سعيود، بأن ترتيب الدول المغربية التي وقعت نسائهن في الاسر كانت كالآتي : الجزائر في المرتبة الأولى بسبعة نساء ثم طرابلس بستة نساء ثم تونس بامرأتان بينما مراکش المغربية فلا يوجد².

5-4- الأسر الجزائرية وقضية الأسرى :

يذكر بونو بأن الأسرى والأسيرات المسلمين بالأراضي المسيحية رضوا بهذا المصير واستسلموا للقضاء والقدر، ورضوا بالحياة المزرية، ويعتقد بأن ذات المعتقد كان يسود أسرهم، ولهذا لم يعملوا على افتدائهم أو تشكيل منظمات لافتداء أسراهم مثل المنظمات المسيحية الموجودة بمدينة الجزائر لتحرير الأسرى المسيحيين. ولكن هناك رسالة أرسلها أحد الجزائريين تفند ما ذكره، ففيها جاء: يطلب من السلطة الجزائرية افتداء الأسرى وخاصة النساء: "إن الطبيعة والعرف تمكن الرجل من تحمل العبودية بنوع من الصبر، لكن بالنسبة للنساء والأطفال فإنهم يطلبون عنايتكم، إن ضعفهم يتطلب تحريراً قوياً، وأنتم مسؤولون عن الذنوب التي يمكن اقترافها". كما قام بعض أقارب هؤلاء الأسرى بمجهودات من أجل افتدائهم عن طريق التقرب من بعض الشخصيات وطلب وساطتها لافتداء أسراهم³.

ويؤكّد على هذا ما جاء في رسالة لماجيسون الأسير إنجليزي في سنة 1128هـ / 1716م إلى زوجته يخبرها فيها حرص وإصرار نساء مدينة الجزائر في مطالبة السلطات على ضرورة

¹ - إبراهيم سعيود : علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين 17م-18م، رسالة ماجستير، التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1999-2000م ، ص 100.

² - إبراهيم سعيود : إبراهيم سعيود : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العد العثماني، مرجع سابق ، ص 279.

³ - Bono Salvatore :Op. cit .P223et Khalid Bekkaoui: White Women Captives In North Africa, Narratives Of Enslavement, 1735-1830, Uk: Palgrave Macmillan, 2010.P8

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

إفداء أزواجهن¹، ولعل الاتصالات المتكررة، التي قامت بها صائمة زوجة أرناؤوط بمملكة توسكانيا² كان إستجابة لهم.

وما قامت به نساء الأسرى الذين إستعاهم باشا الجزائر عندما جاءه المفاوض الفرنسي فرنس سانسون لوباج سنة 1044هـ / 1634م لتوقيع الاتفاقية الفرنسية من أجل الإفراج على الأسرى الفرنسيين، فكان رد الباشا أنه لا يوافق على مطلبهم حتى يتم الإفراج على الأسرى الجزائريين أولاً قبل الإفراج على أسراهم، و لن يتنازل على هذا الشرط لأن نساء هؤلاء الأسرى يضغطن عليه يومياً من أجل تحرير أسراهم وافتدائهم، ولتأكيد قوله وموقفه قام باستدعاء هؤلاء النساء للحضور إلى قصر حتى يراهم وهن يبكين ويصرخن مرددين القول التالي: "... شرع الله.... شرع الله " ومستعطفينه من أجل تحرير الأسرى³.

ويؤكد على أن نساء مدينة الجزائر كن يطالبن بقضية تحرير أقاربهن المؤسورين عند الدول الأوربية كالمملكة الانجليزية ماجاء في رسالة لماجيسون الأسير إنجليزي في سنة 1128هـ / 1716م إلى زوجته يخبرها فيها حرص وإصرار نساء مدينة الجزائر في مطالبة السلطات على ضرورة إفداء أزواجهن⁴.

مثلاً فعلت بعض النساء اللواتي سعين بأنفسهن في تحرير أسراهن، وذلك باللجوء إلى عملية المقايضة من أجل افتداء أسراهن، مثلاً حدث مع عجوز لا ندري من أي مدينة جزائرية، والمرجح أنها من مدينة الجزائر، والتي رأت أن افتداء زوجها وتحريره من حياة العبودية هو اللجوء إلى عملية المقايضة مع من يمتلكون زوجها، باستبدال زوجها بأسير ذو قيمة عالية يمتلكونه، تمثل في دومينغو ألفاريز (Alvarez Domingo)، الجندي الإسباني الأسير، فمنحت الحرية له في مقابل الإفراج عن زوجها أولاً⁵.

¹ Daniel J Vitkus: Piracy, Slavery, And Redemption, Barbary Captivity Narratives From Early Modern England, New York: Columbia University Press, 2001.P05

² - مامي أرناؤوط، من أصل ألباني، تولى قيادة الأسطول الجزائري لأكثر من 20 سنة، كما تولى حكم الجزائر لفترة مؤقتة بعدما بقي منصب حاكم الجزائر شاغراً، وذلك بسبب رفض الانكشارية رمضان باشا كحاكماً، واستمر حاكماً عليها إلا أن عين حاكماً فانسحب من منصبه. وينظر: منور مروش، مرجع سابق، ج2، ص 252-277.

De Grammont : Histire D'alger Sous La Domination Turque .Op. cit .P205.

³ - P.Dan:Op. cit .Pp45-46 .

⁴ -Daniel J Vitkus: Piracy, Slavery, And Redemption, Barbary Captivity Narratives From Early Modern England, New York: Columbia University Press, 2001.P05.

⁵ - Khalid Bekkaoui:Op. cit

ومن الأساطير المتداولة عن عملية تحرير نساء مدينة الجزائر، اللواتي تم أسرهن من طرف المسيحيين الأوروبيين: قصة معزوزة ابنة الداوي شعبان، التي كانت تتميز بجمالها الباهر، وهو ما عرضها للاختطاف من طرف فرسان مالطة، وانتشرت رواية في المدينة بأن أحد شيوخ الأغواط سمع باختطافها، فسارع لتحريرها بامتطائه لطائرته الذي أوصله إلى مكان أسرها وحررها، ثم أعادها إلى والدها، الذي كافأه بهذا عظام¹.

ولكن بعض الأسيرات الجزائريات فضّلن الإقامة في بلد الأسر، خاصة بعد اعتناقهن للمسيحية وتعميدهن، مثلما فعلت فاطمة ابنة الأغا، التي تعرضت للاختطاف في سنة 1021هـ / 1612م عندما كانت تحضر لمراسيم الزواج مع والدي زوجها، من طرف قراصنة مسيحيين، وتم نقلها إلى جزيرة كورسيكا وبيعها في سوق العبيد. ولما أراد والدها افتدائها بعد عثوره عليها، أرسل ممثلين عنه ليتفاوضا مع السلطات الإسبانية، لكن فاطمة رفضت سعي الممثلين ورفضت عملية الافتداء والعودة معهما، وأصررت على بقائها معتنقة للمسيحية².

وحسب Bekkooui، فإن اعتناقها للمسيحية كان بإرادتها³ و إختارت لنفسها إسم ماري إيجينيا وذلك من أجل الزواج برجل مسيحي من نفس الجزيرة كانت قد أعجبت به⁴ لكن ممثلي والدها، نظراً للموقف المخرج الذي وضعتها فيه فاطمة، وخوفاً من غضب والدها وعجزهم على تحريرها وعودتها إلى بلدها، أوهموها بأن السلطة الإسبانية أجبرت ابنته على اعتناق المسيحية ورفضت عملية الافتداء وتسليمها لهم. فكانت ردة فعل والدها، الذي اعتبر العمل الذي قامت به السلطة الإسبانية إهانة لشرفه، وحتى أعضاء الديوان وسكان المدينة الذين سمعوا بالخبر، فكانت ردة فعلهم ساخطة، فقام بإفراغ جم غضبه على كل من وجد في مدينة الجزائر من أسرى ورجال دين مسيحيين والزج بهم في السجون، وهو ما أدى إلى حدوث اضطرابات بين الدولتين⁵.

6 - المرأة الجزائرية والجهاد البحري:

رغم بروز بعض النساء في دول الجوار في مجال الجهاد البحري، وتعامل معها حكام الجزائر، مثل السيدة الحرة التطاونية، هذه المرأة المغربية التي فرضت وجودها على الساحة السياسية المغربية لدرجة أنها

¹ - فوزي سعد الله : قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر، مرجع سابق، ص95.

² - Jules Tournier: Jean Le Vacher, Prêtre Consul De France Et Martyr (1647 - 1683), Les Éditions La Porte, Rabat 1947. Pp171-172-173 Et Pierre Dan: Op. cit. Pp482-483

³ - Khalid Bekkaoui: Op. cit. P10

⁴ - Ibid.

⁵ - Jules Tournier : Op. cit. Pp172-173

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

رفضت قرارات السلطان المغربي والملك البرتغالي (Sebastião)، المتمثلة في منع السفن الجزائرية من الرسو في الموانئ التطوانية أو دخولها، لكنها فعلت العكس وسمحت للسفن الجزائرية باستغلال الموانئ التطوانية، وهو ما أثار غضب الملك البرتغالي، ويحسب لها أنه موقف جريء من امرأة مغربية¹، فهل كانت لها شبيهات في مدينة الجزائر ولجن عالم البحار والجهاد البحري خلال هذه الفترة؟

رغم خطورة الجهاد البحري وما ينجر عنه من مآسٍ، إلا أنه كان يدرّ أموالاً طائلة بعد الهجوم على السفن المعادية ونهبها، وهو ما أغرى بعض النساء وجعلهن يقتحن هذا المجال بطريقة غير مباشرة، وذلك عبر شراء السفن واستعمالها في الجهاد البحري أو في التجارة، مع تعيين أشخاص يتولون قيادتها وتسييرها. ومن بينهن زهرة باي التي امتلكت سفينتين من نوع الغليوطة، وقد ورثتهما عن أبيها وزوجها، ونظراً لاستحالة ولوج المرأة عالم البحار بما فيه من مخاطر القرصنة والأسر، فقد فوّضت الإشراف عليهما إلى رجب بن محمد ورديان باشي ليقودهما ويُسير شؤونهما.

كما كانت فاطمة بنت الحاج محمد بن الحاج حميد تملك سفينة باسمها، وكذلك آمنة بنت الحاج مصطفى جرادو² وقد تكون المرأة شريكة للرجل في مليكة هذه السفن مثلما فعلت فاطمة بنت الحاج

¹ - لسيدة الحرة هي عائشة بنت علي بن موسى بن راشد، أمير شفشاون، وأمها لالة زهرة ويقال إنها إسبانية مسيحية اعتنقت الإسلام. تزوجت بالمنظري الثاني وبعد موته تزوجت بالثالث، وبعد وفاة هذا الأخير نصبت حاكمة على تطوان سنة 948هـ خلفاً لزوجها، ثم تزوجت بأحمد آخر سلاطين الدولة الوطاسية سنة 1542م. تميزت بذكاء الست الحرة ومرونتها وحزمها ودهائها وقوة شخصيتها، إضافة إلى جمالها ولطفها وحسن معاملتها، ولقد اشتهرت بتجارة الأسرى وكانت تشرف على بعض السفن التي تمارس القرصنة ضد سفن المسيحيين لجلب الأسرى المسيحيين للمتاجرة بهم. ينظر: عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سابق، ص86، وينظر: مارمول كاربخال: مصدر سابق، ج2، ص244، وينظر: محمد داود: تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1379هـ-1959م، ج1، ص116-118، 119-120، 165.

H.De Castries Les Sources Enédites De l'Histoire Du Maroc.Paris-Madrid.1921-2011. T1. PP 106-107-108.Et Conte Henry: Les Sources Inédites De L'histoire Du Maroc.Archives Et Bibliothèques De France .ERNEST LEROUX Editeur .Paris .1905 .T1 .PP 133 -137.

² - بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، صص13-37. وينظر أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي: مرجع سابق، ج1، ص163.

محمد بن الحاج حميد التي تمتلك سفينة مع رجب رئيس¹، ومنهن من كانت تباع حليها للمشاركة به في عمليات الجهاد البحري والاستفادة مما تدره هذه العمليات من أموال².

ثانيا - المرأة و القضايا السياسية في مدينة الجزائر:

رغم بروز المرأة في بعض دول المغرب خاصة في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة، مثل السيدة الحرة التطوانية التي تحدثنا عنها سابقاً، والسيدة سحابة الرحمانية والدة السلطان عبد الملك السعدي، التي برزت في المجال السياسي بتوجهها إلى قصر الخليفة العثماني مراد برفقة ابنها من أجل مقابله واستعطافه لإعادة ابنها إلى حكم المغرب الأقصى عبر إصدار أمر يكلف به حاكم الجزائر لمساعدته في استرجاع حكمه، إلا أنه رفض مطلبها رغم محاولاتها المتكررة. وبفضل ذكائها، توصلت إلى فكرة تؤثر فيه وتجعله يوافق على مطلبها، تمثلت في تبشيره بفتح أو نصر عثماني، فظلت تتابع أخبار الجيوش العثمانية وتترقب بشرى خاصة بالسلطان العثماني، وبالفعل تمكنت من تحقيق ذلك، وكانت أول من علم بنصر العثمانيين في تونس وسيطرتهم عليها قبل وصول رسالة سنان باشا المكلف بإبلاغ الخليفة على مصير الحملة، فسارعت لتزف له بشرى الانتصار وتحظى بموافقة على تنصيب ابنها على الحكم، فكان لها بذلك ما أرادت وتمكنت من تحقيق مرادها³، ولالة خناثة بنت بكار زوجة مولاي إسماعيل التي عرفت بالعلم والتفقه في دينها مما جعلت زوجها يتخذها مستشارا خاصا به لمدة ربع قرن كما كان لها دور في إبرام مجموعة من الإتفاقيات بين المغرب الأقصى وفرنسا وهولندا وإسبانيا، والاضاوية زوجة السلطان محمد بن عبد الله العلوي، التي أشرفت على ربط العلاقات الدبلوماسية بين المغرب الأقصى والدول الأوروبية وغيرهن⁴

ولكن هل كان لنساء مدينة الجزائر دور في المجال السياسي مثل نساء البايليكات كما ذكرنا سابقا ونساء الإيالات المجاورة ؟

¹ - ع 5، 1م، ق26، سنة 1074هـ وينظر ع 34، 1م، ق2، سنة 1091هـ .

² - مولاي بالحميسي: الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، مرجع سابق، ص 14.

³ - محمد الصغير الوفرائي نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مطبعة مدينة أنجي، د.ب، 1888م، ص 62 وينظر: عمار بن

خروف العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سابق، ص 193

⁴ - مريم سيد علي مبارك: نساء لمن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، د.ت، ص 22-23.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ولم تذكر المصادر بروز امرأة في مدينة الجزائر في المجال السياسي أو العسكري سواء كقائدة أو عضوفي الديوان أوغيره من المناصب¹ يؤكد وليام سبنسر على عدم وجود نساء جزائريات حملن السلاح وشاركن الرجال في المعارك:"... لم تكن هناك بطلات في درجة ديودو أوسفو أو الكاهنة...أنهم كانوا عبارة عن قعيدات الكانون اللواتي تدافع عنهن الأسلحة والسفن الجزائرية..."².

ولكن هذا لا ينفي وجود نساء كان لهن أدوار ثانوية في المجال السياسي كما سنرى، وإبعاد النساء راجع لعدة أسباب ذكرناها سابقاً، ويضاف إليها مستواهن العلمي الذي لا يؤهلهن للعمل في المجال السياسي، فمعظم النساء كن أميات أو اكتفين بالتعليم الابتدائي، ولهذا لم تظهر نساء تولين التسيير أو القيادة أو أميرات، مثل باقي بايليكات الإيالة والعهد التي سبقت العهد العثماني، حيث برزت نساء في العهد الزياني مثل: سوط النساء، ابنة العرب، أو كما تكنى بسيدة العرب، وغيرهن³.

بالإضافة إلى استبداد بعض حكام الجزائر، خاصة الدايات، الذين تميزوا بالتعصب والعنف ورفضوا تدخل المرأة في المجال السياسي، فقد امتازوا بالتعصب والعنف لدرجة أن بعضهم، وخاصة الداوي أحمد خوجة، أصدر عقوبة الإعدام بالغرق في حق المرأة التي تتجرأ على الحديث في السياسة، ومن بين الأسباب التي دفعته لإصدار هذا القرار هو وصوله بأخبار تفيد بأن امرأة في مدينة الجزائر تحدثت عن ظروفه⁴.

ولكن هذا لا ينفي وجود دور لنساء مدينة الجزائر برزن في المجال السياسي ولو ثانويا وهو ماسنراه .

أ- دور المرأة الجزائرية في توطيد الوجود العثماني بالمدينة :

¹ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص 86، وينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج1، ص 163.

² - وليام سبنسر: مرجع سابق، ص ص105-106.

³ - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، د.ب 1408هـ /1988م، ج7، ص 287، وينظر: عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج7، ص 287-392. عبد الحق معزوز ولخضر درياس: جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، كتابات الغرب الجزائري، مطبعة سومر، الجزائر، 2001م، ج2، ص 47.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 163، وينظر: أبو العيد دودو: الجزائر في عيون الرحالة الألمان، مرجع سابق، ص 49، وينظر: Boyer Pierre : Op. cit.P93.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

عرفت مدينة الجزائر إمراة جزائرية ساهمت في بقاء العثمانيين في مدينة الجزائر خاصة في بدايات تواجدهم في عهد خير الدين بربروس، الذي رغم قراره الجائر في حق الجزائريات الذي يتمثل في منع العثمانيون من الزواج بهم، ولكن هناك من جنوده من تزوج بامرأة جزائرية سرا، فكان لها الفضل الكبير في انقاضه وجيشه من مؤامرة حيكت ضدهم، والتي كادت أن تؤدي إلى موته وأفشلتها، فهذه المرأة أخبرت خير الدين بربروس بمكيدة خطط لها قومها للقضاء عليه وعلى جيشه الذين سيتجهون إلى المسجد صبيحة العيد لأداء الصلاة وبسماعه لهذا الخبر قام خير الدين بإفشال خطتهم¹.

وفي رواية أخرى، دارت المكيدة حول عروج بربروس، عندما خطط سكان بوزريعة لقتله مع جيشه مستغلين مجيئه مع جنوده للصلاة في الجامع الكبير، متظاهرين بالفرح أثناء استقبالهم والترحيب بهم عبر تقديم طبق الكسكس. لكن عروج كان على علم بالمكيدة بفضل امرأة جزائرية متزوجة بجندي تركي، أخبرت زوجها بمؤامرة قبيلتها، فقام بدوره بإبلاغ عروج وجنده. لم يتراجع عروج عن قرار الصلاة في الجامع حتى لا يكشف سكان بوزريعة أنه علم بالمكيدة، لكنه اتخذ الحيلة والحذر وابتكر حيلة تمثلت في تقسيم جنوده إلى قسمين: قسم يجلس لتناول الكسكس، والقسم الآخر يبقى واقفاً للحراسة في انتظار دوره. هذا التصرف أثار استغراب سكان بوزريعة، الذين كانوا يتوقعون جلوس جميع الجنود لتناول الطعام ثم الانقضاض عليهم. وعند سؤالهم، أجاب الجنود أن هذه عادة يتبعها العثمانيون أثناء تناول الطعام. بعد ذلك، هجم الأتراك على الحاضرين وأغلقوا أبواب المسجد، فوجدوا السكان مسلحين كما أخبرتهم المرأة الجزائرية، مما أثار إعجاب عروج بربروس بصدق المرأة ووفائها، فاستدعاها لتكريمها على إنقاذ حياتهم ومنحها صفيحة فضية شبيهة بالتاج².

ما يلاحظ على هذه المرأة الجزائرية أنّها عرضت نفسها للخطر وحتى للقتل عندما أفصحت للأتراك عن مكيدة قبيلتها، غير آبهة بعواقب الأمر، فكانت بذلك تحمي الأتراك الذين اعتبرتهم حماةً لوطنها من قومها، ورفضت السكوت عن الظلم والخداع. ومن المحتمل أنّ هذا التصرف الجريء والإخلاص الذي

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 187.

² - M. Bugeja: Les Bijoux Algériens In Bulletin De La Société De La Géographie d'Alger . 1914 . P215.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

أظهرته هو ما دفع خير الدين بربوس إلى التراجع عن قراره الذي كان يمنع الزواج من الجزائريات، على الرغم من أنّ سيمون بفايفر لم يوفّر تفاصيل كثيرة عن الحادثة، مثل هوية المرأة أو القبيلة التي تنتمي إليها، وربما يعود السبب في ذلك إلى اعتماد الباحث على الرواية الشفوية، والتي غالبًا ما تفقد عناصرها مع مرور الوقت، خصوصًا بعد قرن أو أكثر.

ب- دور المرأة في إرتقاء الرجال في المناصب الحكومية :

اعتبرت سمعة الزوجة وأخلاقها من الشروط الأساسية ، التي ينظر إليها لترقية أحد الموظفين في المناصب الحكومية ، فيتم القيام ببحث والتحقيق من أخلاق زوجته إن كانت ذات سمعة سيئة أو ذات شبهة¹ فإنه يتعرض للعزل من منصبه مثلما حدث مع أربعة أغوات تم عزلهم من مناصبهم بعد التحقيق في أمرهم فتم اكتشاف السمعة السيئة لنسائهن² ، ولا ندري إن كانت من صنعهن أو تم الصاقها بهم في زمن كثرت فيه المكائد والمؤامرات .

والتأكد من ديانة الزوجة، التي يشترط أن تكون إسلامية وهذا الشرط يعتبر من أساسيات بقاء الزوج في السلطة أو عزله أو معاقبته مثلما حدث مع بوضربة، الذي كان متزوجا بمسيحية ولما اكتشف أمره صودرت جميع أملاكه وأتهم بالارتداد³ .

وأيضًا يعتبر ثراء ومكانة المرأة الاجتماعية عاملا مهمة في الحصول على مناصب إدارية والإرتقاء، ولهذا استغل بعض العثمانيون مكانة المرأة الاجتماعية وخاصة الثرية والزواج منها حتى تساعدهم في الوصول إلى مناصب حكومية⁴ .

ج- الثقافة السياسية للمرأة :

رغم إبعاد النساء عن الحكم والتدخل في الشؤون السياسية إلا انهن كن يملكن ثقافة سياسية فنجد عائشة زوجة محمد قرطاجي في أزمير قامت بارسال رسالة رسالة إلى باشا الجزائر تطلب منه السماح

¹ - حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص40.

² - ينظر صالح عباد: مرجع سابق، ص313. P. cit. Digo De Haedo: Topographie. Op.

³ - أحمد أمين محمد: مرجع سابق، صص 92-93.

⁴ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص192.

لابنها بالذهاب إلى أزمير من أجل قضية تتعلق بالميراث والمكوث بها لمدة أربعين يوما "تسمح لابني علي ولو بمقدار أربعين يوما ولك الأجر والثواب من الله، مثل ثواب من حج بيت الله الحرام... ولم يلتفت إليها من شأن ولدي هل موجودا أو مفقودا ورفعت أمري إليك أنت أفندي عرض حالي... دخلت عليك بالله وبعشقك رسول الله وحرمة راسك العزيز أن تنظر بعين رحمة... كأنك حججت بيت الله الحرام... وإن أرسلت لي إبنني العزيز بجاه راسك أفندم إرحم الفقيرة...." ¹ .

د-التأثير في القرارات السياسية:

إن بقاء الباي في الحكم مرتبط بمدى رضى الداى عليه ، وكما رأينا سابقا عند حديثنا على حفلة الدنوش فقد كان البايات يكثر من الهدايا وخاصة التي تبهر زوجته فهم يدركون بأن بعض زوجات الحكام إستطعن التأثير في قرارات أزواجهم ، مثلما كان يحدث في البايلكات مثلما حدث مع زوجة الباى عبد الله باي بايليك الشرق، التي طلب منها زوجها مرافقته إلى عاصمة البايليك فوافقت بشرط أن ينتقم لها ممن قتل أبيها، فانصاع لأوامرها وقام بإبادة جماعية لكل من تسبب في مقتل صهره والد زوجته، وكذلك الحال بالنسبة لزوجة الحاج مصطفى باي قسنطينة، التي تمكنت من إقناع زوجها في تعين إبنها حاكما خلفا له رغم الصفات السيئة التي كان يتميز بها وسوء التسير، مما جعل سكان قسنطينة يعارضون هذا التعين وطلبوا تدخل داى مصطفى باشا الجزائر، الذي وصلته شكواهم فارسل قرارا ينص على عزله وإلقاء القبض عليه ومصادرة كل أملاكه ووضعها في خزينة الدولة².

ونجد الداخلة التي كانت تساعد زوجها الباى عثمان في تسيير البايليك، فكان يستشيرها في مختلف القرارات قبل اتخاذه موقفاً، فقد كانت بمثابة المستشار الخاص لزوجها، ويمكن تفسير ذلك براححة عقلها وحكمتها وخبرتها السياسية، مما جعلها محل ثقة زوجها وينفذ لها قراراتها. كما نجد فاطمة زوجة الباى محمد بن

¹ - الوثيقة رقم 99 المجموعة 3190.

² - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د.ت. ، ص ص 133-136، محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 76، مجهول: تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق: مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت، صص 28-29.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

عثمان وخالته، اللتان أشارتا عليه بعد فتحه لوهران بتخليد ذكرى الفتح ببناء جامع عظيم، وبالفعل عمل بمقترحهما وقام ببناء مسجده في المعسكر سنة 1206هـ / 1792م¹.

ووالدة أحمد باي، التي يمكن تفسير ما قامت به بخبرتها السياسية، فلقد توجهت إلى مدينة الجزائر واتصلت بأغا يحي قائد جيوش الداوي، وترجته بأن يتوسط لها عند الداوي حتى يعفو على والدها أحمد، ثم قابلت الداوي بنفسها فوجدت عنده حسن الاستقبال والترحيب، مثلما ذكرت في رسالتها التي بعثت بها إليه جاء فيها: "...ماغمرها من حرمتك وإحسانك..."، ولعلها تمكنت من إقناعه بالعفو عن ابنها بمختلف وسائل الإقناع والشفقة، وتمكنت من التأثير في الداوي وإلحاح قائد جنده، فاستجاب لها ولطلب قائد جنده، فعفى عن الباوي أحمد وألزمه بالبقاء في مدينة الجزائر لفترة ثم عينه بايا على بايليك الشرق².

ظلت والدة أحمد باي منذ ذلك الوقت تحافظ على استمرار علاقة الود وتوطيدها مع الداوي، وذلك بإرسال الهدايا بين الفينة والأخرى، وبذلك تحافظ على بقاء ابنها في منصبه. ففي رسالة بعث بها أحمد باي إلى داوي الجزائر، ومن خلال مضمونها نستشف أنه كتبها بأمر من والدته: "...والدتنا الحاجة تقبل أياديكم الكريمة وعازمة لكم بصالح الدعاء في عامة أوقاتها وكان من أمرها بما انفصلت من حضرتك العلية وماغمرها من حرمتك وإحسانك عاملها مشايخ الوطن بنصيب من الدراهم وبغال ولم تطب نفسها بإمساك ذلك وألزميني بإرسال ذلك لحضرتك السعيدة وترغب من كريم فضلت أن تتفضل بقبول ذلك"³.

وأياضا عزيزة ابنة القائد أحمد بن رمضان شقيق شلبي بن علي بتشين، أحد قادة الجيش الجزائري، التي تزوجت بعد وفاة زوجها الباوي فرحات بالباوي رجم، شقيق زوجها المتوفى، والتي كان يحبها كثيرا حتى أنه، كما ذكرنا سابقا، بنى لها قصرا قرب جامع كتشاوة. إن ما قامت به نساء البايليك وتدخلهن

¹ - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، مرجع سابق، صص 133-136، محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 76، مجهول: تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق مختار حساني، منشورات دحلبي، الجزائر، د.ت، صص 28-29.

² - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، مرجع سابق، صص 133-136، محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 76. مجهول: تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق مختار حساني، منشورات دحلبي، الجزائر، د.ت، دحلبي، د.ت، صص 28-29.

³ - مجموعة 3205، الملف رقم 1313، المكتبة الوطنية، وينظر المجموعة 3205، الوثيقة 3، رقم 3206/3/13.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

في بعض القضايا السياسية، جعل البايات يهتمون بالهدايا الموجهة لنساء الداوي حتى يكسبوا رضاهن بواسطة زوجته¹.

مثلما حدث مع ابنتي محمد باشا الخزناجي، إحداهما تزوجت من وكيل الحرج ولم تتمكن من الانتقام لأبيها رغم سعيها لذلك، والثانية تزوجت من الخزناجي حسن باشا، الذي أصبح داوي، فاستغلت منصب زوجها للانتقام لمقتل أبيها، الذي قتله الداوي محمد بن عثمان باشا بسبب وشاية قام بها صالح باي عندما أخبر الداوي عثمان بن محمد باشا بأن الخزناجي هو الذي تمرد على قراراته وأمره ببيع القمح للنصارى. فطلبت من زوجها الداوي عزل صالح باي من منصبه، ولكن هذا الأخير رفض الأمر وتمرد على القرار مما أدى إلى قتله. وهذا العمل أثار استنكار الشريف الزهار: "...العجب كيف يقتل رجل مثل هذا... لأجل خاطر زوجته على ما قيل والله أعلم"².

ولهذا عمل الباوي على تخصيص جزء من الهدايا لنساء الداوي وأعضاء الديوان تمثلت في ملابس وأحذية وغيرها من مستلزمات نسائية، فنجد باي بايليك الغرب محمد الكبير في عام 1199هـ / 1785م جاء بمجموعة من الهدايا أهمها: حياك قرمز تلمسانية وحياك حريرية مستوردة من فاس وبلاغي ذهبية، وهي أغراض نسائية، وأيضا باي بايليك التيطري المعزول من منصبه رغم مدة حكمه الطويلة حوالي عشرين سنة توجه إلى مدينة الجزائر من أجل استعطاف الداوي وتعيينه بايًّا من جديد، ورأى أن كسب رضاه يكون بهدية قيمة لزوجته تمثلت في مجموعة من الجواهر، ولإدراكه أن التجار اليهود هم الذين اختصوا في بيع الحلبي الثمين، فقد اتصل بأحد التجار اليهود وهو نفتالي بوجناح، وفي رواية لحمدان خوجة بأنه اتصل بكري أيضا، وطلب منه أن يبيع له حليًا ثمينًا تعجب منه زوجة الداوي، فاقترح عليه سرماطا مرصعًا بالألماس بسعر ستين ألف بياستر، ولأن هذا السعر باهظ الثمن ولم يكن

¹ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء، مرجع سابق، ص 86، وينظر أوجين فايست (Eugène Faist): تاريخ بايات قسنطينة في العهد العثماني (1792م-1873م)، تقدم الشيخ عبد الرحمان شيبان، ترجمة صالح نور، دار طليطلة، الجزائر، 2010م، ص 122، وينظر جول بول وولف (Jules Paul Wolff): مرجع سابق، ص 371، وينظر محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 76، وينظر محمد صالح العنتري فريدة: مصدر سابق، هامش 9 ص 48.

² - محمد صالح العنتري: مصدر سابق، ص 63، وينظر: مجهول: تاريخ بايات قسنطينة، مصدر سابق، ص 10-13، وينظر:

شريف زهار: مصدر سابق، ص 64-65، وينظر: Ernest Mercier: Op. cit . P441.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

لديه لهذا المبلغ، فقام بعقد اتفاق مفاوضة معهما تمثلت في بيعه هذا الحلي مقابل منحه خمسة وسبعين ألف كيلة وسعر كل كيلة أربعة فرنكات، فتمت المفاوضة بينهما، ولم يكتفيا ببيعه الحلي بل توسطوا له عند الداوي من أجل إعادته لمنصبه، فوافق الداوي على طلب اليهوديين وأعادوه إلى منصبه¹.

أما نساء الباييات فكن خلال زيارة الباوي إلى الداوي من أجل تقديم الدنوش والنضر في مصيره— هل يستمر باياً أم يُعزل—يشعرن بالتوتر خوفاً من تعرض الباوي لمخاطر أثناء سيره إلى مدينة الجزائر من هجومات قطاع الطرق أو غيرها، ولم يقتصر تخوفهن على مشاكل الطريق فقط. ولهذا، كان الباوي بمجرد وصوله إلى المدينة سالماً يطلب من خوجاته أن يرسلوه رفقة السيار برسالة إلى موظفيه ليخبرهم بوصوله سالماً، فكان السيار، بمجرد وصوله إلى البايليك، يسارع أولاً عند زوجات الباوي، فهن اللواتي ينتظرن سماع خبر وصوله بكل لهف وشوق، وللتحقق من مدى استقبال الباوي لهم، فيبشرن سلامة الباوي ليستفيدين من المكافأة العظيمة المقدرة أحياناً بألف ريال بوجو².

وأيضاً حكام تونس كانوا يخصصون جزءاً من هداياهم لأسرة الداوي فمثلاً علي باشا النقسيس في سنة 1170هـ / 1757م أرسل لداوي الجزائر مجموعة من الهدايا من ضمنها سفاسر أو السفاسري³ وهو لباس مخصص للنساء، وأيضاً نساء الخزناجي كان لهن نصيب من هذه الهدايا، فقد كان الخزناجي يستفيد من هدايا موجهة للنساء تمثلت في أثاث مرسوم والحياك قرمز وحياك حريري⁴.

وفي الأخير يمكن تفسير قلة تدخل نساء الداوي في القرارات السياسية مقارنة بنساء البايات إلى السياسة الصارمة المطبقة على الداوي، التي لا تسمح له بزيارة عائلته سوى يوماً واحداً، وهذا اليوم غير

¹ - حمدان خوجة: مصدر سابق، ص 121-159، محمد بن صالح العنتري: مصدر سابق، ص 48، وينظر أحمد شريف زهار: مصدر سابق، ص 40.

² - M Rozet:Op. cit . Pp390-391

³ - السفاسر: عبارة عن لباس تونسي مصنوع من الحرير أو القطن خاص بالنساء، كن يستعملنه لتغطية أجسامهن وربما يشبه الحياك ويختلف عنه في الطرز، أو كما يُقال المرمة الجزائري. ينظر أحمد شريف زهار: مصدر سابق، ص 40، فاطمة الزهراء قشي: الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، مرجع سابق، ص 40.

⁴ - أحمد شريف زهار: مصدر سابق، ص 40 وناصر الدين سعيدوني : النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م-1830م)، مرجع سابق، ص 101

كافي لحديث زوجته عن الامور السياسية عكس نساء البايات اللواتي كن يحظين بزيارة أزواجهن كل يوم كغيرهم من الناس بعد الانتهاء من عملهم .

هـ- دور المرأة في العلاقات الخارجية الجزائرية:

قام حكام الجزائر إتصالات مع نساء أورييات من الطبقة الحاكمة مثل: بيانكا كاييلو زوجة دوق توسكانيا ،وماريا كريستينا زوجة فرديناند¹، فلماذا لم يسمح هؤلاء الحكام لنساءهم بالقيام بأدوار سياسية مثل الأوروبيات ، ولكن نعود ونفسر هذا التملص من قبل الحكام في ادراج النساء ضمن الشؤون السياسية هو الوضع الحساس الذي كانت تعيشه مدينة الجزائر بصفة خاصة والايالة بصفة عامة لا يسمح لهن بإدراج النساء خوفا من عاطفتهم وهفواتهن أو قد توجد نساء أثرن بشكل غير مباشر وتفادت المصادر الحديث عنهن تفاديا للأحراج الذي قد يلحق بالحكام الذين تميزوا بالمحافظة والتشدد والصرامة خلال هذه الفترة.

ولكن برزت امرأة في القضايا الخارجية، وهي صائمة زوجة أرناؤوط مامي (Arnaout Mami) أحد رؤساء طائفة رياس البحر، عملت مستشارة خاصة معه في الكثير من القضايا، خاصة المتعلقة بالحكم مثل إبرام الاتفاقيات مع الشخصيات الفعالة في الساحة الدولية، ولعل أهمها محاولة التقرب من مملكة توسكانيا (Tuscany) إحدى الإمارات الإيطالية، كما سعت للتقرب من المجتمع ومشاركتهم مشاكلهم وهمومهم، خاصة قضية الأسرى وتحريرهم من يدي الأعداء. ولهذا الغاية حاولت صائمة استغلال مكانة زوجها في التقرب من دوق توسكانيا وزوجته عن طريق إرسال الهدايا لهما، فكان ردهما لها بالمثل، ثم أجزت معهما اتصالات حول قضية الأسرى الجزائريين الموجودين هناك².

فحين ظهرت نساء في المدينة، كن سبباً في توتر العلاقات الخارجية بين الجزائر وإسبانيا كما ذكرنا سابقاً، والمتمثلة في قضية فاطمة ابنة الأغا ، والتي اختلفت المصادر حول سبب رفضها العودة، فمنهم من رأى أن رفضها كان بإرادتها، ومنهم من رأى أن السلطات الإسبانية رفضت تسليمها، ولكن مهما

¹- إبراهيم سعيود: مرجع سابق، ص ص 50-51.

²- نفسه، ص ص 50 .

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

اختلفت الأسباب، إلا أن قضيتها أدت إلى ظهور اضطرابات في العلاقات بين الدولتين الجزائرية والإسبانية¹.

كما استعملت المرأة في توطيد العلاقات الخارجية بين الجزائر والدول الأوروبية، فلقد رأى أحد القناصل الإنجليز (British consul) أنه لخدمة مصالحهم يجب إرضاء زوجة الداى، ففي رسالة له إلى حكومة دولته أوصاهم بضرورة تخصيص هدايا لنساء الداى لكي يتمكنوا من تحقيق مصالحهم: "...زوجات السلطات الجزائرية كن طماعات كما كن صاحبات تأثير، فهن أيضاً يحتجن للهدايا..."².

كما أدركت السلطات الفرنسية هذا التأثير فنجدها في سنة 1093هـ / 1682م من أجل الحصول على الدعم الجزائري لها ومساندتها ضد الانجليز فقد قامت بدفع مبلغ مالي قدر بـ 15000 ريال إلى الداى وهدايا إلى زوجته لإدراكهم لدور زوجته في التأثير على بعض قراراتهم³.

ولعل زوجة بابا حسن باشا تُعد من نساء السلطة اللواتي حاولن خدمة مصالح الآخرين، خاصة فيما تعلق بتحرير الأسرى، وذلك عندما حاولت التأثير على زوجها وإقناعه بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في أسر الجيوش الجزائرية بعد الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر سنة 1099هـ / 1688م، فاستجاب لطلبها وأراد الإفراج عنهم، مما جعله يتعرض لانقلاب من الانكشارية وقتله⁴. إن ما ذكره ببعض القناصل الأوروبيون في ضرورة تخصيص هدايا لنساء الدايات يؤكد على وجود تأثير للمرأة الجزائرية في القرارات السياسية للداى .

¹ - Khalid Beukkaoui:Op. cit.P10 Et Jules Touvenier :Op. cit.Pp172-173

² - الغالي الغربي: السلطة ومراكز القوة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات (1671م-1830م)، في كتاب دراسات وشهادات مهداة إلى الاستاد الدكتور أبو القاسم سعد الله، جمع وإخراج ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الاسلامي، د.ب، 2000م، ص 371، وينظر ياسين بودريعة: الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1786م-1800م)، دراسة إقتصادية ومقارنة إجتماعية من خلال دفاتر التركات، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2016م-2017م، ص98. وينظر ابو القاسم سعد الله : أبحاث وأراء، مرجع سابق، ص86

³ - منور مروش: مرجع سابق، ج1، ص241.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: التاريخ الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص163.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

كما استخدمت المرأة في توطيد العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى، الذي يعتبر من الدول التي رفضت الانضمام للخلافة العثمانية، وكانت العلاقات بين الدولتين في أغلبها متوترة تخللتها فترات سلمية¹.

ولهذا حاول بعض حكام الجزائر في تحسين العلاقات معها عن طريق المصاهرة، فظهرت تمازج بين تركيبات بنات حكام الجزائر وسلطين مغاربة فنجد: زوج حسن بن خير الدين بربروس ابنته لعبد المؤمن بن محمد الشيخ السعدي ثم عينه حاكما على تلمسان حتى أغتيل فيها، وتزوج بالسلطان المغربي أحمد الوطاسي من ابنة البيلر باي صالح رايس (959هـ / 1552م-963هـ / 1556م)، بعدما لجأ إلى الجزائر فاستغل صالح رايس تواجده بالمدينة لمصاهرته وبهذا الزواج يقضي على العلاقة العدائية بين الدولتين ولقد عمل على مساندته وتنصيبه حاكما على المغرب الأقصى بتوجيهه لحملة على المغرب الأقصى ولكن الشعب المغربي رفض الموافقة على تعيين أحمد الوطاسي حاكما عليهم فامتنع على ذلك وانصاع لأوامرهم.

وتزوج السلطان عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي من ابنة حاجي مراد أحد أعيان مدينة الجزائر ومن الزعماء السياسيين المقربين من السلطة العثمانية، وكان حاجي مراد يزوره في الكثير من الاحيان فحاولت السلطة العثمانية استغلال هذا الزواج في التقريب بين الدولتين خاصة خلال فترة الصراع المغربي بين الملكين محمد المتوكل وعبد الملك على الحكم، فساند حاجي مراد صهره وطلب منه الاستعانة بالجيش العثماني للوقوف إلى جنبه لكن عبد الملك السعدي رفض هذا الاقتراح وانصاع لأوامر أندري غسبارو كورسو وقام بنقل زوجته وابنه إسماعيل من الجزائر حتى لا يستخدمها والدها والسلطات العثمانية كورقة ضغط عليه².

¹ - للاطلاع أكثر عن طبيعة العلاقات بين الدولتين ينظر عمار بن خروف العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، مرجع سابق .

² - عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس، المرجع نفسه، ص131. وينظر م.م.ت. م إسبانيا، ص ص 139-142. محمد بن تاويت: من زوايا التاريخ المغربي، تطوان، العدد 8، د.ت، ص66. مهمة دفترتي رقم 24، ص102، في 14 ديسمبر 981هـ الموافق ل 14 مارس 1574م. عمار بن خروف: المرجع السابق، ج1، ص ص 193-203-257-201.

يمكن تفسير موافقة بعض حكام الجزائر على تزويج بناتهم من سلاطين المغرب الأقصى على أنها خطوة استراتيجية لتحقيق أهداف سياسية محددة، أبرزها تعزيز الروابط السلمية بين الدولتين، وتأمين الجهة الغربية للإيالة الجزائرية، بالإضافة إلى الحد من الاعتداءات والتحرشات المتكررة التي كان يقوم بها المغرب الأقصى. وقد استُخدم الزواج السياسي كأداة فعالة ضمن سياسات الحكام لتحقيق الاستقرار الإقليمي والسيطرة على النزاعات الحدودية، مما يعكس البعد الدبلوماسي لهذه القرارات في سياق العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى.

و- المرأة أداة للاستمرارية البقاء في الحكم وتحقيق المصالح السياسية:

استخدم بعض الحكام نساء بناتهم في تحقيق أهدافهم السياسية كتثبيت وجودهم في الحكم وتحقيق الامن والاستقرار وتجنب الانقلابات العسكرية وتحسين العلاقة بين الحاكم وأعضاء حكومته أورعيته يقول محمد سي يوسف "...فكان الواحد منهم يحاول قدر المستطاع إحاطة نفسه بالمقربين إليه عن طريق المصاهرة حتى يطمئن لهم ..."¹ ويقول عمار بن خروف "...المصاهرات السياسية تؤدي إلى إيجاد حليف دائم..."² ولهذا انتشرت ظاهرة المصاهرات بين أعضاء الحكومة³.

ولعل أول زواج في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني الذي كان هدفه تحقيق أغراض سياسية هو محاولة عروج بربوس في زواج من سافرة أرملة سالم التومي شيخ قبيلة الثعالبة والذي هدف من خلاله في كسب ولاء القبيلة وتجنب ثورتهم ضدهم انتقاما لمقتل زعيمهم الذي قتله، ولهذا سارع إلى مصاهرتهم والزواج بأرملة زعيمهم في حد ذاتها رغم كبر سنها⁴.

ولكن هناك رواية تفند زواج عروج بسفيرة أو ضفيرة كما تذكر في بعض المصادر بالرغم الإغراءات الكبيرة التي قدمها لها إلى درجة أنه وعدّها "...كل القارة الافريقية تحت قدمها..." واستمر في مراسلتها حتى توافق وبعد عجزه عن إقناعه على الموافقة اعتقد بأن سبب الرفض هو مقتل زوجها على يده

¹ - محمد سي يوسف: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص69.

² - عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس...، مرجع سابق، ص132.

³ - سحر ماهود محمد: الموظفون العثمانيون، في مجلة التراث العربي، جامعة بغداد، 2015م، العدد 25، ص393.

⁴ - عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس، مرجع سابق، ص21.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

فأوهمها ببراءته من الحادثة ومع ذلك لم تقبل به زوجها ، فالاتصالات المتكرر به لمحاولة إقناعه ورغم الاغراءات ومع ذلك ظلت مصرة على رفضه فحسب عبد القادر نورالدين أدى إلى قتلها¹.

بينما بعض المصادر الانجليزية مثل القنصل الانجليزي بلفاير، ذكرت بأنها قتلت أثناء هجوم عروج ببروس على قصر سالم تومي فقتله وقتل زوجته وبقيت حريمه².

ولكن في اعتقادي أن الاتهامات الملقاة على عروج لا مكان لها من الصحة كما رأينا سابقا إن المرأة الجزائرية كانت محافظة، ولا يسمح للرجال الأجانب رؤيتها فكيف لعروج أن يراها حتى يفتن بها أما عن قضية القتل التي ذكرها نورالدين عبد القادر فاعتقد أيضا لا أساس لها من الصحة لأن مثل هذا العمل لا يصدر من إنسان متمسك بتعاليم الدين الإسلامي كرس نفسه لخدمة الدين ومن الذين استعملوا الزواج السياسي في عهد بيلربايات يحي باشا ، الذي سعى إلى توطيد حكمه بمصاهرته لقائد جنده داود، الذي حسب ديقو دو هايديو أنه كان من قادة الجزائر المحنكين³.

وفي عهد الدايات مثلما حدث في عهد الداوي حسين الذي أعجب بطباخ كان عند الأغا يحي القائد الأعلى للقوات البرية، فقام بترقيته إلى مرتبة وكيل الحرج بفضل وساطة سيده على تنصيبه في هذا المنصب فأخذ هذا الطباخ في إظهار كفاءته واتقانه في تسير المهام المتعلقة بهذا المنصب، وهو ما أبحر الداوي فسارع إلى تقريبه منه عن طريق المصاهرة وزوجه بابنته الكبرى لتتوطد العلاقة بينهما أكثر وليأمن شره ويستفيد من خبرته ، فكان هذا الزواج فرصة استغلها في الارتقاء أكثر ويحصل على مرتبة أغا⁴، وفعلا تمكن من تحقيق طموحه مستغلا علاقة المصاهرة، فقام بالوشاية بسيدة والاطاحة به وإعدام

¹ - وينظر نورالدين عبد القادر: مرجع سابق ، ص 54. وينظر: De Tassy: Histoire Du Royam.Op. cit . Pp18-19.

² - بلقاسم قرياش: وضعية النساء المسيحيات بالجزائر من خلال وثيقتين إنجليزييتين 1666-1747، في مجلة إسهامات للبحوث والدراسات، غرداية، الجزائر، 2017م، ص ص 175-176.

³ - Haedo :Histoire De La Rois Dalger .Op. cit .P351

⁴ - أرزقي شويتم: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800م-1830)، مرجع سابق، ص 31، وينظر سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 193.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

،الذي كان له الفضل في الوصول إلى هذا المنصب يقول سيمون بفايفر:"...وجعل من زوج ابنته الخائن وزيرا للدفاع...."¹.

إن هذه الزواج السياسي الذي استخدمه بعض حكام الجزائر زاد في قوتهم حتى أنها شجعت بعضهم في التمرد على قرارات الخليفة العثماني، مثلما حدث في عهد الداوي إبراهيم، الذي بفضل مصاهرته لقائد جنده، فقد اتفقا مع بعضهما البعض في التمرد على قرارات الخليفة العثماني²، الذي أرسل فرمانا يمنعه من القيام بحملة ضد باي تونس حسين، لكن الداوي تنكر لهذا القرار و التظاهر بتنفيذ أوامر الخليفة، أما سريرا فقد اتفق مع صهره بالتظاهر بأنه استلم القرار ووجده مزورا وفي رواية أخرى قاما بقتل رسول الخليفة ومزقا الرسالة³.

وأیضا الداوي محمد بكداش، بتعيين صهره أوزون حسن باشا كاهية⁴، ليكون له سندا في مختلف القضايا ويتجنب حدوث انقلاب عسكري، ولم يكتف بهذا بل استعطف الخليفة العثماني، في تعيين أوزون حسن باشا كممثل شخصي للخليفة الذي يتولى نقل أخبار وأعمال الداوي بدلا من ممثله القديم الذي كان يتسبب في بعض الاحيان إلى اصطدامات بين الخليفة والدايات، وهذا ما جعل الداوي بكداش يسعى إلى إبعاده وتعيين بدلا عنه صهره ليخدم مصالحه، ولكن الخليفة العثماني علم بهذا التواطؤ المصلحي فرفض تلبية المطلب رغم الاحاح الشديد من داي الجزائر، ولقد كان أوزون مليبا لأوامر الداوي فاستجاب له عندما أرسله لمساعدة باي معسكر في التصدي للهجوم الإسباني عليها⁵.

ونجد أن الداوي الحاج محمد كان في الأصل قبطاناً يتمتع بنفوذ كبير داخل حكومة الجزائر، ورغم تقاعده فقد عُيِّن في منصب الداوي بصورة شكلية، وأُسندت شؤون الإيالة إلى صهره بابا حسن،

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص 193.

² - عمار بن خروف : العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، دار الأمل، الجزائر، 2017م. ص 95.

³ - نفسه، ص 95.

⁴ - الكاهية: رتبة عسكرية في الجيش البري من مهامه أنه المسؤول على حفظ الأمن العام في مدينة ویتراس إجتماعات الخاصة بالضباط ينظر حنيفي هلايلي :بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 40.

⁵ - محمد بن ميمون الجزائري: مرجع سابق، ص 30، صالح عباد: مرجع سابق، ص 150-151. بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، ص 104-105، جون بول وولف: مرجع سابق، ص 143-144 صالح عباد: مرجع سابق ص 139، ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، هامش 2 ص 59-72.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

الذي كان محل ثقته. وبفضل ذلك تمكن الداى من البقاء في الحكم مدة طويلة فُدّرت بإحدى عشرة سنة، كما عيّن صهره إبراهيم خزناجي قائداً للجنود. وبعد وفاة الداى الحاج محمد، خلفه صهره بابا حسن بفضل ما أظهره من مهارة ونجاعة في تسيير الحكم خلال فترة حكم الداى السابق¹.

وكذلك الحال بالنسبة لداى محمد بن عثمان الذي تولى حكم الجزائر: فقد قام بمصاهرة مع الخزندار علي نكسيس بوصباع، وكان هذا الأخير مسؤولاً عن تسيير العلاقات الخارجية للإيالة. وعبرّت عملية المصاهرة هذه عن زواج ابنة الخزندار بابن الداى، الذي سيتولى حكم الجزائر خلفاً لأبيه².

وقام الداى حسين بمصاهرة بعض القادة أو تعيين أصهاره في المناصب الهامة في الجيش البري والبحري، وكذلك في المناصب الإدارية؛ مثل إبراهيم آغا الذي كان صهراً له، وكذلك وكيل الحرج الذي كان أيضاً من أصهاره. وقد كان هدفه من ذلك تعزيز منصبه وتقوية نفوذه. وبعد سقوط مدينة الجزائر قام بنقل ابنتيه معاً³.

ولكن بعض المصاهرات السياسية لم تستمر طويلاً بسبب ما تخللها من وشايات من أطراف خارجية فرقت بين الطرفين رغم الهدف الرئيسي من زواج السياسي هو تمتين وتأكيّد الثقة بين الطرفين و المرأة التي جمعت بين الطرفين كانت المتضرر الأكبر بسبب ما يلحقها من مصائب تمثلت في طلاق ودوامه من الأحران مثلما حدث مع ابنة الداى حسين.

عَرَفَت ابنةُ الدّاي حُسَيْنٍ فترةً مِنَ الآلامِ والأحرانِ بسببِ تطليقِها مِنْ زوجها، بسببِ وشايةٍ وصلّت والدَها عن صِهرِ آغا يحيى وزيرِ الحربيّة، والتي أدّت في النهاية إلى عَزله مِنْ مَنْصِبِهِ وإنهاءِ العلاقةِ معه، وإنهاءِ علاقةِ المصاهرةِ معه، وذلك بِأمرِهِ على تطليقِ ابنته مِنَ الأغا مُصطفى ابنِ الأغا يحيى، والذي كان زَوَّجه بها استجابةً لطلبِ عمه ووساطته، فانتهاهٍ العلاقةِ السياسيّةِ بينهما تحتّمِ انتهاءِ علاقةِ المصاهرةِ أيضاً، رغمَ معارضةِ ابنته ورفضِها لقرارِ الطلاقِ، الذي أجبر والدَها زوجها على القيامِ به، ورغمَ

¹ - جون بول وولف: مرجع سابق، ص 143-144، صالح عباد: مرجع سابق ص 139 وينظر بن المفتي حسين بن رجب شاوش: مصدر سابق، هامش 2، ص 59-72، شريف زهار: مصدر سابق، ص 71.

² - N.Rotin:Not Sur Yahya Aaga Alger .Reuve African. 1874.T18.P118 .

³ - نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص 206.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

توسّط بعض حريم القصر مستعطفينه في التراجع عن قراره، لكنه رفض حفاظاً على منصبه وسمعته أمام وزرائه؛ ولهذا أجبرها على طاعة أوامره والموافقة على تطليقها من زوجها، ليزوجها بعد ذلك بوكيل الحرج مصطفى حتى يقطع بينهما أية محاولة في عودتهما من جديد¹.

وطلق أيضاً ابنة الداي الثانية من زوجها القبطان ووكيل الحرج علي برغل، ونفاه، لأنه قام بمهاجمة سفينة أمريكية دون إخباره بهذه العملية، ويمكن تفسير العمل الذي قام به الداي بأنه رد فعل على موظفه الذي بادر بالهجوم دون علم الداي، مستغلاً في ذلك علاقة المصاهرة، ولكن لم يسامحه على عمله هذا الذي اعتبره تعدياً على سلطته، ثم أنهى علاقة المصاهرة معه، ثم عاقبه إدارياً بالنفي، وحتى لا يفكر في العودة للمصاهرة من جديد، فإنه قام بتزويج ابنته من الخزناجي مصطفى باشا الذي تقدّم لخطبتها بعد انتشار خبر طلاقها².

ومن مظاهر إنهاء الزواج السياسي ما ذكره شارل فيرو (Charles Fevre): "قام الباشا علي ... طلق زوجته ابنة الشيخ سلطان وزوجها من المستعبد المسيحي ... وطلق يونس من جهته زوجته حفيدة الشيخ بوعزيز"³.

ما يلاحظ على نساء الطبقة الحاكمة لم يكن لهن أي رأي في قضية الطلاق والزواج فمنهن من زوجت لاغراض سياسية وطلقت لاغراض سياسية وبدون مراعاة مشاعرهن وأخذ موقفهن على ذلك وحتى ولو حاولن ذكر موقفهن فكن يقابلن بالرفض وكان مصيرهن قد قرر من قبل أوليائهن .

كما اعتمدت طائفة رياس البحر أيضاً على الزواج السياسي من أجل تحقيق مصالحهم، وخاصة إيجاد سند قبلي يقوي مكانتهم في مدينة الجزائر لاستخدامه عند الضرورة، فسارَعوا إلى مصاهرة بعض زعماء القبائل المحلية، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: القبطان علي بتشين، الذي تزوج من ابنة زعيم قبيلة كوكو، واستغل هذه المصاهرة للاحتماء بها عندما تعرّض للمطاردة من قبل الجيش العثماني، استناداً

¹ - سيمون بفايفر: مصدر سابق، ص ص 62-63.

² - نجوى طوبال: مرجع سابق، ص 311 وينظر: شريف زهار: مصدر سابق، ص 71.

³ - شارل فيرو: الاحرار، في مجلة الافريقية، العدد 18، ص ص 326-327 عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس، مرجع سابق، ص 111.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

إلى أوامر الخليفة العثماني الذي أمرهم بقتله نتيجة تمرده عليه ومعارضته أوامره، فأوته وساندته قبيلة أصهاره، وتمكّن من النجاة من مصير الموت المحتوم¹.

وانتهج هذه السياسة بايات تونس، الذي حاولو التقرب من بايات الشرق الجزائري مثلما فعل ال باي بوعزيز الذي طلب من على بن حسين باي تونس الزواج بإحدى حفيداته لتوطيد العلاقة أكثر².

ز- مصير نساء الحكام:

عَرَّضت ممتلكات بعض النساء الحُكَّام للمصادرة مع ممتلكات أزواجهن، ففي رسالة بعثت بها أحمد باي إلى الداي حُسَيْن في سنة 1244هـ / 1828م يخبره فيها بأنه قام بمصادرة ممتلكات صهر الباي السابق وزوجته وقام ببيعها، ولم يقتصر على مصادرة ممتلكاتهن، بل منهن من تعرّضت لعقاب الجند مع زوجها، رغم كونها بعيدة عن القضايا السياسية، ولم يكن لهن دخل في قرارات وتصرفات زوجها الحاكم، كما رأينا سابقاً، إلا أنّها كانت عرضة لعواقب عمل زوجها من مخاطر تصرفاته، وتجنّي نفس العواقب الوخيمة ونفس المصير، الذي يلقاه زوجها، إما تعذيب أو موت؛ ولهذا نجد المؤرخ مولاي بالحميسي في مقاله يفند ما ذكره عن خير الدين بربروس وغدره بالخليفة العثماني، وذكر أنّه من المستحيل أن يتجرأ على القيام بعمل مثل هذا خوفاً على ابنته وابنه الموجودان في القسطنطينية بجوار الخليفة العثماني، وخاف عليهما من العواقب الوخيمة التي تلحقهما جراء تمرد. ومن الحوادث التي كانت نساء السلطة الحاكمة عرضة لها: العقاب من قبل الجند مع زوجها الحاكم، ولهذا أغلب نساء السلطة كن يهربن من القصر بمجرد سماعهنّ بانقلاب أو مقتل أزواجهن³.

ولكن بعضهن تعرّضن للاعتقال، مثلما حدث مع أسرة الداي حسن باشا، الذي بعد وفاته خلفه ابن أخته الداي مصطفى، وبمجرد استلامه للمنصب سارع إلى أسرة خاله الداي المتوفى، طالباً منهم

¹ - صالح عباد: مرجع سابق، ص 124.

² - عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس، مرجع سابق، ص 111.

³ - المجموعة 1642 الوثيقة رقم 25، وينظر: D'Arvieux: Op. cit. P246.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

تسليم ثروة الداي، لكنهم رفضوا إخباره عن مكانها، فقام بإلقاء القبض على زوجة عمه وأولادها ووالدها، وسجنهم¹.

ونفس المصير تعرضت له نساء بعض البايات الايالة مثلما حدث في سنة 1222هـ / 1807م عندما قام الداي أحمد بتوجيه أوامره بقتل الباي عبد الله باي قسنطينة وزوجته أيضا، ومثلما حدث مع زوجة علي أغا، التي بعد أن قتل الانكشارية زوجها وإجتياعهم لمنزله طلبوا من زوجته إخبارهم عن مكان ثروته ولكنها رفضت مما جعلها عرضة للتعذيب بمختلف الوسائل حتى أخبرتهم بالمخبر²، وحدث مع زوجة علي باشا باي قسنطينة، التي تعرضت للتعذيب وعقوبات قاسية مع أطفالها بعد إعدام زوجها وكذلك زوجة بن مراد باي علي خوجة التي ألقى القبض عليها مع زوجها الباي عثمان بن صالح باي وتعرضت معه للتعذيب حتى ماتت من جراء التعذيب³، ومثلما حدث في سنة 1118هـ / 1706م. تعرضت زوجة وابنة الداي مصطفى إلى التعذيب لإجبارهما على الاعتراف بمخبراً ثروة الداي مصطفى⁴.

ولعل هذا ما دفع بالكثير من الدايات يعزفون عن الزواج حتى ليتسببوا في هلاك أسرهم لما رأوه من مصير مأساوي لأسر الكثير من الدايات، يقول جوان كانو: "وهكذا كان يعيش الداي أب بدون أولاد وزوج بدون زوجة"⁵.

ح-مقابلة نساء المدينة للحكام:

¹ - عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص 572 .

² - المجموعة 1642 الوثيقة رقم 25، وينظر: D'Arvieux:Op. cit.P246

وينظر مولاي بالحميسي: غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 96، عزيز سامح إتر: مرجع سابق، ص 408.

³ - حمدان خوجة: المرأة، مصدر سابق، ص 134.

⁴ - عزيز سامح التر: مرجع سابق، ص 408. وينظر عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 67 فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005م، ص 116.

⁵ - جون بوول ولف: مرجع سابق، ص 389؛ وينظر حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 96-100؛ صالح عباد: مرجع سابق، ص 209؛ عزيز سامح إتر: مرجع سابق، ص 408.

تميزت مدينة الجزائر خلال هذه الفترة بسيطرة حكام أشداء ، لايليون ولا يقهرون، وكان الملوك والقناصل الاوربيون يحسبون له الف حساب لزيارتهم والامثال امامهم، فالاشكال المطروح هل سمح للمرأة بمقابلة الحكام؟

رغم السياسة الصارمة من قبل هؤلاء الحكام ومنع النساء من زيارة قصر الداى إلا أنه سمح لهن بمقابلته إلا للضرورة مثل المجيء في أوقات المحاكمة فقط، فيأتون إليه وهن ملتحفات غير متبرجات¹.

ثالثا - المرأة والسلطة القضائية:

أ- قانون العقوبات الخاص بالنساء:

أصدرت السلطات الجزائرية مجموعة من القوانين، التي فرضت وطبقت في مختلف البايليكات وفي حال استعصاء قضية على الباى أو قضاة البايليك فانه يستشير ،الداى أما قضاة البايليك فيستشيرون قضاة مدينة الجزائر².

وهذا حفاظا على أمن وسلامة الإيالة وضبط النظام بها ومن القوانين الخاصة بأخلاق المجتمع وخاصة أخلاق النساء التي تعتبر ركيزة المجتمع، التي أصدرت في حقها مجموعة من العقوبات في حالة مخالفتها لشريعة المجتمع من أخلاق وعادات، ولقد حاولنا ذكر بعض العقوبات أهمها:

1- عقوبة الاعدام:

يتم تنفيذ حكم الإعدام على المرأة عندما ترتكب الزنا، التي تعتبر من الكبائر التي لم يتوان حكام الأيالة عن معاقبة مرتكبها، ويكون الإعدام بالرمي من الأعلى على ارتفاع 60 قدماً إلى الأسفل فوق صخور مكان يُعرف بكاف الشكاراة بالقصبة، أو يتم إعدامها بالشنق إذا مارست الزنا مع أحد العبيد. وقد تستفيد من تخفيف العقوبة في حال توسط أحد سكان المدينة من ذوي الدين الذين يتمتعون بمكانة هامة لدى السلطة، فيتم تخفيفها إلى الجلد بمئتي ضربة أو سجنها حتى تدفع غرامة مالية مرتفعة، وهو ما

¹ - نور الدين عبد القادر: مرجع سابق، ص92-93؛ عزيز سامح إتر: مرجع سابق، ص407.

² - الرسالة 24المجموعة 1642 المكتبة الوطنية الجزائرية.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

قامت به إحدى النساء اللواتي أُلقيَ عليهنّ القبض بسبب الزنا فقامت بإنقاذ نفسها بدفع غرامة مالية مرتفعة، أما الرجل فيتم جلده أو شنقه وتعليقه عند باب السجن، أو دَبَّحه¹.

يتم إعدام المرأة المسلمة إذا أكتشف أمرها بأنها على علاقة غير شرعية مع مسيحي أو يهودي أو تركي حتى ولو كانت من الموسسات، فتكون عقوبة الرجل بالإعدام شنقا أو رميه في قنوات الصرف الصحي أما المرأة فتوضع في كيس وهي حية مع بعض الحجارة ثم ترمى في عرض البحر حتى الموت وقد تخفف العقوبة فتكون بتلقي 20 جلدة بالسوط لكليهما، وحسب الأسير النرويجي رغم هذه العقوبات القاسية إلا أن ظاهرة العلاقات غير شرعية كانت موجودة ولم تكبحها العقوبات المطبقة ويذكر الأسير النرويجي أنه شهد مقتل إمرأتين بهذه الطريقة، وأيضاً رندو الذي زار الجزائر وبمجرد وصوله تصادف مع عقوبة إعدام لفتاة كانت على علاقة غير شرعية مع شاب تركي يبلغ من العمر 18 سنة ولما اكتشف أمرهما قامت السلطة بالقضاء القبض عليهما ساحبة إياهما إلى البحر لتنفيذ عقوبة الإعدام في حقهما وسكان المدينة يتبعونهم إلى جانب والدها الذي حاول الداي العفو عنهما في حالة قبول والدها زواجهما، ولكن الأب فضل إعدام إبنته على زواجها ربما اعتبر هذا عار جلبته لبيته، وبعد الوصول إلى البحر تم جلب قارب صغير في انتظار وضعها في الكيس مع حجارة وتم ربط الكيس لتوضع في القارب الذي نقلها إلى عرض البحر و نفس العقوبة طبقت في مختلف البايليكات ففي سنة 1193هـ / 1779م قام قائد عنابة بإعدام إمرأة أتهمت بارتكابها الزنا مع طبيب فرنسي في القالة ، وقد تكون عقوبة الإعدام ما بين تعليق المرأة والرجل على باب السجن².

وقد تكون عقوبة الإعدام بالصلب أو شنق أو بالنفي، وهو أخف العقوبات التي كانت تتعرض لها المرأة ففي خط هاميون رقم 56093 جاء فيه "ضرورة إتمام صلب المرأة التي أخذها الأغا رئيس

¹ - شلوصر: مصدر سابق، ص83؛ أمحيدة عميرواي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجاً)، ص76-77.

W.Shaler: P33 Op. cit.P69: M.Renaud Emirit Marcel: Les Aventures De Thédenat Esclave Et Ministre D'un Bey D'afrique XVIII Siecle .R.A.1948.T89.P176 .

² - الوثيقة 66، المجموعة 1641، المكتبة الوطنية الجزائرية؛ وينظر أمحيدة عميرواي: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجاً)، هامش 1، ص50، والهامش رقم 1، ص49؛ نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص103؛

كورين شوفاليه: مرجع سابق، ص71. وينظر: M.Renaud: Op. cit.P69.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

البناتين في زي القالبوني (بحارة) "وجاء فيه "ضرورة إتمام صلب المرأة ونفي الأخرجات من النساء"، أما النفي فجاء في خط الهامبوني "تنفى المرأة إلى مكان بعيد وتغرب عن الأهل والبلد ولا يطلق سراحها إلى الأبد مسجونة مقيدة تحت الرقابة بدل القتل أو الإعدام" وحفاظا على حرمة المرأة فان السلطات ألزمت منفذ العقوبة بضرورة ستر المرأة بوضعها في كيس "العادة الجارية من القديم الزمان هي صلب النساء في الأكياس يكون ذلك أدمى وأجلب إلى الستر بالنسبة لهن وتماشيا مع هذه العادة كان يلزم أن يتم شنق المرأة...موضوعة في الكيس حتى يمكن سترها لدى تحقيق العدالة وتطبيق العقاب"¹.

ولقد أضاف الداوي أحمد إلى جانب الافعال، التي تعاقب بسببها المرأة إعداما عقوبة الاعدام غرقا إذا تجرأت في الحديث عن السياسة².

3-يُحرم على المرأة الحديث مع المسيحي، وإذا تم إكتشاف ذلك فيتم القاء القبض على المسيحي وتكيله بسلاسل ثقيلة ثم ضربه بالفلقة³.

2-العقوبات المطبقة على قاتلي النساء:

رغم الحراسة المكثفة في مدينة الجزائر ليلاً ونهاراً، ورغم السياسة المشددة التي تمارسها السلطة وعدم التسامح مع القتل، إلا أنه عُثر على نساءٍ مقتولات. ومن هؤلاء النساء نذكر: عزيزة، زوجة الباي رجم، التي عُثر عليها مقتولة في مزرعتها، ولم تذكر المصادر سبب قتلها، واكتفت بذكر أنّ زوجها هو الذي أمر بقتلها. ويمكن تفسير سكوت المصادر عن سبب القتل وعدم ذكر موقف السلطة من عملية القتل بأنّها مسألة تعلقت بخيانة زوجية، وهي من القضايا التي كان يُكتفى بالتستر عليها. ومن النساء أيضاً اللواتي تعرّضن للقتل بعض ثريات المدينة، فنذكر منهن: نفوسة بنت الكواش، التي كانت من أغنى نساء المدينة، وقدرت تركتها بـ9302 ريال، وعُثر عليها مقتولة، ولم تذكر الوثيقة سبب القتل، واكتفت بذكر أنّ أحد إخوتها غائب. وذكرت الوثيقة أنّ نفوسة كانت تقيم مع أخيها محمد، ولها أخوات بنات كلهن

¹ -خط هامبون 56093 علبة 19-1790، وخط هامبون 56093 علبة 90-1790، وخط هامبون 56093 علبة رقم 3.

وينظر خط هامبون رقم 5093 رقم 3، وخط هامبون 56093 الورقة رقم 2.

² -أبو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830م-1855م)، م.و.ك، الجزائر، 1989م، ص 49.

³ - نيلز نيلسون موسى: مصدر سابق، ص 103. وينظر Boyer Pierre:Op. cit. P229

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

متزوجات. ويمكن وصف حيثيات القتل على النحو التالي: أنّ القاتل كان قريباً من هذه العائلة أو أحد الجيران، استعمل سطح الدار في الدخول إلى بيت نفوسة، أو كان شخصاً على علمٍ بأخبارها، وكان يراقب تحركات أخيها محمد، واستغل غياب محمد عن البيت ليهاجم على نفوسة من أجل سرقة أموالها، وربما قاومته أو عرفته، فقامت بقتلها¹.

وإمرأة قبائلية، كانت من ثريات المدينة، حيث بلغت تركتها 1035هـ / 1626 ربال من الحلبي، ولأنها كانت تعيش وحيدة في المدينة، ولعلنا نفسر وحدتها بما يلي: أنّها كانت وحيدة والديها، وتوفيا عنها وتركها وحيدة، ممّا جعلها تمتلك هذه الثروة عن طريق الوراثة، أو أنّها أرملة مات عنها زوجها وتركها وحيدة، ورفضت العودة إلى بلادها مكتفيةً باحتفاظها بتركة زوجها من مطالبة أفراد أسرته بذلك، قد تعرّضت للقتل سنة 1215هـ / 1800م، رمياً من أعلى السطح².

وتعرّضت امرأة، رغم ثرائها، إلا أنّها كانت تعيش وحيدة في بيتها الواقع في بير الجباح بالمدينة، حتى تعرّضت للقتل، مخلفةً تركة قدرها 1450 ربال، وأخرى أيضاً، رغم ثرائها، كانت تقيم وحيدة وتعرّضت للقتل، مخلفةً تركة قدرها 1193 ربال، وكذلك تعرّضت زهرة بنت الشريف أغا، التي كانت تسكن في باب الواد، للقتل، مخلفةً تركة قدرها 1193 ربال³.

وإمرأة ناييلية، كانت لها ثروة قدرت بـ 5204 ربال، ولأنها كانت تعيش وحيدة في باب عزّون بدون عائلة، ليس لها والدان ولا إخوة ولا زوج ولا أولاد، فعُثر عليها مقتولة في بيتها. ولكن هناك نساء لم تكن ثريات، ولكنهن تعرّضن للقتل، مثل امرأة كانت تقيم في مكان يُسمّى السباط الأحمر، حيث قُتلت مخلفةً وراءها مبلغاً قدره 59 ربالاً فقط، وأمّ أخرى وهي فاطمة، التي كانت تقيم بالعلوي، قدر تركتها بـ 20 ربالاً، ومع ذلك تعرّضتا للقتل. وهذا يدلّ على أنّ مقتلهما لم يكن بسبب المال، وإنما

¹ - بيت المال والبايليك، سجل 19، ورقة 16، ملحق 5؛ وينظر ليلي خيراني: مرجع سابق، ص 86.

² - بيت المال، سجل رقم 4، ص 64؛ نقلاً عن ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص 136.

³ - بيت المال، سجل رقم 19، وبيت المال، سجل رقم 2، نقلاً عن ياسين بودريعة: مرجع سابق، ص 137؛ وينظر ليلي خيراني:

المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830)، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، مرجع سابق، ص 71.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

لوجود أسبابٍ مجهولة غير مادية أدت إلى مقتلهما¹، وتعرضت امرأةٌ إسلامية للقتل من طرف أحد الأتراك، رغم أنّها لم تكن من ثريات المدينة، لأنّها خلفت مبلغاً بسيطاً قدره 485 ريالاً فقط.²

ويمكن تفسير عدم ذكر أسباب القتل هو التستر على أسباب الجريمة التي لعل أهمها هو تعرضهن لمحاولات اغتصاب وهي الأعمال المنبوذة في المجتمعات الإسلامية ويرفض التصريح بها وخوفاً من تشويه سمعة أسر هؤلاء المقتولات و برر بانه لم يكشف سبب.

وعثر في سنة 1230هـ / 1815م على أمة مقتولة خنقا في سجن المزوار ولم تذكر لنا المصادر هل قتلت نفسها أو أحد الاشخاص قتلها وتبقى اسباب موتها مجهولة؟.

أما موقف القضاء من الجرائم القتل، التي تعرضت لها نساء المدينة فقد كان إعدام القاتل سواء كانت الضحية رجلا أو امرأة، ولهذا فقد نفذ حكم الإعدام في كل من قام بقتل امرأة حتى ولو كانت زوجته أو أخته أو غيرها³.

3-العقوبات المطبقة على المتحرشين بالنساء :

قد تتعرض المرأة إلى مضايقات أو اعتداءات في الشارع ولهذا فقد حدد القانون العقوبة التي يعاقب بها المعتدي حتى ولو كان نمم الانكشارية تتمثل في الجلد خمسمائة جلدة، مثلما حدث في مستغانم عندما تعرضت امرأة للاعتداء من بعض الانكشارية فقام أغا نوبة بتنقيد العقوبة عليهم وذلك بجلدهم خمسمائة جلدة⁴، ولما تعرضت امرأة للضرب من طرف أحد الانكشارية بسيفه الذي جرحها ،فامر الباي بإلقاء القبض عليه لتتم معاقبته⁵.

ب-السجون النسائية :

¹ - ليلي خيراني :المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، مرجع سابق ،ص ص 71 -72.

² - ع3 س8 و88. وينظر ليلي خيراني:المرجع السابق، ص51.

³ -رسالة 24 المجموعة رقم 1642م في المكتبة الوطنية الجزائرية وينظر: مجموعة 3190 الملف الأول قسم المخطوطات بالمكتب

الوطنية الجزائرية وينظر :ناصر الدين سعيدوني: وراقات ،مرجع سابق ،ص240 ،وينظر :نور الدين عبد القادر :مرجع سابق ،ص76

⁴ -رسالة 24 المجموعة رقم 1642م في المكتبة الوطنية الجزائرية

⁵ - الرسالة رقم 24 مجموعة 1642 المكتبة الوطنية الجزائرية .

رغم طبيعة المجتمع المحافظ إلا أنه وجدت نساء تعرضن للاعتقال ولهذا فقد تم إنشاء سجون خاصة بالنساء يشرف على تسييرها شيخ البلد، الذي كلف بإلقاء القبض ومعاقبة نساء الطبقة الغنية و المزوار، الذي كلف بمعاقبة نساء الطبقة البسيطة والفقيرة والمومسات¹، ويتم نقلهن إلى هذه السجون في سرية تامة² دون أن يتفطن لهن سكان المدينة، ومن الأعمال التي تؤدي إلى اعتقال المرأة، نذكر :
إذا انتشرت أخبارا تمثلت في تمرداها على عرف المجتمع ومحاولة إفساده، فيتم إلقاء القبض عليها التي بنيت من أجل الحد من ظاهرة انتشار الانحراف داخل المجتمع الجزائري، أما المومسات فتعرض للاعتقال بسبب ممارستها للبعاء بدون رخصة من المزوار³.

ج- عقوبات الشريعة اليهودية الخاصة بالمرأة اليهودية :

فرضت الشريعة اليهودية على المرأة مجموعة من العقوبات في حالة ارتكابها أخطاء مخالفة للدين أو تقاليد مجتمعهم، فكانت عقوبة المرأة اليهودية المتزوجة، التي قامت بالزنا هي الطلاق وتحرم من مؤخر صداقها وملابسها الخاصة بالمناسبات والأعياد⁴.

د- قضايا المرأة في المحاكم :

سمح للمرأة في المدينة المطالبة بحقوقها ورفع شكواها للقاضي، اللواتي بعضهن من فضلن الامتثال بنفسها أمامه، إذا تعرضت لظلم أو وأرادت المطالبة بحقوقها، من ميراث أو طلاق أو غيره، ومنهن من تجرأت على مقاضاة أحد أعضاء السلطة مثلما حدث مع فاطمة بنت عبد الرحمان، التي رفعت شكوى ضد وكيل الاوقاف وتولت مواجهته بنفسها أمام القاضي⁵.

ولكن طبيعة مجتمع المدينة، الذي يتسم بالمحافظة، كانت تجعل أغلب الأسر تمنع المرأة من الذهاب إلى المحاكم، وتسمح لها بتوكيل من ينوب عنها لعرض مشاكلها والدفاع عنها في المحكمة. فكل امرأة ممن

¹ - وينظر علي خلاصي: القلاع والحصون في الجزائر، الجزائر، 2008م، ص45 .

Tachrifat: Albert.Devoulx Op. cit.P167 Et Show .Op. cit .P 23

² - Show Op. cit.P167et Albert.Devoulx: Tachrifat.Op. cit.P23.

³ -Ibid Et Louis Baudicourt :La Guerre Et Le Gouvernement De L'alger .Sagnir Et Bray . Librairie Editeurs .Paris.1853.P268

⁴ -فاطمة بوعمامة: مرجع سابق، ص131.

⁵ -م ش ع 5 م 3 ق 19. نقلا عن خليفة حماش :مرجع سابق، ص 668.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

كانت لهم قضايا وكلات من ينوب عنها، فنجد، على سبيل المثال، فطومة بنت محمد أغا، التي وكلات أخاها محمد لمواجهة وكيل الأوقاف أوسطه محمد في المحكمة، ومنهن من وكلات زوجها، مثل عائشة، ابنة الفقيه، التي وكلات زوجها مصطفى أودباشي لمقاضاة إخوتها، ومنهن من وكلات فقيها ينوب عنها في المحكمة، مثلما فعلت طيطومة بنت أحمد، التي وكلات الفقيه أحمد، إمام جامع الباب، لينوب عنها في المحكمة¹.

تنوعت محاكم مدينة الجزائر من محاكم مالكية إلى محاكم حنفية، ورغم الاختلاف المذهبي، إلا أنه لم يُفرض على المرأة التوجه إلى محكمة تتبع مذهبها، بل سُمح لها باختيار المحكمة المناسبة. ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: عائشة، ابنة الفقيه الحاج محمد النيار، المفتي الحنفي، إلا أنها توجهت مع زوجة والدها حسنى بنت مصطفى، والوصي على أخيها، إلى محكمة مالكية، لتطالبهم بهبة كان قد منحها لها أبوها².

ومن القضايا، التي توجهت فيها المرأة إلى المحاكم قضية العنف الاسري والطلاق والعقارات وغيره والان سنحاول ذكر بعض القضايا النسائية وموقف القضاة منها .

1- قضية إثبات صحة الزواج :

من القضايا المهمة التي أجبرت النساء، خاصة المعتوقات، على التوجه إلى المحاكم، قضية إثبات الزواج، مثلما حدث مع قضية زينب، التي أعتقها سيدها الحاج علي شاوش العسكر بن مصطفى ليتزوجها بدون عقد زواج. ولكن بعد موته، توجهت المعتقة إلى المحكمة لتوثيق عقد زواجها والمطالبة بصداقها الذي لم يمنحها لها. وبعد تأكيد القاضي من صدق إدعائها، أصدر حكماً تمثل في: منحها

¹ - وينظر م ش ع 2/27، م7، ق53؛ وينظر م ش ع 1/26، م1، ق6؛ وينظر م ش ع 17، م1، ق1؛ وينظر م ش ع 38، م1، ق6؛ وينظر م ش ع 1/5 (5) (40)؛ وينظر وشنافي: مرجع سابق، ص658؛ وينظر خليفة حماش: مرجع سابق، ص658؛ وينظر نجوى طوبال: مرجع سابق، ص149.

² - م ش ع 38، م1، ق6، سنة 1146هـ؛ نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص658.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

متوسطً صداق الحرة، والمقدّر بـ200 دينار جزائري خمسيني العدد ووقفطان قيمته أربعة دنانير، بالإضافة إلى منحها حقها من الميراث الذي كفله لها الشرع الإسلامي¹.

2- الاتهام بالزواج الزائف :

ومن أغرب القضايا التي تعرّضت لها المرأة الجزائرية، هي تحايل بعض الرجال أو ادّعاؤهم بالزواج من امرأة دون علمها، مثلما حدث مع فتومة بنت علي الزناتي، المدعوة الحاجة بنت علي الزياني، التي ادّعى ابن عمها أنّها زوجة له، وأنّه قد خطبها من أبوها قبل موته، وكان قد منحه الموافقة على ذلك وزوّجها إليه. ولكن والدة فتومة، خديجة بنت محمد رئيس، كذّبت ذلك وأنكرته، لأنّ زوجها، والد البنت، لم يخبرها بهذا، وخاصة أنّ هذا أمر مهم لا يمكن نسيانه أو إخفاؤه من قبل الوالد على الوالدة. إلا أنّ ابن عمها أصر على ذلك، ولكنها أنكرت، فرفع عليها دعوى قضائية ضدهما، فكلّفتهما صهرهما، زوج أخت فتومة أحمد بن مرزوفة، للذهاب معهما إلى المحكمة للترافع ضدهما. وطلب القاضي من المدعي محمد إثبات صدق كلامه بوثائق، ولأنّه لم يكن يملكها، ادّعى أنّه سمع والد البنت يوم خطبته لها يسألها عن الموافقة، فكان ردّها إيجابياً. ولأنّ هذا الدليل وحده غير كافٍ، وخاصة أمام تكذيب البنت وأمها له، فإنّ القاضي بطل هذه القضية، إنصافاً للأم وابنتها، وأبطل الزواج².

ويمكن القول إنّ هذه الظاهرة كانت منتشرة في إيالة الجزائر، فالنفس الحادثة وقعت في بايليك الشرق، وهي قضية ابنة توفى والدها، فادعى أحد الرجال أنّ والدها كان قد وافق على تزويجها له قبل وفاته: "...والبنت منكرة ونافرة من الولد، وعُقد عليها بدون توكيل...". وقام عمّها بتأكيد ذلك وتزويجها إليه، ولكن ابن الفكون أنصف البنت وأبطل الزواج³.

2-قضايا الطلاق :

تعددت أسباب لجوء المرأة إلى المحكمة لطلب الطلاق بنفسها ولعل أهمها:

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ / 1710م-1830م) ،مرجع سابق ،ص149.

² - م ش ع 28 / 2، م6، ق20، سنة 1207هـ نقلا عن خليفة حمّاش:مرجع سابق ، ص 324 وينظر : نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ / 1710م-1830م) ،مرجع سابق ،ص 111.

³ - عبد الكريم بن الفكون :مصدر سابق ، ص63.

2-1- الاخلال بشرط من شروط الزواج:

مثلما يُعقد الزواج في المحكمة، فإنه ينتهي أيضاً بعقد طلاق، وذلك بأن يتوجه الزوجان مرةً ثانيةً إلى المحكمة لفكّ الرابطة الزوجية بالطلاق. وفي المحكمة يقوم القاضي بتحديد حقوق كل طرف بعد الاطلاع على أسباب الطلاق، والتي غالباً ما تتجه المرأة إلى المحكمة من أجل طلب الطلاق، فإذا عجزت عن الحصول عليه من زوجها، وخاصة عندما تعدّى على أحد الشروط التي كانت قد وضعتها في عقد الزواج، والتي وافق على الالتزام بها وجعلها تقبل به زوجاً، فإنها تتجه إلى المحكمة أو تكلف من ينوب عنها ليدافع عنها ويحصل لها على حقوقها ويسهل لها عملية الطلاق، وهو ما قامت به أغلب نساء المدينة. وبعد نظر القاضي لعقد الزواج وثبوت صحة إدعائها، فإنه يطلقها، كما رأينا سابقاً في حديثنا عن الطلاق¹.

2-2- العنف الأسري والحرمان المسلط عليها :

تلجأ المرأة إلى المحكمة طالبةً الطلاق بسبب العنف المسلط عليها، والذي أدى إلى استحالة استمرار الحياة الزوجية بينهما، خاصة إذا وصل هذا العنف إلى ذروته بعد فقدان الزوج لإنسانيته بالضرب والتجويع، اللذين قد يؤديان إلى هلاك المرأة. ولكن القاضي، قبل إصداره حكم الطلاق، يستدعي القابلة للكشف عن المرأة ورؤية آثار العنف الجسدي عليها بحسب كلامها. فتقوم القابلة بتقديم تقريرٍ للقاضي يصف الآثار الموجودة على جسم المرأة، وبه يتأكد القاضي أو يفند ادعاءات المرأة المشتكية².

مثلما حدث مع روزة بنت خلاف، التي كانت حاملاً، إلا أنّها تعرّضت للعنف من زوجها عبد الله الجيخلي بن أحمد، واستمر في ضربها، مما دفعها إلى اللجوء إلى القاضي طالبةً الطلاق، فقام القاضي، بعد التأكد من صحة شكواها، بتطليقها. وحالة نفيسة بنت محمود، التي تعرّضت للضرب بعنف والحرمان من الطعام بالتجويع، ما جعلها تسارع إلى طلب الطلاق من زوجها أحمد الصمار الإنجشاري بن العربي لاستحالة استمرار العشرة الزوجية بينهما. ولكن القاضي تردد في تطليقها وحاول الإصلاح

¹ - تطرقت له في شروط المرأة في عقد الزواج وينظر: ابو القاسم سعد الله: اجات واره، مرجع سابق، ص 282.

² - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م) مرجع سابق، ص 302.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

بينهما، وذلك بمطالبة الزوج بأن يغيّر مكان إقامة الزوجة إلى مكان آخر: "...سكنها بين قوم صالحين...". فما كان من الزوج إلا أن طبق قرار القاضي وغير مكان الإقامة، ورغم هذا لم يغيّر سلوكه وواصل ممارسة العنف عليها، مما جعل الزوجة تلجأ إلى القاضي مرة ثانية طالبة الطلاق، وأخذت معها شاهدين ليؤكدوا صحة قولها. وبعد إنصات القاضي لها ولشاهديها، خيرها بين البقاء أو الطلاق، فاختارت الطلاق¹.

وتوجهت فاطمة بنت السيد الماحي إلى القاضي تطلب منه أن يطلقها من زوجها علي بن حمودة، الذي عجزت عن إستمرار الحياة الزوجية معه بسبب العنف المسلط عليها من قبله والمتمثل في ضرب عنيف مما تسبب لها في جروح في جسمها جعلها تتألم ليلاً نهاراً وهو مادفعها في اللجوء إلى القاضي مع خمسة نساء قررن أن يشهدن معها وما تعانيه من زوجها وفي حضرة القاضي أضرمت له الجروح التي تسبب فيها زوجها من جراء ضربه لها وبعد سماعه لشهادة النساء وتأكده من صدقهن خيرها بين الطلاق أو الرجوع فاختارت الطلاق فحكم لها بذلك².

وقضية طلاق زوجة محمد الصادق بن جوهر، والتي كانت تبلغ من العمر 7 سنوات، تُظهر أنّ هذه الزوجة، رغم صغر سنها، قد زوجتها والدتها بمحمد الصادق بن جوهر. ولأنّها لم تستطع تحمل الأعباء الزوجية، كان زوجها يضربها ويضطدها، ولم يرحم صغر سنها، ممّا دفعها إلى اللجوء إلى خالها، الذي بدوره نقلها إلى المحكمة من أجل تطليقها وسرد للقاضي ظروف عيشها ومشاكلها مع زوجها نتيجة صغر سنها. فطلب القاضي إحضار عقد الزواج، وبعد التأكد منه، أنصف الزوجة وطلقها³.

¹ - م ش ع 65-67، م3، ق44، سنة 1239هـ وينظر م ش ع 59، م4، ق45، سنة 1243هـ. نقلا عن خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص ص 198-220.

² - م ش ع 46 و382.

³ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م) ، مرجع سابق، ص 87.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وكذلك توجهت الزهراء بنت عبد الرحمان الشرباصي إلى قاضي المدينة شاكية له أمر زوجها محمد لاغوار الذي صعب عليها إستمرار العيش معه بسبب العنف والضرب وإهانتها وشتمه المتكرر لها فخيرها القاضي بين البقاء معه أو الطلاق فاخترت الطلاق فحكم لها بذلك¹.

ومن أسباب لجوء المرأة إلى المحكمة لطلب الطلاق هو صعوبة استمرار العشرة الزوجية. فهناك نساء لجأن إلى القاضي طلبًا للطلاق بسبب حرمانهن من حقوقهن الزوجية، كالمعاشرة الزوجية، مثلما حدث مع عائشة بنت العربي بن حواء، التي لجأت إلى قاضي في وطن بني موسى، السيد مبارك، من أجل أن يطلقها من زوجها بلقاسم بن الصديق. جاء في مضمون شكواها: "إنه معترض ولم يصلها أبدًا من يوم دخولهما إلى الآن". وبعد إنصات القاضي لها، أمرها بالبقاء معه سنة كاملة، لعلّ خلال هذه المدة تتحقق لها ما أرادت، فوافقت على قرار القاضي، ولكن ظل الوضع على حاله ولم تتم بينهما المعاشرة الزوجية، فقام بتطليقها منه من دون رضا الزوج، ورغم معارضة الزوج لهذا الطلاق².

وقضية زهرة بنت الحاج طيب، التي إتهمت للمحكمة طالبة الطلاق من زوجها الحاج محي الدين محمد بن الحاج عبد الله، الذي كان يرفض معاشرتها: ولكن القاضي لما إستدعى الزوج أنكر ما ذكرته زوجته وأخبره بأنه يجامعها مرة أو مرتين في الشهر حسب قدرته ولكن زوجته كانت تريد جماعا يوميا أو أسبوعيا، ولهذا فانها طلبت الطلاق و أصرت عليه، ولكن الزوج رفض التطليق، مما جعل القاضي بعد اصرارها يطلب منها القيام بالخلع وذلك بالتنازل على ما بقي من مهرها وعلى نفقة عدتها وتوابع العصمة لانه لايمكن له أن يقرر طلاقها لمجرد هذا السبب³.

2-3- طلاق الغائب:

ومن قضايا طلاق التي دفعت بالمرأة في الذهاب إلى المحكمة قضية طلاق الغائب فبالرغم أن الشريعة الاسلامية كفلت الحقوق الزوجة ونهت عن الغياب عنها لمدة طويلة من الزمن قد تتجاوز الاربعة

¹ - م ش ع 108-109 و52.

² - م ش ع 46، 8م ق 65 سنة 1224هـ، نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 208 وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م)، مرجع سابق، ص 100.

³ - م ش ع 46، 8م ق 65 سنة 1224هـ، وينظر: نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م)، مرجع سابق، ص 100.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

سنوات وهو ما يؤدي إلى أضرار نفسية وجسدية على للمرأة ، ففي حادثة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب والمرأة التي غاب عنها زوجها أكثر من أربعة أشهر " ...ذهب عمر إلى حفصة بنته فقال لها يا بنية كم تصبر المرأة عن زوجها فقالت له يا أبة يغفر الله لك أمثلك يسأل مثلى عن هذا فقال لها إنه لو لا أنه شئ أريد أن انظر فيه للرعية ما سألتك عن هذا قالت أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو ستة أشهر فقال عمر يغزو الناس يسيرون شهرا ذاهبين...."¹.

ولأن مدينة الجزائر كانت دار جهاد وفي حالة اضطراب لانتشار الوافدون الدائمون والمؤقتون، ونتيجة لاستقرار هؤلاء مما يجبرهم على الزواج بنساء المدينة، فينشأون أسراً طيلة فترة إقامتهم ثم يرحلون، سواء إلى ديارهم أو لزيارة أقاربهم. وخاصة أن السلطات العثمانية بالجزائر كانت تسمح للجندي بالسفر لزيارة أهاليه، فكانوا يسارعون إلى ذلك، وأحياناً يلجأون إلى الاستدانة من الداي لتوفير تكلفة النقل، مثلما فعل أحد الجنود، الذي لجأ إلى داي الجزائر حسن باشا، يستعطفه في منحه مبلغاً مالياً ليذهب لزيارة أمه، التي غاب عنها مدة خمس سنوات².

وقد يكون سبب الغياب توجههم للجهاد أو مهمة بأوامر سلطانية، فتختفي أخبارهم بموت أو أسر أو استقرار في مكان آخر خارج الإيالة، وهو ما تضرر منه النساء، فتلجأن إلى القضاء للنظر في وضعهن. ومن هؤلاء نذكر:

2-3-1- قضية عزيزة بنت مصطفى التركي :

اتجهت عزيزة بنت مصطفى التركي إلى القاضي بعد صبر دام ثماني سنوات على غياب زوجها عثمان التركي شاوش، ولم يترك لها مصدر رزق أو وصي يتكفل بها في فترة غيابه. وطوال هذه السنوات حاولت التأقلم، ولكنها عجزت وأصبحت تعاني من الفقر، لا تستطيع توفير أدنى متطلبات العيش الكريم، وهو

¹ - رواه البيهقي في السنن الكبرى 9/ 29 ، سيوطي من طريق مالك عن عبد الله بن دينار في الدر المنثور 1/ 625

² - الوثيقة رقم 124 و371 من المجموعة المجموعة 3190.

ما جعلها تطلب من القاضي أن يطلقها. فأمرها بالقسم على صحة ما ذكرته، فأقسمت، مما جعل القاضي يحاول للمرة الثانية تخييرها بين الانتظار قليلاً أو الطلاق، فاختارت الطلاق، فحكم لها بذلك¹.

2-3-2- قضية موني بنت علي :

توجهت موني بنت علي زوجة الانكشاري محمد بن إسماعيل الانكشاري، الذي غاب عنها لمدة ثلاثة سنوات ولم يظهر ولم يترك لها مالا أو وصي يتولى التكفل بها طيلة فترة غيابه مما جعلها تسارع إلى المطالبة بالطلاق لعجزها عن مواصلة العيش بمفردها بدون معين فتم لها ذلك².

2-3-3- قضية زهراء بنت محمد بن وعيل :

تزوجت زهراء بنت محمد بن وعيل بعبد يولدش أحد رياس البحر ، ولكن العلاقة الزوجية توقفت بسبب غياب الزوج، الذي ذهب مع الأسطول الجزائري إلى الأناطول في مهمة ولطول فترة غيابه المقدرة بسبعة سنوات جعلها عاجزة عن مواصلة العيش بمفردها ومواجهة صعاب، حتى أصبحت وضعيتها مزرية وخاصة وأنه لم يترك لها مصدر رزق تسترزق منه أو وصي يتكفل في النفقة عليها، والانتظار طال وامل العودة فقد إلى درجة اليأس، مما جعلها تلجأ للقاضي مصطحبة معها أربعة شهود وهم قاسم بن موسى المقداجي، وقويدر بن عاشور، ومحمد الاصباحي بن شفة وعمر العوفي لتأكيد مذكرته عند وصفها لحالتها "...الضرر الفادح...."³، ولكن القاضي رفض تطليقها وطلب منها جلب وثيقة إذن من الوالي العام " من ولاه الله أمر البلاد والعباد" ويمكن تفسير طلب القاضي تخوفه من مسألة الجند وخاصة وأن زوجها ذهب بأمر من حاكم البلاد لأداء مهمة معينة مع الاسطول ،ولهذا لم يتخذ القرار قرار تطليقها ، فاتجهت إلى محمد باشا وبواسطة شاويه المكرم عبد الرحمان، الذي صرح

¹ - م ش ع 79 و5. وينظر :نجوى طوبال : الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م) ،مرجع سابق،ص315.

² - وينظر م ش ع 80-81 و103، وينظر :نجوى طوبال : الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م) ،مرجع سابق،ص315.

³ -م ش ع 17 ،3م، ق69، سنة 1193هـ. نقلا عن خليفة حماش:مرجع سابق، ص 218.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

بمعرفة لهذان الزوجين منذ ان تزوجا حتى غياب زوجها فمنحها الوالي العام وثيقة الادن التي توجهت بها مباشرة إلى للقاضي الذي خيرها بين الانتظار أو الطلاق فاختارت الطلاق¹.

فمكان من القاضي إلا انصافها ومنحها حريتها بتطليقها من زوجها الغائب .

2-3-4- قضية عائشة بنت عبد اللطيف:

اتجهت عائشة بنت عبد اللطيف إلى القاضي تطلب منه تطليقها من زوجها الحاج شريف الأغواطي، الذي كان قد تزوجها ثم غاب عنها منذ عام ونصف، ولم يترك لها ما تسترزق منه من مال أو مواد غذائية، أو وصي يتكفل بها طيلة غيابه. وظلت متحملة للوضع طيلة هذه الفترة في انتظار عودته، ولكن غيابه طال وزادها انتهى، وهو ما دفعها لطلب الطلاق، وأخذت معها شهودًا يؤكدون صحة إدعائها والوضع السيئ الذي آل إليه. فما كان من القاضي، الذي سمع قولها وأقوال شهودها، سوى أن طلب منها القسم بصدقها على ما تقول، مرددةً معه العبارات التالية: "...بالله لا إله إلا هو لقد غاب عني زوجي الحاج شريف وتركني ضائعة مهملة...". فصدقها القاضي بعد أداء القسم، ثم منحها الطلاق بعد أن خيرها بين الانتظار أو الطلاق، فاختارت الطلاق².

2-3-5- قضية عائشة بنت إبراهيم :

لجأت عائشة إلى القاضي طالبة الطلاق مصطحبة معها أربعة شهود وهم الحاج حسين الانجشاري بن محمد بوزويجة وعبد الرحمان يولدش بن حسن التركي والحاج إبراهيم بلكباشي بن إسماعيل وإبراهيم يولدش بن محمد التركي للادلاء بشهادتهم على الوضعية المزرية، التي ألت إليها بعد غياب زوجها خليل يولدش، الذي غاب عنها لمدة خمسة سنوات، ولكن القاضي قبل منحها الطلاق في غياب زوجها ألزمها بأداء القسم على صحة ما ذكرت "...باقسم بالله العظيم..." ثم منحها الطلاق³.

2-3-6 قضية فاطمة بنت محمد :

¹ - نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م) ،مرجع سابق،ص316.

² - وينظر: م ش ع 79، نقلا عن نجوى طوبال: الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ - 1246هـ / 1710م - 1830م) ،مرجع سابق،ص314

³ - م ش ع 65-67، 3م، ق40، سنة 1210هـ. نقلا عن خليفة حماش:مرجع سابق ، ص219.

توجهت فاطمة بنت محمد إلى القاضي بعد غياب زوجها السيد علي بن عمر بن زهرة لمدة ثلاث سنوات، وذلك بعد رحيله إلى المشرق الإسلامي، ولم يترك لها مالا أو مصدر رزق تسترزق منه، أو وصي يتولى النفقة عليها وعلى أطفالها طيلة فترة غيابه. فقام القاضي، بعد التأكد من صحة كلامها، بتطليقها غيايباً: "...طلقت نفسها واحدة يملك لها عصمتها..."¹.

2-3-7- قضية أم الخير بنت أحمد القبائلية:

رغم قصر مدة غياب زوجها، إلا أنها لم تستطع الصبر على الوضع المزري الذي ألت إليه بعد غياب زوجها سعيد بن علي العمالي الحفاف عنها لمدة ستة أشهر بدون أن يترك لها مصدر رزق أو وصي يتولى النفقة عليها طيلة غيابه، فالتجته للقاضي راجية منه تطليقها منه وهو ماقام به القاضي "...طلقة واحدة تملك بها عصمتها..."².

3- مطالبة المطلقة بالنفقة على أطفالها :

ذكرنا سابقاً بأن القاضي كان قد منح للمطلقة وأطفالها حق النفقة إلا أن هناك من الأزواج من يرفض تسديد ماعليه من نفقة فتلجأ المرأة إلى المحكمة للمطالبة بحق النفقة مثلما حدث مع فاطمة بنت السيد أحمد بن محي الدين، التي طالبت طليقها حسين أغا الصبايحية بأن ينفق على ولديها علي وزهرا بأن يرسل لهما نفقة قدرت بأربعة ريالات دراهم صغار بينهما أنصافا سوية في كل شهر، وقامت زهرا بنت خليل بمطالبة طليقها بضرورة النفقة على إبتها بأن يدفع لها في كل شهر 7 ريالات ونصف ريال، ونجد جدة خدوجة زوجة إسماعيل بن محمد بن شعبان، التي توفيت تاركتنا رضيعا فتولت جدتها رعايته وطالبت أب الطفل بالنفقة عليه بأن يدفع لها في كل شهر مايلي: عشرة ريالات صغار ونصف ريال دراهم صغار وبعض المواد الغذائية كاللحم والزيت والبيض³.

4-مقاضاة الأزواج لامهات زوجاتهم :

¹ - م ش ع 54 نجوى طوبال : الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر الفترة العثمانية (1122هـ -1246هـ /1710م-1830م) ، مرجع سابق، ص315.

² - م ش ع 83و95.وينظر محمد بوشناني :مرجع سابق . ص548.

³ - م ش ع 17 / 56، م ش ع 59و68. ، م ش ع 14 / 57. نقلا عن ليلى خيراني:مرجع سابق ، ص187. بوشناني محمد مرجع سابق ، ص548.

تعرضت بعض أمهات المطلقات للتقاضي في المحكمة ومواجهة طليق ابنتها، وذلك من أجل إنهاء بعض مخلفات ما بعد الطلاق، مثلما حدث مع حسين الإنجشاري الحرار بن محمد، الذي قاضى والده طليقته راضية بنت محمد. فقد كان طيلة فترة زواجه بابنتها مستفيداً بالإقامة عندها في بيتها، وكانت وظيفته في جنينتها، ولكن بعد تطليقه لزوجته قام بأخذ كل ما وجد في بيتها من أثاث ما عدا قرآن نحاسي كان قد نسيه في البيت. فرفضت تسليمه له، مما جعله يطلب إعادة القرآن وإعادة ثمن الحبوب من قمح وشعير وفول وجلبانة التي كان قد اشتراها وغرسها في جنينتها. وكان رد صهرته أنها لن تمنحه القرآن لأنه اشتره من مالها الخاص، وأيضاً لم يدفع ثمن الغرفتين اللتين كان قد أجرهما لمدة ثلاثة أعوام، وتكفل ببيع عبد لها بعشرة دنانير وربع دينار ذهب، ولكنه لم يقدم لها ثمنه. لتنتهي القضية بالصلح بين الطرفين، مع إلزام المطلق بمنحها ثمن العبد الذي كان قد باعه¹.

5-المطالبة بالميراث أو تراجع عن هبة أو وقف:

كثيراً ما تحدث خصومات حول الميراث، فيلجأ الورثة للمطالبة بحقوقهم عند القاضي فماذا عن المرأة؟.

كانت المتزوجة، التي قد تمنع من الذهاب إلى المحكمة للمطالبة بحقوقها تكلف زوجها لينوب عنها للمطالبة بحقوقها من الميراث مثلما فعلت زهرة بنت الحاج أحمد بن عمر، التي كلفت زوجها حسين الانكشاري بالتوجه إلى المحكمة ليتولى استلام نصيبها من الإرث الذي منحه لها القاضي². طالبت أسية بنت محمد برفع دعوى قضائية ضد عبد الرحمان الحرار، أخ زوجها المتوفى حميدة القنذاقجي، والذي أنجب منه محمد ومريومة. إلا أن أخ زوجها رفض منح أطفالها نصيبهم من تركة أبيهم، وهو ما جعلها تتجه إلى القاضي رفقة زوجها الجديد للمطالبة بحق أطفالها من الميراث. فانصفها القاضي، وانتهت القضية بحصولها على نفقة أبنائها، وحق كراء مسكنها، ونصيبها ونصيبها من الميراث، وكل ما كان لها من دين عند زوجها المتوفى³.

¹ - م ش ع 1/14، م، 1، ق، 11، سنة 1181هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 217.

² - م ش ع 1/14، و، 175. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 553.

³ - م ش ع 2/23 و 22. وينظر: خليفة حماش: مرجع سابق، ص 217. وينظر: محمد بوشنابي: مرجع سابق، ص 558.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ونفس الشيء مع خديجة بنت عمار، التي رفعت دعوة قضائية ضد ورثتة زوجها والمتمثلين في شقيقته فاطمة بنت الرايس وإبني عمه عبد الرحمان بن علي ومحمد بن إبراهيم، الذين رفضوا منحها حقها من الميراث فأمرهم القاضي بإعادة تقسم التركة وفقاً لما جاء في الشريعة الإسلامية¹.

وما قامت به فاطمة بنت شعبان زوجة محمد بن علي، التي كلفت المكرم محمد شاوش بن مصطفى للدفاع عنها في المحكمة أمام أقرباء زوجها محمد وسالم الذان رفعا دعوة قضائية ضدها للمطالبة بحقوق ضررتها الزوجة الثانية مريم بنت أشكير، ليتخذ القاضي قراراً بعد تأكده من صدق المدعيان بوجود ضرة فوافق على منح الزوجة الثانية حقها من الميراث²

وقامت نفيسة بنت علي خوجة زوجة الحاج محمد خوجة بن مصطفى برفع دعوة قضائية ضد ورثت زوجها الحاج محمد خوجة بن مصطفى، الذين رفضوا تسليمها حقها من التركة كاملاً³.

وهناك امرأة أخرى لجأت إلى القاضي تطلب منه إجبار أخوها لمنحها حقها كاملاً من الميراث مثلما حدث مع طومة بنت محمد البرادعي، التي رفعت دعوة قضائية ضد أخيها الحاج علي الذي إهتمته بأنه أخفى جزءاً من تركة والدها ورفض تقسيها وإحتفظ بها لنفسه ووكلت زوجها محمد الفخار ليتولى القضية نيابة عنها وانتهت القضية بأن فند القاضي إدعاءاتها وأنصف أخوها⁴.

وقد تتنازع نساء الأسرة الواحدة على الميراث، مثلما حدث مع مريم وفاطمة وأسية، ورثة مصطفى خوجة، ضد عائشة ونفوسة، ابنتي محمد خوجة، حول قضية الإرث. وكلا الطرفين قاما بتعيين وكيل ينوب عنهن؛ فالطرف الأول عين محمد بن يوسف، وزوج عائشة، والذي كان وكيل حرج، والطرف الثاني عين الفقيه العالم محمد بن العالم محمد سيدي علي بن مريم، وسانده زوج نفوسة عثمان يولدش⁵.

ولكن الغريب في القضايا الميراث المطروحة أن هناك من قاضت أمها في الميراث، مثلما حدث مع مريومة بنت محمد قاضي الحنفية، التي قاضتها ابنتها فاطمة، التي أنكرت بأن لأمها دينا قدره 500 دينار

¹ - علة 1/26، الوثيقة 177/10، نقلاً عن لطيفة حمصي: مرجع سابق، ص 13.

² - م ش ع 141 و 54، نقلاً عن محمد بوشناي: مرجع سابق، ص 585.

³ - علة 2/37، وثيقة 1749/5م، نقلاً عن لطيفة حمصي: مرجع سابق، ص 13.

⁴ - م ش ع 7، م 1، ق 12، سنة 1179هـ، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 669.

⁵ - م ش ع 44، م 2، ق 27، سنة 1149هـ. نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 667.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

ذهب سلطانيا على ابيها المتوفي ،وبعد عرض القضية على القاضي انتهى الأمر بمنح الأم ثلاثين دينار فقط ،بالإضافة الى حصولها على حقها من الميراث ¹ .

6-قضايا الوقف والهبة والوصية:

رفعت امرأة دعوة قضائية ضد عمها ،مثلما حدث مع خديجة بنت عدي ،التي رفعت دعوة قضائية ضد عمها مصطفى الانجشاري لأنه رفض أن يعيد لها هيبتها المتمثلة في ثلث حوش في دارها بوطن بني مسوس ،والتي كانت قدمتها له منذ ثلاثة أشهر،ولكن القاضي رفض طلب المرأة في التراجع على هيبتها ² .

ومن قضايا الوقف قضية ياسمينه ،التي توجهت إلى القاضي للمطالبة بابطال الوقف الذي قام به والدها بمنحه لعمتها والممثل في منحها علوي وإسطبل لكن القاضي أصدر اثبات صحة الوقف ³ . إن جرأة والحرية التي منحت لبعض النساء المدينة جعلها تعارض قرارات والديها فيما تعلق بالقضايا المالية مثل الوقف واذلك بتوجه إلى المحاكم مثلما فعلت ياسمينه مع والديها التي عارضت وقفه على عمتها .

وهناك من حاولت ابطال وقف زوجها مستعينة بالقضاء ،مثلما حدث مع يمونة بنت الحاج أحمد برميل ،التي حرّمها زوجها من وقف كان اوقفه على نفسه وأبنائه فكلفت ابن اخيها الحاج أحمد شعبان لمقاضاة زوجها وإلغاء وقف زوجها ولكن القضاء اثبت صحة الوقف ⁴ .

وقضية أمنة ابنة حسين البابوجي ياباشي ،التي بعد وفاة ابيها إتجهت إلى القاضي لينصفها أمام عمها محمد بلكباشي وأختها من الاب اللذان إتهمها بتحويل هبة استفادت منها إلى وقف ⁵ .

¹ - م ش ع 11 ،م 3 ،ق 41 ،سنة 1209 هـ . نقلا عن خليفة حمّاش:مرجع سابق، ص 173.

² - م ش ع 26 / 2 ،م 4 ،ق 3 ،سنة 1171 هـ . نقلا عن خليفة حمّاش :مرجع سابق، ص 669.

³ - م ش ع 39 ،م 3 ،ق 34 ،سنة 1216 هـ . نقلا عن خليفة حمّاش :مرجع سابق، ص 828.

⁴ - م ش ع 14 / 2 ،م 6 ،ق 15 ،سنة 1087 هـ . نقلا عن خليفة حمّاش :مرجع سابق، ص 829.

⁵ - م ش ع 6 و 5. نقلا عن لطيفة حمصي :هيئة الإفتاء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني " قراءة في وثائق المحاكم الشرعية مجلة العلوم الانسانية جامعة قسنطينة ،سنة 2014 م ، العدد 42 ، ص 6 هامش ص 25.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

وقد يستغل الوصي ثقة الأسرة به وخاصة المرأة فيعرقل عملية تقسيم الارث وفقا لهواه ولكن هناك من النساء من كانت تتفطن لهذا الاستغلال فتطالب بحقها مثلما حدث عائشة بنت الرايس سعيد الجيجلي زوجة الحاج محمد السمان بن إبراهيم ، التي رفعت دعوة قضائية ضد محمد بن يوسف بن يخلف الذي عين وصيا على أولادها حسن وعزيرة¹.

ومن القضايا التي توجهت بها المرأة إلى القضاء الجزائري قضية الميراث، فهذه عائشة بنت العالم الحاج النيار مفتي الحنفية، التي أوصى لها أبوها قبل موته بملكية الطابق العلوي والسور، ولكن زوجة أبيها حسنى بنت مصطفى، التي تكفلت بعد وفاته على تسيير ممتلكاته بفضل الوكالة التي منحها لها و مع محمد بن الحاج مصطفى، الذي عينه وصيا على أختها من الأب أنكرا ماجاء في الوصية وإكتفتا بمنحها الطابق العلوي دون السور، فقامت البنت بمقاضاة زوجة أبيها والوصي على أختها أمام القاضي وعينت لنفسها موكلا يدافع عنها للحصول على حقها وبعد إنصات القاضي للمتخاصمتين ، قام بإنصاف المظلومة ومنحها حقها الشرعي².

7- المرأة والقضايا العقارية :

7-1- قضية الملكية :

تعتبر من القضايا العقارية، التي كانت تجبر المرأة على التوجه إلى المحكمة، ضياع ملكية عقار خاص بها، مثلما حدث مع نفوسة بنت الحاج أحمد، التي ضاعت ملكية حانوتها الواقع قرب الحمام المالح. وبعد طول بحث وتفتيش واستحالة العثور عليها، لجأت إلى القضاء للحصول على ملكية جديدة، ولأنها منعت أو رفضت مواجهة القاضي لعرض قضيتها، فقد وكلت إبراهيم الإنجشاري ليتولى عرض قضيتها. وبعد استماع القاضي لشاهدي العدل اللذين استدعاهما لإثبات صحة كلام إبراهيم الإنجشاري وملكية موكلته للحنوت، أكدوا على امتلاكها له عن طريق شرائه من أحد التجار: "...الابتياح صحيح والثلث

¹ - علة 1/26 وثيقة رقم 1768/5 نقلا عن لطيفة حمصي: مرجع سابق، ص 13.

² - لعلة 38، وثيقة 6، 1733، نقلاً عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 658. وينظر: عائشة غطاس: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني، مرجع سابق، ص ص 4-8.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

مقبوض، وهو في حوزتها واستغلالها، وحتى الآن الثبوت التام...¹ . وبناءً على هذا، قدمت لها المحكمة ملكية جديدة لحانوتها.

والقضية الثانية: تمثلت في النزاع الذي كان بين أمنة بنت محمد الانكشاري وخديجة بنت الحاج يوسف حول ملكية حانوت، فقامت كل واحدة منهما بتوكيل شخص يدافع عن قضيتها في المجلس العلمي بالجامع الأعظم، فكلفت أمنة زوجها أحمد خوجة وكلفت خديجة حسين التركي، وانتهى القضية لصالح خديجة لكن أمنة رفضت الحكم، وطلبت من زوجها أن يطعن في القرار ورفعت القضية للداي عبد باشا، الذي اصدر نفس الحكم².

ومن أغرب قضايا الملكية التي دفعت بالمرأة للذهاب إلى المحكمة قضية إثبات ملكية كل أثاث البيت لزوجها مثلما حدث مع موني بنت عبد الله، التي ذهبت إلى المحكمة برفقة جارها قائد الزبل محمد بن أحمد كشاهد على كلامها، وتمثلت قضيتها في إخبار القاضي بأن كل محتويات بيتها من أثاث وغيره ملكا لزوجها أحمد ياباشي: "...لادينار ولادرهم ولامصوغ ولا موضوع ولا مودع ولا مفروش ولا ملبوس ولا نحاس ولا فخار ولا غير ذلك وأن جميع ما في بيته فهو له ولا حق لها معه في ثمن ولا مثمون ومن ماله الخاص به إتباع جميع ذلك وأبرأته من جميع ذلك إلا براء العام البراءة الثانية لاتعقبها مطالبة وقيام ولا نزاع ولا خصام طال الزمن أو قصر بوجهه ولا حال..."³.

ومن نساء المدينة من رفعت دعوة قضائية ضد زوجها؛ فهناك امرأة سلبها زوجها كل ممتلكاتها، مثلما حدث مع زهرة بنت إبراهيم، التي رفعت دعوى قضائية ضد زوجها عمر معزول أغا، الذي سلبها ممتلكاتها. تعود أحداث القضية إلى قيام زهرة بتوكيل زوجها للإشراف على تسيير ممتلكاتها المتمثلة في مجموعة أراضٍ وحيوانات من أبقار وغنم وخيول، ومحاصيل زراعية، وعمال، واستلام ثمن كراء بعض ممتلكاتها التي حصلت عليها من أجدادها عن طريق الحبس. ولكن الزوج، قبل سفره، قام ببيعها بعد عجزه عن العثور على من ينوبه أثناء فترة غيابه للعناية بها، ولم يستشرها واتخذ قراره منفردًا. لم تسكت

¹ - م ش ع 99-100 و46، وينظر م ش ع 99-100 و17. نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 658.

² - م ش ع 27 / 2 و38. وينظر لطيفة حمصي: مرجع سابق، هامش 33 ص 93.

³ - م ش ع 58 و42. نقلا عن محمد بوشنافي: مرجع سابق، ص 644.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

الزوجة على ذلك، بل رفعت دعوى قضائية ضده ليرتم استدعاؤه إلى المحكمة ليسترجع للمدعية حقها. وعند امتثال الزوج أمام القاضي والاستماع لشكوى زوجته، دافع عن نفسه ونفى اتهاماتها، وذكر أنه قد سلمها ثمن ممتلكاتها التي باعها، والمقدرة بمائة دينار ذهب عينا سلطانياً، في حضور بعض الشهود، لتنفق على نفسها. وقد أثار هذا غضبها، لأنها اعتقدت أن المال هو نفقة تركها لها زوجها قبل سفره، وأصبحت بلا مال، بينما هو احتفظ بما كان يملكه لنفسه، ورفض منحها أي شيء منه.

وبعد صراع كلامي بين الطرفين، قام القاضي برفع الجلسة وقرر ما يأتي:

منح زهرة المائة دينار الواحدة الموضوعة تحت يد الزهرة ومنح جميع شطر العمارة الكائنة بالحوش ملكاً لزهرة، وانتهت القضية برضى الطرفين¹.

وكلفت أندلسية الحاج سيد عبد الله الأندلسي بأن يتولى معاملة تعويض خاصة بيها و التي تم رفعها في المجلس العلمي².

7-2- التراجع على عملية بيع وفسخ للعقد :

سمح للمرأة الجزائرية بممارسة النشاط التجاري من بيع وشراء، ولكنها لم تكن مستقرة في معاملاتها على عكس الرجل الذي تميز بمجدية العمل. فكثيراً ما عُثر على نساء ترددن وتراجعن عن معاملة بيع، مما يجبر المشتري على رفع شكوى ضدها، مثلما حدث مع فاطمة بنت محمد بلكباشي، التي رفع عليها علي بن محمد حسن كولا دعوى قضائية بسبب ندمها على ثمن منزلها الذي باعته عليه، وكانا قد اتفقا عليه مسبقاً، والذي كان مبلغاً بسيطاً أقل من سعره الحقيقي. ولكن ظروفها القاسية التي مرت بها أجبرتها على بيعه بذلك الثمن المنخفض، ومع تحسن ظروفها قررت استرجاع بيتها. وبعد الاستماع إلى الطرفين، أنهى القاضي القضية بتأكيد صحة البيع لصالح علي بن محمد³.

7-3- اللجوء إلى القاضي وكيلا للإشراف على بيع ممتلكاتها:

¹ - م ش ع 28 و6. نقلا عن محمد بوشناني: مرجع سابق، ص 593. ونقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 171.

² - م ش ع 1/ 5 (5)(40). وينظر لطيفة حمصي: مرجع سابق، ص 93.

³ - م ش ع 1 ق 46 سنة 1066 هـ. نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 689.

لجأت الأرملة، التي لم تجد وصياً أو معيناً يشرف على تسير ممتلكاتها، وقد تحتاج إلى مال لسد حاجياتها وربما لعدم وثوقها ببعض أقاربها خوفاً من استغلالهم لضعفها أو السطو على ممتلكاتها، إلى القاضي ووضعت عنده كامل ثقتها، فتوكله أمر بيع ممتلكاتها. وهذا ما قامت به عزيزة أرملة عبد الرحمان الصباغ، التي ذهبت إلى القاضي الحنفي أحمد أفندي ووكلته بالإشراف على معاملة بيع خاصة بها، تمثلت في بيع نصيبها ونصيب ابنها من جنة ورثتها عن زوجها. وافق القاضي على مساعدتها، فكلف أحد السماسرة لتولي عملية البيع في المزاد، فاشترها حسن النجار بن قاسم شاوش بمائة وخمسين دينار ذهبية¹.

8-المطالبة بالتعويض على انعدام الماء في البيت المشتري :

اتجهت فاطمة بنت يحيى إلى القاضي للمطالبة بالتعويض من البائعة فاطمة بنت المغيلي، التي باعت لها بيتا ب1300 ريال دراهم صغار، وليس به ماء رغم وجود بئر إلا انه جاف، ولما أخبرت البائعة بذلك وطلبت منها التعويض على إنعدام الماء، فطلبت منها البائعة إمهالها فترة من الزمن، ولكن خلال هذه الفترة توفيت البائعة، وطلبت ذلك من ورثت البائعة تنكرو لذلك ورفضوا منحها التعويض، وهو ما جعلها تلجأ إلى القاضي الحنفي حتى ينصفها، وهو ماتم حيث حكم لصالح المشتري².

9-قضايا النزاع النساء مع الجيران:

شهدت محكمة مدينة الجزائر مجموعة من القضايا كانت بين النساء، اللواتي لجأن إلى المحكمة رغم بساطة المشكلة بينهن إلا انهن جعلن منها قضية وجب التوجه بها إلى المحكمة وعرضها على القاضي للفصل فيها، تمثلت أحيانا في مشكلة صغيرة بين الأقارب أو الجيران ومن هذه القضايا نذكر:

9-1-قضية المطالبة بالاستفادة من منزلة جيرانها :

رفعت فاطمة بنت محمد، التي كانت قد استأجرت منزلاً بجوار منزل الأخوين الحاج أحمد بن محمد التواتي ومحمد بن سيرين حمزة، شكوى إلى القاضي بعد رفضهما السماح لها باستخدام منزلتهما، رغم علمهما بعدم توفر البيت الذي استأجرته على منزلة. وجاء طلبها مقبولاً خاصة وأنهما قد سمحا سابقاً

¹ - المجموعة 3203 النص الاول من الوثيقة رقم 37 .

² - ع150، م3، ق45، سنة1143هـ . نقلنا عن خليفة حماش :مرجع سابق، ص 488.

الفصل الرابع : مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها بالسلطة القضائية

للمستأجرين السابقين باستخدام المنزل نفسها. في البداية، لم يصدر القاضي حكماً ربما لبساطة القضية، ولكن بعد إصرار المرأة ومطالبتها بحقها، تدخل بعض الأشخاص لإصلاح ذات البين بين الأطراف وتمكنوا من ذلك، فأصدر القاضي حكمه بإجبار جاريها على السماح لها باستخدام المنزل كما كان الحال مع المستأجرين السابقين¹.

ويمكن القول إن إصرار المرأة على الاستفادة من منزلتهم هو تحوفاً من العقوبة، التي قد تتعرض لها في حال رميها للأوساخ قرب بيتها كما رأينا سابقاً لأن السلطات كانت متشددة في مسألة النظافة .

9-2- قضية المرور عبر أراضي جيرانها:

تعتبر مسألة المرور عبر أراضي الجيران أمراً بسيطاً لكن تحولت في بعض الأحيان إلى صراع بين الطرفين مثلما حدث مع أمنة بنت مخلوف، التي إمتلكت أرضاً زراعية من زوجها عن طريق الحبس، ولأن الأرض تحتاج لمن يخدمها، فكانت تتردد عليها مرات كثيرة ، وللوصول إلى أرضها تظطر للمرور عبر أرض جارها إبراهيم بن الطيب ، وشركاؤه أولاد قاسم ،ولكن هؤلاء منعوها من ذلك ولم يسمحوا لها بالمرور عبر أرضها بقولهم : "...ليس لك طريق في بلادنا..." وهو ما أدى إلى تدميرها وخاصة وأن هذا الممر يعتبر ممراً مختصراً ويسهل لها عملية الوصول إلى أرضها ،مما جعلها ترفع شكاواها للقاضي لحنفي ،ووكلت محمد بن خلفون لينوب عليها في المحكمة وبعد طرح القضية ،وحضور المتهمين وبعد السماع لتصريحاتهم وسبب الرفض ،وبعد معاينة للأرض والممر ،الذي تسلكه المرأة أصدر القاضي حكماً ينصف المرأة ويسمح لها بالمرور عبر أرضهم².

9-3- مشكلة حدود أرضها مع جيرانها :

اتجهت حنيفة بنت سعيد ورفعت دعوى قضائية ضد محمد بن قدور بشأن الحدود المائية للبحيرة الواقعة بين أرضيهما، حيث ادعت تجاوز محمد بن قدور للحدود المتفق عليها. فقام القاضي بإرسال لجنة تحقيق إلى المكان للتحقق من صحة ادعاءاتها، وبعد معاينة الموقع، أرسلت اللجنة تقريرها الذي نفى صحة

¹ - م ش ع 95، و20. نقلا عن محمد بوشنافي :مرجع سابق، ص598.

² - م ش ع 1/ 26، و6. نقلا عن محمد بوشنافي :مرجع سابق، ص 601.

ادعاء المرأة، فصدر عن القاضي القرار القائل: «...إن الزيادة التي ادعت حنيفة بنت سعيد لا أساس لها وغير صحيحة...»¹.

10- قضايا سرقة الأغراض (الأواني) :

من القضايا البسيطة، التي كان يمكن حلها وديًا دون اللجوء إلى المحكمة، ما يتعلق بالأواني، كما حدث بين امرأتين حول سرقة مرجان، وهو ما يعكس الوضعية المعيشية الصعبة لبعض الأسر الجزائرية، التي دفعتها للمطالبة باسترجاع أي ممتلكات حتى ولو كانت بسيطة. فقد لجأت نادية، معتقة حسين باشا، إلى المحكمة لتقديم شكوى ضد فطيمة الطيابة، معتقة حسين الرديس، التي اتهمت بسرقة مرجان كانت قد أعطيت لها للاحتفاظ به. عندما حاولت نادية استرجاعه أنكرت الطيابة هذا، وأصررت على موقفها، مما أدى إلى الصراع بينهما. فأمر القاضي كل واحدة بأداء القسم؛ حلفت الطيابة بأنها أعادت المرجان، بينما رفضت نادية أداء القسم، فبطل القاضي إدعاءها².

11- إعلان التوبة أمام القاضي :

لجأت بعض نساء المدينة اللواتي إشتهرن بتصرفات اللااخلاقية إلى القاضي لإعلان التوبة ومعرفة الكفارة، التي يقومون بها لتكفير عن أفعالهن السابقة مثلما فعلت فيفي بنت السيد محمد بن الهطار التي توجهت إلى المحكمة لإعلان توبتها أمام القاضي عن ممارستها للخنا " ...أشهدت ...أنها تابت لله الواحد القهار كما صدر منها من الخنا... " ³، وكذلك الحال بالنسبة لخداوج بنت محمد باش طبحي، التي تعهدت أمام القاضي على توقفها عن هذا العمل خوفا من عذاب الله " ...لارجوع إليه خوفا من الوعيد... " وهذا دليل على ثقافتها الدينية، ونفس الشيء بالنسبة لخيرة بنت السيد أحمد والولية حاوة بنت محمد بن الزرقة وغيرهن من نساء المدينة⁴.

¹ - م ش ع 11، م 1، ق 9، سنة 1136 هـ . نقلا عن خليفة حماش: مرجع سابق، ص 169.

² - م ش ع 79 و 7. ينظر محمد بوشنافي: مرجع سابق، وينظر خليفة حماش: مرجع سابق .

³ - م ش ع 14 و 194. ينظر محمد بوشنافي: مرجع سابق.

⁴ - م ش ع 14 و 95 وينظر م ش ع 14 و 99 وينظر م ش ع 14 و 98. ينظر محمد بوشنافي: مرجع سابق.

12-المواجهة بين النساء والعلماء في المحاكم :

كان للعلماء في مدينة الجزائر مكانة مرموقة ومقدسة، واستفادت بعض النساء من هذه المكانة بوقف ممتلكاتهن على العلماء. لكن أحياناً كانت النساء يتراجعن عن قرار الوقف، كما حدث مع فاطمة بنت علي بجنين، التي قامت بوقف حانوت ودار تملكهما علي الفقيه أبي زيد عبد الرحمان بن الولي الصالح الشيخ بيري محمد الفرجاني، ثم تراجعت عن قرارها. رفض الفقيه إعادة الوقف، فرفعت فاطمة القضية إلى المحكمة لمعرفة موقف القضاء. فوكل الفقيه علي الخياط للحضور نيابة عنه، ربما خشية أن تمس سمعته بمواجهة امرأة في المحكمة، بينما وكلت فاطمة حاج علي الانجشاري بن قاسم. بعد الاستماع للطرفين، صدر الحكم القاضي بأنه: «لا سبيل للمحبسة المذكورة إلى نقضه وإبطاله»، ليؤكد ثبات الوقف وعدم جواز إلغائه¹.

¹ - خليفة حمّاش: مرجع سابق، ص 245.

وختلاصة القول:

- اهتمت المرأة بالجانب الصحي، ولهذا أوجدت لنفسها مجموعة من الطرق العلاجية والأدوية منها ماكان من الطبيعة ومنها ما استعانت بالقوى الغيبية لقضاء حاجتها .
- لم تحظ أغلب نساء المدينة بالتعليم وذلك راجع لسياسة أسرهم التي فضلت مكوث البنات في البوت وتهيأتهن للحياة الزوجية بدلا من الدراسة ومع ذلك ظهرت بعض مجالس العلمية، خاصة بالنساء وبرزت نساء في هذا المجال عرفن بإسم القارية وغيرهن.
- أن بعض نساء المدينة حاولن البروز في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية ولكن بروزهن كان ضعيفا مقارنة ببعض نساء بايلكات الايالة أو مختلف الايالات الأخرى .
- ساهمت بعض نساء المدينة في بعض القرارات السياسية بطريقة غير مباشرة كعزل البايات وقضية الأسرى وغيره، ولم تكن المرأة محرومة من الدفاع عن حقوقها في المحاكم فسمح لها بالذهاب بنفسها أو توكيل من تثق فيه.

خَاتِمَةٌ

توصّلت في ختام هذه الدراسة إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات، يمكن أن

أوجزها فيما يأتي:

- عرف مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني تنوعاً في تركيبته السكانية (الأتراك العثمانيون ، الكراغلة، الأندلسيين ، فئة البرانية ، أهل الذمة)، مما أهلها لأن تحتل مكانة خاصة في الفضاء المغاربي خلال العصر الحديث، وبذلك كانت محل اهتمام العديد من الباحثين، وقد ساهم تنوع السكان في انتعاش وازدهار؛ شمل مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية بالمدينة ، مما جعلها مركز استقطاب للسكان؛ باعتبارها عاصمة البلاد.

- اتخذ المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني شكلاً هرمياً احتل الأتراك العثمانيون قمة الهرم الاجتماعي، حيث كانوا يحظون بمكانة هامة؛ باعتبارهم العنصر الحاكم في البلاد، ونتيجة للمصاهرات بين الوافدين والسكان المحليين، نتجت فئة جديدة، تمثلت في الكراغلة الذين كان لهم مكانة وتأثير في مختلف مجالات الحياة.

- استقبلت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني عناصر دخيلة، ومع مرور الوقت أصبحت تشكّل نسقاً اجتماعياً مهماً داخل تركيبته السكانية، غير أننا لاحظنا غلبة العنصر الحضري، وما تجدر الإشارة إليه ظاهرة التعايش بين مختلف الفئات.

- لاحظت الباحثة تنوع أزياء ومساكن مدينة الجزائر بتنوع التركيبة الاجتماعية، فظهرت المساكن والأزياء العثمانية والأندلسية... الخ.

- سجلت من خلال البحث؛ تنوع نساء مدينة الجزائر العثمانية، من نساء مسلمات ونساء ذميات وأسيرات ومعتقات، وحظيت المرأة الجزائرية؛ سواء كانت مسلمة أو ذمية أو أسيرة أو معتقة بمكانة أسرية هامة، وتمثلت في تمتعها بمختلف حقوقها.

- اهتمت المرأة الجزائرية بأناقته وجمالها وتفننت في طهي مختلف الأطباق، كما سمح لها بالترفيه عن نفسها بالاستمتاع بالموسيقى والرقص وغيره. واستفادت من حقها في الإرث والوقف وغيره، ولكن لا ينفي وجود نساء تعرضن للعنف الأسري.

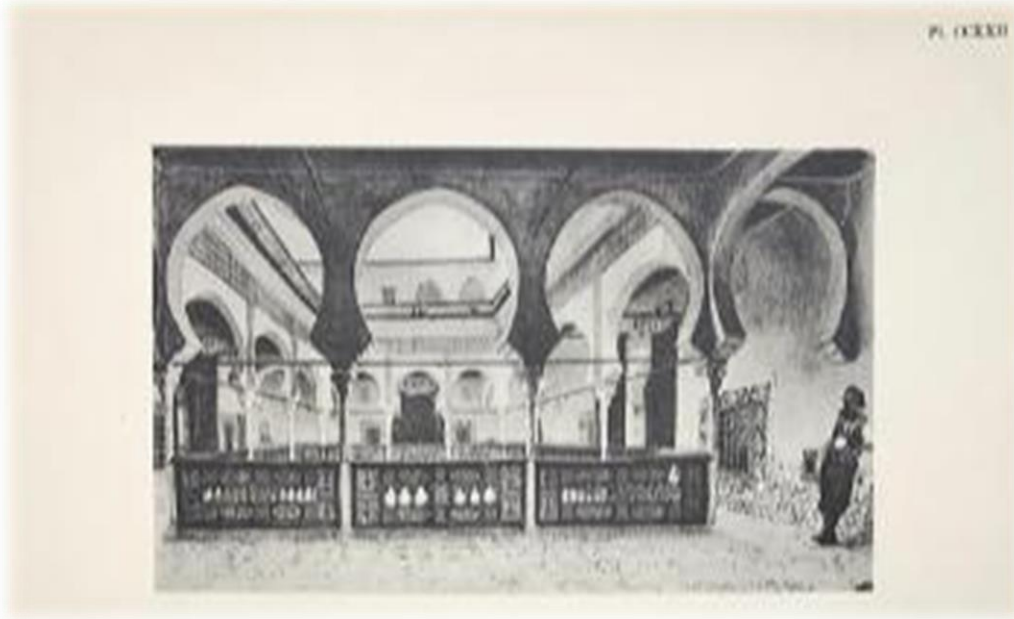
- كان للمرأة نصيب من الراحة، حيث يذهبن إلى الحمام كل أسبوع، بالإضافة إلى زيارة الصديقات والأهل، وكذا التبرك بالأولياء وزيارة المقابر والأضرحة، وحضور الحفلات والأعراس والختان، لكن لا يمكن أن نغفل أنه كان لها دور كبير في استقرار الأسرة.
- حظيت المرأة الأسيرة في مدينة الجزائر العثمانية بكل حقوقها، ولم تجبر على التخلي عن دينها، وسمح لها بالدفاع عن نفسها من سيدها عن القاضي الذي أنصفها في حالة كونها مظلومة.
- تأكد الباحثة بأن فئة المعتقات كانت تسعى للتغلغل في المجتمع والاندماج في طبقاته، بالرغم من أن تصنيفها كان من الطبقات الدنيا، وظل طموحها من الأمور الصعبة في ظل مجتمع المدينة الذي تميز بخصائص الطبقة والطائفة الصارمة.
- رغم سياسة التحفظ التي تميزت بها الأسرة الجزائرية في مدينة الجزائر، والتي تميزت بمنع المرأة من الخروج من البيت، إلا أنه ظهرت نساء مارسن العمل خارج بيوتهن، مثل الناظرة و معلمة حمام وغيره... الخ.
- رغم معارضة بعض العلماء وبعض الأسر الجزائرية في مدينة الجزائر لتعلم المرأة الجزائرية، إلا أنه ظهر علماء دافعوا عن حق المرأة في التعلم، فشهدت المدينة ظهور بعض المجالس العلمية للنساء، وبعض النساء المثقفات في المجال الفقهي والافتاء وغيره.
- ساهمت المرأة المسلمة في مدينة الجزائر العثمانية في بناء وتنمية المجتمع ولم تبخل بما تستطيع فعله من أجل ذلك، وكان لها دور كبير في ترسيخ قيم التكافل والتضامن أسوة في ذلك بدور الرجل. ويدل هذا الاهتمام على أن الأوقاف كمؤسسة مستقلة إداريا وماليا نالت ثقة المحسنين، وظلت تمارس دورها الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع تارة بالاستناد إلى توصيات الموقفين وتارة بالتصرف في ممتلكاتها بطرق استغلال متنوعة كالكرام والاستئجار وغيرها من أشكال الاستغلال، مساهمة بذلك في إرساء قيم التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع.

- تعتبر العادات والتقاليد من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر العثمانية، وهي تجسد لنا مختلف الأعمال والأمور اليومية الممارسة بشكل دائم، وتمثلت الاحتفالات الدينية كالمولد النبوي وشهر رمضان وكذا العيدين الفطر والأضحى، وكذا الاحتفالات الاجتماعية كالأعراس والختان وغيرها.
- ساهمت بعض نساء المدينة الجزائر في تنشيط الحركة الاقتصادية لمدينة الجزائر، من خلال ممارستها لبعض الصناعات الحرفية التي كانت تتقنها، مثل صناعة الطرز، النسيج، الخياطة، وصناعة الحلويات، فقد أبدعت فيها وساهمت خلالها في توفير حاجياتها وإعانة عائلاتها.
- ساهمت المرأة الجزائرية في تطوير المجال الصحي بمدينة الجزائر، وذلك من خلال الطرق الوقائية المطبقة من طرفها والأدوية التي صنعتها، كما ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية بالمدينة من خلال تبرعاتها للمؤسسات التعليمية، من أجل إنجاح العملية التعليمية.
- وبالنسبة للحياة الدينية، فقد كانت المرأة محبة للخير، حيث قامت بالعديد من المشاريع الخيرية، نذكر منها مساهمتها في ظاهرة الوقف التي عرفت انتشارا واسعا في مدينة الجزائر العثمانية، وتجلي ذلك في حبس ممتلكاتها الخاصة لصالح المنفعة الخاصة والعامة، وهذا دليل على حبها للخير والحرص على تشجيعه، وإدراكها للعمل الخيري وما يجنيه من آثار إيجابية.
- يبدو أن المرأة في مدينة الجزائر العثمانية لم تصل إلى مناصب سياسية ووظائف إدارية عليا، لكنها ساهمت في توجيه عدّة قرارات بشكل إيجابي أو سلبي، فأثرت على أزواجهن في بعض المواقف، بالرغم من محاولات بعض الرجال السياسيين لإبعاد المرأة عن الحياة السياسية، ولعل مرد ذلك هو تأثيرها على فكر الرجل.
- لاحظت الباحثة ظاهرة الزواج السياسي بين زعماء القبائل وأصحاب النفوذ، وكذا الكراغلة مع الحكام العثمانيين، والذي كان الهدف منه هو تحقيق أهداف عسكرية وسياسية بعيدة الأمد، ولضمان ولاء وبقاء الحكام العثمانيين للسلطة بالجزائر.

- رغم أن السلطة السياسية بمدينة الجزائر سلطة رجولية ، إلا أن بعض النساء تمكّن من فرض وجودهن في المجال السياسي، خاصة في مرحلة الدايات ، وذلك بالتدخل بطريقة غير مباشرة في بعض القضايا الحساسة ؛ كقضية تعيين وعزل البايات، وقضية الأسرى... الخ. كما سمح للمرأة الجزائرية بالمطالبة بحقوقها في المجالس القضائية وحتى عند الدايات.

وفي الأخير، فإنه يمكن القول أنّ ما توصلت إليه في هذه الدراسة من ملاحظات واستنتاجات لا يضع حدا لدراسة موضوع المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر العثمانية، بل يجب تدعيمها بدراسات أخرى. ولعل باحثين آخرين يوفون حقه من الدراسة والتعمّق أكثر بما يعثرون عليه من وثائق جديدة.

المَلَا حِق



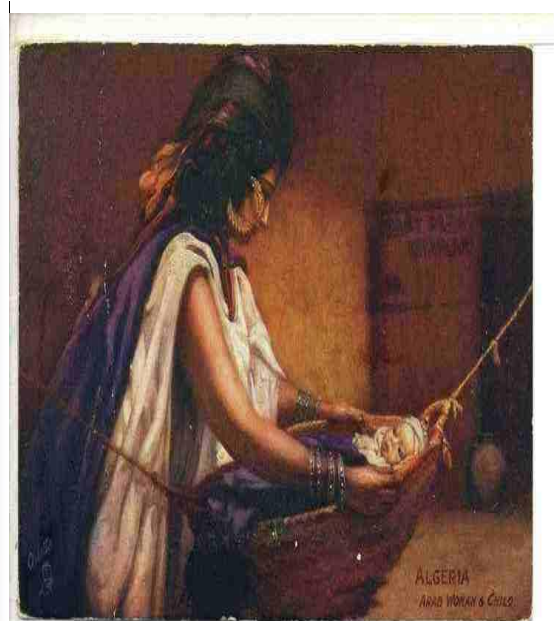
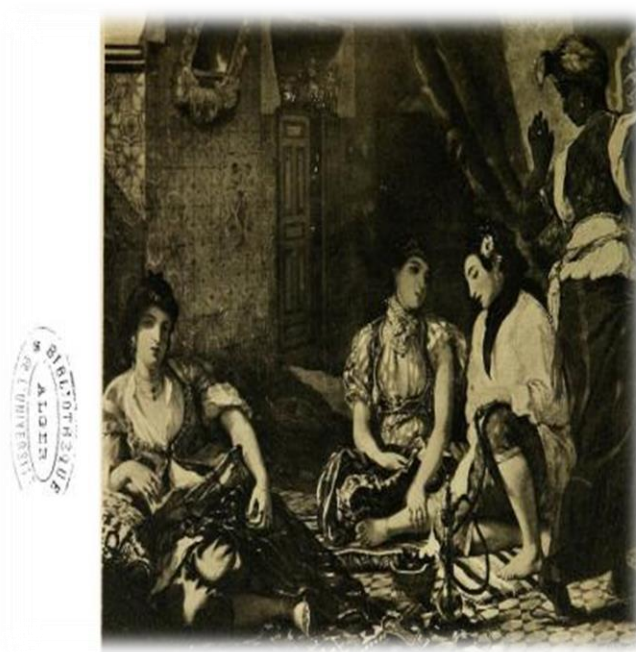
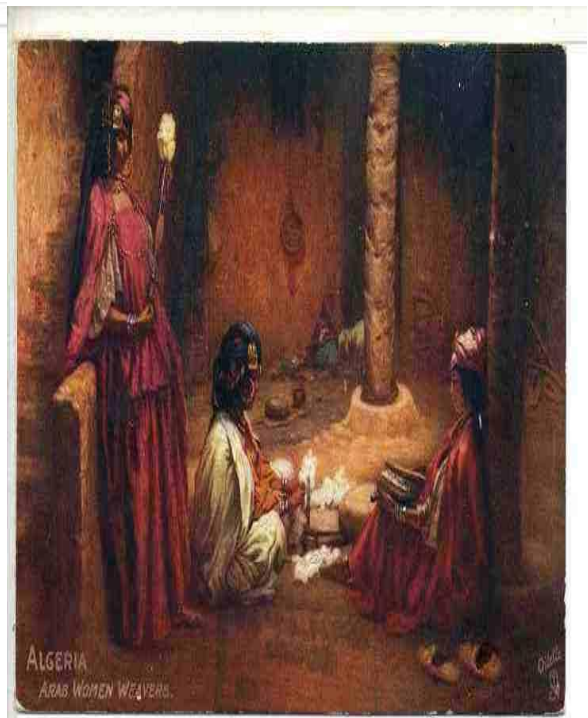
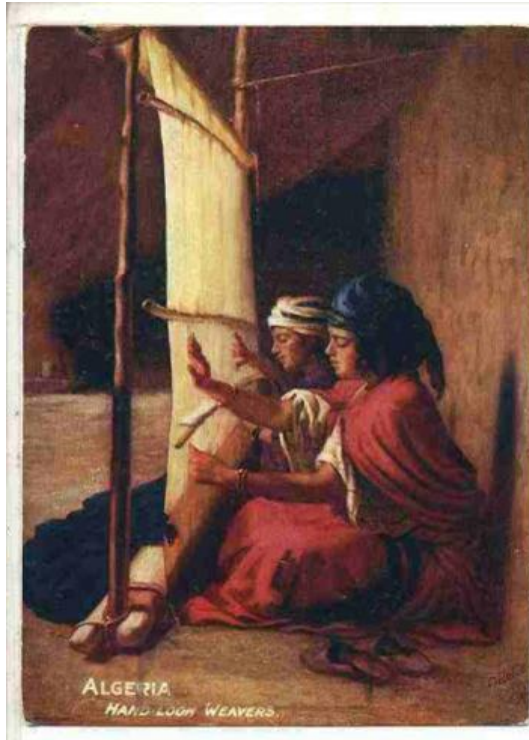
¹- Cabrielesquer:Iconographie Historique De L'algerie Depuis Xvle Siecle Jusqu'à 1871. Librairie Plon Mcmscix.Paris Et Georges Marçais:Le Costume Musulman D'alger.Opcit

الملحق رقم 02: صور تمثل لباس الرجال في الجزائر خلال العهد العثماني¹



¹- Georges Marçais:Le Costume Musulman D'alger.Opcit.Pp9-15-35-37-47-49-51-59

الملحق رقم 03: صور تمثل يوميات المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني¹



¹- Georges Marcas:Le Costume Musulman D'alger.Opcit.Pp117.109

الملحق رقم 04: صور تمثل لباس المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني¹



BIBLIOTHÈQUE
ALGER
L'UNIVERSITÉ



BIBLIOTHÈQUE
ALGER
L'UNIVERSITÉ

¹- Georges Marcais:Le Costume Musulman D'Alger.Opcit.Pp61-67-71-73-75-83-85.

الملحق رقم 05: صور تمثل لباس المرأة في الجزائر خلال العهد العثماني¹



¹- 93-97-109-107. Georges Marçais: Le Costume Musulman D'Alger. Opcit. Pp85

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والمدن
- فهرس القبائل والجماعات
- ثبت المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات.

فهرس الأعلام:

- (أ) إبراهيم بن الهجالة: 63.
 أحمد باي: 221-219-166-75
 392-381-366
 أرناؤوط مامي: 384.
 أمنة بنت الحاج مصطفى جرادو: 375.
 أمنة بنت خليفة 226
 أمنة بنت مراد قورصو 279.
- (ب) بابا حسن باشا 64-385.
- (ت) تيدنا: 333.
- (ج) جنات بنت الحاج محمد بن سالم الأندلسي 66.
- (ح) الحاج مصطفى الأندلسي بن عمر 64
 حسن بن خير الدين 386.
 حسن خوجة بن مصطفى 63.
 حفصة بنت سي محمد 330.
 حفصة العليجية 218.
 حمدان خوجة 352-157.
- خ
 خداوج بنت حسين الخزناسي 64
 خداوج العمياء 65-64
 خير الدين بربروس 379-378-342
 392.
- (ز) راضية: 342-339-312-224
 409-356
 زهراء بنت حمو 67.
 زهرة باي 375.
 زهراء بنت عبد الله الفهري 336-216-121.
- (س) سحابة الرحمانية 376.
 سافرة 382
 سالم التومي 382
 سلطانة: 295-213-68-63-56.
- (ش) شريف الزهار 307-153.
- (ص) صايمة: 384-372.
- (ط) طيطومة 400-312-67-43.
- (ع) عروج بربروس 388-387-378.
 عزيزة 155-147-129-93-75-68-60-44
 279-278-274-226-217-185-160
 312-310-309-307-305-301-282
 362-361-355-349-346-343-314
 415-412-405-396-381
 عليجية بنت بوعزيز 360.
 عليجة بنت محمد 125.

ف

فاطمة إبنة الأغا 374-384. مسعودة 44-80-220-221-223-225.

فاطمة بنت الحاج محمد 62-69-375. ميمونة 126.

فاطمة بنت علي رايس 120.

(ن)

(ق)

قامير 38-43-67-70-169-186. نفيسة بنت عبد المؤمن 61-300.

310-304-299-294-247-188

(ي)

يحيي أغا 164-219-221-223-226. 344.

يمونة 50-89-181-251-286-307. قادن: 43-150.

411-348-347-344-335-312-308. (ل)

يوسف 43-44-61-67-68-70-71. لونة بنت يوسف 313.

315-132-129-93-74. ليمونة: 163.

فهرس الأماكن والمدن

(أ)

إسبانيا 31-40-156-191-229-368-376. تونس 8-14-31-152-278-293.

384. 389-384-377-372-348-335

إيطاليا 14-32-332. 392.

(ج)

(ب)

جربة 28-67-152. باب الواد 20-258-263-303.

جيغل 26. باب عزون 20-24-261-303-310-332-343.

(ح)

397.

حي البحرية 13. بجاية 234.

(ز)

برتغال 351-375.

زيان 24. بوزريعة 20-50-62-258-265-378.

(س)

379.

سبع عيون 262-263.

(ت)

سودان 27-28-120-239. تركيا 12-72-97.

تلمسان 109-289-386.

الفهارس

(ص)	صحراء 22-27-360.
(ض)	ضريح سيدي علي الفاسي 226.
	ضريح عبد الرحمان الثعالبي 257-259.
(ط)	طنجة 28-153.
(ع)	عناية 234-395.
(ف)	فاس 28.
	فرنسا 376.
(ق)	قسطنطينة 65-230-360-366.
	380-393.
	قصبة 20-59-65-68-70.
	114-269-310-347-394.
	قصر خداوج العمياء 64.
	قصر الداوي 22-94-394.
	قصر عزيزة 65-66.
(ل)	ليفورنو 32.
(م)	مدينة الجزائر 12-14-15-16-18-19.
	20-21-22-23-30-31-35-42.
	43-44-51-52-54-55-59-234.
	235-317-318-320-378.
	مغرب الأقصى 28-29-152-376-386.
	387.
	مصر 325.
(و)	وادي ريغ 25.
	واد سوف 25.
	ورقلة 27.
	وهران 44-362-365-381.

فهرس الجماعات والقبائل

(أ)	أتراك 12-13-16-18-31-32-33
(ب)	بسكرة 24-130-220-269
(ج)	جزائريون 229-230-233
(د)	حنانشة 362
(هـ)	زنوج 27-28-261
(و)	أعلاج 13-14-15-17-76
(ز)	أغواطيون 24-268
(ح)	أشرف 18-20-21-147-155
(ط)	أمازيغ 18-25-97
(ث)	أندلسيون 19-20
(ج)	العثمانيون 15-31-40-125-147-149
(د)	العرب 21
(هـ)	القبائل 25-26-37-38-303
(و)	كراغلة 16-17-33-148
(ز)	كراغلة 16-17-33-148
(ح)	مسيحيون 13-14-30-31
(ط)	نايلي 37-221-398
(ث)	اليهود 31-191-253-349
(ج)	151-153-378-379-380
(د)	101-99-98-58-50-45-36-35
(هـ)	152-151-150-148-119-102
(و)	318-317-289-245-240-222
(ز)	364-361-360-323-322-321
(ح)	398-378
(ط)	154-151-149-148
(ث)	268-24
(ج)	155-147-21-20-18
(د)	97-25-18
(هـ)	20-19
(و)	24-130-220-269
(ز)	25
(ح)	22-23-221-366
(ط)	21-388
(ث)	229-230-233
(ج)	362
(د)	27-28-261

ثبت المصادر والمراجع

● ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: الوثائق الأرشيفية

01- سجلات البايلك (الأرشفيف الوطني الجزائري ببئر خادم)

- 1- علبة 36، سجل 343 (1811-1813)، سجل يتضمن رواتب رجال الدين.
- 2- (1769)-سجل بيت المال 10.
- 3- (1818)-سجل بيت المال 08.
- 4- (1818)-سجل بيت المال 09.
- 5- (1822)-سجل بيت المال 09.
- 6- (1824)-سجل بيت المال 09.
- 7- (1826)-سجل بيت المال 11.
- 8- (1831)-سجل بيت المال 23.
- 9- (1837)-سجل بيت المال 56.
- 10- (1818). سجل بيت المال 02.

02- سجلات المحاكم الشرعية (الأرشفيف الوطني الجزائري ببئر خادم)

1. علبة 10، رقم الوثيقة 14
2. علبة 28، رقم الوثيقة 41- (37 ف)
3. علبة 34، رقم الوثيقة 15
4. علبة 34، رقم الوثيقة 13- (12 ف)
5. علبة 34، رقم الوثيقة (26) 60
6. علبة 34، رقم الوثيقة (71) 104
7. علبة 34، رقم الوثيقة 142- (33 ف)
8. علبة 34، رقم الوثيقة 148 (130 ف)
9. علبة 47/1، رقم الوثيقة 34 (1 ف)
10. علبة 47-2، رقم وثيقة 11-108 ف

ثبت المصادر والمراجع

11. علبة 47/2، رقم الوثيقة 12- (110ف)
12. علبة 47/2، رقم الوثيقة 13 (113ف)
13. علبة 54، رقم الوثيقة 100- (38ف)
14. علبة 106، رقم الوثيقة 9 (130 ف)
15. علبة 106، رقم الوثيقة 72 (170ف)
16. علبة 21، رقم الوثيقة 33 (50 ف)

ثانيا - المصادر العربية والمعربة:

1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش : تقيدات بن المفتي في تاريخ الباشوات الجزائر وعلمائها، دراسة وتحقيق فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
2. ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق : لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م .
3. ابن حمادوش عبد الرزاق محمد : كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ / 1996م
4. ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/ 2000م.
5. ابن عمار أبي العباس سيدي أحمد: نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتاتة، الجزائر، 1330هـ / 1903م.
6. ابن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
7. أفندي محمد: جنة الكافر، سفير عثماني في باريس سنة 1721م، سفارتنامة محمد أفندي، دراسة وتحقيق بنحادة عبد الرحيم، تقديم خالد زيادة، ط1، منشورات دار أبي رقرق، الرباط، المغرب، 2017م.
8. أوهابسترايت. ج: رحلة العالم الألماني ج. أوهابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ / 1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د ت.

ثبت المصادر والمراجع

9. بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
10. تيرميتلين ماريا: إثنا عشر سنة من الاستعباد رحلة أسيرة هولندية في بلاد المغرب (1731م-1743م)، ترجمة وتقديم: بوشعيب الساوري، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، الامارات العربية، د.ت.
11. الحفناوي أبي القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، ج1، مطبعة بير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ/1906م.
12. خوجة حمدان بن عثمان : المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
13. الزباني أبو القاسم : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق وتعليق عبد الكريم فيلاي، ط2، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1991م.
14. شالر وليام: مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1989م.
15. العنتري محمد صالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة للطباعة، الجزائر، 1999م.
16. العياشي عبد الله محمد: الرحلة العياشية (1661م-1663م)، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان الفرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، 2006م.
17. الفقون محمد بن عبد الكريم : كتاب نوازل قسنطينة، تحقيق وتقديم هواري تواتي وعائشة بلعابيد، دار الزيتون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م.
18. القادري محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ط1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1996م.

ثبت المصادر والمراجع

19. القادري محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1996م.
20. كاتكارت: مذكرات كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
21. كاربخال مارمول: إفريقيا، ترجمة: محمد وآخرون، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1408هـ، 1409هـ/1988 - 1989م، ج2.
22. كربخال مارمول: إفريقيا، دار المعارف الجديدة، الرباط، 1408هـ / 1988م، ج2.
23. ليسبور وويلد: رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق وترجمة محمد جيحلي، دار الأمة، الجزائر، 2002م.
24. المجاجي عبد الرحمان: رحلة المجاجي، دراسة وتحقيق: سعاد آل سيدي الشيخ، مراجعة وتقديم قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، ط1، مركز جمعية ماجد للثقافة والتراث، دبي، 1439هـ/2017م.
25. مجهول: تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الأخيرة، تحقيق مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت، دحلب، د.ت.
26. المقري أحمد: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
27. نيلز نيلسون موسى: أسير نرويحي في مدينة الجزائر (1769-1772م)، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2019م.
28. هايدو فراي ديغو: تاريخ ملوك الجزائر ترجمة: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
29. هاينريش فون مالتسان: ثلاثة سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ط1، دار الامة، الجزائر، 2008م.

ثبت المصادر والمراجع

30. الورتيلاني الحسن بن محمد: نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتيلانية، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
31. الوزان حسن: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م، ج1.
32. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجته مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م. ج2.
33. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجته مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م. ج3.
34. الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجته مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م. ج7.

ثالثا- المصادر باللغة الأجنبية:

- 1- Arveux Chevallier: Mémoires Du Chevalier D'arvieux Mis En Ordre Par Le R.P.Jean Baptiste Labat .Delespine Le Fils.Paris.1735.T5
- 2- Areveux Laurent Chevaleir Mémoire .Paris 1735. T6
- 3- Broughton Elizabeth:Six Ans De Résidence A Alger 1806-1812, Traduit De L'anglais., Par Alain Blondy, Ed. Bouchene, Paris, 2011
- 4- Broughten:Elizabeth Six Years Residence In Algiers .London .Sawnders.1939
- 5- Cano D'Alonso: La Régence d'Alger Au Xviiiè Siècle, Manuscrit Présenté Et Traduit De L'espagnol Par Dr.Ismetterkihassaine, Edition Dar EL Quads, Oran, Alger, 2010 Chanony:Mémoire D'un Voyage En Algérie Et Retour Par L'Espagne . Paris.1853
- 6- Conte Henry :Les Sources Inédites De L'histoire Du Maroc.Archives Et Bibliothèques De France .ERNEST LEROUX Editeur.Paris.1905.T1
- 7- Darenda Emanuel :Relation De La Captivité Du Sieur Emanuel d'Aranda Jadis Esclave A Alger, Jean Mommart Editeur ,Bruxelle1662

- 8- De Castries.H :Les Sources Enédites De l'Histoire Du Maroc.Paris-Madrid.1921-2011.T1
- 9- Desfontaines :Voyages Dans Les Régences De Tunisie D'Alger Publiés Par Bureau Belamall.Paris.Gide 1838 .T 2
- 10- Haédo De Digo :Histoire Des Rois d'Alger .Traduite Annoté H.De Grammont .Adolphe Jourdan Libraire Editeur.Alger.1881
- 11- De Paradis Venture: Alger Ou 18eme Siècle(1788-1790) Présentation Par Abederrahman Rabahi .Alger.Grand Alger Et Note Livres .Alger2006
- 12- Le Baron Baude: L'Algérie .Arthus Bertrand Libraire.Paris.1841.t1.
- 13- Devoulx Albert:Tachrifat . Recueil De Notice Historique Sur L'administration De L'ancienne Régence D'Alger .Imprimerie Du Gouvernement.Alger .1852
- 14- Devoulx .A:Les Edifices Religieux De L'ancien Alger .Bastide.Alger.1870.
- 15- Joao Mascarenhas:Esclave A Alger.Récit De Captivité De Joao Mascarenhas A Alger(1621-1626) Trad Portugais Annoté Et Présent Par Plus Tessier.2eme Editions. Editions Chandeigne Libraire Portugais.Paris.Janvier1999
- 16- Le Père Dan:Histoire De Barbarie Et De Ses Corsaires.Paris .1637
- 17- Memoires Congregation De La Mission .Ala Maison .Principale De La Congregation De La Mission .1864.T3
- 18- Morgan .J.T.: Histoire Des Etats Barbaresques Qui Exercent La Piraterie Centenant L'origine, Les Révolutions, Et l'Etat Présent Des Royaumes d'Alger, De Tunis, De Tripoli Et De Maroc Avec Leurs Forces, Leurs Revenus, Leurs Politique Et Leurs Commerce, Chez Chaubert Hérisant, Paris.T1
- 19- Haedo Digo: Histoire De Rois d'Alger.Trad Et Annoté Par H.D.De Grammont .Adolphe Gourdan Libraire Editeur .Alger.1881.
- 20- De Haedo Fray Diego: Topographie Histoire Generale D'Alger.Traduit De L'Espagnol Par Monnereau Et A.Berbrugger.Bouchene.Paris.1998
- 21- Martin Maria : History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs. Maria Martin Who Was Six Years A Slave In Algiers, P.Hiladelphia: Rakestraw, 1809
- 22- De Nicolay Nicolas:Dans L'emire De Soliman Le Mognifique .Presse De C.N.R.S.Paris.1989.
- 23- Raymond André: Un Document Concernant Les Habous D'Alger 1837.
- 24- Rozet : Voyage Dans La Règence d'Alger Ou Description Du Pays Occupé Par L'Armée Française En Afrique. Arthur .Bertrand Libraire .Editeur.1833.T3.
- 25- Rozet.M: Voyage Dans La Règence D'Alger Ou Description Du Pays Occupé Par
- 26- L'Armée Française En Afrique .Arthusbertrand.Lib.Editeur.Paris.1833.3t.T2.
- 27- Rozet Et Carette:Algérie Etat Tripolitain 2ème Edition Bouslama Tunis, 1980.
- 28- Shaw : L'Algérie Un Siècle Avant L'Occupation Française.Paris

- 29- Show .T :Voyage Dans La Règence Dalger .Tr De Langlais.2ed .Tunis Bouslma.1980.
- 30- Thomas Shaw: Voyager Dans La Regence Dalger .Marline Editeur.1830.
- 31- Shaler. W: Esquisse De Letat Dalger W Shaler, Esquisse De L'état d'Alger, Considéré Sous Les Rapports Politiques Historique Et Civil, Librairie L'advocat, Palis Royal ، Paris 1830.
- 32- Tournier Jules:Jean Le Vacher, Prêtre Consul De France Et Martyr (1647 - 1683), Les Éditions La Porte, Rabat1947
- 33- De Tassy. Laugier :Histoire D'Alger Et Du Bombardement De Cette Ville En 1816. Deusceme Edition .Piltan Librairie.Paris.1830
- 34- De Tassy Laugier:Histoire Du Royaume D'Alger Avecl'état Présent De Son Gouvernement De Ses Forces De Terre Et De Mer De Ses Revenus .Police .Justice Politique Et Commerce .Henri Du Suzet Amsterdam1725.Rééditi Par Les Editions Loysel.Paris.1992
- 35- Pananti Filipino:Relation Dun Sejour a Alger Tr.De Langlais .Paris Le Mormant.1820

رابعاً- المراجع العربية والمعرّبة:

- 1- أبو العنين بدران: الزواج والطلاق في الإسلام، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط2، 1961م.
- 2- أبو الجحد ليلي إبراهيم: المرأة بين اليهودية والاسلام، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 2007/1428هـ.
- 3- أبو زهرة محمد: محاضرات عقد الزواج وآثاره، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1971م.
- 4- أبو زهرة محمد: تنظيم الاسلام للمجتمع، ملتزم للطبع والنشر، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- 5- أبو غضة زكي علي السيد: المرأة في اليهودية والمسيحية والاسلام، ط1، دار الوفاء، منصوره، 1324هـ /2003م.
- 6- أشرف صالح محمد السيد : أصول التاريخ الاوروبي الحديث، ط1، دار واتا للنشر والتوزيع، 2009م،
- 7- أعميراوي أمحيدة: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م.

ثبت المصادر والمراجع

- 8- إتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1409 هـ / 1989 م.
- 9- بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م.
- 10- بالحميسي مولاي: الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، مصلحة الطباعة للمعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1968 م.
- 11- بركات مصطفى: الألقاب والوظائف العثمانية (1517م-1924م)، دار غريب القاهرة، 2000 م.
- 12- بشير عبد الرحمان: اليهود في المغرب العربي (22-462/642-1080م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001 م.
- 13- بلغيت محمد الأمين: فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الإسلامي، منشورات أنتر ديني، الجزائر، 1428 هـ / 2007 م.
- 14- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972 م د.ت.
- 15- بن حزم الاندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: المحلى بالاثار، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ج9 منشورات محمد علي بيضون كتب السنة والجماعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 2003 م / 1425 هـ
- 16- بن حموش مصطفى أحمد: فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (956 هـ / 1246 هـ - 1549 هـ / 1830 م، ط1، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، دبي 1421 هـ / 2000 م.
- 17- بن حموش مصطفى: مساجد مدينة الجزائر وزواياها أضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، دار الامة، الجزائر، 2007 م .
- 18- بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2.

ثبت المصادر والمراجع

- 19- بن خروف عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، دار الامل، الجزائر، 2017م.
- 20- بن الشيخ حكيم: مدينة الجزائر الأوضاع الاجتماعية والأنثروبولوجية (1945م-1954م)، دار هومه، الجزائر، 2013م.
- 21- بن عبدون قشار الحاج: عوائد بنو مزاب سنن لاتقاليد، تهذيب وتخرّيج أحمد هو كروم، ط2، د.ب، د.ت.
- 22- بن عتو بلبروات: المدينة والريف، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة الجزائر، 2016م، ج1
- 23- بنور فريد: الجواسيس الفرنسيون في الجزائر (1782م-1830م)، دار الواحة للكتاب، الجزائر، د.ت.
- 24- بوتفنوشت مصطفى و دمري أحمد: العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984م.
- 25- بوحنوف شهيرة: طقس انزار في منطقة خراطة (بجاية مقارنة انتولوجية)، دار الامل للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 26- بوخافة عززي: من قاموس العادات والتقاليد الجزائرية، دار إسحاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009م، ج2.
- 27- بوزيد صليحة: الوقف الأهلي في مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر بين الشريعة والممارسة من خلال سلسلة المحاكم الشرعية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 1436هـ، 2015م/.
- 28- بوشنافي محمد: القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلون للنشر والتوزيع، الجزائر 2017م، ج2.
- 29- بوعزيز يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ العرب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ج1.
- 30- بوعمامة فاطمة: اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق 14م/15م، كنوز الحكمة، الجزائر، 1432هـ 2011م.

ثبت المصادر والمراجع

- 31- بوغفالة ودان :الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني ، دار كوكب للعلوم والنشر والتوزيع ،الجزائر ،2016م
- 32- بومهلة تواتي : محطات في تاريخ الجزائر ،دار المعرفة ،الجزائر، 2012م .
- 33- بومولة نبيل:صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/ 16م ،دار هومة ،الجزائر ،2013م.
- 34- بيلوين جرمين: الحريم وأبناء العم ، تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط ،ترجمة عز الدين الخطابي وإدريس كثير ،منشورات دار السافي ،بيروت ،2000م.
- 35- تادرس خليل حنا:نساء العالم وطقوس الحب والزواج،ط1 دار الكتاب العربي،دمشق- القاهرة ،د.ت
- 36- التميمي عبد الجليل: عتق العبيد وعددهم في منتصف القرن التاسع عشر بإيالة تونس، من الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها بالعهد العثماني، الجزء 1، الجزء 2، تونس ، 1986
- 37- جوتيان .س.د: دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية تعريب وتحقيق عطية القوصي ،ط 1 ،وكالة المطبوعات ،الكويت 1980 م .
- 38- جوليان شارل أندري:تاريخ إفريقيا الشمالية تونس والجزائر والمغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى سنة 1830م ،تعريب: مزالي ومحمد مزالي والبشير بن سلامة ،ط2، الدار التونسية للنشر ،1983م.
- 39- الجيلالي عبد الرحمان :تاريخ الجزائر العام ،ط2 ،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،1385هـ /1965م.
- 40- حرز الله محمد العربي:أولاد جلال أصالة وحضارة وتاريخ ،شمس الزيبان للنشر والتوزيع ،الجزائر،د.ت.
- 41- حليمي عبد القادر :مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط1 ،دار الفكر الاسلامي ،الجزائر، 1972م.

ثبت المصادر والمراجع

- 42- حمادي عبد الله: المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492م-1616م)، ط1، دار الأمة للنشر والتوزيع الجزائر، د.ت.
- 43- حمداني عمار: حقيقة غزو الجزائر، ؛ ترجمة: لحسن زغدار، الجزائر، 1429هـ - 2008م
- 44- خالص صلاح : إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة بيروت لبنان، 1965م
- 45- خان ضفر الاسلام: التلمود تاريخه وتعاليمه، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1972م.
- 46- خلاصي علي: القلاع والحصون في الجزائر، الجزائر، 2008م.
- 47- خلاف عبد الوهاب: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1990م
- 48- خير فارس محمد: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، دار الشرق العربي، بيروت، 1969م.
- 49- خيراني ليلي: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1830-1818م - دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر 2016م.
- 50- دحوماني الحسيني كمال: الأشراف ودورهم الحضاري في المجتمع الجزائري، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر 2008م.
- 51- الدعشاني مريم أحمد: الطلاق في الشريعة الاسلامية، د.ب، 1994م.
- 52- دوتي آدموند: الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م
- 53- دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830م-1855م)، م.و.ك، الجزائر، 1989م.
- 54- دودو ابو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الامان (1830م-1855م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.

ثبت المصادر والمراجع

- 55- رزوق محمد : الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م ، ط3 ، إفريقيا الشرق
الدار البيضاء، 1998م.
- 56- رشوان حسن عبد الحميد أحمد : الأسرة والمجتمع دراسة في علم إجتماع الأسرة ، مؤسسة شباب
الجامعة للنشر ، الاسكندرية ، 2012م
- 57- رشيد رضا محمد : حقوق النساء في الاسلام ، تعليق محمد ناصر الالباني ، الكتب الاسلامي
، بيروت ، 1404هـ / 1984م
- 58- الزبادي أحمد محمد وإبراهيم ياسين الخطيب : صورة الطفولة في التربية الاسلامية ، ط1 ، الدار العلمية
الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع : عمان الاردن ، 2000م
- 59- زردوم عبد الحميد: تاريخ بسكرة الفرنسية ، ترجمة أمال هدار ، مطبعة المنار ، بسكرة ، الجزائر
، 2004م
- 60- زعفراني حاييم : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ -ثقافة -دين ، ترجمة: أحمد شحلان
وعبد الغني أبو العزم ، ط1 ، دار البيضاء 1987م
- 61- الزهري بن أبي بكر عبد الله محمد: كتاب الجغرافية ، إعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة
الدينية ، بور سعيد ، الظاهر ، مركز الاسلامي للطباعة ، شارع الاهرام ، الجيزة ، د.ت .
- 62- زيادة خالد: دراسات في الوثائق الشرعية ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، د.ت .
- 63- الساهي عبده : موسوعة أحكام الموارث ط2 ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، دمشق ، د.ت .
- 64- سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصة ، الجزائر ، 2006م
- 65- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري (16م-
20م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ج1 .
- 66- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري (16م-
20م) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ج1 .
- 67- سعد الله أبو القاسم : التاريخ الثقافي (1500م-1830م) ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي بيروت
، ج2 .

ثبت المصادر والمراجع

- 68- سعد الله أبو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي (1830م-1954م) ، ط1، ،در الغرب الاسلامي، بيروت ، ج8
- 69- سعد الله أبو القاسم :محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، د.ت.
- 70- سعد الله أبو القاسم: أشعار جزائرية ، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1988م
- 71- سعد الله أبو القاسم:أبحاث وأراء، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، د.ت، ج3.
- 72- سعد الله فوزي:الشتات الاندلسي في الجزائر والعالم ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1437هـ / 2016م، ج 2.
- 73- سعد الله فوزي:قصة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر،وزارة الثقافة، 2013م.
- 74- سعد الله فوزي:يهود الجزائر موعد الرحيل ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2018م.
- 75- سعد الله فوزي:يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، دار الأمة ،الجزائر، د.ت.
- 76- سعيد يوسف سوزان: المرأة في الشريعة اليهودية حقوقها وواجباتها (دراسة مقارنة مع حضارات الشرق القديم) ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ،2005م
- 77- سعيدوني ناصر الدين :الملكية والجبابة في الجزائر ، دار البصائر ، الجزائر ، د.ت.
- 78- سعيدوني ناصر الدين :دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1 ،دار الغرب الاسلامي بيروت 1424هـ / 2003م.
- 79- سعيدوني ناصر الدين :من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافين ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
- 80- سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي :الجزائر في التاريخ العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984م.
- 81- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792م-1830) دار البصائر ،الجزائر ، د.ت.

ثبت المصادر والمراجع

- 82- سعيدوني ناصر الدين: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791م-1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013م.
- 83- سليمان أحمد: تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية الجزائر، 1989م
- 84- السيوطي ثروت أنيس: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت
- 85- شبل مالك: الجنس والحريم وروح السراري السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير، ترجمة عبد الله زارو، إفريقيا شرق، المغرب، 2010م.
- 86- شرف الدين عبد العظيم: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية زوج، منشورات الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2003.
- 87- شعباني عمر: الانفاس الأخيرة للاندلس الصغيرة دلس دار الوعي الجزائر 1434هـ/2013م.
- 88- شعلان محمود عبد السميع: نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، دار العلوم للطباعة والنشر 1403هـ /1983م، رياض المملكة العربية السعودية، ج 1.
- 89- شفيق أحمد: الرق في الإسلام، ترجمة أحمد زكي، ط1، دار طيبة للطباعة، الجيزة مصر، 2010م
- 90- شفيق محمد: تاريخ الأمازيغيين، الرباط، 1409هـ /1988م.
- 91- شكري سرور محمد: نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية، دار الفكر العربي، 1978م-1979م
- 92- شلبي أحمد: مقارنة الأديان اليهودية، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988.
- 93- شلوصر فنديلين: قسنطينة أيام أحمد باي (1832م-1837م) ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- 94- الشناوي عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مطبعة جامعة القاهرة، 1980م.
- 95- الشنقيطي محمد الأمين: نظام الرق في الإسلام، قدمه وعلق عليه الشيخ عطية بن محمد سالم، دار الصفا، مكتبة الأوس، الزقاق، المدينة المنورة
- 96- شنوف عيسى: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، د.ت.

ثبت المصادر والمراجع

- 97- شوفاليه كورين :الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510م-1541م)، ترجمة جمال حمادنة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 2007م.
- 98- صابر أحمد طه : نظام الاسرة اليهودية والنصرانية والاسلام ، نهضة مصر للطباعة والنشر ،الجيزة مصر ،2000م.
- 99- صاري فاطمة زهراء وفتيحة بخاري: الوقف في الجزائر دراسة لعينة من عقود الوقف لرصيد المحاكم الشرعية خلال الفترة العثمانية 958هـ 1551م-1231هـ-1816م، جزائر ،2012م.
- 100- الطهطاوي عبد العال : شرح كتاب النكاح ،ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2005م/1466هـ.
- 101- طوبال نجوى: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700م -1830م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية ،دار الشروق للطباعة والنشر ،الجزائر، 2008م.
- 102- طيان ساجد شريفة:الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، دار المعرفة ، الجزائر ،د.ت.
- 103- ظاظا حسن:الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ،ط4 ،منشورات الدار الشامية ،بيروت، 1999م.
- 104- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م)،دار هومو ،الجزائر، 2014م
- 105- عبد الناصر مرفت: هموم المرأة تحليل شامل لمشاكل المرأة النفسية ،مطابع ستاربرس ،الهرم ،مصر ،د.ت.
- 106- عثمان علي: المرأة العربية عبر التاريخ،ط2 ،دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1976م.
- 107- عقّاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009م.
- 108- علواش زوليخة سماعيل المولودة: تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الإستقلال ،ط1 ، الطباعة العصرية ،الجزائر، 2013م.

ثبت المصادر والمراجع

- 109- عون مخالفة: تاريخ الالبسة التقليدية الجزائرية، ترجمة سعاد خايلي، منشورات فوم، الجزائر، 2007م.
- 110- غازي السعدي: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط1، دار الخليل للنشر، عمان، الاردن، 1994م.
- 111- الغربي الغالي: السلطة ومراكز القوة بالجزائر العثمانية على عهد الدايات 1674 - 1830 في كتاب : دراسات وشهادات مهداة الى الأستاذ أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 .
- 112- الغزاوي يحي محمد طاهر: دور الجماعات اليهودية في تجارة الرقيق في الجزائر في القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، مكتبة الاداب ، القاهرة .
- 113- غطاس عائشة وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 114- غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700م-1830م) مقارنة إجتماعية - إقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، روية، الجزائر، 2012م.
- 115- غلاب جمال : سيرفانتس في الحامة ، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م
- 116- فاسيات أوجان: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية (1517م-1837م) ترجمة: أحمد سيساوي ، كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، 2019م.
- 117- فركوس صالح : الحاج أحمد باي قسنطينة (1827م-1856م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت.
- 118- فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (910هـ - 1206هـ - 1505م- 1792م) دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر ، دار هومه ، الجزائر، د.ت.
- 119- فيرو شارل: تاريخ جيجل ، ترجمة: عبد الحميد سرحان ، دار الخلدونية ، الجزائر، 1431هـ/2010م.

ثبت المصادر والمراجع

- 120- قشاعي فلة موساوي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518م-1871م)، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ت.
- 121- قشي فاطمة الزهراء : قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005م
- 122- قصص من التراث خداج العمياء، دار العلم والمعرفة للنشر والتوزيع الجزائر د.ت.
- 123- قصور إسمهان : المرأة وحقوقها السياسية في الفقه الاسلامي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 124- القلقشندي الشيخ أبي العباس أحمد : صبح الأعشى، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ / 1915م
- 125- قواشون إميلي ماري: الحياة النسوية في مزاب، ترجمة: سامية نور الدين شلاط، دراسة وتحقيق صالح محمد الشيخ صالح، دار نزهة الالباب للنشر والتوزيع، غرداية، الجزائر، 2019م.
- 126- كحالة عمر رضا: الزواج، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ - 1980م
- 127- كحالة عمر رضا :أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج3.
- 128- كرم فضيلة : موجز تاريخ الحمامات، ترجمة: يوسفى حضرية، منشورات دحلب، الجزائر 2007م
- 129- كيال باسمة : تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت لبنان، 1401هـ / 1981م.
- 130- اللافي محمد الفاصل بن علي: تاصيل الحوار الديني، ط1، دار الكلمة، منصوره، مصر، 2004م
- 131- مالكا إميلي : العوائد العتيقة اليهودية بالمغرب من المهدي إلى اللحد، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2003م.
- 132- المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت 1401هـ / 1981م.
- 133- محرز أمين :الجزائر في عهد الاغوات (1659م-1671م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 134- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (د.ت).

ثبت المصادر والمراجع

- 135- المدني أحمد توفيق: كتاب هذه هي الجزائر، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2010م.
- 136- المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766م-1791م) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.
- 137- مرثديس غاريتا أرينال: شتات اهل الاندلس (المهاجرون الاندلسيون)، ترجمة: فكري عبد السميع، مراجعة وتقديم جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، د.ت.
- 138- مروش منور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة-الاسعار-المداخيل) دار القصة الجزائر. 2009م، ج2.
- 139- مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث العلمي في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر 2007م.
- 140- مسعد سامية مصطفى: صور المجتمع الاندلسي رؤية من خلال أشعار الاندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر 1998م.
- 141- معزوز عبد الحق و درياس لخضر: جامع الكتابات الاثرية العربية بالجزائر، كتابات الغرب الجزائري، مطبعة سومر، الجزائر 2001م.
- 142- الميسري عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
- 143- الميللي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج3، د.ت.
- 144- الميللي مبارك بن محمد: رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق وتعليق ابي عبد الرحمان محمد، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، 1422هـ / 2001م.
- 145- النفاقي عادل: المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغرب حفريات من أدب الرحلة قرن 16م في الهوية والتدين والثقافة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015م.
- 146- نورالدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، د.ت.
- 147- النوري حمو محمد عيسى: دور المزيبيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، د. ط، مطبعة البعث، د.ت، ج1.

ثبت المصادر والمراجع

- 148- هاتواي جين وكارل بريير :البلاد العربية في ظل الحكم العثماني (1516م-1800م) ترجمة: محمد شعبان صوان ،ط1 ،بن النديم الجزائر ، 2018م.
- 149- هلايلي حنفي : أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر،2010م.
- 150- هلايلي حنفي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،ط1 ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 1429هـ /2008م.
- 151- هلايلي حنفي:بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ،ط1 ،دار الهدى ،عين مليلة الجزائر 1428هـ /2007م.
- 152- هلايلي سعد الدين :قضية المسنين الكبار المعاصرة وأحكامهم الخاصة في الفقه الاسلامي دراسة فقهية مقارنة ، ط1 مجلس النشر العلمي ،الكويت، 1423هـ-2002م.
- 153- وافي علي عبد الواحد : المرأة والاسرة في الاسلام،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ،د.ت.
- 154- وشن مزيان: مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ،دار الكتاب العربي ،الجزائر 2005م.
- 155- وولف جون بول:الجزائر وأوروبا،تعريب: أبو القاسم سعد الله ،ط2 ،دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 2005م .
- 156- ويلسن ستيفن جيمس:الأسرى الامريكان في الجزائر (1785م-1797م)،ترجمة: علي تابليت ،ثالة، الجزائر 2007م.
- 157- يحياوي جمال:سقوط غرناطة ومأساة الاندلسيين (1492م-1610م) ،دار هومه ،الجزائر،2004م.

سادسا- المراجع الأجنبية:

- 1- Allard(M):Considérations Sur La Difficulté De Coloniser La Règence d'Alger . Paris .1830

- 2- Aumérat. J.F:La Propriété Urbaine Et Bureau De Bienfaisance Musulman d'Alger.Alger Adolphe-Jorerdan .1900.
- 3- Baudicourt Louis:La Guerre Et Le Gouvernement De l'Alger .Sagnir Et Bray .Librairie Editeurs .Paris.1853.
- 4- Baghli. O: Chaussures Traditionnelles Algériennes, Documents Du Centre De Recherche Anthropologiques, Préhistoriques Et Ethnographiques, Sned Alger 1977
- 5- Barnby H.G.:The Prisoners Of Algiers An Account Of The For Gotten American Algerian War 1785-1797.London Oscford University Press –New York Toronto .1966.
- 6- Barnby Henry :The Sack Of Baltimore Cork Historical And Archeological Society . July –December.Vol Xxiv .No22.1969.
- 7- Ben Cheneb Mehamed:Mos Turks Et Persans Conservésdans Le Parler Algerien - .Prèface Du Hédibencheneb.Flites Edition.2009
- 8- Ben Mansour A.H.:Alger XVI-.XVII Siècle Journal De Jean Baptiiste Gramaye "Evèque Dafrique" .CERF.Paris.1998
- 9- B .Acba:Remarkable Shipwrecks Or A Collection Of Interesting Accounts Of Naval Disasters, With Many Particulars Of The Extraordinary Adventures And Sufferings Of The Crews Of Vessels Wrecked At Sea, And Of Their Treatment On Distant Shores, Together With An Account Of The Deliverance Of Subibors, Hartford, Published By Andrus And Starr, 1823.
- 10- Beukkaoui Khalid: Whit Wemen Captives In North African Narratives Of Enslavement(1735-1830)Wk.Palgrave Macmillan .2010
- 11- Boyer (P) La Vie Quottdienne à Alger A Laveille De Linterventtion Frencais . Paris.1963..
- 12- Braudel Fernand: Méditerrne Et Le Monde Mediterraneé A Lépoque Du Phillipe Ii.Armand Colin Ed . Salvatore Bono :E Corsari Barbareschi Turin 1964 Paris .1982.T2.
- 13- Bourgin Pierre : Contribution A L'étude De L'albuminurie Dans La Variole, Éditeur Impér. Nouvelle Lyon, 1885.
- 14- Bonnfont: Pérégrinations En Algérie 1830-1842 Histoire Ethnographique Anecdotes .Challlaml Ainé.1884.
- 15- Beaussier. M: Dictionnaire Pratique, Arabe, Français, Marcellin Français Imprimerie La Maison Des Livres – Alger, 1958
- 16- Ben Mansour A.H:Alger Siecle Journal De Jean Baptiste Gramay Evéque. D'afrique C.E.R.F.Paris.1998
- 17- Belhamissi Moulay : Histoire De Merine Algerienne .Entreprise National Du Levire Alger Ed 2 .1986
- 18- Beraud .H:La Mosqueè De Sidi Abder Rhman.Alger .1891

- 19- Belhamissi Moulay: Femmes d'Alger Autrefois. S.M.E/SD/N
- 20- Belili Temime Leila : Histoire Des Familles Mariage .Réputation Et Vie Quotidienne Atunis (1875-1930).Ed .Script.Tunis.1999
- 21- Bekkaoui Khalid: White Women Captives In North Africa, Narratives Of Enslavement, 1735-1830, UK: Palgrave Macmillan, 2010
- 22- Bertherand. A.: Oïoun Skhakhna .Eaux Minérales De l'Algérie .J.B . Baillière . 1856
- 23- Bussy Genty: De l'Etablissement Des Français De La Règence D'alger 2eme Edition .T1.Typographie De Firmin.Didotfrères.1839
- 24- Bugeja .M: Les Bijoux Algériens In Bulletin De La Société De La Géographie d'Alger.1914
- 25- Casares Aurélia Martin: Esclavage Féminin : Femme Maghrébine A Grenada Au XVIIIème Siècle, In, Colloque Histoire Des Femmes Au Maghreb, Culture Matérielle Et Vie Quotidienne, Ed. Centre De Publication Universitaire, Tunis, 2000.
- 26- Certeux .A. Et E. Henry Cornoy : L'Algérie Traditionnelle , Ed. Maisonneuve Maisonneuve Et Leclerc, 1884.
- 27- Cotereau(M.J), «La Maison Mauresque » ,In Les Chantiers Nord- Africains , Alger ,Juin 1930
- 28- Chehrit Kamal : Les Janissaires Origines Et Histoire Des Milices Turque Des Provinces Ottomanes Et Tout Spécialement Celle d'Alger, Edition Grand –Alger- Livre, Alger 2005
- 29- Chaudru De Raynal Paul: L'expédition d'Alger (1830-1930) France.S.D
- 30- Chouraqui .A : Histoire Des Juifs En Afrique Du Nord, Edition Du Rocher, T1, Paris, 1998.
- 31- Dapper. O:Description De L' Afrique Contenant Les Noms Et Sitons Avec Des Cartes Des Etats Des Provinces Et Des Villes .Traduite De Flmand .Wolfagang . Amsterdam.1686
- 32- Dama .A : Le Costume Dans Quelques Tribus De L'antiquité.1952.
- 33- Davis Robert .C: Esclaves Chrétiens Maitres Musulmans (L'esclavage Blanc En Méditerranée1500-1800) Traduit De L 'Anglais (États-Unis). Par M Anuel Tricoteaux. Editions Jacqueline Chambón 2006.
- 34- D'Ault Edouard: Daumesnil, De L'expédition d'Afrique En 1830, Paris Delaunay, Editeur 1832.
- 35- De Paradis Vendeur: Tunis Et Alger Au XV Ième Siècle Mémoire Etobservations Rassemblés Et Présentes Par Joseph Cuoq La Bibliothèque Arabe Sindbad (S.D
- 36- De Paradis Venture: Tunis et Alger au XVIIIe siècle, présentation de J. Cuoq, Sindbad, Paris, 1985.

- 37- De Gramment.H: Histoire D'alger Sous La Domination turque (1515-1830).Ernest Leroux. Editeur.Paris.1887
- 38- De Grammot Henri:Relations Entre La France Et La Régence D'alger Au XVII-Siècle.Alger 1879
- 39- De Rocueville :Relation Des Mœurs Et Dugouvernement Des Turcs d'Alger.Paris 1675.
- 40- Dermenghem : Le Culte Des Saints Dans L'islam Maghrébin, Gallimard 1954.
- 41- De Castries Ernest Henry :Les Sources Inédites L'Histoire Du Maroc (1530-1845 Editeur.Paris ,1905,T1.
- 42- Desparmentp Joseph: Coutumes Institution Cryances Des Indigènes De L'algerie .L'enfance .Le Mariage Et La Famille .Ed.Centre De Documenatation Allure Et Recherches Historique Sur L'algerie .Aix En Provence (S.L).1913.T1.
- 43- Duchesne .E.A: De La Prostitution Dans La Ville d'Alger .Paris .1853
- 44- Esrael Abrahms :Jewishe Life In The Middle Age .The Macmillan Company.New York.1896.
- 45- Dozy: Supplément Aux Dictionnaire Arabes, Librairie Du Liban, Beyrouth, 1968. T1.
- 46- Dozy. R: Supplément Aux Dictionnaires Arabes, Librairie Du Liban, Beyrouth ,1968 .T2.
- 47- Dugmor Heather: the white salves of Africa heatherdugmoure.co za et Acba. B, Remarkable shipwrecks or a collection of interesting accounts of naval disasters, with many particulars of the extraordinary adventures and sufferings of the crews of vessels wrecked at Sea, and of their treatment on distant shores, together with an account of the deliverance of subibors, Hartford, published by Andrus and Starr, 1823,
- 48- Eduel .P:Aperçu Historique De L'orfèvrerie Algérienne . Revue Africaine .No 45.1901.
- 49- Eudel .P : L'Orfevrerie Algérienne Et Tunisienne.Jourdan.Alger .1902
- 50- Eudel.P: Dictionnaire Des Bijoux De l'Afrique Nord, Maroc, Algérietunisie, Tripolitaine Ernest Le Roux, Paris, 1906
- 51- Emerit Marcel: Un Mémoire Sur Alger Par Pétis De La Croisc 1695,Alger Type – Litho Et J 4 Curhonel 1953. Extrait Des Annales De L'I-E-O
- 52- Emerit Marcel: Un Mèmoire Sur Alger Par Pètis De La Croisc(1695) Annales De Lènstitut D Etudes Orientales Dalger. IX.1953
- 53- Eisenbeth Maurice : Les Juifs En Algérie Et En Tunisie A L'époque Turque (1516-1830) .Société Historique Algérienne, 1952.

- 54- Feraud: Shara De Constine Et De Tunis .Larnolet Libraire .Editeur.Rue Du Palais Et Bastide Libraire Editeur Place Du Gouvernement Et Challamel Atnè Eduteur Alger.30 .Rue Des Beaulaagers.Paris .1868.
- 55- Chaillou Lucien: Mémoire Du Consul G.Ph Vallière, Pub. Par L. Chaillou Sous Le Titre Alger 178, Imp. IPC, France, 1979.
- 56- Gaid .M.: Histoire De Bejiaet De Sa Région Depuis L'antiquité Jusque A 1954, 2^e Eme Edition Mimouni Alger .1991.
- 57- Gaid Mouloud :L'Algérie sous les Turcs, Maison Tunisienne de l'Édition, Tunis, 1975
- 58- Gaid Mouloud L'Algérie sous les Turcs, Alger, Édition Mimouni, 2^e éd., 1910,
- 59- Gaid .Mouloud :Chonique Des Bey De Constantine.Alger.OPU.S.D.
- 60- Garrot Henri: Histoire Générale De L'Algérie, Imp. Persunzo Votes Bation Nord Alger,(S/D)..
- 61- Gr Genty De Bissy (M.P)De Létablissement Des Français Dans La Régence Dalger.2eme Editions.Paris.1839.
- 62- Golvin. L: Palais Et Demeures d'Alger A La Période Ottomane, INAS, Alger, 2003.
- 63- Guiauchain .G.: Alger Edition De L'imprimerie .Algérienne 1905.
- 64- Joann Esra: The Shaping Of West Barbary The Relconstruction Of Identity And West Country Barbary Captivity.Phd.University Of Esceter Uk.P 124 Nabl Matar :Turksmoors And Englishmen In The Age Of Discovery Columbia University.Press.1999
- 65- Jouin .J.:Econographie De La Marièe Citation Dans Eslam Nord Africane Extrait De La- Revue Des Etudes Islamique.Libraire Oriental.Paris.1932.
- 66- Huguet .J :Les Juifs Du M'zab Extrait Du Bulletins Et Mémoires De La Socité d'Anthropologie De Paris.Ecole De Médecine .Paris .1902.
- 67- Hachef Mohamed El Habib:El Haoufi Chants De Femmes d'Algérie, Ed. Alpha, Alger, 2006.
- 68- Helgason Þorsteinn.:The Corsairs' Longest Voyage: The Turkish Raid In Iceland 1627.Brill.1918.
- 69- Khiati Mostefa:Histoire De Médecien En Algérie De l'Antiquité Nos Jours . A.N.E.P.2000.
- 70- Klein. H : Les Rues De l'Ancien Et Du Nouvel Alger .Feuillets d'El- Djazair, Imprimerie Orientales Fontana Frères, Alger1913.
- 71- Klein Henri: Feuillet d'Eldjezair, Fountana, Alger, 1937.
- 72- Kenneth Parker: Reading Barbary In Early Modern England, 1550-1685. The Seventeenth Century, Vol.19, N.01, 2004.

- 73- Lapez Rodriguez Miriam: Maria Dolers American Theatre. Carrion Women's Contribution Nineteenth Century. 2004.
- 74- La Primaudaie: Le Commerce Et La Navigation De L'algérie Avant Laet Conquête Francaise .Paris.1861.
- 75- Laloe. G: Enquête Sur Le Travail Des Femme Indigène a Alger. Alger . 1910
- 76- Lavion: L'Algérie Muslmane Dans Le Passé Leprésent Et.Challamel.1914.
- 77- Lesourd Michel: Conmanuteés Juives Du Sahara.1971
- 78- Maury.G :L'eslisme Et Le Christanisme En Afrique. Paris. Libr. Hachette . 1906.
- 79- Marcais.G: Les Brderis Turques d'Alger.Reprinted From Ars Islamica.1937. Vol4.
- 80- Marye.G. : Musée National Des Antiquités , Catalogue Période Musulmane, Alger.
- 81- M'hamsadji Kaddour: EL Qasba Z'eman, Le Mariage, 2ème Édition, OPU, Alger, 2007, T2,
- 82- Mercier :Les Juifes De Mzab Et Esraiel. Travaux De L'institut De Recherches Sahariennes T.XIXIER-2EM SEMESTRES UNIVERSITAIRE D4Alger.1960.
- 83- Marcais .G.:Les Broderis Turques d'Alger .Reprinted From Arsislamica.Vol 4.1937.
- 84- Matar Nabl :Turksmoors And Englishmen In The Age Of Discovery Columbia University.Press.1999.
- 85- Missoum Sakina: Alger Al'époque Ottomane La Medina Et Maison Traditionelle .Edition INAS .Alger.2003.
- 86- Monlaü Jean :Les Etats Barbaresque .Presses Universitaires De France, 1964.
- 87- Mercier: Juifs De Mzab Et Israël .Travaux De L'institut Recherches Saharienne . Université d'Alger.1960.T9
- 88- Moussaoui El Kachai Fella, The Cultural Heritage Ottoman In Algeria(1551-1830), Symposium Turkologie-Istambul, Sep 2013.
- 89- Ougouag Kezzal. C:Le Costume Et La Parure De La Marieé De Tlemcen.In Libyca.T18.
- 90- Panzac Daniel: Barbary Corsairs, The End Of A Legend 1800-1820. Tr Victoria Hobson. LEIDEN: Brill. 2005.
- 91- Pakalim Mehmet Zeki: Sozluk Dizisi Osmanli Tarih Deyinleri Ve Terimleri Sozlugu .M.E.B.Istambul.1993
- 92- Pakalin Osmali Zeki Mehmet: Deyimleri Vu Terimleri Sözlüğü, M.E.B, İstanbul, Bölüm -2. Pakalın: Osmanlı Tarih .1993.
- 93- Pakalin Osmali Mehmet Zeki: Tarih Deyimleri Ve Terimleri Sözlüğü, İstanbul, MEB, 1983, 3 Cilt.
- 94- Pascual Jean Paul Et Estable Coleut : Famille Et Fortunes A Damas 450 Foyers Damascains En 1700 Dames-Institut Francais Detudes Arabes De Domas 1994
- 95- Peaussier. M:Dictionnaire Pratique Arabe -Francais.Alger.1958.

- 96- Peyssonnel Et Desfontaines. Voyages Dans Les Régences De Tunis Et d'Alger, Publ. Par M. Dureau De La Malle .Paris.1838.
- 97- Piegno.A :Costime Et Parure Dans Le Monde Arabe.I.M.A.1987.
- 98- Raymond Andrè: Grandes Ville Arabes A L'époque Ottomane .La Bibliothèque Arabe.Sindab.Paris.1985
- 99- Rozet.M: Voyage Dans La Règence Dalger Ou Description Du Pays Occupé Par L'armee Francaise En Afrique .Arthusbertrand.Lib.Editeur.Paris.1833.3t.T2.
- 100- Niclas De Nicolay :Les Quatre Premiers Livres Des Navigations Et Pérégrinations Orientales.Par Gvilavme Roville Auree Prituilege Roy.1568.
- 101- Renaudot M.R: Alger tableau Du Royaume De La Ville d'Alger Et De Ses Environs. État De Son Commerce, De Ses Forces De Terre Et De Mer. Tableau. Edité Par Librairie Universelle De P. Mongie, Paris, 1830.
- 102- Royall Tyler: Calebe Crain The Algerin Captive Or The Life And Adventures Of Doctor P Updika .Underhill Sisc Years A Prisoner Among The Algerines New York Modern Library .2001.
- 103- Salzmann Ariel: "Migrants In Chains: On The Enslavement Of Muslims In Renaissance And Enlightenment Europe", Religions, Sept 2013, Vol. 03
- 104- Sir Godfrey Fisher: Légende Barbaresque : Guerre, Commerce Et Piraterie En Afrique Du Nord De 1445 A 1830, Trad. Et Annoté Par Farrida Hallal, Office Des Publications Universitaires, Alger - 1991
- 105- T. S: The Adventures Of Mr. T.S An English Merchant, Taken Prisoner By The Turks Of Argiers, And Carried Into The Inland Countries Of Africa With A Description Of The Kingdom Of Argiers, Of All The Towns And Places Of Note Thereabouts, Whereunto Is Added A Relation Of The Chief Commodities Of The Countrey, And Of The Actions And Manners Of The People, London: Printed, And Are To Be Sold By Moses Pitt At The White Hart In Little Britain, 1670.
- 106- Shiloah A: Les Traditions Musical Juive Maisneuve Et Laros .Paris .1996.
- 107- Shuval Tell: La Ville d'Alger Vers La Fin Du Xviii Siècle .Population Et Cadre Urbain.Cnrs Editions.Paris.1998
- 108- Thorstein Helgason: Historical Narrative As Collective Therapy: The Case Of Theturkish Raid In Iceland Scandinavian.Journal Of History. Vol.22. 1997.
- 109- Loualich Fatiha: La Famille a Alge Xviiet Xviii Siècle Paremité Alliances Et Patrimoine Reface De Bernard Vincent.Média Plus. Constantine.2017
- 110- Ricard. P :Les Arte Et Les Industries Indigènes Du Nord De L'afrique .Fes.1918
- 111- Velnet Mary: An Affecting History Of The Captivity And Sufferings Of Mrs. Mary Velnet, An Italian Lady, Who Was Seven Years A Slave In Tripoli, NY: Alden Spooner 1806.

- 112- Vitkus Daniel .J: Piracy, Slavery, And Redemption, Barbary Captivity Narratives From Early Modern England, New York: Columbia University Press, 2001.
- 113- Violard .E: Les Industries D'art Indigènes En Alger.Imp Baldachino .Larend Vignier 1902.
- 114- Westermarck Edward: Les Cérémonies Du Mariage Au Maroc, Traduit De l'Anglais Par, J, Arin, Ed. Du Jasmin, Paris, 2003.

سابعا- المجالات والدوريات العربية:

- 1- الأمين محمد: ملاحظات حول سياسة التهميش ووضع المهمشين بالجزائر العثمانية، في أعمال المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية (22-25 سبتمبر 2000م) ، منشورات مؤسسة عبد الجليل التميمي زغوان، تونس 2002م.
- 2- بالحيمسي مولاي: إرشاد الحيران في أمر الداى شعبان، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 02 ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1986م.
- 3- بالحيمسي مولاي: الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 4، كلية الآداب، جامعة الجزائر، يناير 1968م.
- 4- بالحيمسي مولاي: غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (1541م-948هـ)، في مجلة الاصاله، السنة الثانية، العدد الثامن، الجزائر، ربيع الثاني /جمادى الأولى 1392هـ/ماي -جوان 1972م .
- 5- بالحيمسي مولاي: الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، العدد 4 ، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، مصلحة الطباعة، المعهد التربوي الوطني الجزائر، 1968م.
- 6- بن الشيخ حكيم: جوانب من الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال القرن 19م (المقاهي والحمامات أنموذجا)، في مجلة قضايا تاريخية، العدد 11، 1441هـ /2019.
- 7- بودريعة ياسين: زاوية الشرفة (1709م-1848م)؛ نموذج للمؤسسات الاجتماعية بمدينة الجزائر العهد العثماني ،مجلة الدراسات التاريخية العدد 15-16، الجزائر 1434هـ/2013م .
- 8- تركي بنان سعود: مهن وحرف الرقيق في شرقي افريقيا (1806م-1897) مجلة دراسات أثرية، الجزائر 2008م ،العدد 02 .

ثبت المصادر والمراجع

- 9- حماش خليفة: قراءة في قصة مهاجر إلى أوروبا في العهد العثماني، في الهجرة، الحراك والمعالم الحضرية في الجزائر، سلسلة أعمال ملتقيات مخبر الدراسات والابحاث والرحلة والهجرة، جوان، 2009م.
- 10- حماش خليفة: نسبة الذكور والاناث في مدينة الجزائر في العهد العثماني المجلة التاريخية المغاربية السنة 34، العدد 126، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس.
- 11- حمصي لطيفة: هيئة الإفتاء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني " قراءة في وثائق المحاكم الشرعية مجلة العلوم الانسانية، العدد 42، جامعة قسنطينة، 2014م
- 12- خيراني ليلي: نساء مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة العلوم الانسانية، العدد 41، جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2014م.
- 13- دودو أبو العيد: الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدنية السنة الثانية، العدد 8، ربيع الثاني جمادى الأولى 1392هـ /ماي- جوان، الجزائر، 1972،
- 14- سعيود إبراهيم: من تراث الأسرى الجزائريين في إيطاليا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 01، المركز الجامعي بغرداية، ديسمبر 2006.
- 15- سعيود إبراهيم: وثيقة أرشيفية بابوية تتعلق بتعميد الأسرى المسلمين، في مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15-16، جامعة الجزائر 02، 2021.
- 16- سي يوسف محمد: المرأة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 33، زغوان، تونس، 2006م.
- 17- سي يوسف محمد: المرأة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 25، زغوان تونس.
- 18- عابد سلطانة: قراءة في خصائص تجار مدينة الجزائر سنة 1830م أنموذج: "حمدان خوجة وأحمد بوضربة"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، معسكر، العدد 2، جوان 2012م.
- 19- عمارة علاوة: الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطور مدينة وسيطة، في مجلة معابر، مجلد 3، العدد 1، الجزائر، 2016م

ثبت المصادر والمراجع

- 20- غطاس عائشة : سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني، مجلة انسانيات، العدد 3، وهران 1998م.
- 21- غطاس عائشة : سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر العهد العثماني، مجلة انسانيات، العدد 3، مركز البحث في الانتربولوجية الاجتماعية والثقافية ، وهران 1997 م .
- 22- غطاس عائشة: اسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،المجلة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، زغوان، تونس ، 1986م .
- 23- غطاس عائشة: الوافدون البرانية على مدينة الجزائر 1778-1830م بين التهميش والادماج ، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس 2002.
- 24- فكري طونة :رسالة حمدان خوجة إلى صديقه، العدد 29 ،مجلة التاريخ ،الجزائر، 1986م.
- 25- قدور عبد المجيد: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 2003م .
- 26- قرياش بلقاسم : وضعية النساء المسيحيات بالجزائر من خلال وثيقتين إنجليزيتين ، 1666-1747، في مجلة إسهامات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية - الجزائر 2017م.
- 27- ماهود محمد سحر:الموظفون العثمانيون، في مجلة التراث العربي،جامعة بغداد،2015م ، العدد 25.
- 28- مريوش أحمد :مكانة المرأة في التراث الجزائري ما بين 1900-1954م ، الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية ،دراسات وبحوث في الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ،ط2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
- 29- الواليش فتيحة: فئة المعتقين بمدينة الجزائر نهاية القرن العاشر إلى منتصف التاسع عشر من خلال وثائق المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،العدد الخامس والعشرون، زغوان، تونس 2002م.

30- الواليش فتيحة:النساء والسلطة القضائية من خلال عقود الأحياس في مدينة الجزائر خلال القرنين 17 و18م، مجلة سيرتا ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسنطينة ،مارس 2000م.

- تاسعا: المجالات والدوريات باللغة الأجنبية:

- 1- Aumerat: La Propriété Urbaine a Alger .In Revue Africaine, Annee 1897-1898 .N°41-42
- 2- Berbrugger .A.: Les Casernes Des Janissaires A Alger .En R.A. Alger . 1858. N03
- 3- Bencheneb S: « Un Contrat De Mariage Algerois Au Début Du 18e Siècle. Annales de l'Institut des Etudes Orientales, Université d'Alger 1955
- 4- Berbrugger. A:Voies Et Moyens Du Rachat Des Captifs. R.A. 1847
- 5- Boyer Pierre:L'adminstration Français Et La Regeementation Du Peleringe A Maque.Revue d'Histoire Magrebin.1997
- 6- Boyer Pierre : Introduction A Un Histoire Interieur A La Règence Dalger. In R.H.NO 470 Avril . Jun.1966.
- 7- Boyer Pierre, «Le Problem Kaulaughli Dans La Régence d'Alger »,In.R.O.M.M.,N°,1970 .
- 8- Bouderbah Ahmed. : Réflexions Sur La Colonie d'Alger: Sur Les Moyens Nécessaires A Employer Pour La Prospérité De Cette Colonie". In R.A N° 57
- 9- Bilici Faruk: Les Waqfs Constitués Par Les Femmes A Istambul Dans La Premièr Moitié Du Xvieme Siècle, In Awqaf, Sixth Year, , Rabi 2 1427H/May 2006. N° 10.
- 10- Colombe .M:Contribution A L Etude Du Recutement De Lodjak Dalgerdans La Dernieres Anneés De Lhistoire De La Regence. En Revue African.1943 .T87.
- 11- DE Grammont Henri :Relations Entre La France Et La Regence Dalger Au Xv Siecle En R.A. 1879
- 12- De La Primaudine Elie : Documents Inédites Sur L'histoire De L'occupation Espagnole En Afrique .R.A.1877. N°21.
- 13- De La Primaudaie: Documents Inédits Sur l'Histoire De l'Occupation Espagnole En Afrique .R.A.No9 .1875.
- 14- De La Primaudie : Documents Inédits Sur l'Histoire De L'ocupation Espagnole En- Afrique. R.A.1875.No 19.
- 15- Deny Jean: Les Regestres Des Solda Des Janissaires Conservès A La Bibliotheque Nationale D'alger.In R.A. Alger.1920. No61
- 16- Devoulx. A : Les Edifices Religieux De l'Ancien Alger, In Revue Africaine, N°14-1870.

- 17- Devoulx A:Les Edifices religieux De L'ancien Alger .In Revue African.Annè 1868.
- 18- Devoulx A.: Les Edifice Relgeux De L'ancien Alger .En R-A.1869.NO13.
- 19- Emirit Marcel: Les Aventures De Thédenat Esclave Et Ministre D'un Bey D'afrique XVIII Siecle .R.A.1948.
- 20- .Emerit .M:Un Memoir Sur Alger Par Pètis De La Croix 1695.In A.I.E . O11.1958.
- 21- Emirit Marcel: Le Voyage De La Condamné .Alger 1731.In R.A.1954.T98.
- 22- Filal Kamel:Saintet Maraboutique Et Mystique.Contribution A Letude Du Mouvement Maraboutique En Algerie. Sous La Domination Ottman XVI-XVII Siecle .Revue Algérienne D'anthropologie Et De Sciences Sociales. Algérie .1997.
- 23- Feraud .C : Notes Histoique Sur La Province De Constantine .Les Ben DJELLAB SULTANS DE Tougrt .In Revue Africane.1882.N° 26
- 24- Feraud Charles:"Corporation De Métiers". In R .A. , N° 16 , 1972
- 25- Gouchi Fatimazahra: Le Maraiage Kairounis Avec Clauses Dans La A.H.R.O.S. N° 6.
- 26- Golvin Lucien :Alger a La Pèriode Ottomane Rythme De Vie Les Cahiers Tunisie Actes Du IV Congres International d'Histoire Et De Civilation Du Maghreb .Numèro Spècial137-138.Tunisie .1986
- 27- Judith .Etucker, "She Would Rather Perish: Piracy And Gendered Violence In The Mediterranean", Journal Of Middle East Women's Studies, Vol.10, N°03, Fall 2014.
- 28- Lecuyer .E: Les Mètiers Constantinois A L'époque Des Beys .In Revue IBLA .Tunis.1950.N° 13
- 29- Rotin.N:Not Sur Yahya Aaga Alger .Reuve African.. 1874. T18
- 30- Pavy Mgr:La Piraterie Barbaresque.R.A.1857. N°2
- 31- Lespes Rene : Qelques Document Sur La Corporation Des Mozabites D'alger Dans Les Premiers Temps De La Conquête 1830-1838.R.A.1925.N°66

- عاشرًا: المذكرات و رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه.

1- أبو رزیزه سعدية محمد: مكانة المرأة بين المسيحية والاسلام ،رسالة ماجستير في مقارنة الأديان ،كلية الدعوة وأصول الدين ،قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة ،جامعة أم القرى 1407هـ.

ثبت المصادر والمراجع

- 2- أمير يوسف: أوقاف الدايات بمدينة الجزائر وفحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية (1211-1171هـ / 1781-1191م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2010م.
- 3- بحري أحمد: الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات (1671م-1830م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2001-2002م.
- 4- بلحاج الناصر: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر والخامس عشر والتاسع عشر ميلادين)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2013-2014م.
- 5- بوترة شهزاد: الحضور المغربي في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، السنة الجامعية 2014م-2015م
- 6- بودريعة ياسين: الثروة والفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1800-1786 م) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2017م
- 7- حماش خليفة: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 1427هـ/2006م.
- 8- حمصي لطيفة: المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الاعظم بمدينة الجزائر 1222-1246هـ/1710-1830م نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2011-2012م.
- 9- خيراني ليلي: المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1818م-1830م)؛ دراسة منتقاة من مصادر أرشيفية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2012-2013م

ثبت المصادر والمراجع

- 10- سعيود إبراهيم : الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1430-1431هـ/2009-2010م .
- 11- سعيود إبراهيم : علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين 17م-18م رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية1999-2000م.
- 12- شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري فعالياته في العهد العثماني (1519م-1830م)،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005م-2006م.
- 13- صاري زليخة :محمد بن شاهد آخر شعراء الجزائر في العهد العثماني، دراسة توثيقية وفنية لشعره "قصيدة رثاء مدينة الجزائر نموذجاً"، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م
- 14- طيان شريفة: ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1990م-1991م.
- 15- عبيد مصطفى : الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) أوربان 1812-1884 : دراسة تاريخية تحليلية ، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008م.
- 16- فراح زينب: الزيارة النسوية للأضرحة، مقارنة أنثروبولوجية لضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر ، السنة الجامعية 2010-2011م.
- 17- نواصر عبد الرحمان: تأثيرات الوجود العثماني في مدينة الجزائر خلال عهد الدايات، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، السنة الجامعية 1438-1439هـ / 2017م- 2018.

- حادي عشر: رسائل جامعية باللغة الأجنبية:

- 1- Pocio Periañez Gomez: La Esclavitud En Extramadura (Siglos 16-18) Tesis Doctoral, Departaminió De Historia, Universidad De Extremadura Cacers, 2008.

ثبت المصادر والمراجع

ثاني عشر - المعاجم والقواميس:

- 1- لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر والعالم ، دار الهدى ، الجزائر ، د.ت.
- 2- معجم أعلام الاباضية، المطبعة العربية غرداية، 1420م / 1999م
- 3- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ / 1987م.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
- شكر وتقدير	
- الإهداء	
- قائمة المختصرات الواردة في الدراسة	
- مقدمة	ص 01
- مدخل : التركيبة الاجتماعية في مدينة الجزائر:	ص 11
أولا: الطبقة الحاكمة:	ص 12
أ)- الأتراك العثمانيون:	ص 12
ب)- الأعلاج:	ص 13
ج)- الكراغلة:	ص 16
ثانيا : الرعية:	ص 17
أ)- اجماعة الحضرة البلدية:	ص 17
1- الجالية الأندلسية:	ص 18
2- فئة الأشراف:	ص 20
3- فئة العرب:	ص 21
ب)- فئة البرانية :	ص 22
1- بنو ميزاب:	ص 22
2- الأغواطيون:	ص 24
3- جماعة البساكرة:	ص 24
4- جماعة القبالة :	ص 24
5- جماعة القبائل:	ص 25
6- الجيجليون:	ص 26

- 7- الزوج : ص 27
- 8- بني عباس وأهل مزيتة : ص 28
- 9- وافدون من الإيالات المجاورة والمغرب الأقصى (المغاربة): ص 30
- (ج) - جماعة الدخلاء ص 30
- 1- الأوروبيون ص 30
- 2- طائفة اليهود ص 31
- الفصل الأول: واقع المرأة الجزائرية المسلمة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ص 33
- المبحث الأول: وضعية المرأة الجزائرية المسلمة في مدينة الجزائر ص 35
- أولا :لمحة مختصرة عن نساء الجماعات السكانية بالمدينة وصفاتهم الفيزيولوجية ص 35
- أ) - نساء الجماعات السكانية بمدينة الجزائر ص 35
- 1- نساء التركيات: ص 35
- 2- نساء العلجيات ص 35
- 3- الأندلسيات: ص 37
- 4- البرانيات : ص 37
- 5- النساء المغربيات: ص 38
- 6- النساء الاسلاميات : ص 39
- (ب) - بعض الصفات الفيزيولوجية لنساء المدينة: ص 39
- 1- صفات النساء الأندلسيات: ص 39
- 2- صفات النساء الجزائريات: ص 39
- 3- الكرغليات ص 41
- 4- النساء اليهوديات ص 41
- 5- النساء السودانيات: ص 42
- (ج) - أشهر أسماء النسائية بالمدينة : ص 42

- 1- الأسماء العربية الاسلامية.....ص 42
- 2- الاسماء الاعجمية في مدينة الجزائر.....ص 42
- 3- أسماء النساء اليهوديات.....ص 44
- ثانيا: مكانة المرأة الجزائرية المسلمة في الأسرة والمجتمع مدينة الجزائر:.....ص 45
- (أ)- وضعيتها داخل الأسرة:.....ص 45
- 1- المكوث بالبيت :.....ص 45
- 2- وسائل النقل خاصة بالمرأة الجزائرية:.....ص 48
- 3- وضعية زوجة الأسير الجزائري الاسرية والاجتماعية :.....ص 48
- (ب)- واجباتها داخل منزلها:.....ص 48
- 1- تربية الأطفال:.....ص 49
- 2- معاملة المرأة المسلمة لعبيدها :.....ص 50
- (ج)- واجباتها مع ضيوفها وجيرانها :.....ص 51
- 1- موقف المرأة الجزائرية من الضيوف:.....ص 51
- 2- مواساتها لجارتها في الضراء:.....ص 51
- (د)-مكانة المرأة الاسرية حسب الانتماء الطبقي :.....ص 52
- 1-مكانتها في الأسرة الفقيرة:.....ص 52
- 2-مكانتها في الأسرة البسيطة :.....ص 53
- 3-وضعية المرأة عند الأسر الغنية :.....ص 54
- 4- مكانة المرأة الاندلسية في مدينة الجزائر :.....ص 54
- 5- مكانة المرأة في أسرة الداى :.....ص 56
- (هـ)-ثريات مدينة الجزائر :.....ص 59
- ثالثا: ملكية المرأة للمسكن ومميزات تجهيزاته:.....ص 64
- (أ)- ملكية نساء المدينة للمسكن وموقف الأسرة والمجتمع:.....ص 64

- 1- قصور نساء الطبقة الحاكمة: ص 64
- 1-1- بيوت بنات الدايات: ص 64
- 1-1-2- قصر خداج العمياء: ص 64
- 1-1-3- قصر عزيزة: ص 65
- 2- نساء العامة والمساكن: ص 66
- 2-1- امتلاكها للمسكن خاص واشتراط إقامة الزوج معها: ص 66
- 2-2- مساعدة المرأة للرجل في الحصول على منزل: ص 67
- 2-3- توفر المسكن عن طريق الوقف: ص 68
- 2-4- قضية مسكن الزوجة و موقف الأصهار منه: ص 68
- 2-5- مساعدة الزوج في ترميم وبناء المنزل: ص 70
- 2-6- اللجوء إلى الكراء المسكن: ص 70
- 2-7- امتلاكها للمسكن عن طريق هبة من زوجها: ص 71
- (ب)- دور المرأة في تجهيز الغرف ومميزاتها: ص 71
- المبحث الثاني: يوميات المرأة الجزائرية بين العمل والأناقة وطبخ و ترفيه: ص 73
- أولاً: المرأة العاملة بمدينة الجزائر: ص 73
- 1- القارية..... ص 73
- 2- القابلة وممرضة..... ص 74
- 3- الطباخة..... ص 75
- 4- معلمة حمام..... ص 75
- 5- الطيانية أو الطيابة..... ص 76
- 6- المرأة الخادمة..... ص 76
- 7- الناظرة..... ص 77
- 8- الوكيلة..... ص 77

78ص	9- المرأة والسقاية :.....
78ص	10- المرأة الاسكافية.....
78ص	12- المغنية.....
79ص	13- المفرحة.....
79ص	14- غسالة النساء الموتى.....
79ص	15- المرأة والنشاط البحري:.....
80ص	16- تأجير المجوهرات:.....
80ص	17- الدرويشة.....
80ص	ثانيا: أزياء وحلي نساء المدينة.....
81ص	أ- لباسها خارج البيت :.....
83ص	1- حايك التركيات والكرغليات.....
83ص	2- حايك الأندلسيات.....
83ص	3- حايك البرنيات.....
84ص	ب- لباس المرأة المسلمة وأناقتها داخل بيتها:.....
87ص	ج- لباس المرأة الجزائرية في المناسبات :.....
87ص	1- لباسها عند زيارة أقاربها وجيرانها:.....
87ص	2- لباسها في الأعراس:.....
90ص	د- الحلي والمجوهرات:.....
93ص	ثالثا: مطبخ وأطباق المرأة الجزائرية.....
93ص	أ- مواصفات مطبخ نساء المدينة :.....
93ص	1- مطبخ نساء الطبقة الحاكمة :.....
94ص	2- مميزات مطبخ نساء الطبقة العامة:.....
96ص	3- خطوات تقديم الأطباق :.....

ص 97 (ب) - أطباق المرأة الجزائرية.
ص 97 1- الأطباق التي صنعتها من العجائن :
ص 98 2- الأطباق التي صنعتها باللحم :
ص 100 3- أطباق النساء البرنيات:
ص 101 4- الحلويات :
ص 102 رابعا: المرأة الجزائرية والترفيه.
ص 103 (أ)- القيام بولائم ومأدبات طعام :
ص 103 (ب)- التسامر بين الصديقات في بيتها :
ص 104 (ج)- التوجه للحمام :
ص 104 1- الحمامات الخاصة بعامة النساء:
ص 105 2- حمامات الموسسات :
ص 105 د- الخروج في النزهة :
ص 106 المبحث الثالث: مراسم الزواج والطلاق ووضعية الأرملة في مجتمع مدينة الجزائر:.
ص 106 أولا: عشق في مدينة الجزائر قبل الزواج :
ص 110 ثانيا: مراسم الزواج في مدينة الجزائر.....
ص 110 (أ) - مرحلة اختيار العروس:
ص 117 (ب)- الخطبة.....
ص 119 (ج)-الصداق.....
ص 124 (د)- العقد.....
ص 124 1-الولي.....
ص 124 1-1- ولي المرأة الحرة.....
ص 125 1-2-القاضي الجزائري ولي النساء المغربيات في مدينة الجزائر واللواتي فقدن وليهن:.....
ص 126 2-شروط المرأة في عقد الزواج:.....

126 ص	1-2- شروط العروس :
129 ص	2-2- شروط ولي العروس :
130 ص	3- شروط العريس على العروسة :
132 ص	(هـ)- مضمون عقد الزواج:
134 ص	(و)- موقف السلطة من زواج الفتاة الصغيرة.....
135 ص	(ز)- مراسم الزواج :
135 ص	1- شراء جهاز العروسة (الشورة) :
136 ص	1-1- اللوازم الخاصة بغرفتها.....
136 ص	2-1- الملابس.....
137 ص	3-1- الحلبي ومواد التجميلية.....
137 ص	4-1- الصندوق.....
138 ص	2- تحضيرات العريس للعرس :
138 ص	1-2- تجهيز غرفة العروسين:
139 ص	2-2- تحضيرات جيران العريس:
139 ص	3- تحضيرات العرس في بيت العروسة :
139 ص	3-1- التوجه إلى حمام (حمام العروسة) :
140 ص	4- توقيع العريسان لعقد الزواج وانطلاق في مراسم العرس:
145 ص	(ح) - دور الزواج في التمازج بين الجماعات السكانية مدينة الجزائر:
145 ص	1- التمازج بين العائلات الوافدة:
146 ص	1-1- تمازج العثمانيون بالأندلسيات.....
148 ص	2-1- التمازج بين العثمانيين والعليجات.....
148 ص	3-1- التمازج بين التركيات بالأعلاج.....
149 ص	4-1- تمازج بين العليجات والأعلاج.....

149ص	1-5- التمازج بين العثمانيين والجزائريات.
151ص	1-6- التمازج بين الأعلاج و الجزائريات.
151ص	1-7- التمازج بين التركيات والمعنوقين.
151ص	1-8- التمازج بين الأندلسيات والمعنوقين.
152ص	1-9- التمازج بين التركيات والجزائريين.
152ص	1-10- زواج الشرفاء من العلجيات.
152ص	1-11- التمازج بين العثمانيون بالمغربيات.
153ص	1-12- تمازج المغاربة بالجزائريات.
153ص	1-13- تمازج جماعة البرانية مع نساء المدينة.
154ص	1-14- التمازج بين الجزائريات والمعنوقين.
154ص	1-15- زواج بنات العلماء والشرفاء.
156ص	1-16- زواج الجزائريين بالمسيحيات الحرات.
158ص	1-17- التمازج بين نساء المدينة المسلمات مع الأسرى.
158ص	ثالثا: مستجدات حياة المرأة بعد الزواج:
158ص	أ- المرأة والانجاب
158ص	1-الولادة:
159ص	2-تحديد النسل:
160ص	ب- مصير المرأة العقيم ووضعيتها الأسرية والاجتماعية.
161ص	ج- موقف المرأة الجزائرية من الضرة:
164ص	د- طبيعة العلاقة بين المرأة والربائب:
165ص	هـ- العنف الأسري المسلط على المرأة:
167ص	و- المرأة والانتحار.
167ص	ز- المرأة والخيانة الزوجية.

168صح)-التحرش بالنساء
168صرابعا: المرأة والطلاق
169صأ)-الاجراءات الوقائية للأسر الجزائرية لتجنب طلاق بناتهن
169صب)-أسباب الطلاق
173صج)-إجراءات الطلاق
175صد)-أنواع الطلاق الذي تعرضت له نساء المدينة
175ص1-بائن بينونة صغرى
175ص2-الطلاق الرجعي
175ص3-طلاق التحريم
177صهـ)-مطلقات قبل الزواج
177صو- المرأة والخلع
178صز-سياسة القضاة في تقليص ظاهرة الطلاق
179صح- وضعية المرأة المطلقة وموقف المجتمع منها
179ص1-الاستفادة من النفقة
183ص2-إعادة الزواج للمرة الثانية
183ص3-الإستفادة من الوقف
184صخامسا: وضعية الأرملة واليتامى في مجتمع مدينة الجزائر
184صأ)- دور المجتمع الجزائري في تحديد وضعية الأرملة
184ص1-النفقة والتكفل باليتامى
187ص2-السماح لها بالزواج مرة ثانيا
189صسادسا: ظاهرة تكرار الزواج عند المرأة الجزائرية
191صالفصل الثاني: واقع النساء الازميات والمعتقات في مدينة الجزائر

- المبحث الأول: مكانة المرأة اليهودية والمسيحية في مدينة الجزائر الأسرية والاجتماعية.....ص 191
- أولاً: الوضعية الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية.....ص 191
- أ) - المكانة الاجتماعية للمرأة اليهودية.....ص 191
- ب) - وضعية المرأة اليهودية في الأسرةص 192
- 1- واجبتها داخل بيتها.....ص 193
- 2- وضعية المرأة الولود وموقف الأسرة من المرأة العقيم.....ص 195
- 2-1- دور الأسرة في تحضير المرأة على الانجابص 195
- 2-2- الحفاظ على خصوبة المرأة.....ص 195
- 2-3- الرعاية الصحية للمرأة في فترة الحملص 195
- 3- مكانة المرأة العقيم في الأسرة والمجتمع اليهودي.....ص 197
- 4- اختطاف اطفال اليهودياتص 197
- ج) - أطباق وأزياء المرأة اليهودية بمدينة الجزائر.....ص 198
- 1- أطباق النساء اليهوديات.....ص 198
- 2- أزياء المرأة اليهودية في مدينة الجزائرص 198
- د) - مراسم الزواج عند اليهودص 199
- 1- مرحلة إختيار العروسص 200
- 2- مراسم الخطبةص 200
- 3- الصداق.....ص 202
- 4- العقدص 202
- 5- احتفال العروس بالانتقال من حياة العزوبية إلى البيت الزوجية.....ص 203
- 6- إنطلاق العرسص 203
- هـ) - المرأة اليهودية وظاهرة تعدد الزواج.....ص 206
- و) - المرأة اليهودية والطلاق.....ص 207

207 ص 1-أسباب الطلاق
209 ص 2-خطوات الطلاق
210 ص 3-مكانة المرأة المطلقة الأسرية والاجتماعية
211 ص (ز)-المرأة اليهودية والموت
211 ص (ح)-مكانة الأرملة
212 ص (ط)-المرأة اليهودية والميراث
213 ص ثانيا: وضعية المرأة المسيحية الحرة الاجتماعية في مدينة الجزائر
213 ص (أ)-مكانتها في مجتمع مدينة الجزائر
214 ص (ب)-الترفيه بالتحول في المدينة الجزائر
214 ص (ج)- المخاطر التي تعرضت لها نساء المسيحيات في المدينة
216 ص المبحث الثاني: الواقع الاجتماعي والأسري للنساء المعتقات والإماء في مدينة الجزائر: ...
216 ص أولا : واقع المرأة المعتقة الأسري والاجتماعي
217 ص (أ) مكانة المرأة المعتقة
218 ص (ب)المعتقة والزواج
218 ص 1-الولي
218 ص 2-الصداق
219 ص 3-شروط المعتقة في عقد الزواج
219 ص (ج)-المعتقات ضرات لنساء المدينة
220 ص (د)-تمازج المعتقات مع الجماعات السكانية في مدينة الجزائر
220 ص 1-تمازج المعتقات مع جماعة البرانية
221 ص 2-تمازج بين المعتقات والمعتوقين
221 ص 3-تمازج المعتقات مع العبيد
222 ص (هـ)- وضعية أبناء المعتقات

222	ص	و)- المعتقة والطلاق
223	ص	ز)- واقع المعتقة بعد الطلاق
224	ص	ح)- المعتقة والمسكن
224	ص	ط)- الحرية المالية للمعتقة
224	ص	1- إمتلاكها للثروة
225	ص	2- المعتقة والقرض المالي
225	ص	ي)- المعتقة والكراء
225	ص	ك)- المعتقة والوقف
226	ص	ل)- المعتقات وقضية العبيد
226	ص	م)- المعتقة والمعاملات التجارية
227	ص	ن)- المهن التي مارسها المعتقات
227	ص	ثانيا: الأسيرات المسيحيات في مدينة الجزائر
227	ص	أ)- إحصائيات حول أسيرات المدينة:
228	ص	ب)- أسباب وجود الأسيرات في مدينة الجزائر
228	ص	1- عن طريق الإختطاف
229	ص	2- السفر
230	ص	3- عن طريق الحملات
230	ص	4- هدايا البايات إلى الدايات
230	ص	ج)- الاقامة الأولى للأسيرات في مدينة الجزائر
231	ص	د)- الأسيرات في سوق العبيد
234	ص	ه)- الأسيرات وعملية الافتداء
235	ص	و)- مكانة الأسيرة عند الأسرة الجزائرية
238	ص	ز)- لباس الإماماء

238 ص (ح)-نشاطهم داخل البيوت الجزائرية
239 ص (ط)-مقاضاة الأسيرة لسيدھا
240 ص (ي)- الأسيرة والزواج
241 ص 1-مراسم زواج الأمة
241 ص 1-1-الولي
241 ص 1-2-الصداق
242 ص 3- الجماعات المتمازجة مع الاماء
242 ص 4-طلاق الامة
242 ص 5-نكاح الأسیاد للجوارى
244 ص (ك)-الإماء والتسرى
244 ص 1-أسباب التسرى بالاماء
246 ص 2-مراسم التسرى
246 ص 1-التسرى بإماء بیض
248 ص 2-2-التسرى بإماء زنجیات
248 ص 2-3- المزایى وظاهرة التسرى بمدينة الجزائر
249 ص 2-4- موقف النساء من ظاهرة تسرى أزواجهن بالإماء
249 ص 2-5-مصیر الأمة المتسرى بها
250 ص (ل)-وضعية الأسرية والاجتماعية لأبناء الأمة
252 ص (م)-الأمة والوصية
252 ص (ن)-إماء ثریات فی مدينة الجزائر
253 ص (س)-تركة الأمة المتوفاة
254 ص - خلاصة الفصل
255 ص الفصل الثالث: دور المرأة الجزائرية في المجال الصحي والثقافي والديني في مدينة الجزائر

255ص	المبحث الأول: دور المرأة في المجال الصحي
255ص	أولاً: المرأة المسلمة والصحة
255ص	أ)- التدابير الوقائية المستعملة من قبل المرأة الجزائرية
256ص	ب)- طرق التداوي عند المرأة الجزائرية
256ص	1- التداوي بالأعشاب الطيبة
256ص	2- التداوي بالمعادن (ضرب الخفيف)
256ص	3- زيارة أضرحة الأولياء الصالحين
257ص	3-1- سيدي فليح
257ص	3-2- سيدي الكبير
258ص	3-3- سيدي يعقوب الاندلسي
258ص	3-4- علي الزواوي
259ص	3-5- ضريح سيدي مجبر
259ص	3-6- سيدي عبد الرحمان الثعالبي
260ص	4- التوجه عند النساء الراقيات
260ص	5- زيارة النساء الصالحات
260ص	5-1- لالة تمسكيدة
261ص	5-2- لالة تسعديت
261ص	5-3- لالة إماحوا
261ص	6- الذهاب عند المشعودات
261ص	7- التقرب من الدراويش والمنجمين والإستعانة بهم
261ص	8- الاستعانة بالشعوذة
262ص	8-1- أهم أدوية المشعودين للنساء
262ص	8-2- السبع عيون أو عين الجنون:

263ص	3-8- لالة إماحلولة:
263ص	4-8- عين سيدي محمد الشريف
263ص	5-8- عين المهاجل
264ص	6-8- عين مائية
264ص	9- العلاج بالموسيقى
264ص	9-1- حفلة النذور أو الدردية
264ص	9-2- الحضرة
265ص	10- التبرك بالأشجار
266ص	11- ارتداء التمام
267ص	12- الذهاب إلى الحمام
267ص	(ج)- العلاج عند الأطباء
268ص	(د)- مراكز الأمراض العقلية النسائية
268ص	(هـ)- المساهمة في تطوير المجال الصحي للمدينة
268ص	(و)- الوفيات في فئة نساء المدينة
269ص	(ز)- المرأة المسلمة والأوبئة
270ص	ثانيا: النساء الذميات والصحة:
270ص	(أ)- طرق التداوي عند المرأة اليهودية
270ص	(ب)- الأسيرة والعلاج
271ص	المبحث الثاني: المرأة والثقافة بمدينة الجزائر
271ص	أولا: المرأة والتعليم
271ص	(أ)- المرأة الجزائرية المسلمة والتعليم
271ص	1- موقف علماء والسلطة من تعليم المرأة
272ص	2- الأسر الجزائرية وتعليم المرأة

- 3- مساهمة المرأة في تطوير التعليم بمدينة الجزائر..... ص 278
- (ب) - الذميات والتعليم في مدينة الجزائر ص 280
- 1- المرأة المسيحية والتعليم..... ص 280
- 2- المرأة الأسيرة والتعليم..... ص 281
- 3- المرأة اليهودية والتعليم..... ص 281
- ثانيا : المرأة والمناسبات الدينية ص 282
- أ- المرأة الجزائرية المسلمة والمناسبات الدينية..... ص 282
- 1- الاحتفال بشهر رمضان..... ص 282
- 2- الاحتفال بالعيدين ص 284
- 3- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف..... ص 284
- (ب)- المرأة اليهودية والأعياد ص 284
- 1- الاحتفال بيوم السبت ص 284
- 2- الاحتفال بميلاد الطفل..... ص 285
- 3- الإحتفال بختان الأطفال (بريت ميلام)..... ص 285
- ثالثا: المرأة والفنون ص 286
- أ- المرأة والموسيقى..... ص 286
- (ب)- المرأة والرقص ص 287
- (ج)- الشعراء و المرأة الجزائرية..... ص 288
- (د)- المرأة والألعاب البهلوانية ص 289
- (هـ)- المرأة اليهودية والموسيقى..... ص 290
- المبحث الثالث: المرأة و الوازع الديني في مدينة الجزائر..... ص 291
- أ- المرأة والايمان ص 291
- (ب)- المرأة وتعاليم الدين الاسلامي..... ص 292

- 1- أداء الصلاة.....ص 292
- 2- المرأة وأهوال القيامةص 292
- 3- المرأة وأداء مناسك الحج.....ص 293
- 4- المرأة وزيارة القبور.....ص 294
- 5- المرأة والميراثص 294
- ج)- المرأة والوقف.....ص 297
- 1- مساهمة المرأة في الوقف الخيريص 298
- 1-2- وقف النساء على الحرمين الشريفينص 298
- 1-3- أوقاف النساء للجامع الأعظمص 299
- 1-4- وقف النساء على مؤسسة سبل الخيرات.....ص 300
- 1-5- وقف المرأة على مساجد وزوايا المدينة.....ص 301
- 1-6- أوقاف النساء على العلماء و قبور الأولياء الصالحين بالمدينة.....ص 301
- 1-7- وقف النساء على فقراء الاندلسص 303
- 2- وقف ذو أهداف مصلحةص 303
- 3- الوقف الأهلي أو الذريص 304
- 3-1- وقف الرجل على النساء.....ص 304
- 3-1-1- وقف على قريباتهص 304
- 3-1-2- وقف على المرأة المكفولةص 307
- 3-2- حرمان المرأة من الوقفص 307
- 3-3- موقف النساء من الحرمان من الوقفص 309
- 4- وقف المرأة على نفسها وعائلتهاص 310
- 4-1- وقف النساء على أنفسهن وعائلتهن.....ص 310
- 4-1-1- وقف النساء على المرييةص 311

- 4-1-2-وقف المرأة على جماعة المعتقين ص312
- 4-1-3-وقف النساء على المكفول ص312
- د)-المرأة والوصية ص313
- 1-وصية النساء لجماعة المعتقين ص314
- 2-وصية النساء للاماء..... ص314
- ه)-المرأة والهبة ص314
- 1-هبات الرجل للمرأة ص314
- 2-هبة المرأة لأقاربها..... ص315
- 3-هبة المرأة لجماعة المعتوقين ص316
- و)-المرأة والعلاقات غير شرعية..... ص317
- 1-القوانين المطبقة على المرأة العاهرة..... ص320
- 2-خطوات ممارسة البغاء ص320
- 3-أسباب لجوء الانكشارية إلى بيوت المومسات..... ص322
- 4-مصير النساء المومسات ص324
- الفصل الرابع: مساهمة المرأة في الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وعلاقتها
بالبسلطة القضائية:..... ص323
- المبحث الأول: دور المرأة في النشاط الاقتصادي:..... ص324
- أولاً: دور المرأة الجزائرية المسلمة في الصناعات والحرف:..... ص324
- أ)-أسباب انخفاض مساهمة المرأة في الاقتصاد الجزائري :..... ص324
- ب)- النشاطات الصناعية والحرفية التي مارستها المرأة:..... ص325
- 1-صناعة الخبز:..... ص325
- 2-صناعة المربي..... ص326
- 3-الحرفة التجميلية:..... ص326

- 4-حرفة الحلاقة:ص 326
- 5- صناعة المواد التجميلية.....ص 327
- 6- صناعة العطور.....ص 327
- 7-صناعة ماء الورد.....ص 327
- 8-الصناعة النسيجية.....ص 328
- 9- حرفة الدباغة :ص 332
- 10-الصناعة الشمعية.....ص 332
- 11-الصناعة البابوجية.....ص 333
- 12-الصناعة الخزفيةوالفخارية.....ص 333
- 13-صناعة السكاكين وترصيع الاسلحةص 334
- ج)-امتلاك النساء للمصانع.....ص 334
- ثانيا:الذميات والصناعة الحرفيةص 334
- أ)- النساء المسيحيات والصناعة الحرفيةص 334
- ب)-النساء اليهوديات والصناعة الحرفية.....ص 334
- ثالثا: دور المرأة في النشاط الزراعيص 335
- رابعا: المرأة والمعاملات التجاريةص 336
- 1-موقف العلماء الحنفية من المعاملات التجارية النسويةص 336
- 2- بنات الفقهاء والتجارةص 337
- 3-المرأة والمعاملات التجاريةص 337
- 3-1-المرأة والوكالةص 337
- 3-2- المرأة والتجارةص 338
- 3-2-1-معاملات البيعص 338
- 3-2-1-1- المرأة الدلالة.....ص 338

338 ص 3-2-1-2- المرأة والمحلات التجارية
340 ص 3-2-1-3- تجارة الصوف
340 ص 3-2-1-4- مبيعات أخرى (شورى وحلي)
341 ص 3-2-1-5- تجارة العبيد
341 ص 3-2-1-6- تجارة العقار
342 ص 3-2-1-6-1- بيع المنازل
343 ص 3-2-1-6-2- بيع البساتين
344 ص 3-2-6-3- امتلاك المقاهي
344 ص 3-2-6-4- معاملات النساء في الكراء
344 ص 3-2-6-4-1- المنازل
345 ص 3-2-6-4-2- تأجير الكوشة
345 ص 4- المرأة المعاملات التجارية
345 ص 4-1- معاملات بيع المرأة مع المغاربة
345 ص 4-2- المرأة ومعاملاتها التجارية مع السلطة الحاكمة
346 ص 5- النساء ومعاملات الشراء في مدينة الجزائر
346 ص 5-1- شراء العقارات
346 ص 5-2- شراء الأراضي والمسكن
347 ص 5-3- شراء البساتين
348 ص 6- المعاملات التجارية لنساء الجزائريات مع أهل الدمة
348 ص 6-1- مع اليهود
348 ص 6-1-1- معاملات البيع
349 ص 6-1-2- معاملات الكراء
349 ص 6-2- مع المسيحيين

350 ص	6-3- المرأة اليهودية والتجارة
350 ص	7- المعاملات المالية لنساء المدينة
350 ص	7-1- عقد الاتفاقيات التجارية
350 ص	7-2- المرأة وتسير الممتلكات
351 ص	7-3- المرأة ودكان الحرمين الشريفين
351 ص	7-4- المرأة والمقايضة
352 ص	7-5-1- المرأة والقرض المالي
352 ص	7-5-1-1- قرض المرأة لأقاربها
352 ص	7-5-1-1-1- لوالدها
353 ص	7-5-1-1-2- لزوجها
354 ص	7-5-1-1-3- لأبنائها
354 ص	7-5-1-1-4- لإخوتها
355 ص	7-5-1-1-5- قرض النساء لأصهارهم
355 ص	7-5-1-1-6- قرض المرأة لأصحاب الحرف
356 ص	7-5-1-1-8- قرض المرأة للتجار
356 ص	7-5-1-1-9- قرض النساء للنساء
356 ص	7-5-1-1-10- قرض المرأة لرجال المدينة
357 ص	7-5-1-1-11- قرض الرجال للنساء
357 ص	7-5-1-1-12- قرض الزوج لزوجته
357 ص	7-5-1-1-13- الاقتراض من الأمة
357 ص	7-6- المرأة وتسديد الديون:
359 ص	المبحث الثاني: المرأة والقضايا السياسية والعسكرية في مدينة الجزائر وعلاقتها بالسلطة القضائية.

- أولا: دور المرأة في القضايا العسكرية بمدينة الجزائر ص 359
- (أ)- دور نساء البايليكات في القضايا السياسية..... ص 359
- (ب)- أسباب الدور الضعيف للمرأة في القضايا السياسية والعسكرية..... ص 362
- (ج) - دور المرأة في القضايا العسكرية ص 363
- 1- دور المرأة في توطيد العلاقة بين فئة الانكشارية وطائفة رياس البحر ص 363
- 2- المرأة الساحرة والتنبأ بالحمالات الأوروبية : ص 363
- 3- الدعم المادي والمعنوي للجيش: ص 364
- 4- مصير النساء في النزاعات المسلحة : ص 365
- 5- موقف السلطة والمجتمع من الأسيرات الجزائريات في الأراضي المسيحية: ص 368
- 5-1- بيع الجزائريات في أسواق الأسرى الأوروبية..... ص 368
- 5-2- الأسيرة الجزائرية والتعميد: ص 368
- 5-3- مصير نساء مدينة الجزائر بعد عملية التعميد: ص 370
- 5-4- الأسر الجزائرية وقضية الأسرى: ص 372
- 6 - المرأة الجزائرية و الجهاد البحري: ص 374
- ثانيا: المرأة والقضايا السياسية في مدينة الجزائر: ص 376
- (أ)- دور المرأة الجزائرية في توطيد الوجود العثماني بالمدينة..... ص 377
- (ب)- دور المرأة في إرتقاء الرجال في المناصب الحكومية..... ص 379
- (ج)- الثقافة السياسية للمرأة ص 379
- (د)- التأثير في القرارات السياسية..... ص 380
- (هـ)- دور المرأة في العلاقات الخارجية الجزائرية..... ص 384
- (و)- المرأة أداة للاستمرارية البقاء في الحكم وتحقيق المصالح السياسية..... ص 387
- (ز)- مصير نساء الحكام..... ص 392
- (ح)- مقابلة نساء المدينة للحكام ص 393

394 ص	ثالثا: المرأة والسلطة القضائية.
394 ص	أ)- قانون العقوبات الخاص بالنساء.....
394 ص	1- عقوبة الاعدام
396 ص	2-العقوبات المطبقة على قاتلي النساء.....
398 ص	3-العقوبات المطبقة على المتحرشين بالنساء
398 ص	ب)-السجون النسائية
399 ص	ج)-العقوبات الخاصة بالمرأة اليهودية :
399 ص	د)- قضايا المرأة في المحاكم
400 ص	1-قضية إثبات صحة الزواج
401 ص	2- الاتهام بالزواج الزائف
401 ص	2-قضايا الطلاق.....
402 ص	2-1- الإخلال بشرط من شروط الزواج.....
402 ص	2-2-العنف الأسري والحرمان المسلط عليها
404 ص	2-3-طلاق الغائب.....
405 ص	2-3-1-قضية عزيزة بنت مصطفى التركي
406 ص	2-3-2-قضية موني بنت علي
406 ص	2-3-3-قضية زهراء بنت محمد بن وعيل
407 ص	2-3-4-قضية عائشة بنت عبد اللطيف
407 ص	2-3-5-قضية عائشة بنت إبراهيم.....
407 ص	2-3-6-قضية فاطمة بنت محمد
408 ص	2-3-7-قضية أم الخير بنت أحمد القبائلية.....
408 ص	3-مطالبة المطلقة بالنفقة على أطفالها
408 ص	4-مقاضاة الأزواج لأمهات زوجاتهم

- 5- المطالبة بالميراث أو تراجع عن هبة أو وقف ص 409
- 6- قضايا الوقف والهبة والوصية..... ص 411
- 7- المرأة والقضايا العقارية ص 412
- 1-7- قضية الملكية ص 412
- 2-7- التراجع على عملية بيع وفسخ للعقد ص 414
- 3-7- اللجوء إلى القاضي وكيلًا للإشراف على بيع ممتلكاتها..... ص 414
- 8- المطالبة بالتعويض على انعدام الماء في البيت المشتري ص 415
- 9- قضايا نزاع النساء مع الجيران..... ص 415
- 1-9- قضية المطالبة بالاستفادة من منزلة جيرانها ص 415
- 2-9- قضية المرور عبر أراضي جيرانها..... ص 416
- 3-9- مشكلة حدود أرضها مع جيرانها..... ص 416
- 10- قضايا سرقة الأغراض (الواني) ص 417
- 11- إعلان التوبة أمام القاضي ص 417
- 12- المواجهة بين النساء والعلماء في المحاكم ص 417
- خلاصة الفصل..... ص 419
- الخاتمة..... ص 420
- الملاحق ص 425
- الفهارس ص 431
- فهرس الأعلام..... ص 432
- فهرس الأماكن والمدن..... ص 433
- فهرس الجماعات والقبائل..... ص 434
- ثبت المصادر والمراجع..... ص 437
- فهرس المحتويات..... ص 495

المرأة والمجتمع في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المرأة في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني (1519-1830م)، حيث تناولت في هذه الدراسة مكانتها وصفاتها وفتاتها الاجتماعية. كما تطرقت إلى عادات وتقاليد المرأة في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية؛ كالزواج والطلاق واللباس والحلي والمسكن... الخ.

كما ركزت هذه الدراسة أيضاً على تناول مختلف مظاهر ممارسات المرأة في الحياة اليومية السائدة آنذاك داخل مجتمع مدينة الجزائر العثمانية؛ كل فئة على حدى، ولم تغفل الحديث عن مظاهر التأثير والتأثر بين فئات النساء، بالإضافة إلى أعمالها ودورها في الحياة الأسرية وإسهاماتها داخل مجتمعها في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ المجتمع؛ مدينة الجزائر؛ العهد العثماني؛ عادات وتقاليد المرأة؛ الحياة الأسرية؛ التأثير والتأثر بين فئات النساء.

Women and Society in the City of Algiers During the Ottoman Era (1519-1830)

Abstract:

This study aims to highlight the role of women in the society of Algiers during the Ottoman period (1519-1830). The research examines their social status, attributes, and various social classes. Additionally, it explores the customs and traditions of women in Ottoman Algiers, covering aspects such as marriage, divorce, clothing, jewelry, housing, and so forth.

The study also focuses on the various facets of women's daily practices within the Algiers community during that period, analyzing each social group separately. It further addresses the influences and interactions among different groups of women, along with their roles in family life, as well as their

contributions to the political, economic, religious, and cultural spheres of their society.

Keywords: Women; society; Algiers; Ottoman period; women's customs and traditions; family life; interaction among women's groups.

La Femme et la Société dans la Ville d'Alger à l'Époque Ottomane (1519–1830)

Résumé :

Cette étude vise à mettre en lumière le rôle de la femme dans la société de la ville d'Alger durant la période ottomane (1519–1830). La recherche examine son statut social, ses caractéristiques et les différentes catégories sociales. Elle explore également les coutumes et traditions des femmes dans l'Alger ottomane, en abordant des aspects tels que le mariage, le divorce, l'habillement, les bijoux, le logement, etc.

L'étude se concentre également sur les diverses pratiques quotidiennes des femmes de cette époque dans la société algéroise, en analysant chaque groupe social séparément. Elle aborde en outre les influences réciproques entre les différents groupes de femmes, ainsi que leur rôle dans la vie familiale et leurs contributions aux sphères politique, économique, religieuse et culturelle de leur société.

Mots-clés : Femme ; société ; ville d'Alger ; période ottomane ; coutumes et traditions des femmes ; vie familiale ; interaction entre groupes de femmes.